رسائل المقريزي

معى الدين المقريزي

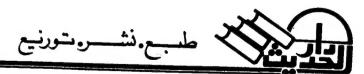
۲۲۷_03۸هـ ۱۳۶۶_۱۳۶۶م

دراسة وتحقيق رمضان البدرى و أحمد مصطفى قاسم

و (رالارس

حقوق الطبع محفوظ للناشر

الطبعَة الأولى ١٤١٩هـ-١٩٩٨م



۱٤٠ شارع جوهر القائد أمام جامعة الأزهر تليفون: ٩١٨٧١٩ه - ٩١٩٦٩٧ه - ١١٢٠٣٦ه غاكس: ١٩٢٩٧٩ه

تقى الدين المقريزي(١)

أحمد بن على بن عبد القادر بن محمد بن إبراهيم بن محمد بن تميم بن عبد الصمد بن أبى الحسن بن عبد الصمد بن تميم ، التقى ، أبو العباس بن العلاء ابن المحيوى الحسينى العبيدى البعلى الأصل ، القاهرى ، سبط ابن الصائغ ، ويعرف بابن المقريزى ـ وهى نسبة لحارة فى بعلبك تعرف بحارة المقارزة .

وكان أصله من بعلبك ، وجَدّه من كبار المحدثين ، فتحول ولده إلى القاهرة وولى بها بعض الوظائف المتعلقة بالقضاء ، وكتب التوقيع في ديوان الإنشاء وأنجب صاحب الترجمة.

وقال شيخنا: إنه رأى بخطه ما يدّل على تعيينه فى سنة ست وستين وذلك بالقاهرة، ونشأ بها نشأة حسنة، فحفظ القرآن وسمع من جده لأمه الشمس بن الصائغ الحنفى(٢).

شيوخه:

سمع من جده لأمه كما ذكرنا آنفاً ، والبرهان الآمدى ، والعزّ بن الكويك ، والنجم بن رزين ، والشمس بن الخشاب ، والتنوخى ، وابن أبى الشيخة ، وابن أبى المجد ، والبلقينى والعراقى والهيثمى والقرسيسى وغيرهم .

وحج فسمع بمكة من النشاوري والأميوطي ، والشمس بن سكر ، وأبي الفضل النويري القاضي ، وسعد الدين الإسفراييني، وأبي العباس بن عبد المعطى وجماعة .

وقد أجاز له : الإسنوى والأذرعى وأبو البقاء السُبكى ، وعلى بن يوسف الزرندى وآخرون .

⁽۱) راجع ترجمته في كل من :

الأعلام: للزركلي (١/١٧٧)، والمنهل الصافي (١/ ٤١٥ ــ ٤٢٠)، حوادث الدهور لابن تعزى بردى (٣٩/١)، والنجوم الزاهرة (١٥/ ٤٩٠)، والضوء اللامع للسخاوي (٢١/٢، ٢٢)، وشنرات الذهب لابن العماد (٧/ ٢٥٤)، وحُسن المحاضرة للسيوطي (١/ ٥٥٧).

 ⁽۲) محمد بن عبد الرحمن بن على ، شمس الدين الحنفى الزمردى ، ابن الصائغ ، أديب ، من العلماء ، مصرى ، توفى سنة ٧٧٦ . (الأعلام ١٩٢/٦) .

ومن الشام : الحافظ أبو بكر بن المحب وأبو العباس بن العز وناصر الدين محمد ابن محمد بن داود .

مؤلفاته:

كان المقريزى غزير الإنتاج والمادة العلمية فتارة تراه كيميائيا ، وتاره تراه مؤرخاً كما في إمتاع الأسماع ، والتنازع والتخاصم ، وتارة تراه روحيا كما في حث النفوس ، فهو متنوع التصانيف ، وهذه جملة غير يسيرة من مؤلفاته .

- ١ ــ درر العقود الفريدة في تراجم الأعيان المفيدة (ذكر فيه من عاصره) .
 - ٢ _ إمتاع الأسماع بما للرسول من الأبناء والأخوال والحفدة والمتاع .
 - ٣ _ عقد جواهر الإسفاط في ملوك مصر والفسطاط .
 - ٤ _ البيان والإعراب عمن في أرض مصر من قبائل الأعراب .
 - ٥ _ الإلمام فيمن تأخر بأرض الحبشة من ملوك الإسلام .
 - ٦ _ الطُرفة الغريبة في أخبار حضر موت العجيبة .
 - ٧ _ معرفة ما يجب لآل البيت النبوى من الحق على من عداهم .
 - ٨ _ إتعاظ الحنفاء بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء .
 - ٩ _ السلوك بمعرفة دول الملوك .
 - ١٠ _ التاريخ الكبير المقفّى .
 - ١١ _ الإشارة والكلام ببناء الكعبة البيت الحرام .
 - ١٢ _ التنازع والتخاصم بين بني أمية وبني هاشم .
 - ١٣ _ شذور العقود أو النقود القديمة الإسلامية .
 - ١٤ _ الضوء الساري في معرفة خبر تميم الداري .
 - ١٥ _ الأوزان والأكيال الشرعية .
 - ١٦ _ إزالة التعب والعني في معرفة الحال في الغني .
 - ١٧ _ حصول الإنعام والمير في سؤال خاتمه الخير .
 - ١٨ _ المقاصد السنية في معرفة الأجسام المعدنية .

- ١٩ ـ تجريد التوحيد .
- ٢٠ ــ مجمع الفرائد ومنبع الفوائد .
 - ٢١ _ شارع النجاة .
 - ٢٢ ـ الإيماء في حل لغز الماء .
 - ٢٣ _ إغاثة الأمة بكشف الغُمّة .
 - ٢٤ ـ الخبر عن البشر.
- ٢٥ ــ المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار .
- ٢٦ _ الذهب المسبوك في ذكر من حج من الملوك .
 - ۲۷ ــ العقود في تاريخ العهود .
- ٢٨ ــ البيان المفيد في الفرق بين التوحيد والتلحيد .
 - ٢٩ ـ جَنَىْ الأزهار من الروض المعطار .

صفاته وسلوكه:

كان حُسن المذاكرة بالتاريخ ، لكنه قليل المعرفة بالمتقدمين ؛ ولذلك يكثر له فيهم وقوع التحريف والسقط وربما صحف في المتون ، وكان كثير الاستحضار للوقائع القديمة في الجاهلية.

أما الوقائع الإسلامية ومعرفة الرجال وأسمائهم والجرح والتعديل والمراتب والسير وغير ذلك من أسرار التاريخ ومحاسنه فغير ماهر فيه .

وكانت له معرفة قليلة بالفقه والحديث والنحو واطلاع على أقوال السلف ، وإلمام بمذهب أهل الكتاب ، حتى كان يتردد إليه أفاضلهم للاستفاده منه .

وكان حَسَن الخُلُق ، كثير التواضع ، كريم العهد ، عالى الهمة لمن يقصده ، وكان محباً للمذاكرة والمداومة على التهجد والأوراد ، وكان حسن الصلاة مزيداً فيها من الطمأنينة .

وكانت الأكابر تجله: إما مداراة له، وخوفاً من قلمه، أو لحُسن مذاكراته. وكان مولعاً بالتاريخ فجمع منه شيئاً كثيراً، وصَنّف فيه كُتُباً، وكان حَسن الصحبة حلو المحاضرة.

ومع كل هذا كان مشتغلا بضرب الرمل ، وقد تولى الحِسْبة بالقاهرة في آخر أيام الظاهر برقوق .

وقد توفى رحمه الله فى عصر الخميس سادس عشر من رمضان سنة خمس وأربعين بالقاهرة بعد مرضٍ طويل وكان عن عمر يناهز الثمانين .

ودفن يوم الجمعة قبل الصلاة بحوش الصوفية البيبرسية _ رحمه الله .

وصف المخطوطات:

وصلتنا مجموعة من رسائل المقريزى على ميكروفيلم رقم 4657 من المكتبة الوطنية بباريس La Bibliothe que National de France

وهى نسخة مكتوبة بالخط النسخى المعتاد ، مسطرتها فى الغالب ٢٤ سطراً ، فى كل سطر من ثمانى إلى عشر كلمات .

وبعد تفريغ الميكروفيلم على الورق تمهيداً لتحقيقه ، فوجئنا بأن بعض الرسائل مطموس تماماً في بعض صحائفه ، والبعض الآخر ساقط منه كلمات من الوسط وهو ما يخل بسياق الكلام وبمضمونه .

وحيث إن هذه الرسائل يصعب الحصول عليها جميعها للمقارنة مثلما يفُعل فى أى مخطوطة، فقد نحيّنا المخطوطات المشوّهة واستعنا ببعض رسائل المقريزى المطبوعة للتوثيق ومراجعة النص الأصلى عليها .

وقمنا بعمل الآتى :

- ١ _ رد كل آية إلى اسم سورتها وإثبات رقم الآية .
- ٢ _ تخريج الأحاديث ، وكانت هناك في بعض المخطوطات نصوص لأحاديث ليس لها لفظ مشابه فخرجناها تخريجاً محكماً .
 - ٣ _ تخريج البلدان والأصقاع والنواحي .
 - ٤ _ ترجمة الأعلام والمشاهير ممن ذكرهم في رسائله .
- ۵ ــ تفسير المعجم من غريب اللغة من معاجم اللغة العربية ، كالقاموس المحيط واللسان والمعجم العربي الأساس ومختار الصحاح والمخصص وخلافه .
 - $\Gamma = 1$ إصلاح الإسقاطات والتنبيه على المحو والطمس في موضعه

مقدمات

تحتل رسائل المقريزى مكانة مرموقة بين المخطوطات ، خاصة التاريخية منها ، وهى مجموعة رسائل متنوعة الموضوعات ، غزيرة المادة العلمية في بعضها ، ضئيلة في أخريات منها .

والمقريزى عالم جليل ، تارة تراه مؤرخاً عندما يتناول موضوعاً مثل « التنازع بين بنى أمية وبنى هاشم ، وتارة تراه كيميائيا عندما يكتب عن الأجسام المعدنية والفلزات ، وتراه في الباقيات فقيهاً محدثاً .

وقد عكف بعض العلماء الأجلاء على تحقيق بعض رسائله الصغيرة ، ولكن في اعتقادى أنه لم يتناولها أحد حتى الآن كاملة كمجموعة ، وقد أعاننا الله على تحقيق جزء كبير منها _ هو الذي بين يدى القارئ _ والله أسأله أن يتمم لنا تحقيق الباقى إن شاء الله.

والرسائل التي قمنا بتحقيقها مجموعها حوالي أربع عشرة رسالة ، مختلفة الموضوعات ، سهلة التناول ، جيدة الصياغة ، اللهم إلا بعض الإسقاطات والتصحيفات التي سننوة عليها في مواضعها ، وهذه الرسائل بالترتيب هي : _

ا _ التنازع والتخاصم بين بنى أُميّة وبنى هاشم ، وهو يتناول النزاع القبلى بين القبيلتين ، وكيف أن رسول الله ﷺ قد ملّك بنى أمية على مكة والمدينة وحضرموت وجعل لهم السيطرة والغلّبة ويسرد _ فى أسلوب شائق _ ما فعله أبو العباس السفاح مؤسس دولة بنى العباس من انتهاكاته للحرُمات وسطوته وجبروته .

Y ـ أما الرسالة الثانية فهى تجريد التوحيد ، وفيها يتناول الفروق بين الشرْك والتوحيد ، ويأتى بأنواع الشرك مثل : الشرْك في الألفاظ ، والسجود لغير الله ، وشرك القدرية ، والشرك في الربوبية ، ويسوق أقوال كل من القدرية والجبرية في الحكمة والتعليل.

٣ ــ والثالثة : البيان والإعْراب عَمن في أرض مصر من قبائل الأعراب ،
 يتعرض في هذه الرسالة عن البطون والأفخاذ والعشائر والقبائل والفصائل ، ويسرد
 لأسماء بعض القبائل العربية التي ما زالت لهم ضياع وأموال حتى الآن في شتى

محافظات مصر من شمالها إلى جنوبها ، ويحكى بطريقة تاريخية رائعة عن كيفية قدومهم من الجزيرة العربية إلى الوطن العربي عامة ومصر خاصة .

٤ _ والرابعة : هي النقود القديمة الإسلامية ، وقد سبق المقريزي في تناول هذا الموضوع العلامة البلاذري برسالة أسماها: « النقود » ، ويتعرض المقريزي للنقود القديمة التي كانت تستعمل في صدر الإسلام وأيام الخلافة الإسلامية والعباسية .

ويفرق بين الدرهم البغلى والدرهم الجواز ، وبين معانى كل من كلمة النص والأوقية والرطل والدانق والقيراط ، ويحكى أن كل خليفة من الخلفاء كان يضرب نوعاً من النقود مثل سيدنا عثمان بن عفان رضى الله عنه ، عندما ضرب درهما نقش عليه : « الله أكبر » .

ونقش معاوية دنانير ، نقش عليها تمثالا متقلداً سيفاً .

٥ _ الخامسة : رسالة في فضل آل البيت على من عَدَاهم رضى الله عنهم أجمعين، وساق أدلته جميعا من كتاب الله وأحاديث رسول الله ، كما أنه عقد مقارنة بين نصوص القرآن الكريم وتفسيرها في أكثر من مرجع كالقرطبي وابن عطمة.

٦ ـ السادسة : رسالة المقاصد السنية في معرفة الأجسام المعدنية ، وههنا يبدو لنا المقريزي كعالم كيميائي بحت ، فهو يشرح الأجسام المتولدة ويقسمها بين نامية وغير نامية.

كما أنه شرح أقسام المعادن التي تتولد من الأبخرة والأدخنة المحبوسة في الأرض.

وفى آخر فصل يتحدث عن الفلزات كالزئبق والكبريت والفضة والنحاس وطريقة تكوين كل معدن منهم في الأرض.

٧ _ السابعة : رسالة عن الإلمام بأخبار من بأرض الحبشة من ملوك الإسلام .

فى هذه الرسالة إشارات لطيفة عن ألفاظ البطريق ، وهى رتبة من الرتب الكهنوتية لدى النصارى ، ولفظ الحطى وهى بلغة الأحباش تعنى : السلطان .

ويتعرض لبعض الفرق كاليعقوبية ، والملكانية .

 Λ _ الثامنة : رسالة قصيرة عن حرص النفوس على بقاء الذكر .

مقدمة رسائل المقريزي -----

- ٩ _ التاسعة : عن حُسن الخاتمة .
- ١٠ _ العاشرة : رسالة عن حل لغز الماء .

۱۱ _ الحادية عشرة : نحل عبر النحل ، وهي رسالة ممتازة وجديرة بالدراسة وقد نما إلى علمي مؤخراً أن أحد المحققين قام بتحقيقها بمفردها .

وهذه الرسالة يشرح فيها المقريزى النحلة طبياً ، وأوصافها ، وأسماءها ، وأنواع العسل ، وفوائده الطبية ، وباختصار كل ما يهم القائمين على تشريح النحل ومنتجاته .

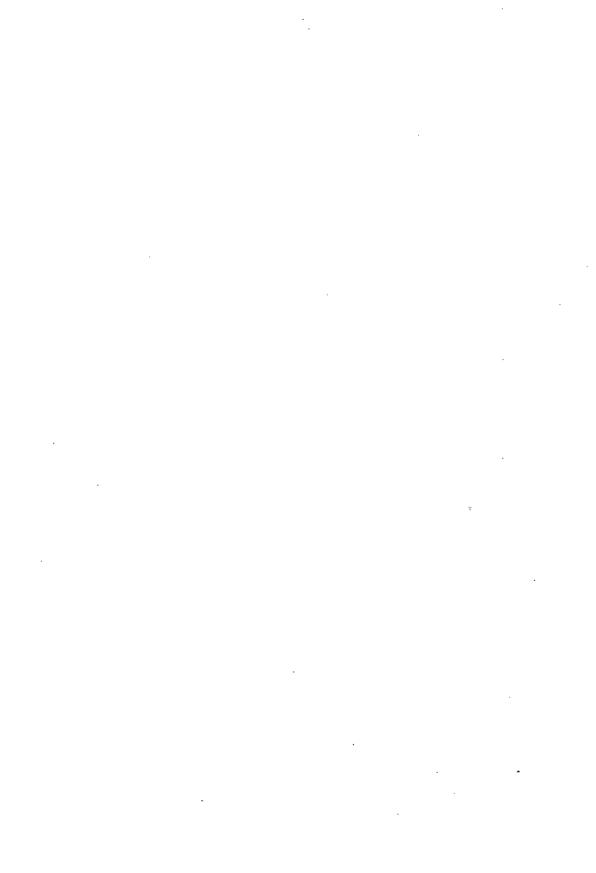
والله أسأل أن يجعله في ميزان حسناتنا إنه نعم الوكيل .

وأشكر شكراً خاصاً للأستاذ الحاج/ عاطف محمود مصطفى، مدير دار الحديث على تبنيه هذا العمل وإخراجه إلى النور ، بارك الله لنا فيه ، آمين .

الحقان رمـضــان محمــد على البــدرى و أحمد مصطفى أحمد قاسم الطهطاوى







بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله المعطى ما شاء لمن شاء ، لا مانع لعطائه ولا راد لمراده وقضائه ، أحمده بما هو أهله من المحامد ، وأشكره على فضله المتزايد ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، ولا معاند ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ونبيّه وخليله، اللهم صلّ عليه وعلى آله وأصحابه ومحبيه وأهل طاعته وسلم وشرّف وكرّم .

أما بعد ، فإنى كثيراً ما كنت أتعجب من تطاول بنى أمية (١) إلى الخلافة مع بُعْدهم من جذم رسول الله على ، وقرب بنى هاشم وأقول : كيف حدَّنتهم أنفسهم بذلك ، وأين بنو أمية وبنو مروان بن الحكم من يد رسول الله على ولعينه (٢) من هذا الحديث مع تحكم العداوة من بنى أمية وبنى هاشم فى أيام جاهليتها ، ثم شدة عداوة بنى أمية لرسول الله على ومبالغتهم فى أذاه وتماديهم على تكذيبه فيما جاء به منذ بعثه الله عز وجل بالهدى ودين الحق إلى أن فتح مكة ، شرقها الله تعالى ، فدخل من دخل منهم فى الإسلام كما هو معروف مشهور

وأردد قول القائل :

وكم من بعيد الدار نال مُراده وآخر داني الدّار وهو بعيد

فلعمرى لا بُعْدَ أبعد مما كان بين بنى أمية وبين هذا الأمر ؛ إذ ليس لبنى أمية سبب إلى الخلافة ولا بينهم وبينها نسب إلا أن يقولوا : إنا من قريش فيساوون في

⁽۱) تأثّر المصنف _ رحمه الله _ في هذه الرسالة _ بما سُطِرَ في كتب الأدب والتواريخ من أخبار في الطعن على بني أمية ، والحطّ من شأنهم وذكر مثالبهم ، مع أن أكثرها لا يصح _ عند التحقيق؛ لأنها جاءت إمّا من قبل متعصبة الشيعة ، وقد كانوا من أشد المبغضين لبني أمية ، أو الإخباريين الذين لا يهتمون بتمحيص الأخبار وتنقيتها ، بل يذكرون كل ما ورد في ذلك من غير تدقيق في أصله ، ومن هؤلاء المسعودي والمبرد ، والجاحظ . انظر تفصيل ذلك في العواصم من القواصم لأبي بكر بن العربي (ص ١٧٧ ، ١٧٨ ، ٢٤٤ ، ٢٤٥) بتعليق العلامة محب الدين الخطيب ، و « منهاج السنة النبوية » (٢/ ٢١٥) لابن تيمية ، ومنهاج كتابة التاريخ الإسلامي (ص ٢٢٥) لدوناء .

⁽٢) يقصد الحكم بن أبي العاص بن أمية ، وسوف يأتي ذلك مفصلاً .

هذا الاسم قريش الظواهر ، لأن قوله ﷺ : « الأئمة من قريش » (١) واقع على كل قرشى ، ومع ذلك فأسباب الخلافة معروفة وما يدَّعيه كل جيل معلوم ، وإلى كل ذلك قد ذهبت الناس ، فمنهم من ادعاها لعلى بن أبى طالب ، رضى الله عنه ، باجتماع القرابة والسابقة والوصية بزعمهم ، فإن كان الأمر ذلك ، فليس لبنى أمية في شيء من ذلك دعوى عند أحد من أهل القبلة ، وإن كانت إنما تنال الخلافة بالوراثة ، وتستحق بالقرابة ، وتستوجب بحق العُصبة، فليس لبنى أمية في ذلك متعلق عند أحد من المسلمين .

وإن كانت لا تنال إلا بالسابقة فليس لهم فى السابقة قديم عهد مذكور ولا يوم مشهور، بل لو كانوا إذ لم تكن لهم سابقة ، ولم يكن فيهم ما يستحقون به الحلافة، ولم يكن فيهم ما يمنعهم منها أشد المنع كان أهون وكان الأمر عليهم أيسر.

⁽۱) صحيح ورد عن جمع من الصحابة منهم أنس وعلى بن أبي طالب ، وأبي برزة الأسلمي . رواه أحمد (۱/ ۱۲۹ ، ۱۲۹) ، والطيالسي (منحة المعبود ۲۰۹۲ ، ۲۰۹۷) ، والحاكم في المستدرك (۱/۲۷ ـ ك : المناقب) ، وابن أبي عاصم في السنة (۱/ ۵۳۱ ، ۱۳۵) ، والدولابي في « الكني» (۱/۲۷ ـ ك : المناقب) ، وبن أبي عاصم في السنة (۱/۲۷) ، والحاكم (۱/۲۷) ، وصححه العراقي في « تخريج الإحياء » (۱/۲٪) ، والحاكم (۱/۲٪) وأقره الذهبي .

⁽۲) أبو سفيان بن حرب بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف ، واسم أبى سفيان : صخر ، صحابى شهير ، أسلم عام الفتح ، ومات سنة اثنتين وثلاثين ، وقيل بعدها .

انظر : التقريب (١/ ٣٦٥) ، رجال صحيح مسلم (٢٢٨/٢) ، فتح الباري (٤١٨/٩) .

⁽٣) العباس بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف ، عم النبى ﷺ ، كنيته : أبو الفضل ، توفى بالمدينة سنة أربع وثلاثين ، ويقال : سنة ثنتين وثلاثين فى خلافة عثمان ، وصلى عليه عثمان رضى الله عنه ، وهو ابن ثمان وثمانين سنة .

انظر : الإصابة (۲/ ۲۷۱) ، أسد الغابة (۳/ ۱۰۹) ، المستدرك ك : المناقب (۳/ ۳٦۲، ۳۲۳) والبداية والنهاية (۷/ ۲۷۱) .

⁽٤) وكان ذلك عند فتح مكة فقابله العباس وقال له: يا أبا سفيان ، هذا رسول الله ﷺ في الناس ، واصباح قريش والله !! قال أبو سفيان : فما الحيلة فداك أبي وأمي ؟ قال : والله لئن ظَفَرَ بك لَيَضْرَبَنَّ عنقك، فاركب في عجز هذه البغلة حتى آتي بك رسول الله ﷺ فأستأمنه لك، فلما رآه =

= عمر بن الخطاب على عجز الدابة قال: أبو سفيان عدو الله ، الحمد لله الذي أمكن منك بغير عقد ولا عهد ، ثم خرج يَشْتَدُّ نحو رسول الله ، فسبقه العباس بدابته ، فدخل عليه العباس ودخل معه عمر فقال : يا رسول الله ، هذا أبو سفيان قد أمكن الله منه فَدَعْنى فَلأَصْرِب عنقه . فقال العباس : يا رسول الله ، قد أَجَرْتُه ، فلم أصبح غدا به إلى رسول الله وَقال له عَلَى : «وَيْحَكَ «وَيْحَكَ يا أبا سفيان الم يَأن لك أن تعلم أنه لا إله إلا الله » . . . فقال له العباس : ويُبحك أسلم واشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله قبل أن تضرب عنقك . قال : فشهد شهادة الحق فأسلم ، فقال العباس : قلت : يا رسول الله ، إن أبا سفيان رجُلٌ يحب هذا الْفُخْرَ فاجعل له شيئاً قال : «نَعَمْ من دخل دار أبى سفيان فهو آمن " . . » انتهى باختصار . انظر : سيرة ابن هشام (٣/ ١٦٢) ، ورواه الطبراني في الكبير كما في « المجمع » (٦/ ١٦١) للهيثمي وقال : رجاله رجال الصحيح . والبيهقي في «دلائل النبوة » (٥/ ٣٤) ، والطحاوي في للهيثمي وقال : رجاله رجال الصحيح . والبيهقي في «دلائل النبوة » (٥/ ٣٤) ، والطحاوي في دمشق لابن بدران (١/ ٢١٠) ، وانظر : البداية والنهاية (٤/ ٢٩٠) ، ومختصر تاريخ دمشق لابن بدران (١/ ٢١) .

- (١) الرديف : من يركب خلف الراكب (الوجيز ص ٢٦١) .
- (۲) يقصد معاوية _ رضى الله عنه _ وما جرى بينه وبين على بن أبى طالب ، وما حدث بينهما كان عن تأويل واجتهاد، ولم يكن على أمر الدنيا ، وكان معاوية ومن معه يعتقدون أن علياً آوى قتلة عثمان _ رضى الله عنه _ وقالوا : لا نبايعه حتى يقتل قتلة عثمان ، أو يسلمهم إلينا ، ولم يبدأ معاوية بالقتال ، وحين بلغه أن علياً تجهز وخرج بنفسه لقتاله ، أشار عليه أصحابه أن يخرج هو أيضا ، وخرج معه أهل الشام ؛ ولذلك قال شيخ الإسلام ابن تيمية في « منهاج السنة » (۲۱۹/۲) : ولم يكن معاوية ممن يختار الحرب ابتداء . وانظر تفصيل المسألة في العواصم من القواصم من القواص المراح القواص القواص
- (٣) وهذا من مزاعم الشيعة ، حيث قالوا : إن معاوية سمَّ الحسن _ رضى الله عنه _ وقد رد على ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية وقال : « وهذا مما ذكره بعض الناس ولم يثبت ذلك ببينة شرعية ، أو إقرار معتبر ، ولا نقل يجزم به ، وهذا مما لم يمكن العلم به ، فالقول به قول بلا علم ، وقد رأينا في زماننا من يقول: إنه سُمَّ ومات مسموماً من الأتراك وغيرهم ، ويختلف الناس في ذلك ، حتى في نفس الموضع الذي مات فيه ، فتجد كلاً منهم يحدث بالشيء بخلاف ما يحدث به الآخر ، ويقول : هذا سمه فلان ، وهذا يقول : بل سمَّه غيره ، والحسن قد مات بالمدينة، وكان معاوية بالشام، وقد يقال : إن امرأته سمته لغرض مما تفعله النساء . . . » وقد كان الحسن مطلاقاً لا يدوم مع امرأة . وانظر تفنيد هذا الزعم في « منهاج السنة النبوية » (٢١٥/٢)، والمنتقى من منهاج الاعتدال للذهبي (ص ٢٦٦) .

وقتلوا الحسين (١) وحملوا النساء (٢) على الأقتاب (٣) وكشفوا عن عورة على بن الحسين حين أُشْكِل عليهم بلوغه كما يصنع بذرارى (٤) المشركين إذا دخلت ديارهم عنوة ، وبعث معاوية بن أبي سفيان إلى اليمن بشر بن أرطاة فقتل ابنى عبيد الله ابن عباس وهما غلامان لم يَبْلُغا الحُلُم ، فقالت أمهما عائشة بنت عبد الله بن عبد الدار بن الدبان ترثيهما :

كالدُرَّتين تشفى عنهما الصدف مطرورة وعظيم الإثم يعترف يا من أحس ببني اللذين هما انجى على ودجى طفلي مرهقة

(۱) هذا من مزاعم الشيعة : حيث قالوا : إن يزيد بن معاوية أمر بقتل الحسين ـ رضى الله عنه ـ وقد فنّد أهل العلم هذا الزعم ، من هؤلاء : أبو عمرو بن الصلاح في « فتاواه » حيث قال : «لم يصح عندنا أنه أمر بقتله _ رضى الله عنه والمحفوظ أن الآمر بقتله المفضى إلى قتله إنما هو عبيد الله بن زياد والى العراق » وقال الإمام ابن تيمية : « وأما يزيد فلم يأمر بقتل الحسين باتفاق أهل النقل ، ولكن كتب إلى ابن زياد أن يمنعه عن ولاية العراق ، والحسين _ رضى الله عنه _ كان يظن أن أهل العراق ينصرونه ، ويوفون له بما كتبوا إليه فأرسل إليهم ابن عمه مسلم بن عقيل ، فلما قتلوا مسلماً وغدروا به ، وبايعوا ابن زياد أراد الرجوع فأدركته السرية الظالمة فطلب أن يذهب إلى يزيد ، أو يذهب إلى الثغر ، أو يرجع إلى بلده فلم يمكنوه من ذلك حتى يستأمر لهم ، ولكن هو ، رضى الله عنه ، أبى أن يُسلم نفسه ، وأن ينزل على حكم عبيد الله ابن زياد وقاتل حتى قتل شهيداً مظلوماً رضى الله عنه . ولما بلغ ذلك يزيد أظهر التوجع ، وظهر البكاء في داره ، ولم يُسب لهم حريماً أصلاً ، بل جهزهم وأعطاهم وبعثهم إلى وطنهم، وكان معاوية رضى الله عنه _ قد وصّى يزيد برعاية حق الحسين وإجلاله » .

انظر : « منهاج السنة النبوية » لابن تيمية (٢٢٥/٢) ، المنتقى من منهاج الاعتدال للذهبى (ص ٢٦٨) ، فتاوى ابن الصلاح (مسألة ٢١/ص ٦٥) ط : حلب ، البداية والنهاية (٨/ ١٥٤) لابن كثير .

- (۲) ادعى ذلك الرافضى ابن مطهر وقد رد عليه شيخ الإسلام ابن تيمية وقال : « وأما قوله والسبى ، والحمل على الجمال بلا أقتاب فهذا من الكذب الواضح ، ما استحلت أمة محمد عليه سبى هاشمية ، وإنما قاتلوا الحسين خوفاً منه ومن أن يزيل عنهم الملك . فلما استشهد فرغ الأمر ، وبعث بآله إلى المدينة . ولكن جهل الرافضة إليه المنتهى » انظر : « منهاج السنة » (٢٤٩/٢) ، المنتقى من منهاج الاعتدال (ص ٢٨٨) ، وابن كثير في البداية (٨/ ١٩٦ ، ١٩٧) .
- (٣) القتب : الرَّحل الصغير على قد سنام البعير ، وجمعه : أقتاب ، الوجيز (٤٨٩) ، القاموس المحيط (٣/ ٥٥٧).
- (٤) جمع ذُريّة ، وهي نسل الثقلين ، وتجمع على : ذرارى بتشديد الياء . مختار الصحاح (١١٦) ، القاموس (٢/ ٢٥١) .

وقتلوا لصلب على بن أبى طالب رضى الله عنه تسعة ، ولصلب عقيل بن أبى طالب رضى الله عنه تسعة ، ولذلك قالت نائحتهم :

عين جودى بعبرة وعويل واندبى إن ندبت آل الرسول تسعة منه منه لصلب على قد أصيبوا وتسعة لعقيل

هذا وهم يزعمون أن عقيلاً (١) أعان معاوية على عَلَى ، فإن كانوا كاذبين فما أولاهم بالكذب ، وإن كانوا صادقين فما حاذوه خيراً قد ضربوا عنق مسلم بن عقيل (٢) صبراً وقتلوا معه هانئ (٣) بن عروة ؛ لأنه آواه ونصره ، قال الشاعر :

فإنْ كنت لا تدرينَ ما الموتُ فانظرى إلى هانئ فى السوق وابنِ عقيلِ ترى بطلاً قد هَشَّم السيف رأســـه وآخر يرمى من طمار قتيــل (١) وأكلت هند(٥) كبد حمزة (٦) ، فمنهم

⁽۱) هو عقیل بن أبی طالب . قال الزبیر بن بكار : ولد أبو طالب عقیلاً وجعفراً وعلیاً ، كل واحد منهم أسن من صاحبه بعشر سنین علی الولاء ، توفی فی خلافة معاویة . انظر : المستدرك (۲۲۲/۳) ك : معرفة الصحابة .

⁽۲) مسلم بن عقيل بن أبى طالب ابن عم الحسين رضى الله عنه ، بعثه إلى العراق ليستكشف له طاعة ومبايعة أهل الكوفة ، وضرب عنقه . انظر القصة مفصلة فى البداية والنهاية (٨/ ١٥٤ ــ ١٥٩) لابن كثير ، وتاريخ الطبرى (١٩٦/٦).

⁽٣) هو هانئ بن حُميد بن عروة المرادى المذحجى ، أحد عظماء الكوفة وأمرائها ، نزل عليه مسلم ابن عقيل حين ورد إلى الكوفة ، فقبض عليه عبيد الله بن زياد وأمر به فَضُرِبَ عنقه بسوق الغنم، وصلُبَ بمكان من الكوفة يقال له : الكناسة . انظر البداية والنهاية (٨/١٥٦ _ ١٥٩) وتاريخ الطبرى (١٩٧/٦) .

⁽٤) ذكر هذه الأبيات الحافظ ابن كثير في البداية والنهاية (٨/ ١٥٩) والبيت الثاني بلفظ إلى بطل قد هَشَّمَ السيفُّ وجهه وآخر يهوى في طمار فتيلِ

⁽ه) هند بنت عتبة بن ربيعة ، وقد وردت هذه التسمية في أثر لعلى بن أبي طالب رواه أبو بكر بن دريد عن أبي عبيدة أن علياً قال لمعاوية : يفخر على ابن أكلة الأكباد ، وسنده منكر ، قال ابن كثير: وهذا منقطع بين أبي عبيدة وزمان على ومعاوية . انظر البداية والنهاية (٧/٩) ، وفتح الباري (٤١٨/٩) .

⁽٦) حمزة بن عبد المطلب عم النبى ﷺ ، وقصة بَقْر بطن حمزة _ رضى الله عنه ، وأخذ هند لكبده ذكرها ابن هشام فى السيرة (٣/ ٨٧٢) عن ابن إسحاق ، ولكنها لم تأكلها ، وفيه حديث مرفوع عن ابن مسعود وفيه «. . . فنظروا إلى فإذا حمزة قد بُقِرَ بطنه ، وأخذت هندُ كَبِدَه فلاكتها =

آكلة الأكباد (۱)، ومنهم كهف النفاق (۲)، ونقروا (۳) بين نحيتى الحسين رضى الله عنه ونبشوا زيداً (٤)......

- اً (أى مضغتها) فلم تستطع أن تأكلها. فقال رسول الله ﷺ : أكلت منه شيئاً ؟ قالوا : لا. قال: ما كان الله ليدخل شيئاً من حمزة النار . رواه ابن أبي شيبة في « المصنف » ك : المغازى (٤٠٣/١٤) ، وأحمد في مسنده (٤٦٣/١) ، وابن المنذر في « تفسيره » كما في الدر المنثور (٣٤٦/٢) ورجاله ثقات .
- (۱) كان هذا قبل إسلامها ، و « الإسلام يهدم ما كان قبله » كما قال على ، وقد شنع ابن مطهر الشيعى على معاوية بنحو ذلك وقال : وأكلت أمه كبد حمزة عم النبى على ، فمنهم آكلة الأكباد، ورد عليه الإمام ابن تيمية وقال : كان هذا قبل إسلامها ، ثم بعد ذلك أسلمت ، وحَسُنَ إسلامها ، وقد كان النبى على يكرمها، والإسلام يجب ما قبله ، وقد قال الله تعالى : وقل للذين كفروا إن يَنتَهُوا يُغفَر لهم ما قد سلف ﴾ (الأنفال : ٣٨)، وفي البخارى : لما أسلمت هند أم معاوية رضى الله عنها قالت : « والله يا رسول الله ما كان على ظهر الأرض أهل أهل خباء أحب إلى من أن يذلوا من أهل خبائك ، ثم ما أصبح اليوم على ظهر الأرض أهل خباء أحب إلى أن يعزوا من أهل خبائك » قال على ذلك الله على نفس محمد بيده » كذا في «منهاج السنة النبوية» (٢٢ / ٢٢٢) لابن تيمية . قلت : والحديث الذي ذكره : رواه البخارى في «منهاج السنة النبوية» (٢٢ / ٢٢٢) ومسلم ك : الأقضية ب/ ٤ قضية هند رقم ٧ ، ٨ ، ٩ ، وأحمد في مسنده (٢٥ / ٢٤) (٢ / ٢٠٠٠) .
- (٢) يقصد أبا سفيان _ رضى الله عنه _ وهذه تسمية باطلة ، وهي من أكاذيب الشيعة ، وسيأتي الكلام عليها .
- (٣) لم يثبت هذا بوجه صحيح ، بل المروى في كتب السنة أن عبيد الله بن زياد لما أتي برأس الحسين جَعَلَ ينكت بقضيب في أنفه ويقول : « ما رأيت مثل هذا حسناً » ، ورواية للبزار : جعل ينكت بالقضيب ثناياه ويقول : لقد كان _ أحسبه قال : جميلا . وفي رواية له عن أنس : «لما أتي ابنُ زياد برأس الحسين جعل ينظر ، ويقبله ، أو يقلبه بقضيب فقال : إن كان جميلا » فليس في شيء من هذه الروايات أنهم خرقوا رأسه ، أو نقروها ، ولا يفهم شيء من هذا من قوله : ينكت ، قال ابن الأثير في النهاية (١١٣٥) : نكت الأرض بالقضيب ، هو أن يؤثّر فيه بطرفه، فعل ألفكر المهموم ، ومنه الحديث : « فجعل يَنْكُت بقضيب » أي يضرب الأرض بطرفه . قلت : وانظر هذه الروايات التي ذكرها مفصلة بأسانيدها في صحيح البخارى ك: فضائل الصحابة ب/٢٢ (٣٧٤٨) ، سنن الترمذي ك : المناقب (٣٨٦٨) كشف الأستار عن زوائد البزار (٣/ ٢٣٢ ، ٢٣٣) ب / مناقب الحسين ، ومجمع الزوائد (٩/ ١٩٥) للهيثمي ، البداية والنهاية (١٩٧ / ١٩٥) .
- (٤) هو زيد بن على بن الحسين بن على بن أبى طالب المتوفى سنة ١٢٢ هـ خرج ــ رحمه الله ـ مع أهل الكوفة على بنى أمية أيام هشام بن عبد الملك وقاتل يوسف بن عمر نائب العراق ، وفى المعركة أصابه سهم جانب جبهته اليسرى، فمات من أثر ذلك، واختلف أصحابه فى موضع دفنه خوفاً عليه من الخليفة، فلافنوه فى حفرة يؤخذ منها الطين، وأجروا على قبره الماء لئلا يعرف، =

التنازع والتخاصم فيما بين بنى أمية وبنى هاشم ____________

وصلبوه (١) وألقوا رأسه في عُرضة الدار تطؤه الأقدام وتنقر دماغه الدجاج حتى قال الفرس :

اطرد الديك عن ذؤابة (٢) زيد طال ما كان لاقطه الدجاج وقال شاعر بني أمية :

صلبنا لكم زيداً على جذع نخلة ولم تر مَهْدياً على الجذع يُصْلَب وقتلوا على بن عبد الله بن العباس (٣) بالسياط مرتين على أن يُزَّوج ابنة عمه الجعفرية التي كانت عند عبد الملك بن مروان (٤) ، وعلى أن يحُلِّوه قتل سليط ، وسَمُّوا أبا هاشم بن محمد بن على ، وضرب سليمان بن حبيب بن المهلب أبا جعفر المنصور (٥) بالسياط قبل الخلافة .

⁼ وجاء مولى لزيد فدلَّ على قبره فأخذ من قبره وأمر به يوسف بن عمر فصلب على خشبة بالكناسة، ويقال : إن زيداً مكث مصلوباً أربع سنين، وقبل : إن الوليد بن يزيد أمر به فأنزل وأحرق في أيامه . انظر تفصيل الحادثة في البداية والنهاية (٩/ ٣٤٢ _ ٣٤٢) لابن كثير .

⁽١) لم أجد هذا الخبر ، ولم يذكره الحافظ ابن كثير في ترجمة زيد على كثرة استقصائه .

⁽٢) الذُّوْاَبَةُ : النَّاصِيَةُ ، أو مُنْبَتُها من الرَّاس . القاموس (٢/ ٢٤٥) .

⁽٣) ابن عبد المطلب القرشى الهاشمى أبو الحسن ، ويقال : أبو محمد ، وأمه زرعة بنت مسرح بن معد يكرب ، وكان مولده يوم قتل على بن أبى طالب فسماه أبوه باسمه ، وكناه بكنيته ، وكان فى غاية العبادة والزهادة والعلم . قال الفلاس : توفى بالجهمة من أرض البلقاء سنة ثمانى عشرة ومائة . البداية والنهاية (٩/ ٣٢٤) .

⁽٤) عبد الملك بن مروان بن الحكم بن أبى العاص بن أمية ، أبو الوليد ، ولد سنة ٢٦ هـ ، وبويع بعهد من أبيه فى خلافة ابن الزبير ، وتوفى سنة ٨٦ فى شوال ، قال ابن سعد : كان عابداً زاهداً ناسكاً بالمدينة قبل الحلافة . انظر ترجمته فى : تاريخ الحلفاء (٢٤١ _ ٢٤٩) للسيوطى ، الكامل فى التاريخ (٢٤٩ / ٢٣٩) لابن الأثير ، تاريخ الطبرى (١٦/١٦)،البداية والنهاية (١٦/٦) .

⁽۰) المنصور أبو جعفر عبد الله بن محمد بن على بن عبد الله بن عباس ، وأمه سلامة البربرية ولد سنة خمس وتسعين ، وأدرك جده ، ولم يرو عنه ، وبويع بالخلافة بعهد من أخيه ، وكان فحل بنى العباس هيبة وشجاعة وحزماً ، توفى سنة ثمان وخمسين ومائة . انظر : تاريخ الخلفاء (٢٩٩ ــ ٢٠٥) للسيوطى ، تاريخ الطبرى (٢/ ٤٧٣) ، الكامل لابن الأثير (١٨٨/٥) .

⁽٦) مروان الحمار : هو مروان بن محمد بن مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية ، القرشى الأموى ، آخر خلفاء بنى أمية ، سمى بالحمَّار ؛ لأنه كان لا يَجِفُّ له لبد فى محاربة الخارجين عليه، وكان يصل السير بالسير، ويصبر على مكاره الحرب، ويقال فى المثل: فلان أصبر من حمار =

الإمام إبراهيم (١) بن محمد بن على ، أدخل رأسه فى جراب نورة (٢) حتى مات ، وقتلوا يوم الحرة (٣) عون بن عبد الله بن جعفر ، وقتلوا يوم الطف مع الحسين أبا بكر بن عبد الله بن جعفر ، وقتلوا يوم الحرَّة الفضل بن العباس بن ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب ، والعباس بن عتبة بن أبى لهب ، وعبد الرحمن بن العباس ابن ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب .

ومع ذلك فإن عبد الملك بن مروان أبو الخلف من بنى مروان أغرق الناس فى الكفر(٤) لأن جده لأبيه

⁼ في الحروب، قتل سنة ١٣٢ هـ على يد عبد الله بن على عم السفاح . انظر: تاريخ الخلفاء (٣٩٣ ، ٢٩٤) للسيوطي، البداية والنهاية (١٠/ ٢٤ ، ٢٥).

⁽۱) إبراهيم بن محمد الإمام كان كريماً ، جواداً ، له فضائل وفواضل . روى الحديث عن أبيه عن جده ، وأبى هاشم عبد الله بن محمد بن الحنفية ، وعنه أخواه عبد الله السفاح ، وأبو جعفر عبد الله المنصور توفى سنة ١٢٩هـ فى خلافة مروان انظر:البداية والنهاية (١١/١٠) لابن كثير .

⁽٢) في ابن كثير: «قيل: إنه غمّ بمرققة وضعت على وجهه حتى مات، وقيل: إنه هدم عليه بيت حتى مات، وقيل: إنه غمّ بمرققة وضعت على وجهه حتى مات، وقيل: إن إبراهيم الإمام شهد الموسم عام إحدى وثلاثين، واشتهر أمره هنالك؛ لأنه وقف في أبهة عظيمة، ونجائب كثيرة، فانتهى أمره إلى مروان، وقيل له: إن أبا مسلم يدعو الناس إلى هذا ويسمونه الخليفة، فبعث إليه في المحرم من سنة ثنتين وثلاثين، وقتله في صفر من هذه السنة، وهذا أصح ما تقدم » من البداية والنهاية (٢٠/١٤)، قلت: وقد مثل العباسيون بمروان المذكور، فقد أخرج الصولى عن محمد ابن صالح قال: لما قتل مروان الحمار قطع رأسه ووجه به إلى عبد الله بن على فنظر إليه وغفل، فجاءت هرة، فاقتلعت لسانه وجعلت تمضغه، فقال عبد الله بن على ذلو لم يرنا الدهر من عجائبه إلا لسان مروان في فم هرة لكفانا ذلك. ذكره السيوطي في « تاريخ الخلفاء» (٢٩٤).

⁽٣) الحرة : هي حرة واقم الشرقية ، من حرتي المدينة ، وبها كانت واقعة الحرة المشهورة في أيام يزيد بن معاوية عندما خرج عليه أهل المدينة وحاربوه ، فبعث إليهم مسلم بن عقبة فقاتلهم وعاث في المدينة فساداً.قال ابن كثير:وقتل من الفريقين خلق كثير.انظر البداية والنهاية(٨/ وعاث في المدينة فساداً.قال ابن كثير:وقتل من الفريقين خلق كثير.انظر البداية والنهاية(٨/ ٢٢٢ _ ٢٢٥) ، مراصد الاطلاع (١/ ٣٩٦)،منهاج السنة (٢/ ٢٥٣) تاريخ الطبري (٧/ ٤، ٥) .

⁽٤) هذا من جنس تشنيع متعصبة الشيعة على خلفاء بنى أمية ، وإلا فقد رضى به المسلمون ، وأقروه خليفة عليهم ، ومن هؤلاء الصحابى الجليل عبد الله بن عمر ، وذلك فيما أخرجه البخارى فى صحيحه ك : الأحكام ب/٤٣ (جـ ١٩٢٨) عن عبد الله بن دينار قال : شهدت ابن عمر حيث اجتمع الناس على عبد الملك بن مروان كتب : ﴿ إِنَى أقر السمع والطاعة لعبد الملك أمير المؤمنين على سنة الله وسنة رسوله ، ما استطعت ، وإن بني قد أقروا بمثل ذلك » ، وقال نافع مولى ابن عمر : لقد رأيت المدينة وما فيها شاب أشد تشميراً ولا فقها ولا أقر لكتاب الله من عبد الملك بن مروان ، وممن حدث عنه الزهرى وعروة بن الزبير ، وخالد بن معدان ، وروى عنه=

الحكم بن أبى العاص^(۱) لعين رسول الله ﷺ وطريده، وجده لأمه معاوية ^(۲) بن المغيرة بن أبى العاص ، طرده رسول الله ﷺ ثم قتله على^(۳) وعمار صبراً ، ولا يكون أمير المؤمنين إلا أولاهم بالإيمان وأقدمهم فيه.

هذا وبنو أمية قد هدموا الكعبة (٤) وجعلوا الرسول دون الخليفة (٥) وختموا في

- (۲) هو معاوية بن المغيرة بن العاص بن أمية بن عبد شمس ، وهو جد عبد الملك بن مروان ، وأبو أمه عائشة بنت معاوية ، أمر رسول الله بضرب عنقه يوم بدر ، وفي رواية أن رسول الله عليه أمر عاصم بن ثابت بضرب عنقه ، وفي رواية ذكرها ابن هشام أن زيد بن حارثة ، وعمار بن ياسر قتلاه بعد حمراء الأسد . انظر: الروض الأنف مع السيرة (۳/ ١٧٥) للسهيلي .
 - (٣) قوله : على : خطأ ، والصواب زيد بن حارثة كما سبق بيانه .
- (٤) يقصد ما تناقله بعض المؤرخين من أن بنى أمية أحرقوا الكعبة ورموها بالمنجنيق أيام الزبير ، وقد ناقش شيخ الإسلام ابن تيمية في رده على ابن مطهر الشيعى هذه الفرية وقال : « وأما ملوك المسلمين من بنى أمية ونوابهم فلا ريب أن أحداً منهم لم يقصد إهانة الكعبة ، وإنما كان مقصودهم حصار ابن الزبير ، والضرب بالمنجنيق كان له لا للكعبة ، ويزيد لم يهدم الكعبة ، ولم يقصد إحراقها لا هو ولا نوابه باتفاق المسلمين ، ولكن ابن الزبير هدمها تعظيماً لها بقصد إعادتها ، وبنائها على الوجه الذي وصفه رسول الله على للعائشة ــ رضى الله عنها ــ وكانت النار قد أصابت بعض ستائرها فتفجر بعض الحجارة ، ثم إن عبد الملك أمر الحجاج بإعادتها إلى البناء الذي كانت عليه زمن رسول الله على إلا ما زاد في طولها في السماء فأمره أن يدعه . . . ولم يكن فيهم من يقصد إهانة الكعبة ، ومن قال : إن أحدا من خلق الله قصد رمى الكعبة بمنجنيق أو عذرة فقد كذب ، فإن هذا لم يكن لا في جاهلية ولا في إسلام . . . » انظر : منهاج السنة النبوية (٢/ ٢٥٥) ، البداية والنهاية (٨/ ٢٥٤) .
- (٥) لم يرو هذا عن أحد من بنى أمية ، وإنما ذكر عن الحجاج مرة أنه قال فى خطبة له : « رسول أحدكم فى حاجته أكرم عليه أم خليفته فى أهله ؟ ذكره ابن كثير فى البداية (١٠/١٥٧) وقال : « إن صح عنه هذا فظاهره كفر ان أراد تفضيل منصب الخلافة على الرسالة أو أراد أن الخليفة من بنى أمية أفضل من الرسول » ولم يسلم الحافظ ابن كثير لكل ما رُوى عنه . . . من الكلمات التى ظاهرها الكفر وقال (١٣٩/١٠) : « وقد روى عنه ألفاظ بشعة شنيعة ظاهرها الكفر كما قدمنا . فإن كان قد تاب منها وأقلع عنها ، وإلا فهو باق فى عهدنا، ولكن قد يخشى أنها =

⁼ البخارى في (الأدب المفرد) واحتج الإمام مالك بقضاء عبد الملك في موطئه ، وأبرزه في جملة قواعد الشريعة، انظر: العواصم من القواصم (٢٤٩ ــ ٢٥١)، البداية والنهاية (٨/ ٢٦٣).

⁽۱) قال شيخ الإسلام ابن تيمية : « وقد طعن كثير من أهل العلم في نفيه ﷺ للحكم بن أبى العاص وقالوا : ذهب باختياره ، وقصة نفى الحكم ليست فى الصحاح ، وليس لها إسناد يعرف به أمرها ، وقصة الحكم قد ذُكرت مرسلة ، وقد ذكرها المؤرخون الذين يكثُر الكذب فيما يروونه، فلم يكن لها هنالك نقل ثابت » انظر: منهاج السنة النبوية (١٦٦/٣) ، مختصر منهاج الاعتدال (٣٩٥) للذهبي .

أعناق أصحابه (١) وغَيَّر أوقات الصلاة ، ونقشوا أكُف المسلمين ، ومنهم من أكل وشرب على منبر رسول الله وَيَلِيَّة ونهبت الحرم وو طئت المسلمات في دار (٢) الإسلام بالبقيع في أيامه ، وكان أبو جعفر المنصور إذا ذكر ملوك بني أمية قال : كان عبد الملك جَبَّاراً لا يُبَالي ما صنع ، وكان الوليد (٣) مجنوناً ، وكان سليمان (٤) همه بطنه وفرجه ، وكان عمر (٥) عُور بين عميان ، فإن قيل : عدل ، قيل : إن من

رویت عنه بنوع من زیادة علیه ، فإن الشیعة كانوا یبغضونه جداً لوجوه ، وربما حرَّفوا علیه بعض الكلم ، وزادوا فیما یحكونه عنه بشاعات وشناعات »، قلت : وقد رویت هذه المقالة عن خالد ابن عبد الله القسری والی مكة فیما ذكره الطبری فی « تاریخه » (٦/ ٤٤٠) ، وابن الأثیر فی الكامل (۲۵ ، ۲٤۹) .

⁽۱) لم يحدث هذا من خلفاء بنى أمية ، وإنما فعله الحجاج بن يوسف مع أنس بن مالك ــ رضى الله عنه ـ فشكاه إلى عبد الملك بن مروان ، فبعث إليه بكتاب مع إسماعيل بن عبيد الله بن أبى المهاجر يتهدد فيه الحجاج ويتوعده لصنيعه مع أنس ــ رضى الله عنه ـ وقد ذكر ابن كثير لفظه في البداية (١٥/ ١٤٠ ، ١٤١) ومما جاء فيه : « . . . والله لأغمرنك غمر الليث الثعلب ، والصقر الأرنب ، وتُبت على رجل من أصحاب رسول الله على أخر واستخفافاً منك بالعهد، إحسانه ، ولم تتجاوز عن إساءته ، جرأة منك على الرب ـ عز وجل ــ واستخفافاً منك بالعهد، والله لو أن اليهود والنصارى رأت رجلاً خدم عزيراً ، وعيسى ابن مريم لعظمته وشرفته ، وهذا أنس خادم رسول الله على قإذا قرأت كتابي هذا فكن أطوع له من خفه ونعله ، وإلا أتاك منى سهم بكل حتف قاض . . . » ولما بلغ أنس ذلك قال : « جزى الله أمير المؤمنين عنى خيراً ، وعافاه وكافأه بالجنة ، فهذا كان ظنى به ، والرجاء منه . . . » انتهى باختصار كثير .

⁽٢) يقصد ما حدث في واقعة الحرة وما ذكر من أنه قد حبلت ألف امرأة في تلك الأيام من غير زوج، وهذه الحكايات ونحوها ليس لها سند يعول عليه . وانظر البداية والنهاية (٨/ ٢٢٤) .

⁽٣) الوليد بن عبد الملك ، أبو العباس من خلفاء بنى أمية ، كان فيه _ رحمه الله _ جور وظلم ، ومع ذلك كان له حسنات كثيرة ، منها : أنه كان يتعهد الأيتام ويرتب لهم المؤدبين ، ويرتب للزمنى من يخدمهم ، وللأضرار من يقودهم، وعمر المسجد النبوى ووسعه، ورزق الفقهاء والضعفاء والفقراء، وحرَّم عليهم سؤال الناس، وفرض لهم ما يكفيهم، قال الذهبى: أقام الجهاد في أيامه، وفتحت فيها الفتوحات العظيمة كأيام عمر بن الخطاب انظر: تاريخ الخلفاء (٢٥١ _ ٢٥٣) للسيوطى ، الكامل (٢٤٢/٤) لابن الأثير ، تاريخ الطبرى (٢٣٦/٦) .

⁽٤) هو سليمان بن عبد الملك بن مروان ، وكان من أفاضل خلفاء بنى أمية . قال محمد بن سيرين: يرحم الله سليمان ، افتتح خلافته بإحيائه الصلاة لأول مواقيتها ، وكان بنو أمية قد أماتوها بالتأخير ، واختتمها باستخلافه عمر بن عبد العزيز ، وكان الناس يسمونه مفتاح الخير ؛ لأنه عزل عمال الحجاج وأطلق الأسرى وأخلى المسجون ، توفى سنة ٩٩ هـ انظر : الطبرى ورحم الكامل (٢٥٧ ــ ٢٥٧) .

⁽٥) يقصد عمر بن عبد العزيز الخليفة الراشد العادل _ رحمه الله. انظر ترجمته في تاريخ الخلفاء (٥) للسيوطي .

عَدْله أن لا يقبلها ممن لم يكن لها أهلاً ويتولاها بغير استحقاق (١) وكان رجلهم هشام (٢) . وقد صدّق أبو جعفر وكان يقال لهشام : الأَحْوَل السَرَّاق ؛ لأنه ما زال يُدْخل عطاء الجند شهراً في شهر حتى أخذ لنفسه مقدار أرزاق سنة ، فلذلك قالوا الأحول السراق ، وقال خاله إبراهيم بن هشام المخزومي : ما رأيت من هشام خطأ قط إلا مرتين فإن الحادي(٣) حدا به مرة فقال :

إن عليك أيها البَخْتي (٤) أكرم من تمشي به المطي

فقال : صدق قولك ، وقال مرة وأيده لأشكون سليمان بن عبد الملك يوم القيامة إلى أمير المؤمنين عبد الملك بن مروان ،وهذا ضعف شديد وجَهْل عظيم ، وكان هشام يقول: والله إنى لأستحيى من الله أن أعطى رجلا أكثر من أربعة آلاف درهم . وقدم هشام ابنه سعيد على حمص فرمى بالنسب ، فكتب أبو الجعد الطائى إلى هشام مع يحيى وأعطاه فرساً على أن يبلغ الكتاب وفيه :

أبلغ لديك أمير المؤمنين فقــد أمددتنا بأميــر ليــس عتيــداً طوراً يخالف عمراً في خليلته وعند رابحة يبغى الأمر والدينا

فَعزله وقال : يابن الخبيثة تزنى وأنت ابن أمير المؤمنين ، أعجزت أن تفجر فجور قريش قبل هذا ، وأظنه قال : لا يلى لى عملاً أبداً . وحَسَبُك من عبد الملك بن مروان قيامه على منبر الخلافة وهو يقول : « ما أنا بالخليفة المستضعف ولا بالخليفة المداهن (٥) ولا بالخليفة المأفون(٦) » (٧)، وهؤلاء هم سلقته وأئمته وبشفعتهم

⁽۱) ومن كان أحق من عمر بن عبد العزيز وقد كان مثالاً في الرحمة والعدل والحرص على مصالح الرعية ، ولو فرضنا وجود من هو أفضل منه ، فلا يضره ذلك ، فقد ذهب أكثر العلماء من أهل السنة والجماعة ، وأكثر المعتزلة إلى جواز إمامة المفضول مع وجود الفاضل ، وقد أجمع الصحابة على إمامة معاوية _ بعد تسليم الحسن _ رضى الله عنه _ له الأمر ، وسمى ذلك عام الجماعة ، وقد كان في بقايا الصحابة من هو أفضل من معاوية بلا خلاف كما قال ابن حزم ، وانظر تفصيل المسألة في الفصل (٤/١٦٤) لابن حزم ، أصول الدين (ص ٢٩٣) للبغدادى ، السياسة الشرعية لابن تيمية (ص ١٦) ، المواقف لعضد الدين الإيجى (ص ٤١٣) .

⁽۲) هشام بن عبد الملك بن مروان ولد سنة ۷۲ هـ ، بويع له بالخلافة بعد موت أخيه لخمس بقين من شهر شعبان سنة ۱۰۵ هـ ، وتوفي سنة ۱۲۰ هـ انظر الطبري (۷/ ۲۵) ، الكامل (٤/ ٣٧٤) لابن الأثير ، البداية والنهاية (۲/ ۲۶۳) ، تاريخ الخلفاء (ص ۲۸۱) للسيوطي .

⁽٣) الحادى : من يحدو للإبل أي يغني لها ، ليحملها على السير . القاموس (١/ ٢٠٥) .

⁽٤) جاء في القاموس : الْبَخْتُ : الجَدُّ ، مُعَرَّبٌ ، وبالضم الإبل الخراسانية. القاموس (١/٢٢٢) .

⁽٥) داهن : فلان مداهنة : أظهر خلاف ما أضمر ، ودَهَن : نافق . القاموس (٢٢٦/١) .

⁽٦) المأفون : الضعيف الرأى والعَقْلِ . والْمُتَمَدِّحُ بما ليس عنده . القاموس (١٦١/١)

⁽٧) ذكره عنه ابن كثير في البداية وَالنهاية (٦٨/١٠) من طريق الواقدي وهو متروك ، وذكره

قام ذلك المقام، وبتأسيسهم وتقديمهم نال تلك الرئاسة، ولولا العادة المتقدمة والأجناد المجندة ، والصفائح (۱) القائمة لكان أبعد خلق الله من ذلك المقام ، فالمستضعف عنده ، عثمان بن عفان رضى الله عنه، والمداهن عنده معاوية رضى الله عنه ، والمأفون عنده يزيد بن معاوية ، والضعيف لا يكون خليفة ؛ لأنه الذى ينال القوى منه عند انتشار الأمر عليه ، والمداهن لا يكون إماماً ولا يوثق منه بعقد ولا بوفاء عهد ، ولا بضمير صحيح ولا بعيب كريم ، والمأفون لا يكون إماماً وهذا الكلام (۲) نقض لسلطانه ، وعداوة لأهله ، وإفساد لقلوب شيعته ، وقرة عين عدوه ، وعجز فى رأيه ، فإنه لم يقدر على إظهار قوته إلا بأن يظهر عجز أئمته ، وقد كانت المنافرة لا توأمين ، خرج عبد شمس فى الولادة قبل هاشم وقد لصقت إصبع أحدهما بجبهة توأمين ، خراء عبد شمس فى الولادة قبل هاشم وقد لصقت إصبع أحدهما بجبهة الآخر ، فلما نزعت دُمى المكان ، فقيل: سيكون بينهما وولديهما دم فكان كذلك .

وقيل: إن عبد شمس وهاشماً كانا يوم ولدا . . . (٣) وكانت جباههما ملصقة بعضها ببعض فأخذ السيف ففرق بين جباههما بالسيف، فقال بعض العرب: ألا فرق ذلك بالدرهم ، فإنه لا يزال السيف بينهم في أولادهم إلى الأبد فكانت المنافرة بين هاشم بن عبد مناف وأخيه ، وإن هاشماً كانت إليه الرفادة (٤) التي سنّها جده قصى (٥) بن كلاب بن مرة مع السقاية(١) ؛ وذلك أن أخاه عبد شمس كان يسافر وقل ما يقيم بمكة ، وكان رجلاً مقلاً وله ولد كثير ، فاصطلحت قريش على أن ولي هاشم

⁼ السيوطى فى « تاريخ الخلفاء » (ص ٢٤٥) من طريق العسكرى وقال : وفى إسناده الكديمى وهو متهم بالكذب ، فهذه المقالة لا تصّح عنه .

⁽١) يقصد أن ملكهم قام على السيف ، والبطش، والغلبة .

⁽٢) لم يثبت عنه من طريق صحيح كما تقدم .

⁽٣) بياض بالأصل.

⁽٤) الرفادة : ما كانت تخرجه قريش من أموالها لتشترى به طعاماً وشراباً لفقراء الحجاج في موسم الحج . المعجم الوجيز (ص ٢٧٠) ، سيرة ابن هشام (١٤٦/١) .

⁽٥) من أجداد قريش وأشرافهم ، وُلِيَ أمر البيت ، ومكة ، وتملك على قومه وأهل مكة فملكوه ، وكانت إليه الحجابة والسقاية ، والرِّفَادة ، والنَّدُوة (وهي الاجتماع للرأى والمشورة) ، واللواء انظر : سيرة ابن هشام (١٤٠ ، ١٤١) .

⁽٦) السُّقَاية : يعنى سقاية زمزم ، وكانوا يصنعون بها شراباً فى الموسم للحجاج يمزجونه تارة بالعسل ، وتارة باللبن، وتارة بالنبيذ .

السقاية والرفادة ، وكان هاشم رجلاً موسراً فكان إذا حضر موسم الحج قام في قريش فقال: « يا معشر قريش إنكم جيران الله وأهل بيته وإنكم يأتيكم في هذا الموسم زوار الله يُعظمون حُرمة بيته وهم ضيف الله ، وأحق الضيف بالكرامة ضيفه، وقد خصكم الله بذلك وأكرمكم حفظه منكم أفضل ما حفظ جار من جاره، فأكرموا ضيفه وزواره فإنهم يأتون شعثاً غُبراً من كل بلد على ضوامر (١) كالقداح وقد أزحفوا وتقلوا وقملوا وأرسلوا فأقروهم وأغنوهم وأعينوهم » (٢).

فكانت قريش ترافل (٣) على ذلك حتى أن كان أهل البيت ليرسلون بالشيء اليسير على قدرهم فيضمه هاشم إلى ما أخرج من ماله وما جمع مما يأتيه به الناس فأعجز كمله، وكان هاشم يخرج في كل سنة مالاً كثيراً ، وكان قوم من قريش يترافدون، فكانوا أهل يسار، فكان كل إنسان منهم ربما أرسل بمائة مثقال هرقلية (٤) ، فكان هاشم يأمر بخياض من أدم (٥) فتجعل في موضع زمزم من قبل أن تُحفر (١) زمزم ثم يُسفّى فيها من البيار التي بمكة فيشرب الحاج ، وكان يطعمهم أول ما يطعمهم قبل التروية (٧) بيوم بمكة ويطعمهم بمنى وبعرفة (وكان) (٨) يَرد (٩) لهم الخبز واللحم ، والخبز والسمن ، والسويق (١٠) والتمر ، ويُحمل إليهم الماء حتى تفرق الناس لبلادهم .

⁽١) الضوامر: الإبل قليلة اللحم ، الهزيلة البدن من شدة السفر وطوله . القاموس (٣٦/٣) ، المعجم الوجيز (ص٣٨٢).

⁽۲) ذكره ابن هشام من رواية ابن إسحاق في مغازيه . انظر سيرة ابن هشام (۱/ ١٥٠) . (١٥) .

⁽٣) تُرافل : ترسل . انظر القاموس (٢/ ٣٧٠) .

⁽٤) سيأتى الكلام عليها بالتفصيل في رسالة « شذور العقود » التي أفردها المصنف للكلام على النقود وأنواعها .

⁽٥) أي أوعية من الجلد يسقى بها . انظر القاموس (٢٥/٢) .

⁽٦) وكانوا قد حفروا عدة آبار قبل زمزم ، وقد تكلم عليها تفصيلاً ابن هشام في السيرة (١/ ١٦٢ ـــ ١٦٢) .

⁽٧) سمى بيوم التروية ؛ لأنَّهم كانوا يرْتُوُونَ فيه من الماء لما بعد ، أو لأن إبراهيم عليه السلام _ كان يتروَّى ويتفكَّرُ في رُؤياهُ فيه ، وهو يوم ثامن ذى الحجة . انظر المصباح المنير (٢٤٦/١) ، القاموس (٤١٨/٢) .

⁽٨) ساقط من الأصل.

⁽٩) ثَرَدَ الْخُبْزَ : فَتَّه ، وقطَّعَهُ (القاموس ١/ ٤٠٠) .

⁽١٠) السويق : طعام يتخذ من مدقوق الحنطة والشعير . المعجم الوجيز (ص٣٣٠) .

وكان هاشم يسمى عمراً ، وإنما قيل له هاشم لهشمه الثريد (۱) ، وهو أول من أطعم الثريد بمكة ، وكان أمية بن عبد شمس ذا مال فتكلف أن يفعل كما فعل هاشم من إطعام قريش ، فعجز عن ذلك فشمت به ناس من قريش وعابوه لتقصيره ، فغضب ونافر (۲) هاشماً على خمسين ناقة سود الحدق وتُنْحر بمكة وعلى جلاء عشر سنين وجعلا بينهما الكاهن الخزاعى عبد عمرو بن الحمق وكان منزله عسفان ، وخرج من أمية أبو هممة حبيب بن عامر بن عميرة بن وديعة بن الحارث بن فهر بن مالك الفهرى فقال : الكاهن والقمر الباهر والكوكب الزاهر ، والغمام الماطر ، وما بالجو من طائر ، وما اهتدى بعلم مسافر من منجد وغابر ، لقد سبق هاشم أمية إلى المآثر أول منه وآخر وأبو هممة بذلك خابر ، فأخذ هاشم الإبل فنحرها وأطعم لحمها من حضر وخرج أمية إلى الشام فأقام به عشر سنين ، فكان هذا أول عداوة وكان مصفوفا ، وكان صاحب عمار ، يدل على ذلك قول ثقيل بن عبد العُزّى جد أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه حين تنافر إليه حرب بن أمية وعبد المطلب بن هاشم ، فنفر عبد المطلب وتعجب من إقدامه عليه وقال :

أبوك معاهر وأبو غف وذاد الفيل عن بلد حرام

وذلك أن أمية كان يعرض لامرأة من بنى زهرة فضربه رجل منهم ضربة بالسيف، وأراد بنو أميّة ومن تابعهم إخراج زهرة من مكة ، فقام دونهم قيس بن عدى السهمى ، وكانوا أخواله ، وكان منيع الجانب شديد العارض $(^{(7)})$ ، حَمّى الأنف ، أبى النفس فقام دونهم وصاح : أصبح ليل ، فذهبت مثلاً ، ونادى : ألا أن الظاعن $(^{(3)})$ مقيم ، ففى هذه القصة يقول وهب بن عبد مناف بن زهرة :

مَهْلاً أمية إن البغى عملكة لا يكسبنك يوما سكّه ذكره يتدركوا إليه والشمس طالعة يصب في الكأس منه (٥)

⁽١) ذكر ذلك ابن هشام في السيرة (١/ ١٥١) .

⁽٢) خاصم : المعجم العربي الأساس . لاروس (ص ١٢١٥) .

⁽٣) العارض : صفحة الخدِّ ، وهما عارضان ، ويطلق على الرجل شديد الجَلَدِ والصَّرامة . انظر القاموس (٣/ ١٩٤) .

⁽٤) الظاعن : هو المرتحل ، يقال: ظعن فلان ظعنا ، أى سار وارتحل . المعجم الوجيز (ص٤٠٠).

⁽٥) بياض بالأصل.

وصنع أمية في الجاهلية شيئاً لم يصنعه أحد من العرب ، زُوَّج ابنه عمرو بن أمية امرأته في حياة منه (١) في الإسلام هم الذين أولدوا نساء آبائهم واستنكحوهن من بعد موتهن ، وأما أن تزوجها في حياته وبني عليها وهو يراه ، فإن هذا لم يكن قط ، وأمية قد جاوز هذا المعنى ولم يرض بهذا المقدار حتى نزل عنها وزوجها منه ، وأبو معيط بن أبي عمرو بن أمية قد زاد في المقت درجتين ، ثم نافر حرب بن أمية عبد المطلب بن هاشم ، فما زال أمية يغزى حتى قتل وأخذ ماله في خبر طويل ، وتمادت العداوة بين البيتين حتى قام سيد بني هاشم أبو القاسم محمد ﷺ ابن عبد المطلب بن هاشم رسول الله ﷺ بمكة يدعو قريشا إلى توحيد الله جلت قدرته ، وترك ما كانت تعبد من دون الله ، فانتدب لعداوته عَلَيْهُ جماعة من بني أمية منهم : أبو أحيحة سعيد بن العاص بن أمية حتى هلك على كفره بالله في أول سنة من الهجرة أو في سنة اثنتين وهو يحاد الله ورسوله ، ومنهم : عقبة ابن أبي معيط (٢) أبان بن عمرو بن أمية وكان أشد الناس عداوة لرسول الله ﷺ ، وأدى إلى أن قاتل يوم بدر فأتى به إلى رسول الله ﷺ وقد أرشر فأمر بضرب عنقه، فجعل يقول : ياويلتي علام أقتل من بين هؤلاء ، فقال رسول الله ﷺ : «لعداوتك لله ولرسوله » ، فقال : يا محمد ، منك أفضل ، فاجعلني كرجل من هؤلاء من قومي وقومك يا محمد ، من للصبية ، قال: « النار » ^(٣) وضرب عنقه. وقيل: إن رسول الله عَلَيْكُ أمر به فصلب فكان أول مصلوب (٤) في الإسلام .

⁽١) بياض بالأصل.

⁽٢) انظر تفصيل أخبارهم وعداوتهم للنبي ﷺ في سيرة ابن هشام (١/ ٢٧٣) .

⁽٣) أخرجه بهذا اللفظ البزار في مسنده (كشف الأستار (١٧٨١) (1/7) عن ابن عباس ، وقال الهيثمي في المجمع (1/7) : فيه يحيى بن سلمة بن كهيل وهو ضعيف ، ووثقه ابن حبان ، وأما شطره الثاني وهو قوله : «يا محمد من للصبية ؟ قال : النار » فرواه أبو داود ك : الجهاد (1/7) ، والطبراني في « الأوسط » وقال الهيثمي (1/7) : رجاله ثقات من حديث ابن مسعود ، وعزاه كذلك إلى الطبراني في « الكبير » وقال : رجاله رجال الصحيح من حديث ابن عباس ، وانظر سيرة ابن هشام (1/7) .

^{*} قوله: من للصبية . أى : من يكفل الأطفال ويربيهم ، وقوله : النار ، استهزاء منه عليه وإشاره الى ضياع أولاده، وقال الطيبى : أى لك النار ، ودع أمر الصبية ، فإن كافلهم الله . معالم السنن (١٣٦/٣) .

⁽٤) ذكر ذلك السهيلي في الروض الأنف (٧٦/٢) ، وذكر ابن هشام (٦٨٤/٢) أن على بن أبي طالب قتله بأمر النبي على الله .

وقال عطاء بن الشعبى : إن رسول الله ﷺ قال لعقبة بن أبى معيط يوم بدر : «والله لأقتلنك » ، فقيل : أقتلته من بين قريش ؟ قال : « نعم إنه وطئ على عنقى وأنا ساجد(١) فما رفعت حتى ظننت أن عينى قد سقطتا .

وجاء يومًا وأنا ساجد بسلا(٢) شاة فألقاه على رأسى(٣) فأنا قاتله » (٤) ومنهم: الحكم بن العاص بن أمية، وكان عاراً في الإسلام ، وكان مؤذياً لرسول الله على بكة يشتمه ويُسْمعه ما يكره ، فلما كان فتح مكة أظهر الإسلام خوفًا من القتل فلم يحسن إسلامه ، وكان مغموصا (٥) عليه في دينه، ثم قدم المدينة فنزل على عثمان بن عفان بن أبي العاص بن أمية رضى الله عنه وكان يطالع الأعراب والكفار بأخبار رسول الله على مشى الحكم خلفه فجعل يختلج (٦) بأنفه وفمه كأنه يحاكى رسول الله على ويتفكك ويتحايل ، فالتفت رسول الله على فرآه ، فقال له : « كن كذلك » (٧) . فما زال بقية عمره على ذلك ، واطلع يوماً على رسول الله على وهو في حجرة بعض نسائه فخرج إليه بعثرة ، فقال : من هذا ؟ لو أدركته لفقأت عينه (٨).

⁽۱) نحو ذلك فى صحيح البخارى ك : مناقب الأنصار (٣٨٥٦) عن عبد الله بن عمرو قال : بينما رسول الله على فى حجر الكعبة يصلى ، إذْ أقبل عقبة بن أبى مُعيط فوضع ثوبه فى عنقه فخنقه خنقاً شديداً ، فأقبل أبو بكر حتى أخذ بمنكبه ، ودفعه عن النبى على الله على

⁽٢) السَّلا : قال ابن الأثير في النهاية (٢/ ٣٩٦) : السَّلي : الجلد الرَّقيق الذي يَخْرِجُ فيه الولدُ من بطن أمه ملفوفا فيه . وقيل : هو في الماشية : السَّليَ ، وفي الناس : المشيمة .

⁽٣) ثبت ذلك فى الصحيح من حديث ابن مسعود قال : « بينما النبى ﷺ ساجدٌ وحوله ناسٌ من قريش جاء عقبة بن أبى مُعيَط بَسلا جزور فقذفه على ظهر النبى ﷺ فلم يرفع رأسه . . . » رواه البخارى ك : مناقب الأنصار (٣٨٥٣) .

⁽٤) معناه ثابت في عدة أحاديث ، ولم أقف عليه بهذا السياق .

⁽٥) غمصه : احتقره ، وهو مُغموص عليه أى : مطعون في دينه (القاموس ١٨/٣) .

⁽٦) يختلج : يَغْمِزُ ، ويُحرِّك ، قاله في القاموس (٨٨/٢) ، وقال في النهاية (٢/ ٦٠) يختلج : أي كان يُحرَّك شفَتيه وذَقنه استهزاءً وحكايةً لفعل النبي ﷺ ، فبقى يرْتعد ويضطرب حتى مات .

⁽۷) رواه الحاكم فى «المستدرك » ك : تواريخ المتقدمين (۲۲۲/۲) ، ولم يذكر اسم الحكم ، والبيهقى فى « دلائل النبوة » (۲۳۹/۱) والطبرانى فى « معجمه » وسنده ضعيف جدًا . قال الذهبى فى «التلخيص » متعقباً تصحيح الحاكم : فيه ضرار بن صرد وهو واه . وكذا قال الهيثمى فى المجمع (۲٤٣/٥) .

⁽٨) ذكره المصنف بمعناه ، وهو في « أخبار مكة » للفاكهي : أن أصحاب رسول الله ﷺ دخلوا عليه وهو يلعن الحكم بن أبي العاص وهو يقول : « اطلع على وأنا مع زوجتي فلانة فكلح في =

وقال زهير بن محمد عن صالح بن أبي صالح قال : حدثني نافع بن جبير بن مطعم عن أبيه قال: كنا مع النبي ﷺ فمر الحكم بن أبي العاص ، فقال النبي ﷺ : "لعنه وما ولد" (٢) وغربه عن الدينة (٣) ، فلم يزل خارجاً عنها بقية حياة رسول الله ﷺ وخلافة أبي بكر وعمر رضى الله عنهما ، فلما استخلف عثمان رضوان الله عنه ، ردّة إلى المدينة وولده ، فكان ذلك مما أنكره الناس على عثمان ، وكان أعظم الناس شؤماً على عثمان وأنهم جعلوا إدخاله المدينة بعد إطراد النبي ﷺ إياه وبعد امتناع أبي بكر (٤) وعمر رضى الله عنهما من ذلك أكبر الحجج (٥) على عثمان رضى الله عنه ، ومات في خلافته فضرب على قبره فسطاط (٦) ، وقد قالت عائشة رضى الله عنها لمروان بن الحكم :

وجهی فکره ابن حجر فی الفتح (۱۱/ ۲۰۶) من طریق الزهری وعطاء الخراسانی ، فالحدیث لا یصح لإرساله .

⁽۱) لا يصح . رواه الطبراني في « الأوسط » كما في المجمع (٧٤١/٥) ، وابن أبي حاتم في «العلل» (٢٤١/٥) وقال : حديث منكر ، وقال الهيثمي : فيه من لم أعرفه .

⁽۲) ورد ذلك من حديث عبد الله بن الزبير رواه البزار (كشف الأستار: ١٦٢٣) ، وأحمد في مسنده (٤/٥) ، والطبراني ، وقال الهيثمي (٢٤١/٥) : رجال أحمد رجال الصحيح ، ومن حديث عبد الله بن عمرو أن رسول الله على قال : يدخل عليكم رجل لعين . . . فدخل الحكم ابن أبي العاص . رواه أحمد (١٦٣٨)، والبزار (كشف الأستار) (١٦٢٥) ، وقال الهيثمي (٥/٢٤١) : رجاله رجال الصحيح .

⁽٣) سبق كلام ابن تيمية والذهبي في التشكيك في ثبوت ذلك فراجعه .

⁽٤) أى فى عدم رده إلى المدينة ، ولعله يقصد ما رواه الطبرانى عن حذيفة قال : لما قبض النبى كالله واستخلف أبو بكر قيل له فى الحكم بن أبى العاصى فقال : ما كنت الأحل عقدة عقدها رسول الله كالله علم . قلت : وسنده ضعيف . قال الهيثمى فى المجمع (٢٤٣/٥) : وفيه حماد بن عيسى ، قال الذهبى : فيه جهالة .

⁽٥) هذه حجة البغاة الذين قتلوه ـ رضى الله عنه _ وليس فى ذلك ما يخالف الشرع ، قال ابن العربى فى جواب ذلك : « قال علماؤنا فى جوابه : قد كان أذن له فيه (أى فى رده الحكم) رسول الله على وقال عثمان لأبى بكر وعمر ، فقالا له : إن كان معك شهيد رددناه . فلما ولى قضى بعلمه فى ردّه . وما كان عثمان ليصل مهجور رسول الله على ولو كان أباه ولا ينقض حكمه ». وقال ابن حزم فى « الفصل »: « ونفى رسول الله على للحكم لم يكن حداً واجباً ، ولا شريعة على التأبيد ، وإنما كان عقوبة على ذنب استحق به النفى ، والتوبة مبسوطة ، فإذا تاب سقطت عنه تلك العقوبة بلا خلاف من أحد من أهل الإسلام، وصارت الأرض كلها له مباحة » . انظر العواصم (ص٧٧) لابن العربى ، الفصل فى الملل والنحل (٤/ ٢٣٤) لابن حزم ، منهاج السنة (٣/ ٢٣٥) لابن تيمية .

⁽٦) الفسطاط : الخيمة ونحو ذلك ، وهو المراد به هنا ، انظر فتح البارى (٣/ ٢٣٨) والقاموس (٣/ ٤٩٠) .

٣.

أشهد أن رسول الله ﷺ لعن أباك وأنت في صُلبه (١) .

وقال عبد الرحمن بن حَسَّان بن ثابت لمروان بن الحكم :

إن اللعين أباك فارم عظامه إن ترم ترم مخلجاً مجنونا يضحى خميص(٢) البطن من عمل التقى ويظل من عمل الخبيث بطيناً

وكان الحكم هذا يقال له : طريد رسول الله عَلَيْكُ ولعينه ، وهو والد مروان (٣) ابن الحكم الذى صارت إليه الخلافة بالغلبة وتوارثها بنوه من بعده ، وكان رجلا لا فقه له ، ولا يعرف بالزهد ولا برواية الآثار (٤) ولا بصحبته ، ولا بعد علمه ، وإنما وكلى رستاقا (٥) من رساتيق درا بجرد (٦) لابن عبد مر ، ثم وكى البحرين لمعاوية ، وقد كان أصحابه ومن تابعه ليبايع ابن الزبير حتى عبيد الله بن زياد ، وقال يوم مرج راهط والروس تنبذ عن كواهلها (شعرًا) :

⁽۱) سبق ، وله شواهد ذكرناها من قبل ، وبنحوه أخرجه أبو يعلى في مسنده ، وفيه عطاء بن السائب وهو مختلط. انظر مجمع الزوائد (٥/ ٢٤) .

⁽٢) خمص الجوع فلاناً ــ خمصا ، أدخل بطنه في جوفه فهو خميص . المعجم الوجيز (ص٢١٢)، والمراد به أنه خاوى النفس من عمل الصالحات .

⁽٣) مروان بن الحكم بن أبى العاص بن أمية بن عبد شمس ، خليفة أموى وإليه ينسب بنو مروان ، ولد بمكة ونشأ بالطائف ، توفى بالطاعون ، وقيل : قتلته زوجته أم خالد ، ولى الخلافة سنة ٦٤، ومات سنة ٦٥ ، ولا يثبت له صحبة . انظر : الإصابة (ترجمة ١٣٨٠) ، التقريب (٢٣٨/) ، البداية والنهاية (٨/٨٥) .

⁽٤) هذا قول غير صحيح ، فقد روى عنه البخارى في صحيحه ، ومن الصحابة سَهْل بن سعْد السَّاعدى فقد روى عنه ، ومن التابعين سعيد بن المسيب وعبيد الله بن عبد الله بن عبد ه وعراك بن مالك الغفارى ، وعلى بن الحسين زيد العابدين ، وعروة بن الزبير ، وروى هو عن على وعثمان، وزيد بن ثابت ، وبسبرة بنت صفوان قال ابن كثير : وهو صحابي عند طائفة كثيرة من العلماء ، لأنه ولد في حياة النبي عَلَيْ وروى عنه في صلح الحديبية ، وقال ابن العربي: وأما فقهاء الأمصار فكلهم على تعظيمه ، واعتبار خلافه والتلفَّت إلى فتواه ، والانقياد إلى روايته . وأما السفهاء من المؤرِّخين والأُدباء فيقولون على أقدارهم . انظر ترجمته بالتفصيل في : البداية والنهاية (٨ / ٢٥٨) ، العواصم (ص ٨٩) ، التقريب (٢ / ٢٣٩) ، والتهذيب (٢ / ٢٩٩) ، والتهذيب

⁽٥) الرستاق : موضع فيه زرع ، وقرى ، أو بيوت مجتمعة ، وجمعه رساتيق . المعجم الوجيز (ص٢٦٣) .

⁽٦) دَرَا بجردٌ : كورة بفارس عَمّرها دراب بن فارس . معجم البلدن (ص ٤٤٦) ط : دار صادر .

وما لهم غير حبس النفوس أى غلامى قريش غلب وهذا كلام من لا يستحق أن يلى ربعاً من الأرباع أو خُمساً من الأحماس ، فكان مروان أول من شق عصا الإسلام بغير تأويل ، وقال لخالد بن يزيد بن معاوية وأم خالد عنده : « اسكت يا ابن الرطبة (١) » ، فكان حنقه فى هذه الكلمة وكتب عبد الملك بن مروان إلى محمد بن الحنفية (٢) ، فلما نظر إلى عنوان الصحيفة استرجع وقال : انطلقا والعنا رسول الله على سائر الناس ، والذى نفسى بيده إنها لأمور لا يقر قرارها .

ومنهم: عتبة بن ربيعة بن عبد شمس بن أمية أحد من عادى الله ورسوله إلى أن قتل ببدر كافراً (٣) ، قتله حمزة بن عبد المطلب رضى الله عنه ، وعتبة هذا هو و هند بنت عتبه التى لاكت كبد (٤) حمزه رضى الله عنه واتخذت مما قطعت منه مسكين (٥) ومعضدين (٦) وخدمتين (٧) (٨) ، وأعطت وحشياً قاتل حمزه حُليا كان عليها من ورق (٩) وجدع وخواتيم ورق كانت فى أصابع رجليها ، كل ذلك شماتة بحمزة رضى الله عنه من أجل أنه قتل أباها عتبة رأس الكفر فى يوم بدر ، وقيل : بل قتل عبيدة بن الحارث بن المطلب وأنشدت هند (شعراً) (١٠٠) :

⁽١) جارية رطْبةٌ : رَخْصة ، وغُلامٌ رَطْبٌ : فيه لين النَّساء . ويا رطاب ، سَبُّ لها . كذا في القاموس (٢/ ٣٥٠) .

⁽۲) هو محمد بن على بن أبى طالب القرشى ، يقال له : محمد بن الحنفية ، والحنفية هى أمه ، واسمها :خولة بنت جعفر من بنى حنيفة ،وكان من ثقات التابعين وعلمائهم، توفى سنة ۸۱هـ. انظر : التهذيب (۶/ ۳۵٤) ، التقريب (۲/ ۱۹۲) ، رجال مسلم (۲/ ۱۷۶) لابن منجويه .

⁽٣) انظر : سيرة ابن هشام (٢/ ٢٢٨) ، وسنن أبى داود ك : الجهاد ب / في المبارزة (١١٩) (٢٦٦٥) .

⁽٤) سبق بيان ذلك .

⁽٥) المَسْكُ : الأسْوِرَةُ والخلاخيلُ من القُرون والعاج ، وغير ذلك ، والجمع مُسوكٌ . القاموس (٢٤٢/٤) .

 ⁽٦) من العَضَد ، وهو ما بين المرْفق إلى الكتف، والمعضد: ما يلبس فيه . انظر القاموس (٣/ ٢٤٥).

⁽٧) وهو ما يلبَس في الرَّجْلِ كَالْخَلْخِال ونحوه . القاموس (٢٤/٢) .

⁽٨) لم أقف على ذلَك ، وقد فصلًنا ما كان منها من قبل ، وانظر الطبقات الكبرى (٣/ ٩/١) لابن سعد ، ففيه تفصيل ما حدث لحمزة ــ رضى الله عنه .

⁽٩) الوَرِقُ :الفضة المَضْروبة،ومنهم من يقول:تسمى بها المضروبة وغيرها. المصباح المنير (٢/ ٦٥٥) .

⁽١٠) ذكره ابن هشام في « السيرة » (٢/ ٣٤١) بطوله .

عينى جودى (١) بدَمع سَرِبْ على خَيْرِ خَنْدَق (٢) لم يَنْقَلَبْ تداعى به رَهْطُه نصرة (٣) بنو هاشم وبنو المطلَب

وقيل: إن علياً لما فرغ من الوليد بن عتبة واجتمع مع عبيدة على عتبة فقتلاه (٤)، وهند هذه أمر رسول الله على يوم فتح مكة بقتلها فأسلمت، ولما حضرت مع النساء تبايع بيعة الإسلام كان عما قال لهن رسول الله على ولا تقتلن أولادكن فقالت: ربيناهن صغاراً وقتلتهن كبارا (٥) ؛ وهي أم معاوية بن أبي سفيان الذي قاتل على بن أبي طالب رضى الله عنه ، وأخذ الحلافة من الحسين بن على رضى الله عنهما واستلحق زياد بن سمية مرزيته واستخلف على الأمة ابنه يزيد (١) القرود ويزيد الحكمور (٧).

ومنهم : الوليد بن عتبة بن ربيعة وقُتِلَ ببدر كافرا ، قتله عَلَى رضى الله عنه ، والوليد هذا هو خال معاوية .

ومنهم: شيبة بن ربيعة بن عبد شمس عم هند أم معاوية، وكان يجتمع مع قريش فيما يكيد رسول الله ﷺ من الأذى ، وقتله الله يوم بدر فيمن قتل من أعدائه .

⁽١) في ابن هشام : أعيني جُودا .

⁽٢) في ابن هشام : جنْدف ، والخندقة : الهرولة والإسراع في المشي .

⁽٣) في ابن هشام: تداعى له رهطه غُدوةً.

⁽٤) جاء ذلك في سنن أبي داود ك : الجهاد (٢٦٦٩) ، وسنن البيهقي (٣/٢٧٦) ، والحاكم في المستدرك (٣/ ١٩٤) وصححه وأقره الذهبي .

⁽٥) لم أقف على جواب هند بهذا السياق ، وقد ذكر السيوطى جوابها فى « الدر المنثور » (٨/ ١٤٠) أنها قالت : أنت قتلت آباءهم وتوصينا بأبنائهم ، فضحك رسول الله ﷺ . وعزاه إلى سعيد ابن منصور ، وابن سعد عن الشعبى مرسلاً ، ثم ذكره فى رواية لابن جرير وابن مردويه فى «تفسيرهما » عن ابن عباس وفيه : فقال: ولا يقتلن أولادهن قالت هند: أنت قتلتهم يوم بدر .

⁽٦) أجاد ابن العربي في « العواصم » (ص ٢٢٤ ــ ٢٢٧) الجواب عن ذلك فراجعه .

⁽۷) هذا غير صحيح ، فقد نقل ابن كثير : أن عبد الله بن مطيع (داعية ابن الزبير) ، مشى فى المدينة ومعه أصحابه إلى محمد بن على بن أبى طالب (المعروف بابن الحنفية) فأرادوه على خلع يزيد، فأبى عليهم ، فقال ابن مطيع : إن يزيد يشرب الخمر ، ويترك الصلاة ، ويتعدى حكم الكتاب . فقال لهم : ما رأيت منه ما تذكرون ، وقد حضرته وأقمت عنده ، فرأيته مواظبا على الصلاة ، ومتحرياً للخير ، يسأل عن الفقه ، ملازماً للسنة . نقله ابن كثير فى البداية والنهاية (٨/ ٢٣٤) فهذه شهادة عالم من أهل البيت فيه ، وانظر كلام ابن العربى فى ذلك فى العواصم (ص ٢٢٧ ، ٢٢٨) .

ومنهم: أبو سفيان صخر بن حرب بن أمية وقائد الأحزاب الذي قاتل رسول الله عَلَيْكُ يُوم أُحُد ، وقتل من خيار أصحابه سبعين بين مهاجري وأنصاري ، وكتب إليه «باسمك اللهم أحلف باللات والعُزّى وإساف ونائلة وهُبَل ، لقد سرت إليك ، أريد استئصالكم ، فأراك قد اعتصمت بالخندق ، فكرهت لقاءنا ، ولك منى كيوم أُحُد ، وبعث بالكتاب مع أبي أسامة الحيثمي فقرأه على النبي ﷺ وقال: قد أتاني كتابك، وقد نما عزك بأحمق بني غالب وسفيههم بالله الغرور ، وسيحول الله بينك وبين ما تريد ويجعل لنا العاقبة ، وليأتين عليك يوم أكسر فيه اللات والعزى وإساف ونائلة وهَبَل يا سفيف بني غالب ، ولم يزل يحادد الله ورسوله حتى سار رسول الله ﷺ لفتح مكة ، فأتى به العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه رسول الله ﷺ وقد أردفه؛ وذلك أنه كان صديقه ونديمه في الجاهلية ، فلما دخل على رسول الله ﷺ أن يؤمنه ، فلما رآه رسول الله عَلَيْ قال له : ويلك يا أبا سفيان ، ألم يأن لك أن تعلم أن لا إله إلا الله فقال : بأبي أنت وأمى ما أوصلك وأحلمك وأكرمك ، والله لقد ظننت أنه لو كان مع الله غيره لقد أغنى عنى شيئا ، فقال : يا أبا سفيان، ألم يأن لك أن تعلم أنى رسول الله ؟ فقال: بأبى أنت وأمى ، ما أوصلك وأحلمك وأكرمك ، أما هذه ففي النفس منها شيء . فقال له العباس : ويلك ، اشهد بشهادة الحق قبل أن يُضرب عنقك، فشهد وأسلم (١). فهذا حديث إسلامه كما ترى واختلف في حُسن إسلامه فقيل: إنه شهد حُنيناً مع رسول الله ﷺ، وكانت الأزلام (٢) معه يستقسم بها ، وكان كهفاً للمنافقين (٣)، وأنه كان في الجاهلية زنديقاً ، وفي خبر عبد الله بن الزبير رضى الله عنهما أنه رآه يوم اليرموك قال : فكانت الروم إذا ظهرت ، قال أبو سفيان : إيه بنى الأصفر فإذا كشفهم المسلمون قال أبو سفيان (شعرًا) :

وبنو الأصفر ملوك الروم لم يبق منهم ملك مذكور

⁽١) ذكره ابن هشام في « السيرة النبوية » (٤/٣٧) ، وقد تقدم مفصلاً تخريجه .

⁽٢) جمع زلم: وهي سهام كانوا يستقسمون بها في الجاهلية . كذا في القاموس (٢/ ٢١٩) .

⁽٣) هذا من أكاذيب الشيعة ، ولا يليق أن يطلق هذا على صحابي من صحابة رسول الله ﷺ .

⁽٤) هذا الخبر المذكور ، فيه كذب بيّن ، وقد ذكر الحافظ ابن كثير _ رحمه الله _ حَثَّ أبى سفيان المسلمين على الثبات في القَتال يوم اليرموك ، ومما ذكره « ثم تكلم أبو سفيان فأحسن ، وحثً =

وذكر عبد الرزاق (١) عن ابن المبارك (٢) عن مالك بن مغول (٣) عن ابن أبي بُجير (٤) قال : لما بُويَع لأبي بكر الصديق رضى الله عنه ، جاء أبو سفيان إلى على رضى الله عنه فقال : أغلبكم على هذا الأمر أقل بيت في قريش ، أما والله لأملأنها خيماً ورجالاً إن شئت ، فقال على رضى الله عنه ، ما زلت عدوا للإسلام وأهله، فما ضر ذلك الإسلام وأهله شيئاً .

إنا رأينا أبا بكر لها أهلاً ، وذكر المدائنى (٥) عن أبى زكريا العجلانى عن أبى حازم (٦) عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : حج أبو بكر رضى الله عنه ومعه أبو سفيان ، فرفع صوته على أبى سفيان . فقال أبو قحافة : اخفض صوتك يا أبا بكر عن ابن حرب . فقال أبو بكر رضى الله عنه : يا أبا سفيان ، إن الله بنى بالإسلام بيوتا كانت غير مبنية . وبيت أبى سفيان مما هدم ، فليت شعرى بعد هذا بأى وجه

الحرب ولا أجرأ على عدو الإسلام منك . (٧/ ١٤) .

⁼ على القتال فأبلغ في كلام طويل ثم قال حين تواجه الناس: يا معشر أهل الإسلام حضر ما ترون فهذا رسول الله والجنة أمامكم ، والشيطان والنار خلفكم ، وحرض أبو سفيان النساء فقال: « من رأيتنّه فاراً فاضربنه بهذه الأحجار والعصى حتى يرجع » البداية والنهاية (٧/ ١١) . وقال ابن كثير: وثبت يومئذ يزيد بن أبي سفيان وقاتل قتالاً شديداً ، وذلك أن أباه مرّ به فقال له: يا بني عليك بتقوى الله والصبر، فإنه ليس رجلٌ بهذا الوادى من المسلمين إلا محفوفاً بالقتال . . . ، فاتق الله يا بني ولا يكونن أحدٌ من أصحابك بأرغب في الأجر، والصبر في

⁽۱) عبد الرزاق بن همام بن نافع الصنعانى ولد سنة ۱۲۱ هـ ، أحد الأعلام والأثمة الكبار ، له فضل وعلم إلا أنه اختلط فى آخر عمره وكان فيه تشيع . انظر : « التهذيب » (٦/ ٣١٠) . «التقريب » (١/ ٥٠٥) « الثقات » لأبى حفص ابن شاهين ١٨٠ ، الكاشف (٢/ ١٧١) .

 ⁽٢) عبد الله بن المبارك مولى بن حنظلة أحد الأئمة الأعلام ، وحفاظ الإسلام . قال الحاكم : هو إمام عصره في الأفاق . التهذيب (٥/ ٣٨٢) التقريب (١/ ٤٤٥)، تذكرة الحفاظ (١/ ٢٥٣) للذهبي .

⁽٣) مالك بن مغول البجلى الكوفيّ . قال أحمد : ثقة ثبت في الحديث ، وقال الطبراني : من خيار المسلمين . انظر : التهذيب (٢٢/١٠) ، التقريب (٢٢٦/٢) الثقات للعجلى (٤١٩) .

⁽٤) ذكره الحافظ في التقريب (١/ ٩٣) وقال : حجازى مجهول من الثالثة قلت : فالأثر لا يصح ، ويظهر منه رائحة التشيع في سبِّ أبي سفيان .

⁽٥) هو شبابة بن سوار المدائني ، أصله من خراسان ، ثقة حافظ ، رمى بالإرجاء ، توفى سنة ٢٦٤هـ التقريب (٢/ ٣٤٤).

⁽٦) أبو حازم: سلمة بن دينار المخزومي مولى الأسود بن سفيان كان من عُبَّاد المدينة ، وثقه أحمد وأبو حاتم والنسائي ، توفي سنة ١٣٣ هـ التهذيب (١٤٣/٤) ، التقريب : ٣١٦/١ ، الكاشف (٨-٥٠١) .

يبنى بيت أبى سفيان بعد ما هدمه الله .

وروى عن الحسن أن أبا سفيان دخل على عثمان رضى الله عنه حين صارت الخلافة إليه بعد تيم وعدى فأدارها كالكرة ، وفي رواية فترقفوها ترقف الكرة ، واجعل أوتادها بنى أمية فإنما هو المُلْك ولا أدرى ما جَنَّةٌ ولا نارٌ (١) ، فصاح به عثمان رضى الله عنه : قم عنى فعل الله بك وفعل ، وأبو سفيان هذا هو أبو معاوية ، ولم يزل بعد إسلامه بعد هو وابنه معاوية من المؤلفة .

ومنهم: معاوية بن المغيرة بن أبى العاص بن أمية (٢) وهو الذى جذع أنف حمزة رضى الله عنه ومثّل به فيمن مثّل ، فلَما انهزم يوم أُحُد دخل على عثمان بن عفان رضى الله عنه ليخبره وكان رسول الله ﷺ قد أمر بطلبه فأخرج من دار عثمان وأتى به رسول الله ﷺ فوهبه لعثمان رضى الله عنه ، وأقسم لئن وجد بعد ثلاث بالمدينة وما حولها ليقتلن ، فخيره عثمان وسار في اليوم الرابع ، فقال رسول الله ﷺ: «إن معاوية أصبح قريباً لم ينفذ فاطلبوه واقتلوه » فأصابوه ، فأخذه زيد بن حارثة وعمار ابن ياسر فقتلاه (٣) ، وقيل : بل قتله على رضى الله عنه .

ومعاوية هذا هو أبو عائشة أم عبد الملك بن مروان ، فعبد الملك بن مروان أغرق الناس في الكفر ، لأن أحد أبويه الحكم بن أبى العاص لعين رسول الله ﷺ وطريده ، والآخر معاوية بن المغيرة .

ومنهم : حَمَّالَة الحطب ، واسمها :أم جميل بنت حرب بن أميَّة ، كانت تحمل

⁽۱) هذا الخبر كذب لا يمترى فى ذلك عاقل ، وقاتل الله الشيعة الذين افتروا الأكاذيب على هؤلاء المجاهدين الأبرار ، واستباحوا أعراضهم ، وعملوا على تسوىء سمعتهم ،كيف يكون غير مؤمن بجنة ولا نار ، وهو الذى قال للنبى على فى جهاده فى معركة الطائف وقد أصاب سهم عينه فقال له النبي على الله على الله عليك عينك ، وإن شئت صبرت ولك الجنة ، فقال له النبي عليه الألم : بل أختار الجنة . انظر المنتقى من منهاج الاعتدال (ص ٢٥٤)، والاستيعاب (٤٧/٤) لابن عبد البر .

⁽۲) سبق ترجمته .

⁽٣) لم أره بهذا اللفظ ، وقد ذكر ابن هشام في السيرة (٣/ ٧٣) نحوه بلفظ : وكان قد لجأ إلى عثمان بن عفان فاستأمن له رسول الله ﷺ فأمنه ، على أنه إن وُجد بعد ثلاث قُتل ، فأقام بعد ثلاث وتوارى ، فبعثهما النبي ﷺ ، وقال : « إنكما ستجدانه بموضع كذا وكذا فوجداه فقتلاه ، وذكره ابن كثير في البداية (٤/ ٥١)، وابن سيد الناس في عيون الأثر (٥٨/٢).

أغصان العضاه (١) والشوك فتطرحها على طريق رسول الله ﷺ، قاله الضحاك (٢) عن ابن عباس (٣) ، وقال مجاهد : حَمّالة النميمة (٤) ، تحطّب على ظهرها ، وإيّاها عنى الله تعالى بقوله في سورة تبت يدا أبي لهب وتب ، وامرأته حَمّالة الحطب ، في جيدها حبل من مَسد . قيل : عنّى أن في جيدها سلسلة من نار أي من سلاسل جهنم . والجيد : العنق .

ولما نزلت سورة (٥) تبت يدى أبى لهب. . . إلى آخرها ، قالت امرأة أبى لهب: قد هجانى محمد ، والله لأهجونه ، فقالت مما قلنا : وديعة أبينا وأمره عصينا (١) وأخذت فهراً (٧) لتضربه به فأغشى الله عليها (٨) عنه وردها بغيظها ولم تزل على كفرها حتى هلكت ، وما أحد من هؤلاء الذين تقدم ذكرهم إلا وقد بذل جهده فى عداوة رسول الله عليه وبالغ فى أذى من اتبعه وآمن به ، ونالوا منهم من ألسنتهم وأنواع العذاب حتى فروا منهم مهاجرين إلى بلاد الحبشة ،ثم إلى المدينة ، وأغلقت أبوابهم بمكة ، فباع أبو سفيان بن حرب بعض دورهم ، وقضى من ثمنها دينا عليه ، وهموا بقتل رسول الله عليه غير مرة، وتناظروا فى أمره ليخرجوه من مكة أو يقيدوه وهموا بقتل رسول الله عليه عنه وتناظروا فى أمره ليخرجوه من مكة أو يقيدوه

⁽١) العِضَاه : كل شجر له شوك صَغُر أو كبر . الوجيز (ص ٤٢٣) .

⁽۲) الضحاك بن مزاحم الهلالى ، أبو القاسم ، أو أبو محمد الخراسانى روى التفسير عن ابن عباس، وهو صدوق كثير الإرسال، مات بعد المائة انظر: التهذيب (٤٦٥/٤) ، التقريب (٣٣/١) ، الكاشف (7/3) .

⁽٣) ولفظه : كانت تحمل الشوك فتطرحه على طريق النبى ﷺ ليعقره وأصحابه ، ويقال : (حمالة الحطب) : نقالة الحديث ، رواه ابن جرير ، والبيهقى فى «الدلائل» ، وابن عساكر عن ابن عباس انظر: الدر المنثور (٨/٦٧) . .

⁽٤) لفظ مجاهد : أى كانت تمشى بالنميمة . رواه ابن جرير وابن المنذر ، وابن أبى حاتم فى تفاسيرهم عن مجاهد كما فى الدر المنثور (٨/٦٦٧) .

⁽٥) سورة المسد .

⁽٦) ذكره ابن هشام بلفط : مُذَمَّمًا عَصَينا ، وأمْرَهُ أَبَيْنَا ، ودينه قَلَيْنَا . انظر السيرة (١/ ٢٩٢) .

⁽٧) الفَهْرُ : الحجرُ قدر ما يُدَق به الجوزُ ، أو ما يُملأ الكَفَّ والجمع : أَفْهَارٌ ، وفُهُورٌ . القاموس (٧) (٣/ ٥٣٠) .

⁽۸) في رواية ابن هشام قال أبو بكر: يا رسول الله أما تُراها رأتك ؟ فقال: « ما رأتني ، لقَدُ أخذ الله ببصرها عني » والحديث: رواه الحاكم في المستدرك (۲/ ٣٦١) ، وابن حبان في صحيحه (موارد: ٣١٠) ، والبيهقي في « دلائل النبوة » (٢/ ١٩٥) ، والبزار «كشف الأستار»: (٢/ ٢٩٤)، وصححه الحاكم وأقره الذهبي، وحسنه البزار وأقره ابن حجر في الفتح (٨/ ٢١٠).

ويحبسوه حتى يهلك أو يندبوا لقتله من كل قبيلة رجلاً حتى يتفرق دمه فى القبائل وبالغ كل واحد منهم فى ذلك بنفسه وماله وأهله وعشيرته ، ونصب لرسول الله وبالغ كل واحد منهم فى ذلك بنفسه وماله وأهله وعشيرته ، ونصب لرسول الله ويلم أخبائل بكل طريق سراً وجهراً ليقتلوه ، فلما أذن الله له فى الهجرة وخرج من مكة، ومعه صاحبه أبو بكر الصديق رضى الله عنه إلى غار ثور وجعلوا لمن جاء بهما أو قتلهما ديتهما، ويقال: يعلو المائة بعير، ونادوا بذلك فى أسفل مكة وأعلاها، كل ذلك حسداً منهم لرسول الله وعنه وبغيًا ، ويأبى الله إلا تأييد رسول الله وعده وإعلاء كلمته حتى صدق الله وعده ونصر عبده وأعز جنده وهزم الأحزاب وحده ، وظهر أمر الله وهم كارهون ، كما ذكرت ذلك فى كتاب « إمتاع الأسماع بما للرسول من الأبناء والأخوال والحفدة والمتاع » عليه ولله در القائل (شعراً) :

عبد شمس قد أضمرت كبنى ها شم حرباً يشيب منه الوليد فابن حرب للمصطفى وابن هند لعلى وللحسين يريد

وما الأمر إلا كما قال القائل الأخطل (شعرًا): إن العداوة تلقاها وإن قدمت كالعرق يكمن أحيانا وينتشر

وأقول: هذا رسول الله على قد أبعد بنى أمية عنه وأخرجهم من ذوى (١) قرباه ؛ لما أخرجه الإمام أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخارى _ رحمه الله _ في كتاب فرض الخمس من الجامع الصحيح فقال: حدثنا عبد الله بن يوسف ، ثنا الليث ، عن عقيل عن ابن شهاب ، عن سعيد بن المسيب ، عن جبير بن مطعم، قال : مشيت أنا وعثمان بن عفان رضى الله عنه ، إلى رسول الله على أن وعثمان بن عفان رضى الله عنه ، إلى رسول الله عنه أعطيت بنى المطلب وتركتنا ، ونحن وهم منك بمنزلة واحدة ، فقال رسول الله على إنما بنو عبد المطلب وبنو هاشم شيء واحد (٢) .

⁽۱) لا يدلَّ الحديث على ذلك مطلقاً ، وإنما سبب تخصيص سهم ذوى القربى لبنى هاشم والمطلب خاصة دون بقية قرابة النبى ﷺ من قريش ، لنصرتهم له ، وتحملهم ما أصابهم بسبب الإسلام دون بقية قومهم ، وإلا فقرابة النبى ﷺ متحققه في بنى عبد شمس؛ لأنه شقيق ، وبنى نوفل، وقال بعض الشافعية : العلة: القرابة مع النصرة ، فلذلك دخل بنو هاشم وبنو عبد المطلب ، ولم يدخل بنو عبد شمس ونوفل لفقدان جزء العلة أو شرطها . انظر : فتح البارى (٢/٣٨٦) للبغوى ، معالم السنن (٣/ ٣٨٥) للخطابي .

⁽۲) رواه البخارى ك: فرض الخمس (۳۱٤٠) ، وأبو داود ك: الخراج : (۲۹۸۰) ، والنسائى فى ك: الفيء ب/ ۱ (٤١٤٨)، وابن ماجه ك: الجهاد (۲۸۸۱) مختصراً ، والبغوى فى «السنة» (۲۷۳٥) .

وقال الليث : حدثنى يونس وزاد : قال جبير : ولم يقسم النبى ﷺ لبنى عبد شمس ولا لبنى نوفل ، قال ابن إسحاق : وعبد شمس وهاشم والمطلب إخوة لأم : عاتكة بنت مرّة، وكان نوفل أخاهم لأبيهم .

وذكره البخارى في مناقب قريش (۱) وقال في غزوة خيبر (۲): حدثنا يحيى بن بكير، ثنا الليث عن يونس عن ابن شهاب عن سعيد بن المسيب أن جبير بن مطعم أخبره قال: أتيت أنا وعثمان إلى النبي على فقلنا: أعطيت بنى المطلب من خمس خيبر وتركتنا، ونحن وهم بمنزلة واحدة منك، فقال: إنما بنو هاشم وبنو المطلب شيء واحد. قال جبير: ولم يقسم النبي على لبنى عبد شمس وبنى نوفل شيئا. وقد خرج أبو داود (۳) ـ رحمه الله ـ هذا الحديث من طريق الزهرى عن سعيد بن المسيب قال: حدثنى جبير بن مطعم أن رسول الله على لم يقسم لبنى عبد شمس ولا لبنى نوفل شيئا من الخمس كما قسم لبنى هاشم ولبنى المطلب، قال: وكان أبو بكر رضى الله عنه يقسم الخمس نحو قسم رسول الله على غير أنه لم يكن يعطى قربى رسول الله على قربى رسول الله وكلية كما كان يعطيهم رسول الله وكلية .

وكان عمر رضى الله عنه يعطيهم ، ومن كان بعده منه . واعلم أن قوله عن أبى بكر رضى الله عنه أنه لم يكن يعطى ذوى القربى كما كان النبى عليهم ، إنما هو مما كان رَبِيَا يعود به عليهم من سهمهم .

وكانت حاجة المسلمين أيام أبى بكر أشد ، [لا] (٤) لأنه رضى الله عنه منعهم الحق المفروض لهم الذى سماه الله تعالى ورسوله ﷺ لهم، فقد أعاذه الله من ذلك. وخرج أبو داود من طريق محمد بن إسحاق عن الزهرى عن سعيد بن المسيب، قال: أخبرنى جبير بن مطعم قال: فلما كان يوم خيبر وضع رسول الله ﷺ سهم ذى القربى فى بنى هاشم وبنى المطلب، وترك بنى نوفل (٥) وبنى عبد شمس،

⁽١) انظر الصحيح ك : المناقب ب/ ٢ مناقب قريش (٣٥٠٢) .

⁽٢) المصدر السابق ك : المغازى ب / ٣٨ غزوة خيبر (٤٢٢٩) .

⁽۳) انظر سنن أبى داود ك : الخراج والإمارة ب / ۲۰ في بيان مواضع قسم الخمس رقم (۲۹۷۸) ، (۲۹۷۹) .

⁽٤) زدنا أداة النفى ليستقيم الكلام .

⁽٥) بنو نوفل بن عبد مناف: بطن من عبد مناف ، من قریش من العدنانیة ، وهم بنو نوفل بن عبد مناف بن قصی بن کلاب بن مرة بن کعب بن لؤی بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر. انظر: نهایة الأرب للنویری (٢/ ٣٥٩) ، صبح الأعشی للقلقشندی (٣٥٨/١) ، الاشتقاق لابن درید (ص٥٤) .

فانطلقت أنا وعثمان رضى الله عنه حتى أتينا رسول الله ﷺ فقلنا : يا رسول الله هؤلاء بنو هاشم لا تنكر فضلهم للموضع الذى وضع الله به منهم ، فما بال إخواننا بنى المطلب أعطيتهم وتركتنا ، وقرابتنا واحدة، فقال رسول الله ﷺ : أنا وبنو المطلب لا نفترق فى جاهلية ولا إسلام وإنما نحن وهم شىء واحد وشبك بين أصابعه (١).

وخرّجه إسحاق بن راهويه عن الزهرى عن ابن المسيب عن جبير ، مثل ما تقدم وفيه قال : فقسم رسول الله ﷺ خُمس الخُمس من القمح والتمر والنوى .

وقال الحسن بن صالح عن السكتى ، فى ذى القربى : هم بنو عبد المطلب وخر ج النسائى من حديث سفيان عن قيس بن مسلم قال : سألت الحسن بن محمد عن قول الله تعالى : ﴿ وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَيْءَ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ ﴾ (٢) قال : هذا مفتاح كلام الله وللَّه الدنيا والآخرة (٣) .

قال: اختلفوا في هذين السهمين بعد وفاة رسول الله على السهم الرسول وسهم ذى القربي، فقال قائل: سهم الرسول للخليفة من بعده (٤)، وقال قائل: سهم ذى القربي لقرابة الرسول (٥)، وقال قائل: سهم ذى القربي لقرابة الخليفة فاجتمع رأيهم على أن يجعلوا هذين السهمين في الخيل والعُدّة في سبيل الله فكان ذلك في خلافة أبي بكر رضى الله عنه.

وقد روى من بعض طرق ابن إسحاق عن الزهرى عن ابن المسيب ،أن عثمان وجبير بن مطعم رضى الله عنهما كلَّما رسول الله ﷺ في سهم ذى القربي فقالا : قسمته بين بني هاشم وبنى المطلب بن عبد مناف ، ونحن وبنو المطلب إليكم سوى

⁽١) سبق مفصلاً .

⁽٢) الأنفال : ٤١ .

⁽٣) رواه النسائي في ك : قسم الفيء (٧/ ١٣٣) من سننه .

⁽٤) وإليه ذهب أبو حنيفة وجماعة ، وقالوا : هو للإمام يضعه حيث يشاء . انظر : معانى الآثار (*)

⁽٥) وإليه ذهب مالك وابن القاسم وأشهب ، وقالوا : يعطى الإمام قرابة رسول الله ﷺ من سهم ذوى القربي ، وقال مالك : جعل لهم ذلك عوضاً عن الصدقة .

وانظر: تفصیل المسألة بأدلتها فی: المدونة (۲/۲۲۲،۲۲۲) لسحنون، شرح مسلم (۷/ ۱۸۵) للنووی، فتح الباری (۳/ ٤١٥)، الأموال لأبی عبید (ص ٤١٦، ٤١٧) أحكام الجصاص (۶/ ۲٤٦ ـ ۲٤۹)، أحكام القرآن للقرطبی (۹/ ۹)، أحكام ابن العربی (۲/ ۸۵۲، ۸۵۷).

فقال رسول الله ﷺ: أنا وهم لم نزل في الجاهلية شيئا واحداً وكانوا معنا في الشَّعْب. كذا وشبَّك أصابعه(١).

وكان من حديث الشعب على ما ذكر محمد بن إسحاق (٢) وموسى بن عقبة (٣) فذكر ابن إسحاق أن النبى على لم قضى على الذى بعث به وقامت بنو هاشم وبنو المطلب دونه وأبو أن يسلموه، فهم من خلافه على مثل ما قومهم عليه، إلا أنهم اتقوا أن يسلموا أخاهم لمن فارقه من قومه فلما فعل ذلك بنو هاشم وبنو المطلب، وعرفت قريش أن لا سبيل إلى محمد على معهم ، أجمعوا على أن يكتبوا فيما بينهم على بنى هاشم وبنى المطلب أن لا ينكحوهم ولا ينكحوا إليهم ، ولا يبايعوهم ولا يبتاعوا منهم ، وكتبوا صحيفة فى ذلك وعلقوها بالكعبة ثم عدوا على من أسلم فأوثقوهم واشتد البلاء عليهم، وعظمت الفتنة وزلزلوا زلزالاً شديداً .

قال ابن عقبة : واجتمعت قريش ومكرها أن يقتلوا رسول الله على علانية ، فلما رأى أبو طالب عمل المقوم جمع بنى عبد المطلب وأمرهم أن يدخلوا رسول الله على شعبهم ويمنعوه ممن أراد قتله ، واجتمعوا على ذلك مسلمهم وكافرهم ، فمنهم من فعله إيمانا ويقينا ، فلما عرفت قريش أن القوم منعوا رسول الله على المشركون مع قريش ، واجتمع رأيهم أن لا يجالسوهم ولا يبايعوهم ولا يدخلوا بيوتهم حتى يسلموا رسول الله على للقتل ، وكتبوا فى مكرهم صحيفة وعهودا ومواثيق لا يقبلون من بنى هاشم أبداً صلحاً ولا تأخذهم بهم رأفة حتى يسلموه للقتل ، فلبث بنو هاشم فى شعبهم ثلاث سنين واشتد عليهم البلاء والجهد وقطعوا عنهم الأسواق فلا يتركون طعاماً يقدم مكة إلا بادروهم إليه فاشتروه يريدون بذلك أن يدركوا سفك دم رسول الله على . وذكر ابن إسحاق فاشتروه يريدون بذلك أن يدركوا سفك دم رسول الله على . وذكر ابن إسحاق القصة فى دخولهم الشعب وما بلغوا من الجهد الشديد حتى كان يسمع أصوات طعبيانهم يتضاغون من وراء الشعب من الجوع ،حتى كره عامة قريش ما أصابهم وأظهروا كراهتهم لصحيفتهم المظللة .

⁽١) الحديث في سنن أبي داود ك : الخراج ب/ ٢٠ رقم (٢٩٨٠) بهذا اللفظ .

⁽۲) محمد بن إسحاق بن يسار القرشى المدنى، إمام أهل المغازى، قال الشافعى: من أراد أن يتبحر فى المغازى فهو عيال على محمد بن إسحاق توفى سنة ١٥٢هـ(التهذيب٩/ ٣٨)، التقريب (١١٤/٢).

 ⁽٣) موسى بن عقبة بن أبي عياش الأسدى المدنى ، قال ابن سعد : كان ثقة ثبتاً كثير الحديث ،
 توفى سنة ١٤١ هـ (التهذيب ١٠ / ٣٦٠) ، التقريب (٢/ ٢٨٦) ، الكاشف (٣/ ١٦٥) للذهبى .

قال موسى بن عقبة: فلما كان بعد ثلاث سنين تلاوم رجال من بنى عبد مناف، ومن بنى قصى ورجال سواهم من قريش قد ولدتهم نساء من هاشم ورأوا أنهم قد قطعوا الرحم واستحقوا بالحق واجتمع أمرهم من ليلتهم على نقض ما تعاهدوا عليه من العذر والبراءة منه ، وبعث الله عز وجل على صحيفتهم التى المكر فيها برسول الله على الأرضة(۱) فلحست كل ما كان فيها من عهد وميثاق فلم تترك اسما لله عز وجل إلا لحسته وبقى ما كان فيها من شرك أو ظلم أو قطيعة رحم ، وأطلع الله عز وجل رسوله وبي على الذى صنع بصحيفتهم فذكر ذلك رسول الله على الذى صنع بصحيفتهم فذكر ذلك رسول الله الله على الذى صنع بصحيفتهم فذكر ذلك رسول الله المحلل على الذى صنع بصحيفتهم فذكر ذلك رسول الله الله المطلب عنى السجد وهو حافل (۲) من قريش ، فلما رأوهم عامدين جماعتهم المطلب حتى أتى المسجد وهو حافل (۲) من قريش ، فلما رأوهم عامدين جماعتهم ليعطوهم رسول الله على فتكلم أبو طالب فقال: قد حدثت أمور بينكم لم نذكرها لكم فأتوا بصحيفتكم التى تعاهدتم عليها فلعله أن يكون بيننا وبينكم صُلْح ، وإنما قال ذلك خشية أن ينظروا فى الصحيفة قبل أن يأتوا بها ، فأتوا بصحيفتهم معجبين قال ذلك خشية أن ينظروا فى الصحيفة قبل أن يأتوا بها ، فأتوا بصحيفتهم معجبين تقبلوا وترجعوا إلى أمر يجمع قومكم فإنما قطعه بيننا وبينكم رجل واحد جعلتموه حظراً لهلكة قومكم وعشيرتكم .

فقال أبو طالب: ما أتيتكم لأعطيكم أمراً لكم فيه نصف ، إن ابن أخى قد أخبرنى ولم يكذبنى أن الله عز وجل برىء من هذه الصحيفة التى فى أيديكم ، ومحاكل اسم له فيها ، وترك فيها عدوكم وقطيعتكم إيانا ، وتظاهركم علينا بالظلم، فإن كان الحديث الذى قال ابن أخى كما قال فأفيقوا ، فوالله لا نسلمه أبدا حتى نموت من عند آخرنا ، وإن كان ما قال باطلاً دفعناه إليكم فقتلتم أو استحييتم ، قالوا : رضينا بالذى تقول ، ففتحوا الصحيفة فوجدوا الصادق الصدوق قد أخبر خبرها ، فلما رأتها قريش كالذى قال أبو طالب قالوا : والله إن كان هذا قط إلا سيحر من صاحبكم ، فارتكسوا (٣) وعادوا أشر مما كانوا عليه من كفرهم والشدة سيحر من صاحبكم ، فارتكسوا (٣) وعادوا أشر مما كانوا عليه من كفرهم والشدة

⁽۱) الأرَضة : دويبة صغيرة كنصف العدسة تأكل الخشب ،وهي دابة الأرض التي ذكرها الله في كتابه . قاله الدميري في حياة الحيوان (١/ ٤٧) .

⁽٢) مملؤ بالناس من قريش .

⁽٣) ارتكسوا : رجعوا عن رأيهم وانقلبوا عنه ، والركش : رد الشيء مقلوباً (مختار الصحاح : ١٣١) .

على رسول الله على والمسلمين والقيام بما تعاهدوا عليه ، فقال أولئك النفر من بنى عبد المطلب: إن أولى بالكذب غيرنا ، فكيف ترون وإنا نعلم أن الذى اجتمعتم عليه من قطيعتنا أقرب إلى الجبت (١) والسحر من أمرنا ، ولولا أنكم اجتمعتم على السحر لم تفسد صحيفتكم وهى فى أيديكم طمس الله ما فيها من اسم له ، وما كان من بقى تركه أفنحن السحرة أم أنتم ، فقال النفر من بنى عبد مناف وبنى قصى ورجال من قريش ، ولدتهم نساء من بنى هاشم ، منهم: أبو البخترى ، ومطعم بن عدى ، وزهير بن أمية بن المغيرة بن زمعة بن الأسود ، وهشام بن عمرو ، وكانت الصحيفة عنده وفى رجال من أشرافهم ووجوههم : نحن براء مما فى هذه الصحيفة . فقال أبو جهل : هذا أمر قضى بليل .

قال موسى بن عقبة : ولما أفسد الله صحيفة مكرهم خرج رسول الله ﷺ ورهطه فعاشوا وخالطوا الناس (٢) .

فانظر ــ رحمك الله ـ كيف لم يجعل رسول الله على القرابة في النسب وحدها قرابة معتبرة في أحكام الله عز وجل ما لم تقترن بها القرابة الدينية ، فإنه كما قد رأينا أخرج بني أمية من ذي القربي مع كونهم بني أبيه عبد مناف بن قصى لما كان من عداوتهم له في دين الله تعالى وتكذيبهم لما جاء به من النبوة والرسالة ، وكيف جعل بني المطلب بن عبد مناف من ذي القربي ؛ لأجل مسالمتهم له في الجاهلية وتسرعهم إلى مناصرته ومؤازرته وموالاته ومعاضدته ، قال الأعشى :

لا تطلبن الرد من متباعد ولا تنامن ذى بغضة إن يقرب فإن القريب من يقرب نفشه لعمر أبيك لا من تنسب

فإذا أقرب الوسائل المودة وأبعد النسب العقوق ، وقد قال تعالى ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾ (٣) فقاربت ولاية الإسلام بين الغرباء ، وتأمل ذلك يظهر لك منه إحداهما: أن القرابة بقرابة الدين لا بقرابة الطين ، والثانية : أن مجرد القرابة ليس بشيء ، وقد قيل : أقرب الوسائل المودة وأبعد النسب البغضة ، قال القائل :

⁽۱) الجبت: كل ما عبد من دون الله، ويستعمل في السُّحر والكهانة ، ونحوه (المعجم الوجيز: ٩١) . (۲) انظر تفصيل هذه الحادثة وأخبارها في : سيرة ابـن هشام (٢٨٧/١ ــ ٢٩٠) ، طبقات ابن سعد

الكبرى (۱/۱/۱۳) .

⁽٣) الحجرات : ١٠ .

وأرى المودة أكبر الأنساب

إن القرابة لا تقرب قاطعاً

ثم إنى أقول: يا عجب، كيف يستحق خلافة رسول الله على أمته شرعاً من لم يجعل الله له حقا في سهم ذى القربى ، أم كيف يقيم دين الله مَن قاتل رسول الله على ونابذه وكابده وبذل جهده في قتله . وكيت بنو أمية الخلافة ، عدلوا وأنصفوا ، بل حادوا في الحكم (٢) وتعسفوا واستأثروا بالفيء (٣) كله ، وحرموه بني هاشم جملة ، وزادوا في العُتُو والتعدى حتى قالوا: إنما ذو القربي قرابة الخليفة منهم ، حتى قرروا عند أهل الشام أنه لا قرابة لرسول الله على بن عبد الله الا بني أمية ، فلما قام بالأمر أبو العباس عبد الله بن محمد بن على بن عبد الله ابن عباس المنعوت بالسفاح (٤) ، وقتل مروان بن محمد بن مروان بن الحكم آخر خلائف بني أمية وأزال دولتهم ، دخل عليه مشيخة من أهل الشام فقالوا: والله ما علمنا أنه لرسول الله على الله قرابة إلا بني أمية حتى وُليتم ، فقال إبراهيم بن مهاجر ما علمنا أنه لرسول الله على الله قرابة إلا بني أمية حتى وُليتم ، فقال إبراهيم بن مهاجر (شعراً) :

أيها الناس اسمعوا أخيركم عجبا من عبد شمس إنهم ورثوا أحمد فيها زعموا كذبوا والله ما نعلمه

عجبا زاد على كل عجب فتحوا للناس أبواب الكذب دون عباس وعبد المطلب يحرز الميراث إلا من قرب

⁽۱) ليس من شروط الخلافة التي ذكرها العلماء أن يكون مستحقا لسهم ذوى القربي ، وقد وكي أبو بكر ، وعمر، وعثمان ولم يكونوا من بني عبد المطلب ، ولا من بني هاشم ، فهل يكون عدم استحقاقهم هذا السهم مانعا من خلافتهم ــ رضى الله عنهم .

⁽۲) أغفل ــ المصنف ــ رحمه الله ــ ما قدموه للإسلام من جهاد ، وفتوحات إسلامية كبيرة في شتى البقاع ، ونشر الدين في أرجاء كثيرة من الأرض ، ولم يكن كل حكمهم جور ، وتعسف ، وظلم ، ومن أراد الوقوف على أحوالهم فليُراجع ما كتبه الثقات من المؤرخين كابن كثير ، وقبله الطبرى ، وابن الأثير ليقف على حالهم .

⁽٣) الفيء : الحراج والغنيمة تنال بلا قتال (المعجم الوجيز / ٤٨٥) .

⁽٤) من أوائل خلفاء بنى العباس ولد سنة ١٠٨ هـ ، وتوفى سنة ١٣٦ هـ وكانت مدة ولايته أربع سنين . انظر ترجمته فى (الكامل) (٩٩/٥) لابن الأثير ، تاريخ الخلفاء (ص ٢٩٥) ، الأعلام (٦/ ٢٢٠) للزركلى .

وحتى صعد الحجاج بن يوسف يوماً أعواد منبره وقال على رؤوس الأشهاد : أرسولك أفضل من خليفتك ، يعرض بأن عبد الملك بن مروان بن الحكم أفضل من رسول الله على فلما سمعه جبّله بن (۱) قال : لله على أن لا أصلى خلفه أبداً ، وأنا رأيت من يجاهده مجاهدة ، ولقد اقتدى بعدو الله الحجاج في كفره ابن شقى الحميرى ، فإنه قام مجلس هشام بن عبد الملك وقال : أمير المؤمنين خليفة الله وهو أكرم على الله من رسوله ، فأنت خليفة ومحمد رسول الله ، وحتى أن يوسف ابن عمر عامل هشام قال في خطبته يوم الجمعة : إن أول من فتح للناس باب الفتنة وسفك الدماء على وصاحبه الزنجى _ يعنى : عمار بن ياسر رضى الله عنهما ، فهكذا كما ترى وإلى الله المشتكى .

وقد خَرَّج الحاكم من حديث سعيد عن أبي إسحاق عن عمرو ذي مُرِّ عن على ابن أبي طالب رضى الله عنه في قوله عز وجل : ﴿ وَأَحَلُوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ ﴾ (٢) قال: هما الأفجران من قريش وبني المغيرة ، فأما بنو المغيرة فقد قطع الله دابرهم يوم بدر، وأما بنو أمية فمتعوا إلى حين (٣) .

قال الحاكم : هذا حديث صحيح ، وسُئِل على رضى الله عنه عن بنى أمية وبنى هاشم فقال : هم أكثر وأنكر وأمكر ، ونحن أنصح وأصبح وأسمح .

وقال أبو بكر بن أبى شيبة، ثنا حَشْرَج (٤) بن نُباته قال: حدثني سعيد بن

⁽۱) كذا في الأصل ، وفي ابن كثير (البداية والنهاية) (۱۳۷/۱۰) ذكر القصة بلفظها من رواية أبي داود وسمّاه : بُزيع بن خالد الضبى بلفظ : سمعت الحجاج يخطب فقال في خطبته : رسول أحدكم في حاجته أكرم عليه أم خليفته في أهله ، . . . ثم ذكر ما سطره المصنف ، وقد مرّ تعليقنا عليه من قبل .

⁽٢) سورة إبراهيم : ٢٨ .

⁽٣) رواه الحاكم في المستدرك (٣٥٢/١) ك:التفسير ، وصححه ، وأقره الذهبي ، ورواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» به ، ورواه عن عمر بن الخطاب وفي مسنده على بن زيد وهو ضعيف ، كذا في تفسير ابن كثير (٥٣٨/٢) وذكر من طريق ابن أبي حاتم بسنده عن على _ رضى الله عنه _ قال : هم كفار قريش يوم بدر، وقال ابن عباس : هم كفار مكة ، وهو المشهور الصحيح عن ابن عباس . وانظر الدر المنثور (٥/١٤ ، ٤٢) للسيوطي .

⁽٤) حَشْرَج بن نُباته الأشجعى أبو مُكْرَم الكوفى ، وثقه أحمد وابن معين ، وقال أبو حاتم : يكتب حديثه ، وقال النسائى : ليس بالقوى . انظر : الكاشف (٢٣٦/١) ، تهذيب التهذيب (٣٧٧/٢) الميزان (١/ / ترجمة ٢٠٧٣) .

جُهمان (١) ، قلت لسفينة (٢) : إن بنى أمية يزعمون أن الخلافة فيهم فقال : كذب بنو الزرقاء ، بل هم ملوك من أشر ملوك ، وأول الملوك : معاوية (٣) .

فصل: وما زلت طوال الأعوام الكثيرة أعمل فكرى في هذا وأشباهه على مدة يطول ذكرها ، وأذاكر به من أدركت من مشيخة العلم ، ومن لقيت من حملة الآثار ونقلة الأخبار ، فلا أجد في عمرى سوى رجلين: إما رجل عراه ما عراني ، وساءه ما قد دهاني ، فهو يحذو في المقال حذوى ويشكو من الألم شكوى ، وإما رجل يرتع في ميدان تقليده ويجول في عرصات تهوره وتفنيده فلا يزيدني على التهويل والهدر التطويل إلى أن اتضح لي والحمد لله وحده سبب أخذ بني أمية الخلافة ومنعها بني هشام ؛ وذلك أن أعجب الأمور لا تزال أبداً تالية بصدورها، والأسافل من كل شيء تابعة لأعاليها ، وكل أمر كان خافياً إذا انكشف سببه زال التعجب من كل شيء تابعة لأعاليها ، وكل أمر كان خافياً إذا انكشف سببه زال التعجب من بعد سبب .

أخذ بنو أمية الخلافة وتقدمهم فيها على بنى هاشم إلا من أجل الإعراض عن الاعتناء بتعرف أوائل ذلك ، وقلة البحث عن غوامضه ، وأن الشيء لم يوضع في موضعه، وإنما سلك فيه الكافة إلا قليلاً مذهب التعصب ، والواجب على العاقل بعد معرفة ما خفى عن السبب الإذعان والتسليم وترك الاعتراض .

فماذا بعد الحق إلا الضلال ، وذلك أنه لا خلاف بين أئمة الحديث ونُقّاد الأخبار وعُلماء السير والآثار ، أن رسول الله ﷺ توفى وعامله على مكة أبو عبد الرحمن عتاب بن أُسيد^(٤) بن أبى العاص بن أمية بن عبد شمس القرشى الأموى، أحد من أسلم يوم فتح مكة، وأنه لم يزل على مكة منذ فتحها الله على رسوله ﷺ

⁽١) في خ : سعيد بن حمدان ، والتصويب من كتب السنة .

 ⁽۲) سفینة : هو سفینة مولی أم سلمة زوج النبی ﷺ ویقال : مولی رسول الله ﷺ كان یسكن بطن نخلة ، قیل : اسمه رباح ، وسفینة لقب . انظر : الإصابة (۲/ ۸۸) أسد الغابة (۲/ ۳۲۶) ، التجرید (۲/ ۲۲۸) مستدرك الحاكم (۲/ ۷۰۱) .

⁽٣) لفظ الحديث: قال سعيد: قلت لسفينة: إن هؤلاء يزعمون أن علياً عليه السلام لم يكن بخليفة ؛ قال : كذبت أستاه بنى الزرقاء . يعنى بنى مروان . رواه أبو داود فى السنن (٤٦٤٦) ك: السنة بب/ ٩ فى الخلفاء، وكذا رواه ابن أبى عاصم فى « السنة » (٢/ ٥٥٠) من طريق ابن أبى شيبة ، وليس فيه اللفظ الذى ذكره المصنف .

⁽٤) أحد مسلمة الفتح ، أمه زينب بنت أبى عمرو بن أمية بن عبد شمس ، توفى عتاب ـــ رضى الله عنه ـــ بمكة فى جمادى الآخرة سنة ثلاث عشرة .قال فيه ﷺ فيما رواه الحاكم: إن بمكة لأربعة =.

عام ثمان من الهجرة إلى أن توفاه (١) الله عز وجل ، فأقر أبو بكر الصديق رضى الله عنه عتاباً حتى ماتا في يوم واحد () .

وكان على صنعاء ، وزياد بن لبيد على حضرموت ، ومعاذ بن جبل والمهاجر بن أمية (٤) على جنده ، وزياد بن لبيد على حضرموت ، ومعاذ بن جبل على الجند ، وأبو موسى الأشعرى على زبيد ورمع وعدن ، وكان عامل رسول الله على صنعاء اليمن كما تقدم: خالد بن سعيد بن العاص بن أمية بن عبد شمس ، بعثه على اليها سنة عشر من الهجرة فتوفى رسول الله على وخالد على اليمن، وكان أبان بن سعيد بن العاص (٥) ابن أمية على البحرين: بَرَها وبحرها منذ عُزل العلاء بن الحضرمي (١) حليف بنى أمية، وقيل : بل مات رسول الله على والعلاء على البحرين ، وكان عمرو بن سعيد ابن العاص بن أمية على تيماء وخيبر وتبوك وفدك ،

⁼ نفر من قريش أرباهم عن الشرك وأرغب لهم فى الإسلام: فذكر منهم عتاب بن أسيد . انظر : مستدرك الحاكم ك : معرفة الصحابة (٣/ ٥٩٥ ــ ذكر عتاب بن أسيد) سيرة ابن هشام (٤/ ٧٤/) .

⁽۱) وفي ذلك أثر مسند عن مصعب بن عبد الله الزبيري . أخرجه الحاكم ك : معرفة الصحابة (۲) ۲۱۲۰ .

⁽٢) ذكر ذلك الحافظ ابن حجر في التقريب (٣/٢) ، والتهذيب (٥/ ١٣٩) .

⁽٣) هو خالد بن سعيد بن العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف ، أحد الصحابة الأجلاء ، ومن المهاجرين إلى أرض الحبشة ، قال خليفة بن خياط : استشهد في معركة مرج الصفر وهو في سنة ثلاث عشرة ، وتوفى رسول الله ﷺ وهو عامله على اليمن . انظر : المستدرك ك : معرفة الصحابة (٣/ ٢٤٨ ــ ٢٥١) ، الطبقات الكبرى (٤/ ١/٧١) لابن سعد ، البداية والنهاية (٥/ ٢٩٨) .

⁽٤) انظر : البداية والنهاية (٥/ ٣٣) لابن كثير .

⁽٥) أبان بن سعيد بن العاص بن أمية الأموى أبو الوليد المكى صحابى جليل . وهو الذى أجار عثمان بن عفان يوم الحديبية حتى دخل مكة لأداء رسالة رسول الله ﷺ أسلم بعد مرجع أخويه من الحبشة : خالد ، وعمرو ، فدعواه إلى الإسلام فأجابهما . البداية والنهاية (٣٣/٧) .

⁽٦) العلاء بن الحضرمي نسبة إلى حضرموت بن قحطان ، واسم الحضرمي عباد ، وقيل : عبد الله بن عباد ، وهو من خلفاء بني أمية ، بعثه ﷺ إلى اليمن ثم ولاه عليها أميراً حين افتتحها ، وأقره عليها أبو بكر الصديق ، ولم يزل بها حتى عزله عنها عمر بن الخطاب وولاه البصرة ، توفي سنة إحدى وعشرين . انظر : البداية والنهاية (٥/ ٣٠٦) ، طبقات ابن سعد (٤/ ٢/ ١١٥) ، مستدرك الحاكم (٣/ ١٢٥) .

فلما توفى رسول الله عنه : ما لكم رجعتم عن عمالتكم ، ما أحد أحق بالعمل أبو بكر الصديق رضى الله عنه : ما لكم رجعتم عن عمالتكم ، فقالوا : نحن بنو أبى من عُمّال رسول الله على منكم ، ارجعوا إلى أعمالكم ، فقالوا : نحن بنو أبى حيحة (۱) لا نعمل لأحد بعد رسول الله على أبداً ، ثم مضوا إلى الشام وقاتلوا فقتلوا في مغازيها (۲)، ويقال : ما فتحت بالشام كورة (۳) من كور الشام إلا وُجِد عندها رجل من بنى سعيد ابن العاص ميتا ، وكان أبو سفيان بن حرب بن أمية على غيران ، فمات رسول الله على وهو عليها ، وقيل : بل كان على نجران لما توفى رسول الله على عمرو بن حزم ابن زيد بن عمرو بن عبد عوف بن غنم بن مالك ابن النجار الأنصارى (٤) . وروى الواقدى (٥) ، عن إبراهيم بن جعفر عن أبيه عن عمر بن عبد العزيز رحمه الله ، أنه قال : توفى رسول الله على وأربعة من بنى أمية عمر بن عبد العزيز رحمه الله ، أنه قال : توفى رسول الله على البحرين ، وخالد عمر بن عبد على صنعاء ، وأبو سفيان بن حرب على نجران (٢) .

قال الواقدى : أصحابنا يجمعون على أن رسول الله ﷺ قبض وأبو سفيان حاضر ، وقال ابن الكلبى (٧) : كان أبو سفيان غائبا ، فلما قدم قال : كيف رضيتم يا بنى عبد مناف أن يلى أمركم غيركم (٨) ، وقوم يقولون : إن رسول الله ﷺ وَلَى

⁽١) كنية سعيد بن العاص بن أمية .

⁽٢) الأثـر رواه الحاكم في ﴿ المستدرك ﴾ (٣/ ٢٤٩، ٥٠٨٥) من حديث خالـد بن سعيد بن عمر عن

⁽٣) الكُورَة : المدينة والصُقْع ، والجمع كُور (مختار الصحاح ص ٢٢٦) .

⁽٤) صحابی مشهور شهد الخندق وما بعدها ، وکان عامل النبی ﷺ علی نَجْران ، مات بعد الخمسین ، وقیل : فی خلافة عمر ،وهو وهم قاله ابن حجر فی التقریب (٢/ ٦٨ رقم ٥٦٢) .

^{· (}٥) محمد بن عمر بن واقد الأسلمي صاحب « المغازي » ، وفيه ضعف .

⁽٦) رواه ابن سعد في « الطبقات الكبرى » (٤/ ١/٩٩) مختصراً .

⁽۷) محمد بن السائب بن بشر، الكلبى، أبو النضر الكوفى ، النسابة المفسر ، متهم بالكذب ، ورُمِى بالرفض ، توفى سنة ست وأربعين ، وقد ضعف روايته أكثر أهل العلم . انظر: التقريب (۱۲۳/۲) ، الإتقان (۱۸۹/۲) للسيوطى .

⁽A) سنده ضعيف لأجل الكلبى ، وقد روى الحاكم فى المستدرك (٣/ ٢٤٩) نحوه عن خالد بن سعيد ابن العاص، وقال الذهبى فى « التلخيص » : سنده منقطع .

أبا سَفيان صدقات خولان ونخلة ، وولى يزيد بن أبى سفيان (١) على نجران ، والله أعلم .

وكان حرش سعيد بن القشب الأسدى حليف بنى أمية فمات رسول الله على وهو عليها ، وكان المهاجر بن أبى أمية بن المغيرة بن عبد الله بن مخزوم المخزومى أخو أم سلمة أم المؤمنين رضى الله عنها صدقات كنده والصدف ، ثم ولاه أبو بكر الصديق رضى الله عنه اليمن ، وكان عمرو بن العاص بن وائل بن هشام بن سعيد ابن سهم السهمى (٢) حين وفاة رسول الله على عمان بعدما بعثه النبى على سرية نحو الشام إلى إخوال أبيه العاص بن وائل من بكى يدعوهم إلى الإسلام ويستفزهم إلى الجهاد ، ثم أمره رسول الله على بجليس فيه أبو بكر وعمر وأبو عبيدة بن الجراح رضى الله عنه فصلوا خلفه ، ثم عمل عمرو بن العاص بعد رسول الله على لا عنه فصلوا خلفه ، ثم عمل عمرو بن العاص بعد الطائف عثمان بن أبى العاص بن بعد دهمان الثقفى ، ومات رسول الله على وهو عليها . فإذا كان رسول الله على قد أسس هذا الأساس وأظهر بنى أمية الجميع الناس بتوليهم أعماله (٤) فيما فتح الله عليه من البلاد كيف لا يقوى ظنهم

⁽۱) يزيد أبو خالد بن صخر بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف القرشى الأموى ، أخو معاوية ، وكان يزيد أكبر وأفضل . وكان يقال له : يزيد الخير ، أسلم عام الفتح ، وحضر حنيناً ، واستعمله الصديق على ربع الجيش إلى الشام ، تولى دمشق أيام أبى بكر ، وعمر ، وكان أول من وليها من المسلمين ، وتوفى في طاعون عمواس (البداية والنهاية (٩٧/٨ ، ٩٧) .

⁽۲) الصحابی الجلیل ، ولاه النبی ﷺ جیش السلاسل ، عداده فی أهل مكة ، وكان من دهاة قریش، مات بمصر وكان والیاً علیها لیلة الفطر سنة إحدی أو اثنتین وستین فی ولایة یزید بن معاویة . انظر : الإصابة (۳/۲) ، أسد الغابة (۱۱۵/۶) ، مستدرك الحاكم (۵۱۲/۳) .

 ⁽٣) صحابى جليل ، توفى فى ولاية معاوية سنة خمسين من الهجرة . انظر ترجمته فى الإصابة
 (٢/ ٤٦٠) ، أسد الغابة (٣/ ٣٧٢) ، مستدرك الحاكم (٣/ ٤٠٥) .

⁽٤) وإلى نحو هذا أشار الإمام ابن تيمية في معرض رده على من أنكر على عثمان رضى الله عنه تولية بنى أمية واستعمالهم فقال : " إن بنى أمية كان رسول الله على يستعملهم في حياته واستعملهم من بعده من لا يتهم بقرابة ، فيهم : أبو بكر وعمر ، ولا تعرف قبيلة من قبائل قريش فيها عمال لرسول الله على أكثر من بني عبد شمس الأنهم كانوا كثيرين، وكان فيهم شرف وسؤدد..» ثم ذكر بعض ما تقدم في من استعمل من بنى أمية وقال : " . . . فقال عثمان : أنا لم أستعمل إلا من استعمله النبي ومن جنسهم ومن قبيلتهم ، وكذلك أبو بكر وعمر بعده ، فكان الاحتجاج على جواز الاستعمال من بنى أمية بالنص الثابت عن النبي منهاج السنة النبوية (٣/ ٢٣٦) ٧٣٧).

ولا ينبسط رجاهم ، ولا يمتد في الولاية أملهم ، أم كيف لا يضعف أمل بني هاشم ، وينقبض رجاهم ويقصر أملهم ، وكبيرهم العباس بن عبد المطلب وابن أخيه على بن أبي طالب رضى الله عنهما ، يريد أحدهما استعلام رسول الله ﷺ في مرض موته عن هذا الأمر هل هو فيهم أم في غيرهم ، ويأبي الآخر ذلك كما خَرّج البخارى من حديث الزهرى قال : « أخبرني عبد الله بن كعب بن مالك الأنصاري أن عبد الله بن عباس رضى الله عنه ، أخبره أن على بن أبي طالب رضى الله عنه خرج من عند رسول اللَّه ﷺ في وجعه الذي توفي فيه ، فقال الناس : يا أبا الحسن كيف أصبح رسول الله عَلَيْكُم ؟ قال : أصبح بحمد الله بارئاً ، فأخذ بيده العباس بن المطلب رضى الله عنه وقال له : أنت والله بعد ثلاث عبد العصا (١) ، وإني لأرى رسول الله ﷺ يتوفى في وجعه هذا ، إني لأعرف وجوه بني عبد المطلب عند الموت، اذهب بنا إلى رسول الله ﷺ فنسأله في من هذا الأمر ، إن كان فينا علمنا ذلك ، وإن كان في غيرنا علمناه ، فأوصى بنا ، فقال على : إنا والله لئن سألناها رسول الله ﷺ فمنعناها لا يعطيناها الناس بعده، وإنى والله لا أسألها من رسول اللَّه ﷺ ﴾ (٢)، رواه محمد بن إسحاق عن الزهرى ، إلا أنه لم يذكر ما قال في العصا ، وزاد في آخره: فتوفى رسول الله ﷺ حين اشتد الضحي من ذلك اليوم(٣)، وفي رواية :وخلا العباس بعلى رضى الله عنهما ، فقال له: هل تعلم أن رسول الله عَلَيْكُ أُوصَى إلى غيرك بشيء ؟فقال على: اللَّهم لا. خرج العباس على بغله حتى أتى عسكر أسامة بن زيد ، فلقى أبا بكر وعمر وغيرهما فقال : هل أوصاكم رسول الله عَلَيْكُ بشيء ؟قالوا : لا ، فرجع إلى على فقال: إن رسول الله عَلَيْكُ مقبوض فامدد يدك أبايعك، فيقال: عم رسول الله بايع ابن عم رسول الله ﷺ ويبايعك أهل بيتك، فإن مثل هذا الأمر لا يؤخر ، فقال: يرحمك الله ، ومن يطلب هذا الأمر غيرنا يا عم؟! وفي رواية أن العباس قال لعلى رضى الله عنهما : هلم يدك أبايعك . فقال :

⁽۱) قوله : عبد العصا : هو كناية عمن يصير تابعاً لغيره ، والمعنى أنه يموت بعد ثلاث ، وتصير أنت مأموراً عليك، وهذا من قوة فراسة العباس رضى الله عنه . من فتح البارى (٧/ ٧٤٩) .

⁽۲) رواه البخاری ك : المغازی ب/ ۸۶ (٤٤٤٧) ، وفی ك : الاستئذان (٦٣٦٦) ، وأحمد فی مسنده (7) وابن سعد فی « الطبقات » (7) (7) ، وابن إسحاق كما فی سيرة ابن هشام (٤٧٩/٤).

⁽٣) انظر الرواية في سيرة ابن هشام (٤/ ٢٧٩) .

إن لى برسول الله شغلاً ، ومن ذاك الذى ينازعنا فى هذا الأمر؟! (١) ، ورواية البخارى أثبت(٢).

وقال ابن سعد (٣): أنبأنا محمد بن عمر ، حدثنى محمد بن عبد الله بن أخى الزهرى ، يقول : حدثتنى فاطمة بنت الحسن ، قال : لما توفى رسول الله على الأهرى العباس يا على : قم حتى أبايعك ومن حضر ، فإن هذا الأمر إذا كان لم يرد مثله والأمر فى أيدينا ، فقال على : وأحد يطمع فيه غيرنا ؟! فقال العباس : أظن والله سيكون . فلما بويع لأبى بكر رضى الله عنه ورجعوا إلى المسجد سمع على التكبير فقال : ما هذا ؟ فقال العباس : ما ورد مثل هذا قط ، هذا ما دعوتك إليه فأبيت . قال على : أيكون هذا ؟ فقال العباس : ما ورد (٤) مثل هذا قط أهنا قط أهنا على .

وقال محمد بن عمر ، قد خرج أبو بكر رضى الله عنه من عند النبي عَلَيْكُ حين توفى، وتخلّف عنده على والعباس ، هذه المقالة خرّجها عبد الرزاق عن معمر عن الزهرى بمعناه (٦) .

قال عبد الرزاق: وكان معمر يقول لنا: أيهما كان أصوب عندكم رأياً؟ فنقول: العباس، فيأبى، ثم قال: لو أن علياً سأله عنها فأعطاه أياها فمنعه الناس كانوا قد كفروا، قال عبد الرزاق: فحدثنا به ابن عُينة فقال: قال الشعبى: لو أن علياً سأله عنها كان خيرا له من ماله وولده (٧).

⁽۱) رواه ابن سعد في « الطبقات الكبرى » (7/7/7) وفي سنده الواقدى محمد بن عمر وهو متروك كما في التقريب (1/7/7) لابن حجر .

⁽٢) لأن في الرواية الواقدي وهو متروك ، فرواية البخاري هي المقدمة عند التعارض .

⁽٣) في الطبقات الكبرى (٢/ ٢/ ٣٩) طبعة ليدن .

⁽٤) في الطبقات (ما رُدَّ) بحذف الواو .

⁽٥) في سندها محمد بن عمر الواقدي ، وقد تقدم بيان حاله .

⁽٦) انظر : فتح الباري (٧ / ٧٤٩) .

⁽۷) ذكره الحافظ في الفتح (۷ / ۷۵۰) .

⁽٨) ساقط من المخطوطة .

⁽٩) هو التابعي الثقة إسماعيل بن أبي خالد الأحمسي البجلي الكوفي ، وثقه ابن مهدى ، وابن معين، وقال العجلي : كوفي تابعي ثقة .

التهذيب (١/ ٢٩١) ، التقريب (١/ ٦٨) ، رجال مسلم (١/ ٥٧) .

عن الشُعبى (١) قال : قال العباس لعلى رضى الله عنهما حين مرض النبى على : إنى أكاد أعرف فى وجه رسول الله على الموت ، فانطلق بنا إليه نسأله من يستخلف منا آنذاك ، وإلا أوصى بنا ، فقال على للعباس كلمة فيها جفاء، فلما قبض النبى قال العباس لعلى : ابسط يدك فلنبايعك ، فقبض يده ، قال الشعبى : لو أن عليا أطاع العباس كان خيراً من حُمر النعم(٢) ، وقد رويت مع هذا الحديث أحاديث أخر إن كانت صحيحة فلا سبيل إلى ردها ،وإن كانت(٣) مفتعلة فقد صارت داعية إلى هذا الأمر الذي وقع النزاع [فيه] (٤) وطال الخصام عليه .

منها: ما رواه ابن الكلبى عن الحكم بن هشام الثقفى قال: مات عبيد الله بن جحش عن أم حبيبة بنت أبى سفيان ، وكانت معه بأرض الحبشة فخطبها النبى الله الله النجاشى فدعا القرشيين ، فقال : من أولاكم بأمر هذه المرأة ؟ فقال خالد بن سعيد بن العاص : أنا أولاهم بها . قال (٥): فزوج نبيكم . قال : فزوجه ومهر عنه النجاشى أربعمائة دينار .

وحملت إلى النبى عَلَيْ ومعهما الحكم بن أبى العباس فجعل النبى عَلَيْ يكثر النظر إليه ، فقيل : يا رسول الله إنك لتكثر النظر إلى هذا الشاب ، فقال : أليس ابن المخزومية ؟ قالوا : بلى ! قال : إذا بلغ بنو هذا أربعين رجلاً كان الأمر فيهم ، وكان مروان بن الحكم إذا جرى بينه وبين معاوية بن أبى سفيان كلام قال لمعاوية : إنى والله لأبو عشيرة وأخو عشيرة وما بقى ألا عشرة حتى يكون إلا في ، فيقول معاوية . أخذها والله من عين صافية . فهذا الحديث كما نسمع (١) .

⁽۱) عامر بن شراحيل بن عبد ابن أخى قيس الشعبى ، نسبة إلى شعب همذان الكوفى ولد لست سنين خلت من خلافة عمر ، وتوفى سنة ١٠٦ هـ ، وكان فقيهاً شاعراً ، من كبار الثقات . التهذيب (٥/٥١) ، التقريب (٣٨٧) ، مشاهير علماء الأمصار (٦٦) لابن حبان .

⁽۲) رواه ابن سعد فی « الطبقات الکبری » (۲/ ۳۸/۲) وسنده مرسل.

⁽٣) في خ : كان .

⁽٤) ساقط من المخطوطة .

⁽٥) ذكر ذلك ابن هشام في السيرة (٢٦٨/٤) ، وابن كثير في البداية (٦/ ٢٥٧) .

⁽٦) في سنده ضعف ، لأجل ابن الكلبي محمد بن السائب ، وهو متروك كما تقدم ، ولبعضه شواهد سوف يذكرها المصنف .

وقد روى أبو بكر بن أبى شيبة من حديث عبد الملك بن عمير (١) قال : قال معاوية معاوية ما زلت أطمع فى الخلافة مُذ قال رسول الله ﷺ : إن ملكت يا معاوية فأحسن (٢) ، وقال وكيع : ثنا الأعمش عن أبى صالح قال : كان الحادى يحدو بعثمان رضى الله عنه ويقول : إن الأمير بعده عكى ، وفى الزبير خلف. فقال كعب الأحبار: بل هو صاحب البغلة الشهباء (٣) يعنى معاوية ، فلقاه فقال : يا أبا إسحاق ما يقول هذا وهاهنا على والزبير وأصحاب محمد ﷺ ، قال : أنت صاحبها (٤) . وقد جاء من طرق عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : رأيت فى النوم بنى الحكم أو بنى أبى العاص وآخرون على منبرى كما تتروا القردة قال : فما رُوى النبى ﷺ مستجمعا ضاحكا حتى توفى (٥) .

وعن سعيد بن المسيب قال : رأى النبي ﷺ بنى أمية على منابرهم فساءه ذلك ، فأوحى إليه إنما هى دنيا هى دنيا أعْطوها فَقَرَّت عينه ، وهى قوله : ﴿ وَمَا جَعَلْنَا الرَّوْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلاَّ فَتْنَةً لَلنَّاسِ ﴾ (٦) يعنى : بلاء للناس (٧) .

⁽١) في خ :من حديث عبد الله وما بعده ساقط ، والتصويب من «المصنف» لابن أبي شيبة .

⁽۲) لفظ الحديث: ما زلت أطمع في الخلافة مذ قال لي رسول الله عليه : يا معاوية إن ملكت فأحسن . رواه ابن أبي شيبة في المصنف ك: الأمراء (١٤٨/١١) ، والبيهقي في « دلائل النبوة» (٢/٢٤٤) ، وله شاهد من حديث عمرو بن سعيد بن العاص بلفظ: إن وليت أمراً فاتق الله واعدل . قال معاوية: فما زلت أظن أني مبتلي بعمل لقول رسول الله علي . رواه أحمد في مسنده (٤ / ١٠١) والطيالسي (٢٦٨٧ _ منحة) والطبراني في « الكبير » (١٠١٩) ، وأبو يعلى كما في « المطالب العالية » (٨٥٠) وعزاه الهيثمي في « المجمع » (٢٥٦/٣٦) إلى الطبراني في « الكبير » و« الأوسط » وأبي يعلى وقال : رجاله رجال الصحيح .

⁽٣) الشهباء : هي التي بها شعر يخالف البياض (المعجم الوجيز / ٣٥٢) .

⁽٤) المصدر السابق ، والأثر مرسل .

⁽٥) رواه الحاكم في المستدرك (٤/ ٤٨٠) ، وأبو يعلى « مطالب عالية » (٤٥٣٥) والبيهقي في «دلائل النبوة » (٢/ ٢١١) ، وابن الجوزي في « العلل المتناهية » (٢/ ٢١٢) وضعفه ، وقال الهيئمي في طريق أبي يعلى (٥/ ٢٤٤) : رجاله رجال الصحيح غير مصعب بن عبد الله بن الزبير وهو ثقة ، وصححه الحاكم ، وأقره الذهبي وفي سنده عنده مسلم بن خالد الزنجي ، وهو مختلف فيه، قال ابن حجر في التقريب (٢/ ٢٤٥) : صدوق كثير الأوهام .

⁽٦) الإسراء: ٦٠.

⁽۷) رواه ابن أبى حاتم فى « تفسيره » وسنده ضعيف قاله ابن حجر فى الفتح (۸/ ٢٥٠) ، وقال ابن كثير فى « البداية » (٧/ ٢٤٨) : فيه على بن زيد وهو ضعيف والحديث مرسل .

وقد روى أن رجلا قام إلى الحسن بن على رضى الله عنهما فقال : يا مُسِّود وجه المؤمنين. فقال : لا تؤنبنى ، رحمك الله ، فإن رسول الله ﷺ قد رأى بنى أمية يخطبون على منبره رجلا رجلا فساءه ذلك فنزلت ﴿ إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكُوثُور ﴾ (١) والكوثر نهر في الجنة، ونزلت ﴿ إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ . وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ . لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مَنْ أَلْفِ شَهْرٍ ﴾ (٢) يعنى تملّك بنو أمية فحسب ذلك فإذا هو لا يزيد ولا ينقص (٣) .

وعن أبى هريرة وأبى سعيد الخدرى رضى الله عنهما: أن رسول الله ﷺ قال: « إذا بلغ بنو أبى العاص أربعين رجلاً اتخذوا دين الله دَغَلاً (٤) وعباد الله خولاً(٥) ومال الله دولاً (٦) » (٧) .

قال الزبير بن بكار: قال عمى مصعب عن عبد الله بن محمد بن يحيى بن عروة أو غير عبد الله واحد ، ثنيه محمد بن الضحاك الخزامى عن أبيه أن عمرو بن عثمان بن عفان اشتكى ، وكان العُوّاد يدخلون عليه فيخرجون ويتخلف مروان بن الحكم عنده فيطيل ، فأنكرت رملة بنت معاوية ذلك _ وهى امرأة عمرو بن عثمان فخرقت كوّة واستمعت على مروان فإذا هو يقول لعمرو: ما أخذ هؤلاء الخلافة إلا باسم أبيك فما يمنعك أن تنهض بحقك ، فنحن أكثر منهم رجالاً ، منا فلان ومنهم

⁽١) الكوثر : ١ .

⁽٢) القدر: ١ ـ ٣ .

⁽٣) رواه الترمذى ك: التفسير (٥/ ١١٥) ، والبيهقى فى « دلائل النبوة » (٦/ ١١٥) وعزاه ابن كثير إلى ابن جرير ، والحاكم ، ونقل عنه الحافظ المزى قوله: هذا حديث منكر . البداية والنهاية (٧/ ٢٤٩) ، وضعفه الحافظ فى الفتح (٨/ ٢٥٠) وقال الترمذى : غريب .

⁽٤) قوله : دغلا : أى يخدعون به الناس . وأصل الدَّغل : الشجر الملتف الذى يكمن أهل الفساد فيه ، وقيل : هو من قولهم : أَدْغَلْتُ في هذا الأمر إذا أَدْخَلْت فيه ما يفسده ويخالفه . النهاية (٢/ ١٢٣) .

⁽٥) الخَوَلُ : حَشَمُ الرجل وأتباعه وهو مأخوذ من التخويل : بمعنى التَّمليك ، وقوله : اتخذوا عباد الله خَوَلاً : أي خدماً وعبيداً . يعنى أنهم يستخدمونهم ويستعبدونهم . النهاية (٢/ ٨٨) .

⁽٦) قوله دُولًا : جَمع دولة : وهو ما يُتداوَلُ من المالِ ، فيكون لقوم دون قوم. النهاية (٢/ ١٤٠) .

⁽۷) رواه أحمد (۳/ ۸۰) ، والبزار (كشف الأستار: ١٦٢٠) ، والحاكم في المستدرك (٤/ ٤٨) من طريق عطية العوفي عن أبي سعيد الحدري ، ورواه البيهقي في « الدلائل » (٢/ ٥٠٧) عن أبي هريرة ، وأخرجه الحاكم (٤٧٩/٤) عن أبي ذر من طريقين ، وصححه الحاكم وأقره الذهبي ، وأسانيده لا تخلو من مقال ، وهي حسنة بمجموعها ، وانظر البداية (٧/ ٢٤٧) ، مجمع الزوائد (٢٤٧/٧) .

فلان ، ومنا فلان ومنهم فلان ، حتى عَدّد رجالاً ثم قال : ومنا فلان وهو فضل وفلان وهو فضل وفلان وهو فضل ، حتى يعدد فضول رجال بنى أبى العاص على بنى حرب ، فلما برأ عمرو وتجهز للحج وتجهزت رَمْلة فى جهازه ، فلما تجهز وخرج عمرو إلى الحج فخرجت رملة إلى أبيها فقدمت عليه الشام ، فقال لها معاوية: واسوأتاه وما للحُرّة تطلق! طلقك عمرو ؟ فأخبرته الخبر ، وقالت: وما زال يعد رجال بنى أبى العاصى على بنى حرب حتى ابنى عثمان وخالد ابنى عمرو ، فتمنيت أنهما ماتا ، فكتب معاوية إلى مروان بن الحكم (شعراً) :

أواضع رجْل فوقِ أخرى تَعدُّنَا عديد الحصى ما إن تزال تكاثر وأمكم ترخر تـومـاً لبعلها وأمكم نزره الولد عاقر

واشهد يا مروان أنى سمعت رسول الله ﷺ يقول : إذا بلغ ولد الحكم ثلاثين رجلاً اتخذوا مال اللّه دولاً، ودين الله دخلاً ، وعباد الله خولا ، فكتب إليه مروان: أما بعد يا معاوية ، فإنى أبو عشرة وعم عشرة والسلام (١) .

وروى عن معاوية أنه قال لعبد الله بن عباس رضى الله عنهما : أنشدك الله يا ابن عباس ، أما تعلم أن رسول الله ﷺ ذكر هذا _ يعنى : مروان بن الحكم ، فقال : أبو الجبابرة الأربعة ، فقال ابن عباس : اللهم نعم (٢) .

وقد اقتدى برسول الله ﷺ في ولاية الأعمال : أبو بكر الصديق رضى الله عنه فإنه لما استخلف بعد رسول الله ﷺ، وارتدت العرب قطع رضى الله عنه البعوث ، وعقد أحد عشر لواء (٣) على أحد عشر جندا ، فعقد لخالد بن الوليد (٤) المخزومي

⁽١) انظر البداية والنهاية (٧/ ٢٤٨) لابن كثير .

⁽۲) ذكره في مجمع الزوائد وعزاه إلى الطبراني وقال (٥/ ٢٤٣) : فيه ابن لهيعة وفيه ضعف ، ورواه البيهقي في «الدلائل » (١١/٦) وقال ابن كثير في البداية (٧/ ٢٤٨) : فيه ضعف ونكارة شديدة .

⁽٣) انظر تفصيل ذلك في « البداية والنهاية » (٦/ ٣١٩) .

⁽٤) الصحابى الجليل سيف الله المسلول ، بعثه الصديق وأمر أن يذهب أولاً إلى طليحة الأسدى ، ثم يذهب بعده إلى بنى تميم ، وكان طليحة فى قومه بنى أسد ، وفى غطفان ، وانضم إليهم بنو عبس وذبيان . راجع البداية والنهاية (٦/ ٣٢١) ، مستدرك الحاكم (٣/ ٣٣٦) .

وبعثه لقتال طلحة بن خويلد الأسدى ، ثم مالك بن نويرة ، وعقد لعكرمة بن أبى جهل (۱) المخزومى، وبعثه لقتال مسيلمة بن ثمامة بن المطرح بن ربيعة بن الحارث(۲)، وعقد للمهاجر ابن أبى أمية المخزومى وبعثه لقتال جنود الأسود بن كعب بن عوف العنسى ومعونة الأبناء على قيس (7) بن المكشوح ، وعقد لخالد بن سعيد بن العاص ابن أمية وبعثه إلى مشارف الشام، وعقد لعمرو بن العاص وبعثه إلى قضاعة ، وعقد لحذيفة بن محصن العلقانى 2 من علقان 2 ابن شرحبيل بن عمرو بن مالك بن يزيد بن ذى الكلاع وبعثه إلى «دُبا» وهى مدينة قديمة من مدن عمان ، وعقد لعرفجة بن هرثمة وبعثه إلى مهرة ، وبعث شرحبيل بن حسنة (2) فى أثر عكرمة بن أبى جهل ، فإذا فرغ باليمامة لحق بقضاعة ، وعقد لطرفة بن حاجب (6) وبعثه إلى بني سليم ومن معهم من هوازن، وعقد لسويد بن مقرن بن عائد المزنى (7) ، وبعثه أبى عامل تهامة اليمن ، وعقد للعلاء بن الحضرمى وبعثه إلى البحرين ، فلحق كل أمير بجنده حتى انقضت حروب الردة ، فبعث أبو بكر رضى الله عنه خالد بن أبى عامل تهامة وأردفه بغيلان بن غنم بن زهير بن أبى شداد بن ربيعة بن هلال الوليد لفتح العراق وأردفه بغيلان بن عمرو ، ووجه الجنود إلى الشام ، فبعث خالد ابن وهب الفهرى وأمدها بالقعقاع بن عمرو ، ووجه الجنود إلى الشام ، فبعث خالد ابن سعيد بن العاص وأردفه بذى الكلاع ، وعكرمة بن أبى جهل ، وعمرو بن أبى سعيد بن العاص وأردفه بذى الكلاع ، وعكرمة بن أبى جهل ، وعمرو بن

⁽۱) صحابى جليل ، أسلم يوم الفتح ، وحَسُن إسلامه ، واستشهد بالشام فى خلافة أبى بكر الصديق على الصحابة (٣/ ٢٦٩).

⁽٢) المعروف بمسيلمة الكذاب . انظر مقتله في البداية والنهاية (٦/٣٢٨) .

⁽٣) بعثه أبو بكر الصديق لقتال الأسود العنسى ، فطمع فى الإمرة باليمن فعمل لذلك ، وارتد عن الإسلام وتابعه عوام أهل اليمن ، فكتب الصديق إلى الأمراء والرؤساء من أهل اليمن أن يكونوا عوناً إلى فيروز والأبناء على قيس بن مكشوح. انظر تفصيل ذلك فى البداية والنهاية (٦/ ٣٣٥).

⁽٤) شرحبيل بن عبد الله بن المطاع ، من كندة ، حليف لبنى زهرة ، صحابى جليل ، من مهاجرة الحبشة . قال ابن إسحاق : هاجرت حسنة مع زوجها سفيان بن معمر الجمحى ، ومات فى خلافة عمر يوم اليرموك سنة ثمانى عشرة ، وقيل : فى طاعون عمواس بالشام . المستدرك $(\pi \cdot \pi)$) ، أسد الغابة $(\pi \cdot \pi)$) ، الإصابة $(\pi \cdot \pi)$) .

⁽٥) في المخطوط: طريفة بن جلحم، والتصحيح من كتب التاريخ. انظر: البداية والنهاية (٦/ ٣٢١).

⁽٦) نسبة إلى مزينة بن عمرو أو ابن طانجة المدنى ، كنيته : أبو عمرو ، له صحبة وسماع من النبى ﷺ ، عداده فى الكوفيين ومات بها . انظر ترجمته فى الإصابة (٢/ ١٠٠) ، أسد الغابة (٣٨ / ٣٨) ، المستدرك (٣/ ٣٣٤) .

العاص ، والوليد بن عُتبة، وعقد ليزيد بن أبي سفيان بن حرب على جيش عظيم هو جمهور من انتدب إليه ، وجهزه عوضاً عن خالد بن الوليد ، وعقد لأبي عبيدة ابن الجراح (۱) وبعثه إلى حمص ، وأمد يزيد بن أبي سفيان بأخيه معاوية بن أبي سفيان ومعه جيش ، فنزل أبو عبيدة الجابية ، وترك يزيد البلقاء ، ونزل شرحيبل بن حسنة الأردن ، وقيل: بصرى ، ونزل عمرو بن العاص القربات. ولما مات أبو بكر رضى الله عنه واستخلف من بعده عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، كانت عُماله على مكة: نافع بن عبد الحارث الخزاعي ، وعلى الطائف: عثمان بن أبي العاص بن أمية ثم سفيان بن عبد الله الثقفي (۱) ، وعلى اليمن: يَعْلى بن منية ((1)) ، وعلى البحرين : العلاء بن الحضرمي ، ثم عثمان بن أبي العاص ، وعلى العاص ، وعلى البحرين : العلاء بن الحضرمي ، ثم عثمان بن أبي العاص ، وعلى البحرين : العلاء بن الحضرمي ، ثم عثمان بن أبي العاص ، وعلى الكوفة: سعد بن أبي وقاص رضى الله عنه ، ثم المغيرة بن أبي شعبة (٤) رضى الله عنه ، ثم أبو موسى الأشعرى ((1)) رضى الله عنه ، ثم أبو موسى الأشعرى ((1)) رضى الله عنه ، ثم أبو موسى الأشعرى ((1)) رضى الله عنه ، ثم أبو موسى الأشعرى ((1))

⁽۱) أبو عبيدة عامر بن عبد الله بن الجراح بن هلال ، صحابى جليل سماه رسول الله ﷺ أمين هذه الأمة ، توفى بالأردن سنة ثمانى عشرة ، وصلى عليه معاذ بن جبل ــ رضى الله عنهما . (المستدرك : ٣/ ٢٩٤) طبقات ابن سعد (٣/ ٢٩٧١) .

⁽٢) سفيان بن عبد الله بن ربيعة الثقفى ، كنيته : أبو عمر ، له صحبة من النبى على الله ، حديثه فى البصريين . وقال بعضهم : فى أهل الطائف ، وكان عامل عمر على الطائف . الإصابة (٥٤/٢) ، أسد الغابة (٣١٩/٢) ، التقريب (١/٣١١) .

⁽٣) يعلى بن أمية بن أبى عبيدة بن همام بن الحارث بن حنظلة الثقفى حليف لبنى نوفل بن عبد مناف، وهو الذى يقال له: يعلى بن منية أو أمية ، ومنية أمة، وهى بنت غزوان امرأة من بنى تميم، له صحبة من النبى ﷺ. انظر: الإصابة (٣/ ٦٦٨) ، أسد الغابة (٥/ ١٢٨) ، المستدرك (٣/ ٤٧٨) .

⁽٤) المغيرة بن شعبة بن أبى عامر بن مسعود، كنيته: أبو عبد الله، ويقال: أبو عيسى، الثقفى ، صحابى جليل ، ولى البصرة نحو سنتين ، وله بها فتوح ، وولى الكوفة ومات بها ، وله بها دار فى ثقيف، شهد الحديبية مع رسول الله ﷺ ، توفى سنة خمسين فى الطاعون. المستدرك ك : فضائل الصحابة (٣/ ٥١٢) أسد الغابة (٤/ ٢/٤) ، الإصابة (٣/ ٤٥٢) ، التجريد (٢/ ٩١) للذهبى .

⁽٥) عمار بن ياسر بن مالك بن كنانة حليف بنى مخزوم، كنيته: أبو اليقظان، صحابى جليل شهد بدراً والمشاهد مع النبى على الله عنه . والمشاهد مع النبى على الله عنه . أسد الغابة (٤٣/٤) ، الإصابة (٢/٢٥) ، المستدرك (٣/٤٣٤) ، طبقات ابن سعد (٣/١/٣١) .

⁽٦) عبد الله بن قيس بن سليم صاحب رسول الله على ، وفد على رسول الله على في ليالى خيبر ، ثم لزمه وجاهد معه، وأرسله مع معاذ بن جبل واليا على مخلاف من اليمن، توفى سنة ٤٤ هـ . طبقات القراء (١/ ٢٩٨) ، حلية الأولياء (١/ ٢٥٦) ، تهذيب الأسماء (٢/ ٢٩٨) للنووى ، الإصابة (٢/ ٣٥٩) ، أسد الغابة (٣/ ٢٤٥) .

الله عنه ، وعلى الشام : أبو عبيدة بن الجراح رضى الله عنه ، ثم يزيد بن أبى سفيان رضى الله عنهما ، وعلى الجزيرة : عياض بن غنم (١) رضى الله عنه ، وعلى مصر : عمرو بن العاص رضى الله عنه .

فانظر كيف لم يكن في عمال أبي بكر وعمر رضى الله عنهما أحد من بني هاشم ، فهذا وشبهه هو الذي حَد أنياب بني أمية وفتح أبوابهم ، وأنزع كأسهم ، وقتل أمراءهم ، حتى لقد وقف أبو سفيان بن حرب على قبر حمزة رضى الله عنه فقال : رحمك الله أبا عمارة ، لقد قاتلتنا على مُر صار إلينا .

وروى أن الأمر لما أفضى إلى عثمان بن عفان رضى الله عنه أتى أبو سفيان قبر حمزة رضى الله عنه فوكزه برجله ثم قال : يا حمزة ، إن الأمر الذى كنت تقاتلنا عليه بالأمس قد ملكناه اليوم وكُنا أحق به منهم (٢) .

قال مؤلفه : وما هى إلا الدنيا ، وإن الدين لعارض فيها والعاجلة محبوبة ، وبهذا ارتفعت رؤوس وضعفت نفوس ، فإن دلائل الأمور تسبق وتباشير الخير تُعرف ولله فى خلقه قضاء يمضيه ويأبى الله أن يتم شىء من أمر الدنيا إلا ويعتريه النقص.

فصل: لما كانت بنو هاشم من بين قريش كلها قد اختصها الله سبحانه بهذا الأمر – أعنى: الدعوة إلى الله تعالى والنبوة والكتاب ، فحازت بذلك الشرف الباقى، وكانت أحوال الدنيا من الخلافة والملك ونحوه زائلة ؛ لهذا زواها الله عنهم تنبيها على شرفهم وعُلو مقدارهم ، فإن ذلك هو خيره الله لنبيه محمد عليه ، كما قد ثبت أنه على شرفهم اختر أن يكون نبياً ملكاً (٣) ،

⁽۱) عياض بن غُنُم أبو سعد الفهرى ، شهد بدراً وما بعدها ، وكان سمحاً جواداً شجاعاً ، وهو الذى افتتح الجزيرة ، وهو أول من جاز درب الروم غازياً ، واستنابه أبو عبيدة بعده على الشام، فأقره عمر عليها إلى أن مات سنة عشرين ، البداية (۷/ ۱۰۰) لابن كثير ، طبقات ابن سعد (۳/ ۱/ ۳) ، الإصابة (۲/ ۲۷) .

⁽۲) لم يذكر المؤلف سنده، يُشبه أن يكون من أكاذيب الشيعة على معاوية وأبيه ـ رضى الله عنهما. (٣) وذلك فيما رواه أبو هريرة أن ملكاً جاء إلى النبي ﷺ فقال : يا محمد ، أرسلني إليك ربك أفملكاً نبيا أجعلك أو عبداً رسولاً . فقال جبريل : تواضع لربك يا محمد . قال ﷺ : بل عبداً رسولاً . رواه أحمد (٢٣١/٣) ، والبزار (كشف الأستار : ٢٤٦٢) ، وابن حبان (موارد : ٢١٣٧)، وأبو الشيخ في أخلاق النبوة (١٩٨) ، وذكره الهيثمي « مجمع » (١٩/٩) وقال : «رواه أحمد والبزار وأبو يعلى ورجال الأولين رجال الصحيح » وصححه ابن حبان .

وسأل مثل ذلك لآله كما ثبت في الصحيحين وغيرهما من حديث عمارة بن زرعة عن أبي هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: « اللهم اجعل رزق آل محمد قوتاً » (١).

وروی أبو عیسی الترمذی من حدیث عبد الله بن زحر عن عَلی بن یزید عن القاسم بن عبد الرحمن عن أبی أمامة رضی الله عنه ، عن النبی ﷺ قال : «عَرَض عَلَی ربی لیجعل لی بَطحاء (۲) مَكَّةَ ذَهَباً ، فقلت : لا یا رب ، ولكن أشبع یوماً ، وأجوع یوماً ، وقال ثلاثاً أو نحو هذا ، فإذا جعت تضرعت إلیك وذكرتك ، وإذا شبعت شكرتك وحمدتك » قال الترمذی : هذا حدیث حسن (۳) .

وخرج البخارى من حديث ابن أبى ليلى ، حدثنا على رضى الله عنه أن فاطمة عليها السلام اشتكت ما تلقى من الرحى مما يطحن ، فبلغها أن رسول الله ﷺ أتى بسبى ، فأتنه تسأله خادماً فلم توافقه ، فذكرت عائشة له ، فأتانا وقد دخلنا مضاجعنا فذهبنا لنقوم ، فقال : على مكانكما ،حتى وجدت برد قدميه على صدرى ، فقال : أدلكما على خير مما سألتما : إذا أخذتما مضاجعكما فكبراً أربعاً وثلاثين ، واحمدا ثلاثا وثلاثين ، فإن ذلك خير لكما مما سألتمانى . وأخرجه مسلم أيضاً (٤) .

ولأبى داود من حديث أبى الورد عن على بن أعبد قال : قال لى على - رضى الله عنه : ألا أحدثك عنى وعن فاطمة بنت رسول الله على ، وكانت من أحب أهله إليه ، قلت : بلى ، قال : فإنها جرت بالرحى حتى أثرت في يدها ، واستقت بالقربة حتى أثر في نحرها ، وكنست البيت حتى أغبرت ثيابها ، فأتى النبى واستقت بالقربة حتى أثر في نحرها ، وكنست البيت حتى أغبرت ثيابها ، فأتى النبى خدم ، فقلت : لو أتيت أباك فسألتيه خادماً ، فأتته فوجدت عنده أحداثاً ،

⁽۱) رواه البخارى ك : الرقائق ب/۱۷ (٦٤٦٠) ومسلم ك : الزكاة ب/٢٣ (٦٤٦٠) والترمذى ك : الزهد (٤١٣٩) ، وابن ماجة ك : الزهد (٤١٣٩) ب/ القناعة ، وأحمد في مسنده (٧١٧٦) . (٢) البَطْحَاءُ : المكان الواسع فيه دُقَاِقُ الحصى ، والجمع : أباطِحُ . القاموس (١/ ٢٨٥) .

⁽٣) رواه الترمذى ك : الزهد برً ما جاء في الكفاف (٢٣٤٧) ، وابن المبارك في « الزهد » (٣) رواه الترمذى ك : الزهد برً (٢٥٤٥) ، وابن سعد في « الطبقات » (١٠١/٢/١) واللفظ له ، وابن سعد في « الطبقات » (١٠١/٢/١) واللفظ له ، وأبو نعيم في « الحلية » (١٣٣/٨) ، والبغوى في « شرح السنة » (٤٠٤٣) وفي سنده على بن ربد وهو ضعيف .

⁽٤) رواه البخارى فى ك : النفقات (٣٥٦١) ، و : فضائل الصحابة (٣٧٠٥) ، ك : الدعوات (٦٣١٨) ، ومسلم ك : الذكر والدعاء (٢٧٢٧) ، وأبو داود ك : الأدب ب/١٠٩ (٢٠٦٠) .

فرجعت فأتاها من الغد فقال : ما كان حالك ، فسكتت ، فقلت: أنا أحدثك يا رسول الله ، جرت الرحى حتى أثرت في يدها ، وحملت القربة حتى أثرت في نحرها ، فلما أن جاء الخدم أمَرْتُها أن تأتيك فتستخدمك خادماً تقيها حَرّ ما هي فيه، فقال : اتقى الله يا فاطمة وأدِّى فريضة ربك واعملى عمل أهلك ، فإذا أخذت مضجعك فسبحى ثلاثأ وثلاثين واحمدى ثلاثأ وثلاثين وكبرى أربعا وثلاثين فهي خير لك من خادم ، قالت : رضيت عن الله وعن رسوله (١) .

وفي الصحيحين وغيرهما من حديث عامر بن سعد عن أبيه عن النبي ﷺ أنه قال: «إنى لأعطى الرجل وغيرُه أحب إلىّ منه خشية أن يكب في النار على وجهه»(٢).

وفي رواية « فوالله إني لأعطى الرجل وأدع الرجل ، والذي أدع أحب إلى من الذي أعطى ، ولكني أعطى أقواماً لما أرى في قلوبهم من الجزع والهلع وأكِلُ أقواما إلى ما جعل الله في قلوبهم من الغني والخير » (٣) .

ومن حديث أنس بن مالك رضى الله عنه عن النبي ﷺ ﴿ إِنِّي أَعْطَى رَجَالًا حدیثی عهد بکفر أتألفهم » (٤) ، وروی ابن وهب عن عمرو بن الحارث أن بکر بن جنادة حدثه أن أبا سالم الحبشاني حدثه عن أبي ذر رضى الله عنه أن رسول الله وَيُنْكُونُ قَالَ: كيف ترى جُعَيْلاً (٥) قال: قلت: [مسكيناً] (٦) كشكلة من الناس، قال:

⁽١) عن أبي داود في ك : الأدب ب/١٠٩ في التسبيح عند النوم (٥٠٦٣) (٥٠٦٤) وفي سنده : على بن أعبد، قال على بن المديني : ليس بمعروف ولا أعرف له غير هذا الحديث ، وأصله ثابت بالرواية السابقة.

⁽٢) رواه البخاري ك : الإيمان ب/١٩ (٢٧) ، ومسلم ك : الزكاة ب/ ٤٥ إعطاء من يخاف على إيمانه (۱۳۱/ ۱۰۵۸) ، والنسائي ك : الإيمان (۸/ ۱۰۶) ، وأبو داود ك : السنة (۲۸۳) وأحمد في مسنده (١/ ١٧٦) .

⁽٣) رواه البخاري ك : الجمعة (٩٢٣) ك : فرض الخمس ب/١٩ (٣١٤٥) وك : التوحيد (٧٥٣٥) من حديث عمرو بن تغلب .

⁽٤) رواه البخارى ك : فرض الخُمس ب/١٩ (٣١٤٧) ، ومسلم ك : الزكاة ب/٣ (١٠٥٩/١٣٢) ، وأحمد (٤ / ١٣٣٤٦) عن أنس بن مالك .

⁽٥) هو جعيل بن سراقة الضمرى ذكر فيه أبو نعيم في ترجمته (٣٥٣/١) حديثا عن محمد بن إبراهيم بن الحارث أن قائلًا قال لرسول الله ﷺ أعطيت يا رسول الله عيينة والأقرع مائة مائة ، وتركت جعيل بن سراقة ؟ فقال ﷺ : ﴿ أَمَا وَالَّذِي نَفْسَى بِيدُه لِجَعِيلُ خَيْرٍ مِنْ طَلَاعِ الأَرْض كلهم مثل عيينة والأقرع ، ولكني تألفتهما ليسلما، ووكلت جعيلا إلى إسلامه » .

⁽٦) سقطت من المخطوطة .

كيف ترى فلانا ، قال : قلت : سيداً من سادات الناس ، قال : فجُعيَل خير من ملء الأرض أو ألف ، ونحو ذلك من فلان قال : قلت : يا رسول الله ففلان هكذا وأنت تصنع به ما تصنع قال : « إنه رأس قومه ، وأنا أتألفهم به » (١)، قال جامعه : وهذا على بن أبى طالب رضى الله عنه ، كان يعلم أن رسول الله عنه يربأ (٢) ببنى هاشم عن ولاية الأعمال .

كما ثبت في صحيح مسلم وغيره عن مالك عن ابن شهاب أن عبد الله بن نوفل بن الحارث بن عبد المطلب ، حدّثه أن عبد المطلب بن ربيعة بن الحارث حدثه قال: اجتمع ربيعة بن الحارث والعباس بن عبد المطلب فقالا ، والله لو بَعَثْنَا هذين الغلامين (قال لي وللفضل بن العباس) إلى رسول الله على فده الصدقات ، فأديا ما يؤدى الناس وأصابا مما يصيب الناس ، قال : فبينما هما في ذلك ، جاء على بن أبى طالب فوقف عليهما فذكرا له ذلك فقال : لا تفعلا فوالله ما هو بفاعل ، فانتحاه (٣) ربيعة بن الحارث فقال : والله ما تصنع هذا إلا نفاسة (٤) منك ، فوالله لقد نلت صهر رسول الله عليه فما نفسناه عليك .

قال على _ رضى الله عنه : أرسلوهما، فانطلقنا واضطجع ، فلما صَلّى رسول الله ﷺ الظهر سبقناه إلى الحجرة ، فقمنا عندها حتى جاء فأخذ بآذاننا ، قال : أخرجا ما تصرّرانه (٥) ، ثم دخل ودخلنا عليه وهو يومئذ عند زينب بنت جحش ،

⁽۱) رواه ابن وهب في « جامعه » ، وعنه الروياني في « مسنده » كما في « فتح البارى » (۱/۱۰) وأبو نعيم في «الحلية » (۳۰۳/۱) ، وقال ابن حجر إسناده صحيح . ويؤخذ من هذه الأحاديث أنه يَخْ كان يوسع العطاء لمن أظهر الإسلام تألفاً ، فلما أعطى الرهط وهم من المؤلفة ، وترك جعيلا ، وهو من المهاجرين ، أوضح علة ذلك : أنه لو ترك إعطاء المؤلف لم يؤمن ارتداده فيكون من أهل النار .

انظر : بحث هذا فی فتح الباری (۱۰۱/۱) ، (۱۸۱/۸) ، شرح السنة (٤/٥٤) للبغوی . (۲) يربأ بفلان عن كذا : يرفعه وينزهه (المعجم الوجيز : ۲۵۰) .

⁽٣) فانتحاه ربيعة : معناه عرض له وقصده .

⁽٤) في الأصل : نحاسة ، وهو خطأ ، وقوله : (نفاسة منك) أي حسداً منك لنا . شرح مسلم (٧/ ١٧٨) للنووي.

⁽٥) في المخطوط: تسوران ، والتصحيح من « صحيح مسلم » ، وقوله تصران : معناه : تجمعانه في صدوركما من الكلام . وكل شيء جمعته فقد صررته . ووقع في بعض النسخ : تسرران بالسين، من السر . أي ما تقولانه لي سراً . انظر : صحيح مسلم بشرح النووي (٧/ ١٧٨) .

قال : فتواكلنا الكلام ، ثم تكلم أحدنا فقال : يا رسول الله ، أنت أبرأ الناس ، وقد بلغنا النكاح فجئنا لتأمرنا على بعض هذه الصدقات فنؤدى إليك كما يؤدى الناس ونصيب كما يصيبون . فسكت طويلاً حتى أردنا أن نكلمه ، وجعلت زينب تلمع (۱) إلينا من وراء الحجاب أن لا تكلماه ، قال : ثم قال : إن الصدقة لا تنبغى لآل محمد ، إنما هى أوساخ الناس (۲) ادعوا لى محمية (وكان على الخمس) ونوفل بن الحارث بن عبد المطب فجاءه فقال لمحمية : أنْكِح هذا الغلام ابنتك للفضل بن العباس ، فأنكحه ، وقال لنوفل : أنْكح هذا الغلام ابنتك لى ، فأنكحنى ، وقال لمحمية : أصدق عنهما من الخمس كذا وكذا (۳) .

فهذا _ أعزك الله _ وإن كان إنما فيه منع بنى هاشم من تناول الصدقة لأنها محرمة عليهم، فإن رسول الله على إنما كانت أعماله التى يستعمل عليها عماله على قسمين: إما للحرب، أو على الصدقات ، فمنع رسول الله على بنى هاشم من العمل على الصدقة بنصيب العامل وهو الصحيح: أنهم لا يستعملون عليها تنزيها لهم ولبنى المطلب عن أوساخ الناس لكرامتهم ، وقد كان غير واحد من فضلاء الصحابة رضى الله عنهم يعلمون أن البيت أرفع قدراً عند الله من أن يبتليهم بعمال الدنيا ، منهم: عبد الله بن عمر بن الخطاب رضى الله عنهما ، لما خرج الحسين بن على رضى الله عنهما يريد العراق وقد كتب إليه شيعتهم بالبيعة وحثوه على مسيرة إليهم ليقوم بأمر عنهما ، بدل يزيد بن معاوية ، لحقه عبد الله على مسيرة ليلتين ، وقال : أين تريد ؟ قال : العراق . قال : لا تأتهم هذه . قال الحسين : هذه كتبهم وبيعتهم (٤) ، فقال

⁽١) في المخطوط : تلمح . تلمع : تشير بيدها أو بثوبها (٧/ ١٧٩) شرح مسلم .

 ⁽۲) أوساخ الناس : أى أنها تطهير لأموالهم وأنفسهم كما قال تعالى : ﴿ خَذَ مَن أَمُوالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها ﴾ فهى كغسالة الأوساخ . المصدر السابق .

⁽٣) رواه مسلم فى ك : الزكاة ب/ ٥١ ترك استعمال آل النبى على الصدقة (١٦٧ ــ ١٠٧٢) وأحمد فى مسنده (٢/ ٢٧٩) ، والطحاوى فى « معانى الآثار » (٣/ ٣٠٠) ، وأبو عبيد فى الأموال (ص ١٤١٤) وحميد بن زنجويه فى الأموال (٢/ ٧٢٥) .

⁽٤) وكانوا قد بعثوا إليه برسائل وكتب أنهم فرحوا بموت معاوية ، وأنهم ينالون منه ، ويتكلمون في دولته ، وأنهم لما يبايعوا أحداً إلى الآن ، وأنهم ينتظرون قدومك ليقدموك عليهم ، وينصبونه خليفة للمسلمين ، وأن معهم اثنى عشر ألفاً بايعوه على الموت . انظر صفة هذه الرسائل في تاريخ الطبرى (٦/ ١٩٢، ١٩٧) ، البداية والنهاية (٨/ ١٥٤) وقد صدق الفرزدق الشاعر حين قال : كانت قلوب الناس معه ، وسيوفهم مع بنى أمية ، وهذا ما فعله أهل العراق فقد حرضوه بجهلهم ، وغرورهم ، ثم خذلوه بجبن ونذالة وغدر .

ابن عمر: إن الله _ عز وجل _ خير نبيه على الدنيا والآخرة فاختار الآخرة ولم يرد الدنيا وإنك بضعة من رسول الله على الله لا يليها أحد منكم وما صرفها الله عنكم إلا للذى هو خير لكم فارجع ، فأبى الحسين ، وقال : هذه كتبهم وبيعتهم فاعتنقه عبد الله بن عمر وقال : أستودعك الله من قتيل فكان كما قال ابن عمر (١)، وكذلك قال عبد الله بن عباس رضى الله عنهما للحسين : والله يابن أخى ما كان الله ليجمع لكم بين النبوة والخلافة (٢) ، وهذا من فقههما ، وقد أشار الحسن بن على رضى الله عنهما إلى ذلك في خطبته لما ترك الخلافة التي صارت إليه بعد أبيه وتنزه عنها وترفع عن منازعة معاوية رضى الله عنه ، فلما دخل معاوية الكوفة أشار عليه عمرو بن العاص أن يأمر الحسين فيخطب الناس ظنا منه أنه يعى ، فخطب معاوية ثم أشار إلى الحسن أن يخطب فقام وحمد الله ، ثم قال : أيها الناس إن الله هداكم بأولنا، وحقن دماءكم بآخرنا ، وإن لهذا الأمر مدة والدنيا دول وإن الله عز وجل قال لنبيه عليه : ﴿ وَإِنْ أَدْرِي لَعَلَهُ فِيْنَةٌ لَكُمْ وَمَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴾ (٣).

فلما قالها ، قال معاوية : اجلس ونقدها على عمرو وقال هذا من رأيك (٤) فصدق الحسن رضى الله عنه فيما قال .

فصل: ذهب بعضهم إلى أن السر فى خروج الخلافة بعد رسول الله على عن على بن أبى طالب إلى أبى بكر وعمر ثم عثمان ، أن علياً لما وُلَى الخلافة حينئذ ــ وهو أبو الحسين ــ لأوشك أن يقول قائل ، ويتخيل متخيل ، أنه مُلْك متوارث لا يكون إلا فى آل البيت كما يزعمه الرافضة (٥) ، فصان الله العقائد من هذه الشبهة كما صانها من شُبهة قول القائل عن النبى على هو رجل يطلب ملك أبيه وهو معنى

⁽۱) ذكره ابن كثير في « البداية والنهاية » (۸/ ١٦٤) .

 ⁽۲) ومما قال له ابن عباس: « إنهم دعوك للفتنة والقتال ، ولا آمن عليك أن يستفزوا عليك الناس ، ويقلبوا قلوبهم عليك ، فيكون الذين دعوك أشد الناس عليك . . . » ذكره الطبرى في تاريخه (۲۱۲/۲) ، البداية والنهاية (۸/ ۱۹۲) .

⁽٣) الأنبياء: ١١١.

⁽٤) ذكره ابن كثير في « البداية والنهاية » (٨/ ١٩) .

⁽٥) من فرق الشيعة رئيسهم عبد الله بن سبأ ، لهم مقالات فاسدة كثيرة ، منها : دعوى أن النبى كلي نص لعلى بالخلافة ، وأن الخلفاء قبله انتزعوها منه ، وأن كل إمام من أهل البيت يوصى لمن بعده بالخلافة ، ومن مقالتهم : القول بالعصمة والرجعة وعلم الغيب وغير ذلك قبحهم الله . انظر: الملل والنحل (١/٧٠) للشهرستاني ، الفرق للبغدادي (ص ٢١).

حسن ، ولهذا السر جعل ﷺ الخلافة العامة في قريش ولم يخص بها أهل بيته ولا بني هاشم حتى لا يتخيل أنه مُلْك متوارث والله أعلم .

وقد ظهر لى أن ولاية رسول الله ﷺ لبنى أمية الأعمال كانت إشارة منه ﷺ أن الأمر سيصير إليهم ، ولى بحمد الله في هذا النحو خير سلف وأجل قدوة .

منهم: سعيد بن المسيب رحمه الله ، قد ثبت في الصحيحين من حديث أبي موسى الأشعرى رضى الله عنه في حديث جلوس رسول الله ﷺ على بئر أريس(١) ودخول أبي بكر وعمر رضى الله عنهما وجلوسهما عن يمينه وشماله معه ﷺ في القف ، ودخول عثمان بن عفان رضى الله عنه وجلوسه تجاههم (٢) من الشق الآخر ، وإن سعيد بن المسيب قال : فتأولت ذلك قبورهم ،اجتمعت هاهنا وانفرد قبر عثمان رضى الله عنه (٣).

وثبت من حديث جابر بن عبد الله رضى الله عنه أن رسول الله عليه نحر فى حجته التى يقال لها :حجة الوداع ثلاثاً وستين بدنة (٤) (٥) فكان فى نحره هذا العدد من البُدن إشارة إلى أن مدة حياته عليه ثلاث وستون سنة .

وثبت من حديث أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه ، أن رسول الله ﷺ قال: « إن أحقّ الناس على فى صحبته وماله أبو بكر ولو كنت متخذاً خليلاً لاتخذت أبا بكر خليلا ، ألا خلّة الإسلام ، لا تبقين خوخة فى المسجد إلا خوخة أبى بكر »(٦).

فكان أمر رسول الله ﷺ بإبقاء خوخة أبى بكر رضى الله عنه فى المسجد مع منع الناس كلهم من ذلك ، إشارة ودليل على خلافته بعد رسول الله ﷺ ، وأن ذلك من رسول الله ﷺ تنبيه للناس إلى المسجد كما كان يصير إمام المسلمين ويخرج

⁽۱) نسبة إلى رجل من اليهود سكن المدينة ، عليها مال لعثمان بن عفان وفيها سقط خاتم النبي ﷺ من عثمان رضى الله عنه ــ فاستدلوا على ذلك بحادث عظيم فى الإسلام ،وكان مقتله . انظر معجم البلدان (۲۹۸/۱).

⁽٢) في المخطوطة : وجاهم .

 ⁽٣) رواه البخارى ك : الفتن ب/١٧ الفتنة التي تموج كالبحر (٧٠٩٧) ومسلم ك : فضائل الصحابة ب/٣ (٣٤٠٣/٢٨) .

⁽٤) ناقة أو بقرة تنحر بمكة قربانًا ،وكانوا يسمونها لذلك والجمع : بُدن . (الوجيز /٤١) .

⁽٥) جاء ذلك في حديث جابر الطويل في صحيح مسلم ك : الحج ب/١٩ (١٢١٨/١٤٧) .

⁽٦) رواه البخارى ك : الصلاة ب/ ٨٠ (٤٦٦) ، ك : فضائل الصحابة ب/٣ (٣٦٥٤) ومسلم ك : فضائل الصحابة (٢) وابن سعد في « الطبقات الكبرى » (٢/ ٢/ ٢٥) وأحمد (٣/ ١٨) .

من بيته إلى المسجد كما كان رسول الله ﷺ يخرج ، ذكره أبو بطال . وقد جعل جمهور الصحابة رضى الله عنهم استخلاف رسول الله ﷺ أبا بكر رضى الله عنه في الصلاة وهو مريض دليلاً وإشارة إلى أنه الخليفة من بعد رسول الله ﷺ ، وقالوا : قد رضيه رسول الله ﷺ لديننا فلا نرضاه لدنيانا ؟ (١) .

وثبت فى الصحيح من حديث سعيد بن جبير عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : كان عمر رضى الله عنه يدخلنى مع أشياخ بدر ، فقال بعضهم: لم يدخل هذا الفتى معنا ولنا أبناء مثله ، فقال : إنه بمن قد علمتهم ، قال : فدعاهم ذات يوم ودعانى معهم ، وما رأيته دعانى يومئذ إلا ليريهم منى ، فقال : ما تقولون فى ﴿ إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللّه وَالْفَتْحُ . وَرَأَيْتَ النّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللّه أَفْواجًا ﴾ (٢) ، حتى ختم السورة ؟ فقال : أمرنا أن نحمد ونستغفر إذا جاء نصرنا وفتح علينا .

وقال بعضهم: لا ندرى ، ولم يقل بعضهم شيئاً. فقال لى: يا ابن عباس، أكذا هو ؟قلت: هو أجل رسول الله ﷺ، أعلمه الله له يقول: إذا جاء نصر الله والفتح، فتح مكة ، فذلك علامة أجلك ، نسبح بحمد ربك ونستغفره ، إنه كان توابا .

قال عمر: ما أعلم منها إلا ما تعلم (٣) ، فهذا فَهُم الصحابة والتابعين رضوان الله عليهم أجمعين وهم القدوة وهم الأسوة و وفقنا الله لاتبّاعهم .

فصل: إياك والاعتراض على ما تقدم أخذ بنى العباس بن المطلب بن هاشم الخلافة، وأقاموا خلفاء نيفاً على خمسمائة وعشرين سنة، فإن الخلافة إنما صارت العلافة، وأقاموا خلفاء نيفاً على خمسمائة وعشرين سنة، فإن الخلافة إنما صارت اليهم بعد ما ضعف أمر الدين، وتخلخلت أركانه، وتداول الناس أمر الأمة بالغلبة، ونقذها حينئذ بنو العباس بأيدى العجم أهل خراسان، ونالوها بالقوة ومناهضة الدول وتناولوا العز كيف كان في وصل أمر الأمة أهل العدالة والطهارة، ولا وليهم ذو الزهادة والعبادة، ولأساسهم أرباب الورع والأمانة، بل استحالت الخلافة كسروية وقيصرية بحيث إن إبراهيم الإمام بن محمد بن على بن عبد الله بن عباس لما وجه

⁽۱) أخرجه ابن سعد في « الطبقات الكبرى » (٣/ ١/ ١٣٠) عن على ، وذكره السيوطى في « تاريخ الخلفاء » ص٨١ وعزاه إلى ابن عساكر ، وأخرجه الخلال في « مسائل الإمام أحمد » (٣٧) .

⁽۲) سورة النصر : ۱، ۲ . (۳) رواه البخارى ك : التفسير ب/ ٤ قوله : ﴿ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِكَ وَاسْتَغْفِرْهُ ﴾ رقم (٤٩٧٠) وفى المناقب (٣٦٢٧) ، وفي ك : المغازى (٤٢٩٤) (٤٤٣٠) .

أبا مسلم الخراساني (١) بخراسان ووصّاهم أن يسمعوا له ويطيعوا ، قال له: إنك رجل منا أهل البيت ، احفظ وصيتي ، انظر هذا الحي من اليمن فأكرمهم واسكن بين ظهورهم فإن الله لا يتم هذا الأمر إلا بهم وإنهم ربيعة في أمرهم ، وأما مضر فإنهم العدو القريب الدار ، اقتل من شككت فيه ، وإن استطعت ألا تدع بخراسان من يتكلم بالعربية فافعل ، وأيما غلام بلغ خمسة أشبار تتممه فاقتله(٢)، فأين _ أعزك الله ــ هذه الوصية من وصايا الخلفاء الراشدين لعمَّالهم ، وتالله لو توجه أبو مسلم إلى أرض الحرب ليغزو أهل الشرك ، بالله لما جاز أن يوصى بهذا ، فكيف ؟ وإنما توجه إلى دار السلام وقتال أبناء المهاجرين والأنصار وغيرهم من العرب لينزع من أيديهم ما فتحه آباؤهم من أرض الشرك ليتخذ مال الله دولاً وعبيده خولا، فعمل أبو مسلم بوصية الإمام حتى غلب على ممالك خراسان وتحطمت عساكره إلى العراق، فيقال : إنه قتل ستمائة ألف (٣) إنسان وصار في الناس بالعسف والجبرية لمرسى سيرته ، إنه لما قوى أقره وصار في عسكر ، ودخل مرو في شهر ربيع الأول سنة ثلاثين ومائة ، واستولى عليها ، أراد الغدر بنصر بن سيار (٤) ، وقد أنسه وبسطه وضمن له أن يكف عنه ويقوم بشأنه عند الإمام ، فبعث إليه لاهز بن قريط وسليمان بن كثير وعمران بن إسماعيل وداود بن كراز ، يعلمه أن كتاباً أتاه من الإمام يعده فيه ويُمنّيه ويضمن له الكرامة ، ويقول له : إنى أريد مشافهته وأقرأ كتاب الإمام عليه ، يريد بذلك أنه إذا أتاه قبض عليه ، فلما أتته الرسل تلا لاهز قول

⁽۱) هو عبد الرحمن بن مسلم أبو مسلم صاحب دولة بنى العباس ، ويقال له : أمير آل بيت رسول الله ﷺ ، وقال الخطيب : يقال له : عبد الرحمن بن شيرون بن إسفنديار أبو مسلم المروزى ، وكان فاتكا ذا رأى وعقلٍ وتدبير وحزم ، قتله أبو جعفر المنصور بالمدائن سنة ١٣٧ هـ انظر : البداية والنهاية (١٣٠) ، الكامل (١٣٧٥) لابن الأثير .

⁽٢) ذكر ذلك مفصلاً الحافظ ابن كثير في البداية والنهاية (١٠/٢٩) .

⁽۳) ذكر ذلك ابن جرير فى « تاريخه » وقال : ويروى أن أبا مسلم قتل فى حروبه وما كان يتعاطاه لأجل دولة بنى العباس ستمائة ألف صبراً زيادة عمن قتل بغير ذلك . انظر تاريخ الطبرى (۷/ ٤٧٢) البداية والنهاية (۷/ ۷۶) .

⁽٤) نصر بن سيار كان والياً على خراسان لآخر خلفاء بنى أمية مروان بن محمد ، خاض حرباً على أبى مسلم ومن معه ، كانت الغلبة فيها لأبى مسلم. انظر تفصيل ذلك فى البداية والنهاية (٣٤ /١٠) .

الله تعالى : ﴿ إِنَّ الْمَلاَ يَأْتَعرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ ﴾ (١) فتنبه نصر على ما أراد من تحذيره فقال: أنا صائر معكم إلى الأمير أبى مسلم ، ودخل بستاناً له ، كأنه يريد أن يلبس ثيابه ويركب دابته وهرب إلى الرى ، وسأل أبو مسلم عنه فأخبره بتلاوة لاهز له الآية فقال : فاضربا عُنقه ، فضُربت عُنق لاهز . وكان سليمان بن كثير الخزاعى أحد نقباء الدعوة فقتله أبو مسلم ؛ لأنه كره سيرته ، وأخذ عنقود عنب ، فقال : اللهم سود وجه أبى مسلم كما سودت هذا العنقود واسقنى دمه ، وقال أيضا : حفرنا نهراً بأيدينا فجاء غيرنا فأجرى فيه الماء _ يعنى : أبا مسلم . وقتل زياد بن صالح من أجل أنه بلغه عنه أنه يقول : إنما بايعنا على إقامه العدل وإحياء السُنن وهذا جائر ظالم يسير بسير الجبابرة ، وكان مخالفاً وكان لزياد بلاء حسن في إقامة الدولة ، فلم يرع له ذلك فغضب عيسى بن ماهان مَوْلَى خزاعة ، لقتل زياد ، ودعى لحرب أبى مسلم سراً ، فاحتال عليه بأن دس على بعض ثقاته بقتله فكتب إليه : إنى رسول أمير المؤمنين _ يعنى : السفاح ، قد قدم على الأمير بخلع . . . (٢)وللأولياء قصر إلينا لتشركنا في أمرنا فقدم عليه فأخذه وأدخله جوالق وضربه بالخشب حتى قُتل .

وكان أفلح بن مالك بن أسماء بن خارجة القوارى بخراسان وكان صديقا لأبى مسلم يلاعبه الشطرنج ويؤانسه ، وكان ذا اقتداء بخراسان ، فلما ظهرت الدعوة قدم على أبى مسلم وقال (شعراً) :

قل للأمير أمين الإمام وصيّ وصيّ وصيّ وصيّ وصي وصي المنا الإمام وما لي في أرضكم من كفي المناب المناب

وكان أبو مسلم يَبره ويكرمه، ثم أمر بقتله. فقيل له: صديقك وأنيسك ، فقال: رأيته ذا همة وأبهة فقتلته مخافة أن يحدث حدثاً ، وكان لا يقعد على الأرض إذا قعدت على السرير ، ولقد كان على كريما وكنت له محباً فعيَّر أبو جعفر المنصور أبا مسلم بقتله فيما عيَّره به لما عزم على قتله ، وكان أبو مسلم يخدم يونس بن مسلم فابتاعه منه بكير بن ماهان بأربعمائة درهم ، وبعث به إلى إبراهيم الإمام ، فلما ملك أبو مسلم مرو ، قدم عليه ابن عاصم فأكرمه غاية الإكرام ، ثم دَس إليه رجلاً

⁽١) القصص : ٢٠ .

⁽٢) بياض بالأصل.

فقال ، سَلْه عن حاله عندى ولم أكرمه ، فسأله فقال: كنت قهرماناً (١) له ناصحاً ، فقال أبو مسلم : أبيت إلا كرماً ، فقال : يا ابن الخنا (٢) أردت أن أقول: إنك كنت لى خادماً فتقتلنى ، فبالله أسلكك لو لم أقلب المعنى ما كنت فاعلاً ، قال: قد والله كنت قدرت موضع خشيتك ، قال : أكان هذا جزائى ، قال : ومن جازيناه بجزائه وضعت سيفى فلم يبق بر ولا فاجر إلا قتلته . ومثل هذا كثير وما زال يسعى جهده حتى أزال بنى أمية ، وأقيم عبد الله بن محمد بن على بن عبد الله بن عباس الملقب بالسفاح (٣) فبعث عمه عبد الله بن على (٤) لقتال مروان بن محمد ، فقتله وبطش فى أهل الشام بطش الجبارين ، وصارت من الجور سيرة لم يسرها أحد قبله وزلك أنه لما عزم مروان بالزاب وغلب على بلاد الشام ، وقتل أهل دمشق وهدم سورها وسار إلى فلسطين نادى وهو على نهر فطرس فى بنى أمية بالأمان واجتمعوا إليه فعجلت الخراسانية إليهم بالعمد فقتلوهم ، وقتل عبد الله جماعة منهم ومن أبي معاوية فوجد منه سلاميات (٥) رجله ، ووجد من عبد الملك بعض شؤون يزيد بن معاوية فوجد منه الوليد وسليمان بنى عبد الملك إلا رُفات ، ووجد هشاما مرصحيحاً إلا شيئاً من أنفه وشيئا من صدغه (١) ، فضرب عدة سياط (٧) وصلب،

⁽۱) القهرمان : لقب كان يلقب به أمين الملك ووكيله الخاص بتدبير دخله وخرجه (المعجم الوجيز ص ٥١٨) .

 ⁽٢) الحنا : الفحش في الكلام ، وخنا فلان : أفحش في منطقه ، والخَنْوةُ : الغدرةُ (القاموس ٢ / ١٣٣ ، الوجيز ص ٢١٤) .

⁽٣) أول خلفاء بنى العباس ولد سنة ثمان ومائة بالحميمة من ناحية البلقاء ونشأ بها ، وتوفى سنة ١٣٦ هـ لثلاث عشرة مضت من ذى الحجة ، وكان له يوم مات ٦٣ سنة ، وكانت ولايته من لدن قتل مروان إلى أن توفى أربع سنين ، ومن لدن بويع له بالخلافة إلى أن مات أربع سنين وثمانية أشهر .

انظر ترجمته فی الکامل (٥ / ٩٩) لابن الأثیر ، تاریخ الخلفاء (ص ۲۹۰) ، البدایة والنهایة (۱۰ / ۲۰ – ۲۳) ، الأعلام (٦ / ۲۲۰) للزرکلی .

⁽٤) ذكر ذلك مفصلاً الحافظ ابن كثير في البداية (١٠ / ٤٦، ٤٧) في صفة مقتل مروان .

⁽٥) السلاميات : عظام الأصابع ، واحدها سُلامي . (مختار الصحاح ص ١٥٥).

⁽٦) الصِّدْغُ : ما بين العين والأذن والشعر المتدلى على هذا الموضع ، والجمع : أصداغ . القاموس (٢/ ٨٠٦).

⁽٧) قال ابن كثير بعد أن ذكر ما تقدم (١٠ / ٤٧): وصلبه أياماً ، ثم أحرقه ودق رماده وذره في =

ووجدت جمجمة مسلمة بن عبد الملك فاتخذت عرضا حتى تناثرت ، ولم يعرض لعمر بن عبد العزيز وجمع ما وجد فى القبور فأحرقه ، وخطب عبدة بنت عبد الله ابن يزيد بن معاوية بن أبى سفيان ، زوجة هشام بن عبد الملك بن مروان ، فأبت عليه التزويج فأمر ببقر بطنها وتقتل (١) ، وجعلت حين أتى بها لبقر بطنها تنشذ (شعرًا) :

فقل للشامتين بنا أفيقوا سيلقى الشامتون كما لقينا

فهذه سيرة عبد الله بن على (٢) وولى السفاح ابن أخيه : إبراهيم بن يحيى بن محمد بن على سنة ثلاث وثلاثين ومائة ، و [أما] الموصل فدخلها في اثنى عشر الفأ، فأول ما بدأ به أن دعا أهل الموصل فقتل منهم اثنى عشر وجزءاً ، فنفر أهل البلد وحملوا السلاح ، فنادى من دخل الجامع فهو آمن ، فأتاه الناس يهرعون إليه فقام الرجال على أبواب الجامع ، وقتل الناس فيه قتلاً ذريعاً تجاوز فيه الحد وأسرف في المقدار فيقال: إنه قتل أحد عشر ألف إنسان ممن له خاتم سوى من ليس في يده خاتم وهم عدد كثير جداً بحيث لم ينج من رجال الموصل مع كثرتهم إلا نحو أربعمائة رجل ، صدموا الجند فأخرجوا لهم ، فلما كان الليل سمع صراخ النساء اللاتي قُتل رجالهن فأمر من الغد بقتلهن ، فأقام رجاله ثلاثة أيام يقتلون النساء والصبيان، وكان في عسكره قائد ومعه أربعة آلاف زنجي ، فأخذوا النساء قهراً ، فلما فرغ إبراهيم من قتل الناس في اليوم الثالث، ركب في اليوم الرابع وبين يديه الحراب والسيوف مسلولة ، فأخذت امرأة بلجام دابته ، فأراد أصحابه قتلها ، فكفهم عنها، فقالت له : ألست من بني هاشم ،ألست ابن عم رسول الله علي ، أما تأنف العربيات المسلمات أن ينكحن الزنوج ؟ فلم يجبها وبعث معها من بلَعْهَا مأمنها ، ثم

الربح ، وعلة ضربه أن هشاماً كان قد ضرب أخاه محمد بن على ، حين كان قد اتهم بقتل ولد له صغير سبعمائة سوط ، ثم نفاه إلى الحميمة بالبلقاء ، ثم تتبع عبد الله بن على بنى أمية من أولاد الخلفاء وغيرهم فقتل منهم في يوم واحد اثنين وتسعين ألفاً عند نهر الرملة ، وبسط عليهم الأنطاع ومد عليهم سماطاً (فُرُشاً) فأكل وهم يختلجون تحته. وهذا من الجبروت والظلم الذي يجازيه الله عليه .

⁽۱) زاد ابن كثير : وأرسل امرأة هشام . . . مع نفر من الخراسانية إلى البرية ماشية حافية حاسرة عن وجهها وجسدها عن ثيابها ثم قتلوها (البداية : ۱۰ / ٤٧) .

⁽۲) انظر ترجمته في ابن كثير (۱۰ / ۲۶ ، ۲۰) ، وفيها أنه مات في سجنه سنة سبع وثلاثين ومائة بعد أن سَجنهُ المنصور الخليفة ابن أخيه ، بعد خروجه عليه .

جمع من الغد الزنوج للعطاء وقتلهم عن آخرهم ، ثم أمر أن لا يترك في الموصل ديك إلا ذبح ولا كلب إلا عُقر ، فنفذ ذلك فكانت هذه فعلة لم يسمع بأقبح منها إلا ما كان من السفاح فإن زوجته أم سلمة بنت يعقوب بن سلمة بن عبد الله بن الوليد بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم المخزومية قالت له : يا أمير المؤمنين لأي شيء استعرض ابن أخيك أهل الموصل بالسيف ، فقال لها : وحياتك لا ما أدرى ولم يكن عنده من إنكار هذا الأمر القطب سوى هذا ، ولعمرى لقد فاق فرعون في فساده ، وأربى عليه في عُتُوه وعناده ، وابن السفاح بما فعله ابن أخيه قد صار يسوء أمة محمد عليه في من العذاب أشد وأقبح ما كان فرعون يسوء بنى إسرائيل به ، فكيف بها إذا ضمت مع ما حكاه البلاذري(١) ، قال :

كان أبو العباس السفاح يسمع الغناء ، فإذا قال للمغنى : أحسنت ، لم ينصرف من عنده إلا بجائزة وكسوة ، فقيل له : إن الخلافة جليلة ، فلو حجبت عنك من يشاهدك على النبيذ فاحتجبت عنهم ، وكانت صلاته قائمة لهم . فأين هذا من الهدى النبوى وسير أئمة الهدى ، فما أبعده عن هُداهم ، ولله دُرُّ القائل :

نزلوا بمكة في قبائل نوفل ونزلت بالبيداء(٢) أبعد منزل

وأما أبو جعفر: عبد الله محمد المنصور (٣) فإنه تزيا بزى الأكاسرة ، وجعل أبناء فارس رجالاً دولتهم كبنى يرمك، وبنى نوبخت (٤) وأحدث تقبيل الأرض ، وتحجب عن الرعية وترفع عليهم بحيث إن عقال بن شيبة قال له: احمد الله، فقد حزت هدى الخلفاء. فغضب المنصور ، وقال: كبرت يا عقال وكبر كلامك . ففطن وقال : أجل ، لقد أحزن سهلى واضطرب نقلى، وأنكرت أهلى، ولا أقوم هذا المقام بعد يومى.

فلم يعش المنصور بعد ذلك إلا شهرين وأياماً ، وحتى أن الربيع حاجبه ضرب

⁽۱) البلاذرى : هو العلامة المؤرخ الثقة أحمد بن يحيى بن جابر البلاذرى . انظر ترجمته في مقدمة كتاب « فتوح البلدان » طبع سنة ١٣٥٠ .

⁽٢) البيداء : الفلاة .

⁽٣) سبقت ترجمته .

⁽٤) هو نوبخت المنجم كان مجوسيا وأسلم ، قابله المنصور في أيام سجنه في عهد بني أمية وتوسم فيه الخلافة وقال له : أنت الخليفة الذي تلى الأرض فضع لى خطك في هذه الرقعة أن تعطني شيئا إذا وليت . فكتب له . انظر البداية والنهاية (١٠ / ١٢٥) .

رجلاً شمَّت (١) المنصور عند العطسة ، فلما اشتكى ذلك إلى المنصور قال : أصاب الرجل السنة وأخطأ الأدب . فأين قول أبي جعفر من حديث النبوة الناطقة والإمامة الصادقة ؟!والله ما الأدب كله إلا في السنة النبوية، فإنها هي الجامعة للأدب النبوي والأمر الإلهي ، لكنه غلب على القوم الجبروت ، ودخلت النفرة في أنوفهم ، وظهر الخسران بينهم فسموا موائد العجم أدبأ وقدموها على السنة التي هي ثمرة النبوة فزادهم ذلك جفاءً وقسوة ، حتى أن أبا جعفر كان بايع محمد بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن (٢) على بن أبى طالب ليلة تشاور بنى هاشم فيمن يعقدون له الإمامة ، وذلك حين اضطربت بنو أمية ، فلما أقيم أبو العباس عبد الله بن محمد السفاح في الخلافة وعهد بها عند وفاته لأخيه أبي جعفر عبد الله بن محمد المنصور وقام من بعده بالأمر ، أهمه أمر محمد بن عبد الله وأخيه إبراهيم ، وألح على أبيهما عبد الله بن الحسن أن يحضرهما إليه لما حج ، وكان قد شردهما خوف جوره، ثم حبس عبد الله وعدّه من بني حسن ومعهم محمد الديباج^(٣) ابن عبد الله ابن عمرو بن عثمان بن عفان ، وهو أخوهم لأمهم فاطمة بنت أبي عبد الله الحسين ابن على بن أبى طالب ، وجعل القيود والأغلال في أرجلهم ، وأركبهم محامل(٤) بغير وطاء ، وسار بهم كذلك من المدينة النبوية وطنهم ووطن آبائهم حتى قدموا عليه وهو بالربذة(٥) ، فأمر بالديباج فانشقت عنه ثيابه وضرب خمسين ومائة سوط،

⁽١) شمت العاطس: أي دعا له بالخير، وهو أن يقول له: يرحمك الله. المعجم الوجيز (ص ٣٥٠).

⁽٢) من آل البيت ، قتله حميد بن قحطبة في عهد أبي جعفر المنصور وكان مقتله عند أحجاز الزيت يوم الإثنين بعد العصر ، لأربع عشرة ليلة خلت من رمضان سنة خمس وأربعين ومائة ، وجيء برأسه إلى المنصور ووضعت بين يديه وطيف به في طبق أبيض ، ثم طيف به في سائر الأقاليم بعد ذلك .

انظر تفصيل مقتل محمد وإبراهيم ابنى الحسن فى البداية والنهاية (١٠/ ٩٠ ــ ٩٠) ، وتاريخ الخلفاء (ص ٢٠١) .

⁽٣) أبو عبد الله المدنى المعروف بالديباج ، سمى بذلك لحسن وجهه ، وأمه فاطمة بنت الحسين بن على ، روى الحديث عن أبيه وأمه وخارجة بن زيد ، وطاوس والزهرى ، وغيرهم ، وحدث عنه جماعة ، وثقه النسائى وابن حبان ، وكان أخا عبد الله بن الحسن لأمه وكانت ابنته رقية زوجة إبراهيم بن عبد الله ، وكانت من أحسن النساء ، وقتله أبو جعفر المنصور سنة ثلاث وأربعين ومائة . البداية والنهاية (١٠ / ٥٥) .

⁽٤) جمع محمل : وهو الهودج .

⁽٥) مكان قرب المدينة المنورة ، وفيها مدفن أبي ذر الغفاري رضي الله عنه . القاموس (٢ / ٢٨٦).

فأصاب سوط منها في وجهه ، فقال : ويحك اكفف عن وجهى فإن له حُرمة رسول الله ﷺ ، فقال المنصور للجلاد : الرأس الرأس فضرب على رأسه نحواً من ثلاثين سوطا ، فأصاب إحدى عينيه سوط منها ، فسالت على خده ، ثم قتله ، ومضى ببنى حسن إلى الكوفة فسجنهم(١) بقصر ابن هبيرة ، وأحضر محمد بن إبراهيم بن حسن وأقامه ثم بني عليه أسطوانة وهو حي وتركه حتى مات جوعا وعطشا ، ثم قتل أكثر من معه من بني حسن ، وكان إبراهيم القمر بن الحسن بن الحسن بن على ابن أبي طالب رضى الله عنهم فيمن حُملَ مصفداً بالحديد من المدينة إلى الأنبار، فكان يقول لأخويه عبد الله والحسن : أعوذ بالله من مناطهر منايا ما تمنينا ذهاب سلطان بني أمية ، واستبشرنا بسلطان بني العباس ، ولم يكن قد انتهت بنا الحال إلى ما نحن عليه ، وقد قتل أبو جعفر أيضا إسماعيل الديباج بن إبراهيم القمر ومحمد بن إبراهيم فدفنه حياً ، وكان لأبى القاسم الرسى بن إبراهيم طباطبا بن إسماعيل الديباج ضيعة بالمدينة يقال لها: الرّس ، فلم يسمح له أبو جعفر بالمقام بها حتى طلبه ، ففر إلى السند وقال (شعرًا) :

لم يروه ما أراقا لَبَقى دَمّنا في كل أرض ولم يقصر من الطلب وليس يشفى غليلاً في حشاه سوى

أن لا يرى فوقها أبناء ليت بني

وكتب صاحب السند إلى أبى جعفر أنه في خان بالمولتين مكتوباً يقول القاسم ابن إبراهيم طباطبا العلوى: انتهيت إلى هذا الموضع بعد أن انتقلت الدم من المشي ، وقد قلت شعراً:

أطال صداها المشرب المتكدر سيرتاح للعظم الكسير فيجبر سيبعثها عدل يجيء فتظهر ييأس منه ما يعلز ويعسر عسى منهل يصفو فترى طَمْيَه عسى جابر العظم الكسير بلطفه عسى صُور أسا لها الجُـرح عسى الله لا تيأس من الله إنه

فكتب إليه : قد فهمت كتابك وأنا وعلى وأهله كما قيل يحاول إذلال العزيز ، لأنه بدأنا بظلم واستمرت مرائره واستحلف ريطة امرأة ابنه محمد المهدى ألا تفتح بيتا عرضه عليها إلا مع المهدى بعد وفاته ، ففتحه مع المهدى ، فإذا فيه من قتل من

⁽١) انظر تفصيل ما فعله بهم في البداية والنهاية (١٠ / ٨٤) لابن كثير .

الطالبين، وفي آذانهم رقاع فيها أنسابهم ، وفيهم أطفال ، فأمر المهدى فحفرت لهم حفرة ودفنوا فيها .

فأين هذا الجور والفساد عن عدل الشريعة المحمدية وسيرة أثمة الهدى ، وأين هذه القسوة الشنيعة مع القرابة القريبة من رحمة النبوة ، وتالله ما هذا من الدين فى شيء ، بل هو من باب قول الله سبحانه : ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا فِى الأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ . أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَىٰ أَبْصَارَهُم ﴾ (١).

وكان أبو الجهم بن عطية مولى باهلة من أعظم الدعاة قدراً وأعظمهم غنى ، وهو الذى أخرج أبا العباس السفاح من موضعه الذى أخفاه فيه أبو سلمة حفص بن سليمان الخلال(٢) وحرسه ، وقام بأمره حتى بويع بالخلافة ، فكان أبو العباس يعرف له ذلك ، وكان أبو مسلم يثق به ويكاتبه ، فلما استخلف أبو جعفر المنصور وجار في أحكامه ، قال أبو الجهم : ما على هذا بايعناه ، إنما بايعناهم على العدل ، فأسرها أبو جعفر في نفسه ودعاه ذات يوم فجلس عنده ثم سقاه شربة من سويق(٣) لوز وقعت في جوفه هاج به وجع ، فتوهم أنه قد سُم ، فوثب ، فقال له المنصور: إلى أين يا أبا الجهم ، قال: إلى حيث أرسلتنى . ومات بعد يوم أو يومين فقال (شعراً):

أحذر سويق اللوز لا تشربنه فشرب سويق اللوز أردى أبا الجهم

وأما غدره بأبى مسلم فغير خاف على رواة الأخبار ، وكان أشد ما يحقده عليه كتابه إليه : أما بعد ، فإنى اتخذت أخاك إماما وكان فى قرابته برسول الله عليه ومحله من العلم على ما كان ثم استخف بالقرآن وحرّفه طمعاً فى قليل من الدنيا ، قد نعاه الله لأهله ، ومثلت له ضلالته على صورة العدل فأمرنى أن أجرد السيف

⁽۱) سورة محمد: ۲۲ ، ۲۳ .

⁽۲) أبو سلمة حفص بن سليمان الخلال هو أول من وزر لآل العباس ، قتله أبو مسلم الخراسانى بالأنبار عن أمر السفاح ، بعد ولايته بأربعة أشهر فى شهر رجب . وكان ذا هيئة فاضلاً حسن المفاكهة ، وكان السفاح يأنس به ويحب مسامرته ، ولكنه توهم ميله لآل على فدس أبو مسلم عليه من قتله غدراً . البداية والنهاية (۱۰ / ۵۸) .

 ⁽٣) السويق : طعام يتخذ من مدقوق الحنطة والشعير ، أو غير ذلك مما يخلط . انظر القاموس (٢/
 ٢٥٠) ، المعجم الفرجيز (ص ٣٣٠).

وآخذ بالظنة (۱) ، ولا أقبل معذرة وأن أسقم البرىء وأبرئ السقيم ، وأثر أهل الدين في دينهم ، وأوطأني في غيركم من أهل بيتكم العتوة (۲) بالإفك والعدوان ، ثم إن الله بحمده ونعمته استنقذني بالتوبة وكره إلى الحومة ، فإن يعرف فقد عُرف ذلك منه ، وإن يعاقب فبذنوبي وما الله بظلام للعبيد . فكتب إليه أبو جعفر : قد فهمت كتابك أيها المدِّل على أهل بيته بطاعته ونصرته ومحاماته وجميل بلائه ، فقال : فلا يريك الله في طاعتنا إلا ما تحب، فراجع أحسن نيتك وعملك ولا يدعونك ما أنكرته إلى التجني ، فإن الغيظ ربما تعدى في العول فأخبر بما لا يعلم والله ولي توفيقك وتسديدك، فأقدم رحمك [الله] (۳) مبسوط اليد في أمرنا محكما فيما هويت الحكم فيه ، ولا تشمت الأعداء بك وبنا إن شاء الله تعالى (٤). فقدم عليه فقتله .

فانظر – أعزك الله – إلى كتاب أبى مسلم يفصح لك عن سيرة القوم ، ولن تجد أخبر بهم منه ، ثم انظر إلى كتاب أبى جعفر جواباً له كيف لم ينكر عليه ما رماهم به ولا كذّبه فى دعواه ، ذلك يحقق عندك صدقه ولا يوحشنك هذا من أخبارهم بل ضمه إلى وصية إبراهيم الإمام تجدهما خرجا من آل واحد ، وكان عبد الله بن ذؤابة وهو المقفع (٥) قد كتب لعبد الله بن على أماناً حين أجاب أبو جعفر إلى أمانه ، فكان فيه : فإن عبد الله بن عبد الله أمير المؤمنين ، لم يف بما جعل لعبد الله بن على من نقض بيعته ، فأنكر لعبد الله بن على ، فقد خلع نفسه والناس فى حل وسعة من نقض بيعته ، فأنكر أبو جعفر ذلك وأكبره واشتد غيظه على ابن المقفع .

وكتب إلى سفيان بن معاوية (٦) عامله على البصرة: اكفني ابن المقفع . ويقال :

⁽٤) بالظنة : أي بالشبهة .

⁽٢) العتوة : من عتا عُتيا وعُتُوًا : استكبر وجاوز الحد ، فهو عات وعتى (القاموس : ٣ / ١٥٣).

⁽٣) ساقط من المخطوطة .

⁽٤) ذكره ابن كثير في البداية والنهاية (١٠ / ٧١) مع اختلاف يسير في الألفاظ .

⁽٥) عبد الله بن المقفع الكاتب والأديب المفوه ، أسلم على يد عيسى بن على عم السفاح والمنصور ، وكتب له ، وله رسائل وألفاظ صحيحة وكان متهماً بالزندقة ، وهو الذى صنف كتاب كليلة ودمنة ، ويقال : هو الذى عربها من المجوسية إلى العربية ، توفى مقتولاً سنة ١٤٥ هـ . البداية والنهاية (١٠ / ٩٨) .

⁽٦) هو سفيان بن معاوية بن يزيد بن المهلب بن أبى صفرة ،نائب البصرة، وكان ابن المقفع يعبث به ويسب أمه ، فانتهز أمر المنصور ، وقتل ابن المقفع شر قِتْله . انظر تفصيل ذلك في البداية والنهاية (١٠ / ٩٩) .

إنه شافهه بذلك عند توديعه إياه ، فجاءه ابن المقفع يوماً فأدخله حجرة ، ثم سجر له تنوراً ألقاه فيه وهو يصيح : يا أعوان الظلمة ، وقيل : إنه ألقى فى بئر وأطبق عليه حجر . وقيل : حماماً ، فلم يزل فيه حتى مات ، وقيل : دُقت عنقه وقُطِّع عضواً عضوا وألقيت أعضاؤه فى النار ، وهو يراها ويصيح صياحاً شديداً ، وقيل : فى بئر النورة فى الحمام وأطبق عليه صخرة فمات (١).

وشكا بنو على بن عبد الله ما صنع سفيان بابن المقفع إلى أبى جعفر المنصور، فأمر بحمل سفيان إليه ، فلما جىء به وجاء عيسى بن على وغيره ليشهدوا عليه أن ابن المقفع دخل داره فلم يخرج ، وصُرفَت دَوابه ،وغلمانه يصرخون وينعونه وجاء عيسى بتاجرين يثبتون الشهادة على قتله ، فقال لهم المنصور : أرأيتكم إن أخرجت ابن المقفع إليكم ، ماذا تقولون ؟ فانكسروا على الشهادة ، وكف عيسى عن الطلب بدم ابن المقفع ، وكان سديف بن ميمون مولى آل المهلب مائلاً إلى أبى جعفر ، فلما استخلف وصله بألف دينار ، ثم اتصل بمحمد وإبراهيم ابنى عبد الله بن حسن حتى قتلا ، فاختفى حتى أمنه عبد الله بن على والى المدينة ، فلما قدمها أبو جعفر جد في طلبه حتى ظفر به فجعله في جوالق ، وضرب حتى كُسر ، ثم رمى به في بئر وبه رمق حتى مات .

فهذا وأمثاله من سيرته خلاف سنن الهدى ، وكان الفضل بن الربيع يمنع عائد الخليفة أن يسأل عن شيء يقتضى جواباً ويقول: اجعلوا عيادتكم دعاء ، فإذا أردت أن تقول : كيف أصبح الأمير بالكرامة ، وإن أردت السؤال عن حاله فقل : أنزل الله على الأمير الشفاء والرحمة ، فإن المسألة توجب الجواب ، وإن لم يجبك اشتد عليك وإن أجابك اشتد عليه . وكانت الخلفاء إذا عطست شمتت ، فعطس هارون (٢) الرشيد فشمته ، فقال له الفضل : لا تعد ، أتكلف أمير المؤمنين رداً وجواباً ،

⁽١) قال ابن كثير: وقيل غير ذلك في صفة قتله.

⁽۲) هارون الرشيد : أبو جعفر بن المهدى محمد بن المنصور عبد الله بن محمد بن على بن عبد الله ابن العباس ، استخلف بعهد من أبيه عند موت أخيه الهادى ، وكان شجاعاً كثير الغزوات حازماً كريماً ، لم يجتمع على باب خليفة ما اجتمع على بابه من العلماء . انظر ترجمته فى تاريخ الخلفاء (σ / σ) ، البداية والنهاية (σ / σ) ، تاريخ اليعقوبى (σ / σ) ، الكامل لابن الأثير (σ / σ) ، تاريخ الطبرى (σ / σ) .

فجروا على ذلك فيما بعد . وهذا المأمون(١) عبد الله بن هارون الرشيد قد أثر في الإسلام أقبح أثر ، وهو أنه عَرَّب كُتب الفلسفة حتى كاد بها أهل الزيغ والإلحاد للإسلام وأهله ، وحمل مع ذلك الناس كافة على القول بخلق القرآن ، وامتحنهم فيه أشد محنة ، وأكثر من شراء الأتراك وتغالى في أثمانهم، حتى كان يشترى المملوك منهم بمائتي ألف درهم ، وافتدى به أخوه أبو إسحاق المعتصم (٢) ، فاشتد على الناس في امتحانهم بالقول بخلق القرآن ، وانتهك أعراضهم وبرح بالضرب الشديد أبشارهم ، وأخرج العرب _ قوم رسول الله عَلَيْ الذين أقام الله بهم دين الإسلام _ من الديوان ، وأسقط عطاءهم فسقط فلم يفرض لهم بعده عطاء ، وأقام بدلهم من الترك (٣) ، وخلع لباس العرب وزيهم ولبس التاج وتزيا بزى العجم الذين بعث الله تعالى نبيه محمداً عليه فتالهم وقتالهم ، فزالت به وعلى يديه الدولة العربية ، وتحكم منذ عهده وأيام دولته الأتراك الذين أنذر رسول الله عليه بقتالهم ، فغلبوا من بعده على الممالك، وسلطهم على ابنه جعفر المتوكل فقتلوه ثم قتلوا ابنه المستعين وتلاعبوا بدين الله وتغلبوا على الأطراف كلها ، وفعل المتوكل جعفر بن المعتصم(٤) في خلافته من الانهماك في الترف المنهى عنه ما يقبح مثله من آحاد الرعية ، وجهر بالسوء من القول في أمير المؤمنين على بن أبي طالب(٥) رضى الله عنه ، حتى قتله الله بيد أعوانه ــ وهو أنه كتب إلى الآفاق بأن لا يقبل علوى ضيعة ولا يركب فرساً

⁽۱) المأمون عبد الله أبو العباس بن الرشيد ، ولد سنة ۱۰۷ هـ ، وكان أفضل رجال بنى العباس حزماً وعزماً وشجاعة ، وله محاسن وسيرة طويلة لولا ما أتاه من محنة الناس فى القول بخلق القرآن . انظر تاريخ الخلفاء (ص ٣٤٩) ، البداية والنهاية (۱۰ / ۲۸۷) .

⁽٢) المعتصم بالله : أبو إسحاق محمد بن الرشيد ولد سنة ١٠٨ هـ كذا قال الذهبي وقال أيضا : كان من أعظم الخلفاء وأهيبهم ، لولا ما شان سؤدده بامتحان العلماء في محنة خلق القرآن . بويع له بالخلافة بعد المأمون في شهر رجب سنة ٢١٨ هـ. انظر : البداية والنهاية (١٠/ ٢٩٣) ، تاريخ الخلفاء (ص ٣٧٧) .

⁽٣) قال السيوطى : وكان يتشبه بملوك الأعاجم ويمشى مشيهم ، وبلغت غلمانه من الأتراك بضعة عشر ألفا ، وكان يبعث إلى سمرقند وفرغانة والنواحى فى شرائهم ، ويبذل فى ذلك الأموال ، وألبسهم أنواع الديباج ومناطق (أحزمة) الذهب. انظر تاريخ الخلفاء (٣٧٨ ، ٣٧٨) للسيوطى .

⁽٤) المتوكل على الله جعفر أبو الفضل بن المعتصم بن الرشيد ، ولد سنة خمس ، وقيل : سبع ومائتين، وبويع له بالخلافة في ذى الحجة سنة اثنتين وثلاثين ومائتين بعد الواثق . انظر تاريخ الخلفاء (ص ٣٩١) ، البداية والنهاية (١٠/ ٣٢٤).

⁽٥) أشار إلى ذلك السيوطي في « تاريخ الحلفاء » (ص ٣٩٤).

ولا يسافر إلى طرف من الأطراف ، وأن يمنعوا من اتخاذ العبيد إلا العبد الواحد ، ومن كان بينه وبين واحد من الطالبين خصومة من سائر الناس قبل قول خصمه فيه ، ولم يطالبه ببينة ، وقرئ هذا الكتاب على منبر مصر ، فيالله هل سمع في أخبار الجائرين أهل العناد والشقاق بمثل ما أمر به هذا الجائر!! لا جرم أن الله أخذه ولم يمهله فكانت دولته ستة أشهر .

وما زالت أمور الإسلام تتلاشى والدولة تضعف إلى أن انتقل الملك والدولة في آخر أيام المتقى إبراهيم بن جعفر المقتدر (۱)، وأول أيام خلافة المستكفى عبد الله ابن المكتفى (۲) من بنى العباس إلى بنى بويه (۳) الديلم، فلم يبق بيد بنى العباس من الحلافة إلا اسمها فقط من غير تصرف فى ملك بحيث صار الخليفة منهم فى يد الدولة البويهية ثم فى الدولة السلجوقية إنما هو كان رئيس الإسلام إلا أنه لا ملك ولا حاكم تتحكم فيه الديلم، ومع الأتراك، منذ استولى معز الدولة أحمد بن بويه ببغداد فى جمادى الأولى سنة أربع وثلاثين وثلاثمائة تحت الحكم إلى أن قُتلوا عن آخرهم وسبًى حريمهم وهُدمت قصورهم، وهلكت رعاياهم على يد عبد الله هولاكو وكانوا هم السبب فى ذلك كما قد ذكر فى سيرة الناصر أحمد بن المستضىء، وقد ثبت فى الصحيح من حديث معاوية رضى الله عنه أنه سمع رسول الله عنه أنه الله على وجهه الله عنه أنه الله على وجهه ما أقاموا الدين " (٤).

⁽۱) هو المتقى لله أبو إسحاق إبراهيم بن المقتدر بن المعتضد بن الموفق طلحة بن المتوكل ، بويع له بالخلافة بعد موت أخيه الراضى ، وهو ابن أربع وثلاثين سنة ، وكان كثير الصوم والتعبد ، ولم يشرب نبيذاً قط ، وكان يقول : لا أريد نديماً غير المصحف ، ولم يكن له من الحكم سوى الاسم ، وكان التدبير لأبى عبد الله أحمد بن على الكوفى . تاريخ الخلفاء (ص ٤٤٩) ، البداية والنهاية (١١١ / ١١٢) .

⁽٢) هو المستكفى بالله: أبو القاسم عبد الله بن المكتفى ،بويع له بالخلافة عند خلع المتقى ، فى صفر سنة ثلاث وثلاثين ومائتين ،وعمره إحدى وأربعون سنة . تاريخ الخلفاء (ص ٤٥٣) للسيوطى .

⁽٣) نسبة إلى أحمد بن بويه معز الدولة ، وقد قوى أمره أيام المستكفى وحجر على الخليفة ، وقدر له كل يوم برسم النفقة خمسة آلاف درهم فقط ، وهو أول من ملك العراق من الديلم . تاريخ الخلفاء (ص ٤٥٤) .

⁽³⁾ رواه البخارى ك : المناقب ب : مناقب قريش (٣٥٠٠) ، والدارمى فى السنن (٢ / ٢٤٢) والبيهقى ك : قتال أهل البغى ـــ السنن الكبرى (٨ / ١٤٢) ، وابن أبى عاصم فى السنة (Υ / \Im) ، وأحمد (\Im / \Im) .

وروى وكيع عن كامل أبى العلاء عن حبيب عن أبى ثابت عن عبيد الله بن عبد الله عنه قال : قام رسول الله على فقال : « يا معشر قريش إن هذا الأمر لا يزال فيكم حتى تحدثوا أعمالاً تخرجكم منه فإذا فعلتم ذلك سلط الله عليكم شر خلقه فيلحتوكم(١) كما يلتحى القضيب » وهو حديث مرسل (٢).

وعبيد الله هذا هو ابن عبد الله بن عتبة بن مسعود ، وأبو عبد الله الهذلي المدنى الأعمى أحد الفقهاء السبق، ومات سنة تسع وتسعين (٣) والله أعلم بالصواب .

فصل: وقد اتفق في الخلافة الإسلامية كما اتفق في الملة الموسوية حذو القذاة بالقذاة (٤) ، وذلك أن العرب كلها ترجع إلى قحطان (٥) وعدنان (٦) فيقال لسائر وقحطان : المن ، ويقال لسائر بني عدنان : المضرية والنزارية وهي قيس . والعرب كلها على ست طبقات: شعوب ، وقبائل ، وعمائر ، وبطون ، وأفخاذ ، وفصائل، وما بينهما من الآباء يعرفها أهلها .

قال الله جلت قدرته : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا ﴾ (٧).

فالشعوب جمع شعب بفتح الشين وهو أكبر من القبيلة ، وقيل : الشعب هو الحى العظيم مثل ربيعة ومُضر والأوس والخزرج سُموا بذلك لتشعبهم واجتماعهم كتشعب أغصان الشجر ، وقيل : الشعب القبيلة نفسها ، وقد غلبت الشعوب بلفظ

⁽١) في الأصل : فالتحوكم . والتصويب من النهاية (٤ / ٣٢٥) ، وقال : اللحت : القشر ، ولحت العصا إذا قشرها، ولحته إذا أخذ ما عنده ولم يدع له شيئا .

 ⁽۲) وصله أحمد في مسنده (٤ / ١١٨) ، وابن أبي عاصم في « السنة » (٢ / ٥١٦ _ ١١١٨ ،
 (۲) وصححه الألباني في « الصحيحة » (١٥٥٢) .

 ⁽٣) انظر ترجمته في التهذيب (٧ / ٢٣) ، التقريب (١ / ٥٣٥) ، مشاهير علماء الأمصار
 (٤٢٩) لابن حبان، تذكرة الحفاظ (١ / ٧٤) ، سير أعلام النبلاء (٤ / ٤٧٥) للذهبي .

⁽٤) القذاة : ما يقع في العين والشراب والماء من تراب وغير ذلك . المعجم الوجيز (ص ٤٩٤) ، القاموس (٣ / ٥٧٨) .

⁽٥) قطحان : من أقدم قبائل العرب ، كانت تقع ديارها ما بين نجران وعسير . معجم قبائل العرب (٣ / ٩٤٠) لكحالة .

⁽٦) عدنان : شعب عظيم يتصل نسبهم بإسماعيل عليه السلام ، وكان موطنهم نجد . معجم قبائل العرب (٢ / ٧٦١) لكحالة .

⁽٧) الحجرات : ١٣ .

الجمع على جيل العجم حتى قيل : المحتقر أمر العرب شعوبي .

والقبائل جمع قبيلة من الناس بنو أب واحد ، وهو دون الشعب ، كبكر من ربيعة وتميم من مُضر .

وقيل : القبيلة الجماعة التي تكون من واحد ، ويقال لكل جمع على شيء واحد : قبيل .

قال الله تعالى : ﴿ إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لا تَرَوْنَهُمْ ﴾ (١) .

والشعب : القبيلة من قبائل الشجر وهي أغصانها .

وقيل : من قبائل الرأس وهي أطباق الأربع ، وقيل : لأن العمائر تقابلت عليها ، والعمائر واحدة عمارة ، وهي أصغر من القبيلة .

وقيل: العمارة هي الحي العظيم الذي يقوم بنفسه ، فدودان بن أسد عمارة. قال: الشعب يجمع القبائل ، والعمارة تجمع البطون ، والبطون واحدها: بطن ، وهو دون القبيلة ، وفخذ الرجل حَيُّه من أقرب عشيرته ورهطه الأدنون ، وقيل: الفصيلة أقرب أب الرجل إليه فكأنه قبيلة ، وقريش بطن ، وقصى عمارة ، وهاشم فخذه ، وبنو العباس فصيلة . وكما أن الله تعالى جعل العرب شعوباً وقبائل ، فقد جعل بني إسرائيل أسباطا ، فالسبط من بني إسرائيل كالقبيلة من العرب .

وبنو إسرائيل ويعقوب بن إسحاق بن إبراهيم الخليل صلوات الله وسلامه عليهم اثنا عشر سبطاً ، وهم : يوسف النبي ، وبنيامين ، وكاد ، ويهوذا ، ونفتالي ، وزبولون ، وشمعون ، ورؤوبين ، ويساخار ، ولاوى ، ودار ، وياشر . وكل ولد من هؤلاء الاثني عشر يقال له : سبط . ومنهم كلهم سائر بني إسرائيل . فإذا عرفت ذلك فاعلم أن موسى صلوات الله عليه وسلامه هو موسى بن عمران بن فاهب بن لاوى بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم عليهم الصلاة والسلام فهو من سبط لاوى الذين من سبط لاوى الذين عمرات الم يخلفه يوشع عليه السلام ، وهو من سبط أفرايم بن يوسف عليه السلام ، وهو بعيد من سبط لاوى ؛ وذلك أن يوشع بن نون بن اليشع بن صيهود بن لهذان بن تالح بن راشد بن بريعا بن أفرايم بن يوسف النبي بن يعقوب

⁽١) الأعراف : ٢٧ .

عليهما السلام . وهكذا وقع في الإسلام ، فإن رسول الله على سيد بني هاشم هو محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصى بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤى بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان بلا خلاف في ذلك(١) .

ولما توفي رسول الله ﷺ لم يخلفه في أمته أحد من بني هاشم الذين هم أقرب العرب إليه ،بل خلفه أبو بكر الصديق رضى الله عنه، وهو من بني تميم بن مرة بن كعب ، فإنه أبو بكر عبد الله بن أبي قحافة عثمان بن عامر بن كعب بن سعد بن تيم ابن مرة . فانظر كيف كان أبو بكر خليفة رسول الله عَلَيْ في البعد من جذم رسول الله عَيْكُ كُبُعد يوشع من أصل موسى عليهما السلام ، فإن أبا بكر رضى الله عنه إنما يلتقى مع رسول الله في مرة بن كعب بن لؤى بعد عدة آباء ، وكذلك يوشع إنما يلتقى مع موسى في يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم عليهما السلام بعد عدة آباء ، كما أنه قام بأمر بني إسرائيل بعد يوشع خليفة قومه جماعة مختلفو الأنساب بعضهم من سبط يهوذا ، وبعضهم من سبط بنيامين، وبعضهم من سبط منشا بن يوسف عليه السلام ، وبعضهم من سبط غان ، وبعضهم من سبط ذان ، كذلك قام في الخلافة بعد أبي بكر رضي الله عنه ، جماعة مختلفة أنسابهم بعضهم من بني عدى وهو عمر بن الخطاب بن نفيل بن عبد العُزى بن رباح بن عبد الله بن قرظ بن رزاح بن عدى بن كعب ، وبعضهم من بني العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصى وهو عثمان بن عفان بن أبي العاص ، وبعضهم من بني هاشم وهو على بن أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصى وابنه الحسن بن على بن أبى طالب رضوان الله عليهم أجمعين ، وبعضهم من بني حرب بن أمية بن عبد شمس وهم معاوية بن أبي سفيان رضى الله عنهما صخر بن حرب بن أمية وابنه يزيد بن معاوية بن أبي سفيان ، وبعضهم من بني أسد بن عبد العُزَّى بن قصى بن كلاب وهو عبد الله بن الزبير رضى الله عنهما ابن العوام بن أسد بن عبد العزى ، وبعضهم من بني الحكم بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس وهم مروان بن الحكم وابنه عبد الملك بن مروان وبنوه .

وكما أن بني إسرائيل استقر أمرهم بعد من ذكرنا في يهود كذلك استقرت

⁽١) انظر سيرة ابن هشام (١ / ٢٣) ، الروض الأنف (١ / ١١) .

الخلافة بعد من ذكرنا في بني العباس ، وكما أن يهوذا عم موسى عليه السلام كذلك العباس بن عبد المطلب بن هاشم هو عم رسول الله ﷺ . وكما أن يهوذا قُدَّمه يعقوب على إخوته وبشره ومدحه كذلك العباس رضي الله عنه كان رسول الله ﷺ يجله ويكرمه ويُثنى عليه. وكما أن أمر بني إسرائيل افترق في دولة بني يهوذا وصاروا بعد موت سليمان بن داود عليهما السلام فرقتين : فرقة بالقدس مع ابنه رجيعم بن سليمان عليه السلام وهو يهوذا وسبط بنيامين ، وفرقة بشمرون مع بربعام ابن نياط وهم بقية الأسباط ، كذلك لما صارت الخلافة في بني العباس افترق أمراء الأمة فصار في الأنبار ثم في بغداد بنو العباس وفي الأندلس عبد الرحمن بن معاوية ابن هشام بن عبد الملك بن مروان بن الحكم وبنوه من بعده فلم تدخل الأندلس تحت طاعة بني العباس، كما أنه تدخل شمرون تحت حكم سبط يهوذا . وكما أن مدينة القدس التي هي دار ملك يهوذا كانت تدعى أورشليم ومعناه : «دار السلام» ، كذلك بغداد دار ملك بنى العباس، كان يقال لها : دار السلام. وكما أن دولة بربعام من بعده بشمرون التي عرفت اليوم بنابلس انقرضت قبل دولة بني يهوذا بالقدس، فإنها لم تقم غير مائتين وإحدى وستين سنة ، فكذلك دولة بني أمية بالأندلس فإنها انقرضت قبل انقراض دولة بني العباس ، فكانت مدتهم مائتين وسبع وستين سنة. وكما أن دولة بني يهوذا بالقدس أقامت من عهد داود عليه السلام وهو أول من ملك منهم إلى أن انقرضت نحواً من خمسمائة سنة ، فإنها قامت أربعمائة وعشر سنين ،كذلك بنو العباس أقامت خلافتهم منذ أبي العباس عبد الله السفاح أول قائم منهم إلى أن انقرضت أيامهم خمسمائة وأربعا وعشرين سنة . وكما أن دولة بني يهوذا انقرضت على يد بختنصر، فإنه سار إليهم من بلاد المشرق وقاتلهم وهدم مدينة القدس دار ملكهم وقتل رجالهم وسبى نساءهم، فكذلك زالت دولة بني العباس على يد هولاكو لما قدم إلى بغداد من بلاد المشرق فقتل الرجال وسبى النساء.

وكما أن أمر بنى إسرائيل لم يجمع بعد زوال دولتهم لواحد يقوم بدينهم ، كذلك أمة محمد على الله لله تجتمع بعد انقراض خلافة بنى العباس لواحد ، بل صار في كل قطر ملك . وكما عاد لبنى إسرائيل ـ بعد إزالة بختنصر دولتهم ـ ملك كانوا فيه تحت يد اليونان وغيرهم مدة عمارة بيت المقدس بعد عودهم من الجالية ، كذلك أقام الأتراك ملوك مصر رجلاً من بنى العباس وجعلوه خليفة وليس له أمر

ولا نهى ولا نفوذ كلمة. وكما أن بنى إسرائيل قوم موسى عليه السلام قطعهم الله في الأرض ، إنما كذلك قريش قوم رسول الله عليه تفرقوا في أقطار الأرض وصاروا رعية ورعايا ليس لهم ملك ولا دولة . وكما أن أنساب بنى إسرائيل جهلت بأسرها إلا بعض بنى يهوذا ، فإن نسبهم متصل بداود عليه السلام ، كذلك قريش جهلت في هذه الأيام أنساب جميع بطونها إلا ما كان من بنى حسن وحسين ، فإن أنساب كثير منهم متصلة إلى على بن أبى طالب رضى الله عنه . فانظر _ أعزك الله _ كيف تشابه أمر هذه الأمة المحمدية بأمر الأمة الموسوية ، وقد أنذر بذلك رسول كيف تشابه أمر هذه الأمة المحمدية بأمر الأمة الموسوية ، وقد أنذر بذلك رسول الله، وكان هذا من أعلام نبوته لما بينته في كتاب « إمتاع الأسماع بما للرسول من الأبناء والأخوال والحفدة والمتاع عليه الله . .

فصل: ثبت في غير موضع من الصحيحين وغيرهما من حديث زيد بن أسلم عن عطاء بن يسار عن أبي سعيد الخدري رضى الله عنه قال: قال رسول الله عليه: «لتتبعن سُنن الذين من قبلكم شبراً بشبر وذراعاً بذراع حتى لو دخلوا جحر ضب لاتبعتموهم ، قلنا : يا رسول الله ، اليهود والنصاري ؟ قال : فمن » هذا لفظ مسلم ، ولفظ البخاري « لتتبعن سنن من قبلكم شبراً بشبر وذراعاً بذراع ، لو دخلوا جحر ضب تبعتموهم . . » الحديث (١) بمثله .

وفى لفظ له: لتتبعن سنن الذين من قبلكم شبراً بشبر وذراعاً بذراع حتى لو سلكوا جحر ضب لسلكتموه ، قلنا : يا رسول الله ، اليهود والنصارى ؟ . قال : فمن؟ . وَلَبَقَى بن مخلد(٢) من حديث أبى سلمة عن أبى هريرة رضى الله عنه أن النبى عَلَيْ قَال : « لتتبعن سنن من كان من قبلكم باعاً بباع وذراعاً بذراع وشبراً بشبر حتى لو دخلوا فى جحر ضب لدخلتم معهم . قالوا : يا رسول الله ، اليهود

⁽۱) رواه البخاری فی ك : الاعتصام بالكتاب والسنة ب / ۱۶ قول النبی : « لتتبعن سنن من قبلكم» (۷۳۲۰) ، و ك : الأنبياء ب / ۰۰ ما ذكر عن بنی إسرائيل (۳٤٥٦) ، ورواه مسلم ك : العلم ب / اتباع سنن اليهود والنصاری (۲ / ۲٦٦۹) عن أبی سعید .

⁽۲) بقى بن مخلد الحافظ المحدث أبو عبد الرحمن القُرطبى صاحب « التفسير » الجليل و « المسند » الكبير ، ولد فى رمضان سنة ۲۰۱ هـ وكان إماماً عالماً قدوة مجتهداً ، ثقة حجة ، توفى سنة ۲۷۲ هـ .

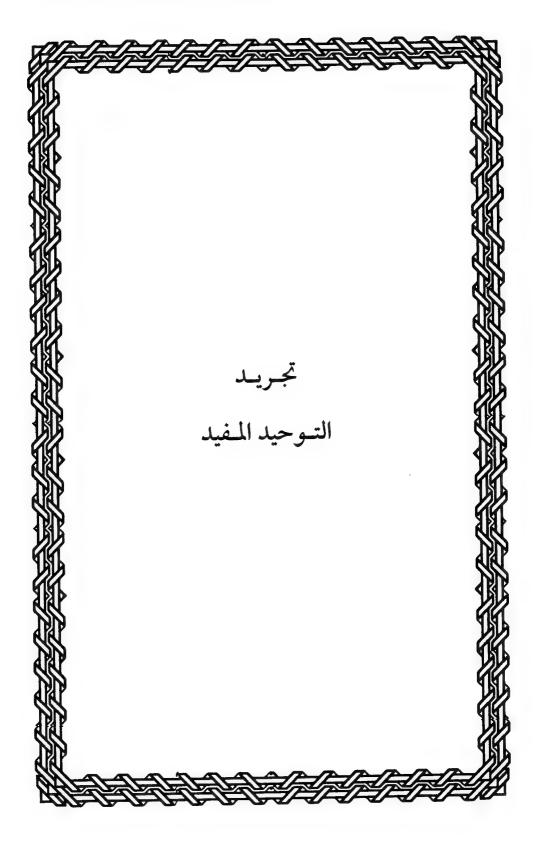
انظر : تذكرة الحفاظ (٢ / ٦٢٩) ، شذرات الذهب (٢ / ١٦٩) ، العبر (٢ / ٥٦) ، طبقات المفسرين (١ / ١٦٦) للداودي .

والنصاري ؟ قال: فمن ؟ » (١) .

والله أعلم بالصواب ، وإليه المرجع والمآب . وصلى الله على خير خلقه سيدنا محمد خاتم الأنبياء والمرسلين وعلى آله وصحبه الطيبين الطاهرين ، وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين .

تم

⁽۱) رواه ابن ماجة ك : الفتن ب / ۱۷ (٣٩٩٤) ، وأحمد في مسنده (٢ / ٤٥٠) ، والحاكم في المستدرك ك : الإيمان (١ / ٣٧) ، والطبراني في « الكبير » (٦ / ٢٢٩) ، وصححه البوصيري والحاكم والذهبي .





« تجريد التوحيد المفيد» « بسم الله الرحمن الرحيم »

الحمد لله رب العالمين ، والعاقبة للمتقين ، وصلى الله على سيدنا محمد خاتم النبيين، وعلى آله وصحبه أجمعين .

وبعد ، فهذا كتاب جَمّ الفوائد ، بديع الفرائد ، ينتفع به من أراد الله والدار الآخرة ، سميته :

كتاب تجريد التوحيد المفيد . والله أسأل العون على العمل به بمنه.

اعلم أن الله سبحانه وتعالى هو رب كل شيء ومالكه وإلهه فالرب مصدر : ربَّ يرُبُ ربا فهو رابٌ (١) : فمعنى قوله تعالى : ﴿ ربِّ العَلَمين ﴾ رابُّ العالمين ، فإن الرب سبحانه وتعالى هو الخالق الموجد لعباده ، القائم بتربيتهم وإصلاحهم، المتكفل بصلاحهم من خلق ورزق وعافية وإصلاح دين ودنيا .

والإلهية (٢) كون العباد يتخذونه سبحانه محبوباً مألوهاً ويفردونه بالحب والخوف والرجاء والإخبات (٣) والتوبة والنذر والطاعة والطلب والتوكل ونحو هذه الأشياء ، فإن التوحيد حقيقة أن ترى الأمور كلها من الله تعالى تقطع الالفتات (٤) إلى الأسباب والوسائط فلا ترى الخير والشر إلا منه تعالى ، وهذا المقام يثمر التوكل

⁽۱) قال صاحب القاموس: الرّبُ باللام لا يطلق لغير الله عَزَّ وجل ، ورب كل شيء مالكه ومُستحقُه أو صاحبه ، وجمعه: أربابٌ وربُوبٌ ، وقال ابن عطية : الرب في اللغة المعبود ، والسيد المالك والقائم بالأمور المصلح لما يفسد منها ، والملك ، ومما جاء بمعنى القائم السيد المالك قولهم : رب العبيد والمماليك ، ومن معنى المُلك قولهما أديم مربوب ، أي مصلح ، ومن معنى المُلك قول صفوان بن أمية لأخيه يوم حنين : " لأن يربني رجلٌ من قريش خيرٌ من أن يربني رجلٌ من هوازن » : وهذه الاستعمالات قد تتداخل ، فالرب على الإطلاق الذي هو رب الأرباب على كل جهة هو الله تعالى .

انظر ترتيب القاموس (٢/ ٢٨٢) ،المحرر الوجيز (٦٦/١) ، وابن كثير (٢٣/١) .

⁽٢) من أَلَهَ الْاهَةَ وَأَلُوهَةً بَعْنَى عَبَدَ عَبَادَةً ، وَمَنهُ لَفُظُّ الجلالة (الله) وأصَّلُه إِلَهُ _ كفعال _ بمعنى مالوه ، وكلُّ ما اتُّخذَ مَعْبُوداً إِلهُ عند مُتَّخِذِه (القاموس ١٧٣٣) .

⁽٣) أُخْبَتُ : خشع وتواضع لله .

⁽٤) في خ: التقاتل.

وترك شكاية الخلق(١) وترك لومهم والرضا عن الله والتسليم لحكمه .

وإذا عرفت ذلك فاعلم أن الربوبية منه تعالى لعباده ، والتأله من عباده له سبحانه ، كما أن الرحمة هي الوصلة بينهم وبينه _ عز وجل _ واعلم أن أنفس الأعمال وأجلها قدراً توحيد الله تعالى ، غير أن التوحيد له قشران :

الأول: أن تقول بلسانك: لا إله إلا الله ، ويسمى هذا القول توحيداً ، وهو مناقض للتثليث الذى تعتقده النصارى ، وهذا التوحيد يصدر أيضا من المنافق الذى يخالف سره جهره .

والقشر الثانى : ألا يكون فى القلب مخالفة ولا إنكار لمفهوم هذا القول ، بل يشتمل القلب على اعتقاد ذلك والتصديق به ، وهذا توحيد عامة الناس .

لباب التوحيد وجوهره:

ولباب التوحيد أن يرى الأمور كلها من الله تعالى ثم يقطع الالتفات عن الوسائط وأن يعبده سبحانه عبادة يقرّه بها ، ولا يعبد عيره . ويخرج عن هذا التوحيد اتباع الهوى ، فكل من اتبع هواه فقد اتخذ هواه معبوده ، قال تعالى : ﴿ أَرَأَيْتُ مَنِ اتَّخذَ إِلَهُهُ هَوَاهُ ﴾ (٢) وإذا تأملت عرفت أنَّ عابد الصنم لم يعبده ، إنما عبد هواه ، وهو ميل نفسه إلى دين آبائه ، فيتبع ذلك الميل ، وميل النفس إلى المألوفات أحد المعانى التي يُعبّر عنها بالهوى .

ويخرج عن هذا التوحيد السخط على الخلق والالتفات إليهم ، فإن من يرى الكل من الله كيف يسخط على غيره أو يأمل سواه ،وهذا التوحيد مقام الصديقين. ولا ريب أنَّ توحيد الربوبية لم ينكره المشركون ، بل أقروا بأنه سبحانه وحده خالقهم، وخالق السموات والأرض ، والقائم بمصالح العالم كله (٣) ، وإنما أنكروا

⁽١) أي ترك الالتفات لما في أيدي الناس وحسدهم على ما رزقهم الله .

⁽٢) سورة الفرقان : ٤٣ .

⁽٣) فقد كانوا مقرين بذلك ولم يدخلهم في الإسلام ؛ وذلك لأنهم جعلوا لله شريكاً في عبادته ودعائه، فلم يكونوا مخلصين له بالطلب منه وحده دون غيره ، وقد رُوى هذا عن جماعة من السلف كما في تفسير ابن جرير (١٣/ ٥٠ ، ٥١) ، وانظر تفصيل الكلام على توحيد الربوبية في اقتضاء الصراط المستقيم (٣٥٦، ٣٥٧) لابن تيمية ، تيسير العزيز الحميد (ص ٣٥) لسليمان بن عبد الله ، فتح المجيد (ص ١٤، ١٥) لعبد الرحمن بن حسن آل الشيخ ، مدارج السالكين (7/3) لابن القيم ، والتفسير القيم (ص ٥٤) لابن القيم .

توحيد الإلهية والمحبة كما قد حكى الله تعالى عنهم فى قوله: ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لَلَّه﴾ (١) فلما سووا غيره به فى هذا التوحيد كانوا مشركين كما قال تعالى : ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بربَهمْ يَعْدلُونَ ﴾ (٢).

وقد علم الله تعالى عباده كيفية مباينة الشرك في توحيد الإلهية ، وأنه تعالى [حقيق] بإفراده ولياً وحكماً ورباً فقال تعالى : ﴿ قُلْ أَغَيْرَ اللّهِ أَتَخِذُ وَلِياً ﴾ (٣) وقال : ﴿ قُلْ أَغَيْرَ اللّهِ أَبْغِي رَبّاً ﴾ (٥) فلا ولى ولا حكم ﴿ أَفَغَيْرَ اللّهِ أَبْغِي رَبّاً ﴾ (٥) فلا ولى ولا حكم ولا رب إلا الله الذي من عدل به غيره فقد أشرك في الوهيته ولو وحد ربوبيته ، فتوحيد الربوبية هو الذي اجتمعت فيه الخلائق مؤمنها وكافرها ، وتوحيد الإلهية مفرق الطرق بين المؤمنين والمشركين ؛ ولهذا كانت كلمة الإسلام : لا إله إلا الله ، ولو قال : لا ربّ إلا الله ، لما أجزأه عند المحققين .

فتوحيد الألوهية هو المطلوب من العباد ؛ ولهذا كان أصل الله : الإله ، كما هو قول سيبويه (٦) ، وهو الصحيح وهو قول جمهور أصحابه إلا من شذ منهم (٧) .

وبهذا الاعتبار الذي قررنا به الإله وأنه المحبوب لاجتماع صفات الكمال فيه كان الله هو الاسم الجامع لجميع معانى الأسماء الحسنى والصفات العليا وهو الذي ينكره المشركون ، ويحتَجُ الربُ سبحانه وتعالى عليهم بتوحيدهم ربوبيته على توحيد ألوهيته كما قال تعالى :

﴿ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلامٌ عَلَىٰ عَبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَىٰ آللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ . أَمَّنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنزَلَ لَكُمْ مَنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا بِهِ حَدَائِقَ ذَاتَ بَهْجَةً مَّا كَانَ لَكُمْ أَن تُنْبِتُوا شَجَرَهَا أَإِلَهُ مَّعَ اللَّه بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدَلُونَ . . . ﴾ (٨)

⁽١) سورة البقرة : ١٦٥ .

⁽٣) الأنعام : ١٤ .

⁽۲) الأنعام : ۱ .(٤) الأنعام : ۱۱٤ .

⁽٥) الأنعام : ١٦٤ .

⁽٦) سيبويه هو عمرو بن عثمان بن قنبر أو شبر ، ويقال : أبو الحسن الملقب بسيبويه كان أعلم المتقدمين والمتأخرين بالنّحو ولم يوضع فيه مثل كتابه ، وسيبويه لقب ، ومعناه : رائحة التفاح انظر: وفيات الأعيان (٣/٤٦٣) لابن خلكان ، ومعجم الأدباء (١١٤/١٥) .

⁽٧) واختاره الفيروز آبادى وقال : واخْتُلْفَ فيه على عشرين قوْلاً ذكرْتُها في « المباسيط » . وأصَحُها أنه عَلَمٌ غير مشتق وأصله إلَهٌ . ترتَيب القاموس (١٧٣/١) .

⁽٨) النمل: ٢٠،٥٩.

وكلما ذكر تعالى فى آياته جُملة من الجمل قال عقبها : ﴿أَإِلَهُ مَّعَ اللَّهِ ﴾ ، فأبان سبحانه وتعالى بذلك أن المشركين إنما كانوا يتوقفون فى إثبات (١) توحيد الإلهية لا الربوبية على أن منهم من أشرك فى ربوبيته (٢) كما يأتى بعد ذلك إن شاء الله تعالى.

وبالجملة فهو تعالى يحتج على منكرى الإلهية بإثباتهم الربوبية ، والملك هو الآمر الناهى الذى لا يخلق خلقاً بمقتضى ربوبيته ويتركهم سدى معطلين لا يؤمرون ولا ينهون ولا ينابون ولا يعاقبون فإن الملك هو الآمر الناهى المعطى المانع الضار النافع المثيب المعاقب ؛ ولذلك جاءت الاستعاذة (٣) في سورة الناس وسورة الفلق بالأسماء الحسنى الثلاثة: الرب والملك والإله ، فإنه لما قال : ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِ النَّاسِ ﴾ (٤) كان فيه إثبات أنه خالقهم وفاطرهم ، فبقى أن يقال : لما خلقهم هل كلفهم وأمرهم ونهاهم؟قيل: نعم ، فجاء ﴿ مَلِكِ النَّاسِ ﴾ فأثبت الخلق والأمر ﴿أَلا لَهُ الْخُلُقُ وَالأَمْرُ ﴾ (٥) ، فلما قيل ذلك قيل : فإذا كان رباً موجداً وملكاً مُكلِّفاً ، فهل يحب ويرغب إليه ويكون التوجه إليه غاية الخلق والأمر ؟ قيل : ﴿إِلَهِ النَّاسِ ﴾ أى مألوههم ومحبوبهم الذي لا يتوجه العبد المخلوق المكلف العابد إلا له ، فجاءت الإلهية خاتمة وغاية ، وما قبلها كالتوطئة لها ، وهاتان السورتان أعظم عَوْذَة (١) في القرآن ، وجاءت الاستعاذة بهما وقت الحاجة إلى ذلك ، وهو حين سُحِرَ النبي ﷺ وخيلً له أنه يفعل

⁽١) في الأصل: فإثبات.

⁽٢) وهم طائفة قليلة منهم ، قال الشهرستانى : « وصنف منهم أقروا بالخالق وابتداء الخلق ونوع من الإعادة وأنكروا الرسل وعبدوا الأصنام ، وزعموا أنهم شفعاؤهم عند الله فى الدار الآخرة وحجوا إليها ونحروا لها الهدايا ، وتقربوا إليها بالمناسك والمشاعر وهم الدهماء من العرب إلا شرذمة منهم » الملل والنحل (٢/ ١٢٣٢) .

⁽٣) الاستعادة : هي الالتجاء إلى الله والالتصاق بجنابه من شر كل ذى شر ، والعيادة تكون لدفع الشر قاله ابن كثير ، وحقيقتها : الهرب من شيء تخافه إلى من يعصمك منه ، ولهذا يسمى المستعاد به معاداً ، وملجأ ، فالعائذ بالله قد هرب مما يؤذيه أو يهلكه إلى ربه ومالكه ، وفر إليه، وألقى نفسه بين يديه واعتصم به ، واستجاره ، والتجأ إليه ، قاله ابن القيم . انظر : تفسير ابن كثير (١/ ١٥) ، التفسير القيم (ص ٥٣٩) لابن القيم ، تيسير العزيز الحميد (ص ٢٠٩) لسليمان بن عبد الله .

⁽٤) سورة الناس : ١ .

⁽٦) أي أعظم ما يستعاذ به .

⁽٥) سورة الأعراف : ٥٤ .

الشيء وما فعله (١)، وأقام على ذلك أربعين يوماً كما في الصحيح (٢)، وكانت عقد السحر إحدى عشرة عقدة ، فأنزل الله المعودتين إحدى عشرة آية فانحلت بكل آية عقدة (٣)، وتعلقت الاستعادة في أوائل القرآن باسمه الإله، وهو المعبود وحده لاجتماع صفات الكمال فيه، ومناجاة العبد لهذا الإله الكامل ذي الأسماء الحسني والصفات العليا المرغوب إليه في أن يعيذ عبده الذي يناجيه بكلامه من الشيطان الحائل بينه وبين مناجاة ربه، ثم استحب التعلق باسم الإله في جميع المواطن التي يقال فيها: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم؛ لأن اسم الله هو الغاية للأسماء ؛ ولهذا كان كل اسم بعده لا يتصرف إلا به، فتقول : الله هو السلام المؤمن، فالجلالة تعرف غيرها، وغيرها لا يعرفها، والذين أشركوا به تعالى في الربوبية منهم من أثبت معه خالقاً وإن لم يقولوا: إنه مكافئ له، وهم المشركون ومن ضاهاهم من القدرية (٤)، وربوبيته سبحانه للعالم الربوبية الكاملة المطلقة الشاملة تبطل أقوالهم ؛ لأنها تقتضى ربوبيته لجميع ما فيه من الذوات والصفات والحركات والأفعال.

وحقيقة قول القدرية المجوسية أنه تعالى ليس ربا لأفعال الحيوان ولا تتناولها ربوبيته، إذ كيف يتناول ما لا يدخل تحت قدرته ومشيئته وخلقه .

⁽۱) رواه البخارى ك : الطب (٥٧٦٥) ، الدعوات (٥٧٦٦) ، ومسلم ك : السلام (٢١٨٩/٤٠٣) ، وأحمد في مسنده (٦/٦٣) ، وابن سعد في الطبقات (٦/ ٢/٤) من حديث عائشة .

⁽۲) ذكره الحافظ في الفتح (۲/ ۲۳۷) وعزاه إلى الإسماعيلي في رواية أبي ضمرة وفي رواية أحمد في مسنده (۲/ ۱۳) « فمكث ستة أشهر » قال ابن حجر : ويمكن الجمع بأن تكون الستة أشهر من ابتداء تغير مزاجه ، والأربعين يوماً من استحكامه _ أي السحر _ وقال السهيلي :لم أقف في شيء من الأحاديث المشهورة على قدر المدة التي مكث فيها النبي سي في السحر حتى ظفرت بها في « جامع معمر » ، عن الزهري أنه لبث ستة أشهر ، قال ابن حجر : كذا قال . وقد وجدناه موصولاً بإسناد صحيح فهو المعتمد .

⁽٣) جاء ذلك فى رواية لابن عباس عند ابن سعد فى « الطبقات الكبرى » (٦/٢/٢) من طريق جويبر ــ وهو متروك ــ عن الضحاك ولم يسمع من ابن عباس ، وذكره ابن كثير عن الثعلبى المفسر من رواية ابن عباس وعائشة بغير سند . انظر : تفسير ابن كثير (٤/٤/٥) .

⁽٤) القدرية : هم الذين يقولون : إن الله تعالى غير خالق لأفعال الناس ، وأن العبد يخلق أفعال نفسه ، ويزعمون أن الناس هم الذين يقدرون أكسابهم ، وأنه ليس لله عز وجَّل في أكسابهم ولا في أعمار سائر الحيوانات صنع ولا تقدير ، وهم فرقة من المعتزلة .

انظر : الفرق بين الفرق (ص ٩٥،٩٤) للبغدادي ، مقالات الإسلاميين (١/٢٣٨) للأشعري .

« أنواع الشرك الواقع في الأمم » :

وشرك الأمم نوعان : شرك في الإلهية ، وشرك في الربوبية . فالشرك في الإلهية والعبادة هو الغالب على أهل الإشراك ، وهو شرك عباد الأصنام ، وعباد الملائكة ، وعباد الجن ، وعباد المشايخ والصالحين الأحياء والأموات الذين قالوا: إنما نعبدهم ليقربونا إلى الله زُلفي(١) ويشفعون لنا عنده وينالنا بسبب قربهم من الله [و] (٢) كرامته لهم قرب وكرامة كما هو المعهود في الدنيا من حصول الكرامة والزلفي لمن يخدم أعوان الملك وأقاربه وخاصته .

والكتب الإلهية كلها من أولها إلى آخرها تبطل هذا المذهب وترده وتقبح أهله وتنص على أنهم أعداء الله تعالى . وجميع الرسل صلوات الله عليهم متفقون على ذلك من أولهم إلى آخرهم ، وما أهلك الله تعالى من أهلك مِن الأمم إلا بسبب هذا الشرك ومن أجله .

« الإشراك في المحبة »:

⁽١) إشارة إلى قوله تعالى في سورة الزمر آية : ٣ ﴿ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلاَّ لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰ ﴾ .

⁽٢) ساقطة من الأصل .

⁽٣) البقرة : ١٦٥ .

⁽٤) القولان المشار إليهما ذكرهما العلامة ابن القيم في « مدارج السالكين » (٣/ ١٥،١٤) في قوله : ﴿ يُحبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ ﴾ فيه قولان :

أحدهما : يحبونهم كما يحبون الله ، فيكون قد أثبت لهم محبة لله ولكنها محبة يشركون فيها مع الله أنداداً .

والثانى: أن المعنى: يحبون أندادهم ، كما يحب المؤمنون الله ، ثم بين أن محبة المؤمنين لله أشد من محبة أصحاب الأنداد لأندادهم. وقد كان شيخ الإسلام ابن تيمية يرجح القول الأول، ويقول: إنما ذُموا بأن شرَّكوا بين الله وبين أندادهم فى المحبة ولم يخلصوها لله ، كمحبة المؤمنين له . قلت: وانظر: التفسير القيم (ص ١٣٩) لابن القيم ، وقاعدة فى المحبة لابن تيمية (ص ١١٥) ، وابن كثير (٢٠٢) .

⁽٥) الأنعام : ١ .

القولين (١) أنهم يعدلون به غيره في العبادة فيسوون بينه وبين غيره في الحب والعبادة ، وكذلك قول المشركين في النار لأصنامهم ﴿ تَاللّه إِن كُنّا لَفِي ضَلال مبين . إِذْ نُسُويكُم بِرَبّ الْعَالَمِينَ ﴾ (٢) ومعلوم قطعاً أن هذه التسوية لم تكن بينهم وبين الله في كونه ربهم وخالقهم ، فإنهم كانوا كما أخبر الله عنهم مقرين بأن الله تعالى وحده هو ربهم وخالقهم، وأن الأرض ومن فيها له وحده، وأنه رب السموات السبع ورب العرش العظيم ، وأنه سبحانه هو الذي بيده ملكوت كل شيء وهو يجير ولا يجار عليه، وإنما كانت هذه التسوية بينهم وبين الله تعالى في المحبة والعبادة (٣).

« صرف العبادة إلى غير الله شرك أكبر»:

فمن أحب غير الله تعالى وخافه ورجاه وذل له كما يُحبُ الله ويخافه ويرجوه فهذا هو الشرك الذي لا يغفره الله ، فكيف بمن كان غير الله آثر عنده وأحب إليه وأخوف عنده، وهو في مرضاته أشد سعياً منه في مرضاة الله ، فإذا كان المسوى بين الله وبين غيره في ذلك مشركاً ، فما الظن بهذا ؟ فعياذاً بالله من أن ينسلخ القلب من التوحيد والإسلام كانسلاخ الحية من قشرها، وهو يظن أنه مسلم موحد فهذا أحد أنواع الشرك .

« كثرة الأدلة على توحيده تعالى »:

والأدلة الدالة على أنه تعالى يجب أن يكون وحده هو المألوه يبطل هذا الشرك ويدحض حجج أهله ، وهو أكثر من أن يحيط به إلا الله ، بل كل ما خلقه الله تعالى فهو آية شاهدة بتوحيده ، وكذلك كل ما أمر به فخلقه وأمره ، وما فطر عليه عباده وركبه فيهم من العقول شاهد بأن الله الذى لا إله إلا هو ، وأن كل شيء معبود سواه باطل ، وأنه هو الحق المبين تقدس وتعالى.

شعر

وواعَجبًا كيف يعصى الإله أمْ كيف يجحده الجاحدُ وللهِ في كلِ تحريكة وتسكينة أبدًا شاهدُ وفي كلِ شيءٍ له آيةٌ تَدلُ عَلَى أَنَهُ وَاحيدُ

⁽۱) وصححه كذلك ابن تيمية، وابن القيم كما في المصادر السابقة ، وابن كثير في تفسيره (۲،۳/۱). (۲) الشعراء : ۹۸،۹۷ .

⁽٣) ونحوه للإمام ابن القيم في كتابه « جلاء الأفهام » (ص ٣٠٦) .

قال : ومن المعلوم أنهم إنما سووهم به سبحانه في الحب والتأليه والعبادة ، وإلا فلم يقل أحدٌ قط : إن الصنم أو غيره من الأنداد مساو لرب العالمين في صفاته وأفعاله ، وفي خلق السموات والأرض ، وإنما كانت التسوية في المحبة والعبادة .

« الشرك في الربوبية »:

والنوع الثانى من الشرك: الشرك به تعالى فى الربوبية كشرك من جعل معه خالقاً آخر، كالمجوس وغيرهم الذين يقولون بأن للعالم ربين: أحدهما خالق الخير ويقولون له بلسان الفارسية: «يزدان»، والآخر خالق الشر ويقول له المجوس بلسانهم: «أهرمن»، وكالفلاسفة ومن تبعهم الذين يقولون بأنه لم يصدر عنه إلا واحد بسيط وأن مصدر المخلوقات كلها عن العقول والنفوس، وأن مصدر هذا العالم عن العقل الفعال فهو رب كل ما تحته ومدبره، وهذا شر من شرك عباد الأصنام والمجوس والنصارى، وهو أخبث شرك فى العالم ؟ إذ يتضمن من التعطيل وجحد الإلهية والربوبية واستناد الخلق إلى غيره سبحانه وتعالى ما لم يتضمنه شرك أمة من الأمم.

« شرك القدرية »:

وقد روى أهل السنن فيهم ذلك مرفوعاً « أنهم مجوس هذه الأمة » (١) وكثيراً ما يجتمع الشركان في العبد وينفرد أحدهما عن الآخر . والقرآن الكريم ،بل الكتب المنزلة من عند الله تعالى كلها مصرحة بالرد على أهل هذا الإشراك كقوله تعالى: ﴿إِياك نعبد﴾ فإنه ينفى شرك المحبة والإلهية . وقوله: ﴿وإِياك نستعين﴾ فإنه ينفى شرك الحبة والإلهية تجريد التوحد لرب العالمين في فإنه ينفى شرك الخلق والربوبية ، فتضمنت هذه الآية تجريد التوحد لرب العالمين في العبادة وأنه لا يجوز إشراك غيره معه لا في الألفاظ ولا في الإرادات، فالشرك به في الأفعال كالسجود لغيره سبحانه وتعالى ، والطواف بغير بيته المحرم ، وحلق

⁽۱) لفظه « القدرية مجوس هذه الأمة إن مرضوا فلا تعودوهم ، وإن ماتوا فلا تشهدوهم » عن ابن عمر مرفوعاً وهو حسن بشواهده ، رواه أبو داود ك : السنة (٤٦٩١) ، وأحمد في مسنده (٥٥٨٨) ، وابن أبي عاصم في السنة من طرق (٣٣٥) (٣٣٥) (١٤٨/١) ، والحاكم في المستدرك (١٥٨١) ، والآجرى في الشريعة (ص ١٩٠) ، وصححه الحاكم على شرطهما . قال الخطابي في شرح والآجرى في الشريعة مجوساً لمضاهاة مذهبهم مذاهب المجوس في قولهم بالأصلين: النور والظلمة، يزعمون أن الخير من فعل النور ، والشر من فعل الظلمة ، وكذلك القدرية يضيفون الخير إلى الله، والشر إلى غيره ، والله سبحانه وتعالى خالق الخير والشر لا يكون شيء منهما إلا بمشيئته » معالم السنن (٦٦/٥) .

الرأس عبودية وخضوعًا لغيره ، وتقبيل الأحجار غير الحجر الأسود الذي هو يمينه تعالى في الأرض، أو تقبيل القبور واستلامها والسجود لها.

« النهى عن اتخاذ القبور مساجد »:

وقد لعن النبى ﷺ من اتخذ قبور الأنبياء والصالحين مساجد لله يصلى فيها ، فكيف بمن اتخذ القبور أوثاناً تعبد من دون الله؟ فهذا لم يعلم معنى قول الله تعالى: ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ ﴾

وفي الصحيح عنه ﷺ أنه قال :

« لعن الله اليهود والنصارى؛ اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد » (١) وفيه عنه أيضا «إن من شرار الناس من تدركهم الساعة وهم [أحياء] والذين يتخذون القبور مساجد » (٢).

وفيه عنه أيضًا عِلَيْكُمْ :

« ألا إن من كان قبلكم كانوا يتخذون القبور مساجد ، ألا فلا تتخذوا القبور مساجد فإنى أنهاكم عن ذلك » (٣) .

وفي مسند أحمد وصحيح ابن حبان عنه ﷺ:

« لعن الله زوارات القبور والمتخذين عليها المساجد والسرج » (٤) .

⁽۱) متفق عليه رواه البخارى ك : الصلاة ب/ ٥٥ (٤٣٥) ومسلم ك : المساجد ومواضع الصلاة ب/ ٣ (٥٢٩) ، وأبو عوانة فى صحيحه (١/ ٣٩٩) ،وابن أبى شيبة فى المصنف ك : الصلاة (٢/ ٣٧٦) عن عائشة .

 ⁽۲) رواه أحمد فى مسنده (۱/ ٤٣٥) ، وابن أبى شيبة فى المصنف ك : الجنائز (٣/ ٣٤٥) ، وابن خزيمة فى صحيحه : جامع أبواب الصلاة (٧٨٩) ، والطبرانى فى « معجمه الكبير » (١٠/ ٢٣٢) وصححه ابن خزيمة وإسناده حسن عن ابن مسعود .

⁽٣) رواه مسلم ك : المساجد ب/٣ (٢٣ / ٥٣٢) ، وأبو عوانة في صحيحه (١/١) من حديث جندب بن عبد الله .

⁽٤) رواه أبو داود ك : الجنائز (٣٢٣٦) ، والترمذى ك : الصلاة (٣٢٠) ، والنسائى فى الجنائز (٩٥/٤) ، وأحمد فى مسنده (٣٢٩٣) ، وابن حبان (موارد ٧٨٨) وابن أبى شيبة ك : الجنائز (٣/ ٩٥/٤) ، والحاكم فى المستدرك (٢/ ٣٧٤) ، وفى سنده أبو صالح باذان وهو مختلف فيه، وللحديث شواهد دون قوله : « والسرج » .

وقال ﷺ : « اشتد غضب الله على قوم اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد » (١) .

وقال ﷺ : « إن من كان قبلكم كانوا إذا مات فيهم الرجل الصالح بنوا على قبره مسجداً وصوروا فيه تلك الصور، أولئك شرار الخلق عند الله » (٢) .

أقسام الناس في زيارة القبور:

والناس في هذا الباب _ أعنى زيارة القبور _ ثلاثة أقسام :

قوم يزورون الموتى فيدعون لهم وهذه هي الزيارة الشرعية .

وقوم يزورونهم يدعون بهم (٣) ، وهؤلاء هم المشركون وجهلة العوام والطغام من غلاتهم.

وقوم يزورونهم فيدعونهم أنفسهم ، وقد قال النبي ﷺ : « اللهم لا تجعل قبرى وثناً يعمد » (٤) .

وقد حمى النبى ﷺ جانب التوحيد أعظم حماية تحقيقاً لقوله تعالى: ﴿ إِيَّاكُ نَعْبُدُ ﴾ حتى نهى عن الصلاة فى هذين الوقتين (٥) [لكونه](٦) ذريعة إلى التشبه بُعبّاد الشمس الذين يسجدون لها فى هاتين الحالتين . وسد الذريعة بأن منع من الصلاة بعد العصر والصبح(٧) ؛ لاتصال هذين الوقتين بالوقتين اللذين يسجد المشركون فيهما

⁽١) أوله: « اللهم لا تجعل قبري وثنا يعبد أشد . . . » إلى آخر الحديث .

رواه مالك في الموطأ (١٧٣/١) ، وابن سعد في « الطبقات » (٢/٢/٣) ، عن عطاء بن يسار مرسلاً ، ورواه عبد الرزاق في « مصنفه » (٢/٢/١) ، وابن أبي شيبة ك : الصلاة (٣/ ٣٧٥) عن زيد بن أسلم مرسلاً كذلك ، ورواه البزار (كشف الأستار ٤٤٠) موصولاً ، وصححه ابن عبد البر في التمهيد (٥/ ٤١ ــ ٤٣) .

⁽۲) متفق عليه : رواه البخارى ك : الصلاة (۲۷٪) ، ومسلم ك : المساجد (۵۲۸) ، وأحمد (۲/ ۵۱)، وأبو عوانة في صحيحه (۱/ ۱٪) عن عائشة .

⁽٣) يعنى بقوله « يدعون بهم » الاستشفاع بهم ، وسؤالهم التوسط ولا يعنى التوجه بالذوات أو الجاه ونحو ذلك ، لأن هذا ليس شركاً ، بل هو بدعة .

⁽³⁾ رواه أحمد في مسنده (٢٤٦/٢) ، والحميدي في مسنده (١٠٢٥) ، وابن سعد في « الطبقات الكبرى » (٣٦/٢/٢) ، وأبو نعيم في « الحلية » (٢/٣/٦) وسنده صحيح من حديث أبي هريرة، وله شواهد مرسلة تؤكده .

⁽٥) المراد بالوقتين ، وقت طلوع الشمس ووقت غروبها ، حتى لا يكون المصلى متشبهاً بمن يعبد الشمس ويسجد لها .

⁽٦) ساقطة من المخطوطة .

⁽٧) ثبت ذلك في حديث لأبي سعيد الخدري مرفوعًا ﴿ لا صلاة بعد صلاة الفجر حتى تطلع =

للشمس.

النهي عن السجود لغير الله:

وأما السجود لغير الله، فقال عليه الصلاة والسلام : « لا ينبغى لأحد أن يسجد لأحد إلا لله » (١) .

ولا ينبغي في كلام الله ورسوله، إنما يستعمل للذي هو في غاية الامتناع كقوله تعالى: ﴿وَمَا عَلَمْنَاهُ الشّعْرَ وَمَا يَنْبَغِي تعالى: ﴿وَمَا عَلَمْنَاهُ الشّعْرَ وَمَا يَنْبَغِي لَوَّمَ عَلَمْنَاهُ الشّعْرَ وَمَا يَنْبَغِي لَهُمْ ﴾ (٤) وقوله تعالى : ﴿وَمَا يَنْبَغِي لَهُمْ ﴾ (٤) وقوله تعالى : ﴿مَا كَانَ يَنْبَغِي لَهُمْ ﴾ (٤) وقوله تعالى : ﴿مَا كَانَ يَنْبَغِي لَهُمْ ﴾ (٤) .

الشرك في الألفاظ:

ومن الشرك بالله تعالى المباين لقوله تعالى : ﴿ إِيَّاكُ نَعْبُدُ ﴾ الشرك به فى اللفظ كالحلف بغيره ، كما رواه الإسم أصلحه أو النه فقد أشرك » (٢) صححه الحاكم وابن حبان . قال ابن حبان : أخبرنا الحسن وسفيان ، حدثنا عبد الله بن عمر الجعفى ، ثنا عبد الرحمن بن سليمان عن الحسن بن عبد الله النخعى عن سعد بن عبيدة قال : كنت عند ابن عمر – رضى الله عنهما صعد لله الكعبة فقال ابن عمر : « ويحك ، لا تفعل ، قال : سمعت رسول الله فحلف رجل بالكعبة فقال ابن عمر : « ويحك ، لا تفعل ، قال : سمعت رسول الله

⁼ الشمس، ولا صلاة بعد العصر حتى تغرب الشمس » رواه البخارى ك : المواقيت (٥٨٦) ومسلم ك : صلاة المسافرين (٨٢٧) ، وأحمد في مسنده (٣/ ٩٥) ، وأبو عوانة (١/ ٣٨١،٣٨٠) .

⁽۱) لم أجده بهذا السياق وبنحوه عند البيهقى فى « دلائل النبوة » (١٩/٦) بلفظ: «لا ينبغى لبشر أن يسجد لبشر » وبلفظ قريب منه عند الدارمى فى السنن (٢٢/١) وابن أبى شيبة فى « المصنف» ك: النكاح (٤/٣٠) من حديث جابر ، والحديث ثابت من طرق كثيرة بلفظ « لو أمرت أحداً أن يسجد لأحد لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها من عظم حقه » صحيح رواه البزار (١٤٦١) ، وأحمد (٤/٣٨) وابن حبان (١٣٩٠) ، وابن ماجه ك : النكاح (١٨٥٣) ، وعبد الرزاق فى المصنف (٢٥٥٦) .

⁽۲) مريم : ۹۲ . (۳) پس : ۹۹ .

⁽٤) الشعراء : ۲۱۰ . (٥) الفرقان : ۱۸ .

⁽٦) صحیح : رواه أحمد (۲/ ۲۹) ، وابن حبان فی صحیحه (موارد : ۱۱۷۷) والطحاوی فی «مشکل الآثار » (۳۰۹/۱) ، والبیهقی فی « السنن » (۲۹/۱۰) وإسناده صحیح ، وروی عن ابن عمر بلفظ « من حلف بغیر الله فقد کفر » رواه الترمذی (۱۵۳۵) ، وأحمد (۲۹/۱۰) ، والحاکم (۱۸/۱) والبیهقی (۲۹/۱۰) وصححه الحاکم والذهبی وقال فی الکبائر: إسناده علی شرط مسلم.

عَيِّلَةٍ : « من حلف بغير الله تعالى فقد أشرك » (١) .

ومن الإشراك قول القائل لأحد من الناس: ما شاء الله وشئت، كما ثبت عن النبي على أنه قال له رجل : ما شاء الله وشئت. فقال على : « اجعلتني لله ندا ، فقل ما شاء الله وحده سبحانه قد أثبت للعبد مشيئة، كقوله تعالى: ﴿ لَمَن شَاءَ منكُمْ أَن يَسْتَقِيمٍ ﴾ (٣) فكيف بمن يقول: أنا متوكل على الله وعليك ، وأنا في حسب الله وحسبك ، وما لي إلا الله وأنت ، وهذا من الله ومنك، وهذا من بركات الله وبركاتك ، والله لي في السماء وأنت لي في الأرض. فوازن بين هذه الألفاظ الصادرة من غالب الناس اليوم وبين ما نهي الله عنه من : شاء الله وشئت، ثم انظر أيها أفحش يتبين لك أن قائلها أولى [بالبعد] من ﴿ إِيَّاكُ نَعْبُدُ ﴾، وبالجواب من النبي على للقائل لتلك الكلمة وأنه إذا كان قد جعل رسول الله على ندا ، فهذا قد جعل من لا يدانيه لك ندا ، وبالجملة فالعبادة المذكورة في قوله: ﴿ إِيَّاكُ نَعْبُدُ ﴾ وبالجواب من النبي على الله على الله عنه من النبي والتهليل والتوكل والإنابة والتقوى والخشية والتوبة والنذور والحلف والتسبيح والتكبير والتهليل والتجميد والاستغفار وحلق الرأس (٤) خضوعًا وتعبداً ، والدعاء، كل ذلك محض حق لله تعالى .

وفى مسند أحمد أن رجلاً أتى به النبى ﷺ قد أذنب ذنبًا ، فلما وقف بين يديه قال: «اللهم إنى أتوب إليك ولا أتوب إلى محمد. فقال ﷺ : عرف الحق لأهله» (٥) وخرجه الحاكم من حديث الحسن عن الأسود بن سريع وقال : حديث صحيح .

⁽١) انظر : موارد الظمآن في زوائد ابن حبان (ك: الأيمان ب/ ٢ : فيما يحلف به) (١١٧٧) .

⁽۲) حسن : رواه أحمد في « المسند » (٢/ ٢٢٤، ٢١٤) ، والنسائي في عمل اليوم والليلة (٩٩٥) ، وابن ماجه ك: الكفارات (٢١١٧) ، وابن السني في عمل اليوم (٦٦٧) ، والبخاري في « الأدب المفرد » (٧٨٣) وسنده حسن ".

⁽٣) سورة التكوير : ٢٨ .

⁽³⁾ جاء في زاد المعاد (٣/ ١١٥) لابن القيم ما ملخصه أن حلق الرأس ثلاثة أنواع أحدها: نسك وقربة كما في الحج والعمرة ،وفيه من العبودية والخضوع والذل ؛ولهذا كان من تمام الحج، حتى أنه عند الشافعي ركن من أركانه . والثاني : شرك وبدعة كما يحلقها المريدون لشيوخهم فيقول أحدهم : أنا حلقت رأسي لفلان ،وهذا بمنزلة أن يقول : سجدت لفلان، فإن حلق الرأس خضوع وعبودية: بل هو أبلغ أنواعها ، ولهذا كانت العرب إذا أرادت إذلال الأسير منهم وعتقه حلقوا رأسه وأطلقوه ، فجاء شيوخ الضلال والمزاحمون للربوبية فزينوا لهم ذلك . . . » .

⁽٥) رواه أحمد في مسنده (٣/ ٤٣٥) ، والحاكم في المستدرك ك : التوبة (٤/ ٢٥٥) والطبراني في =

الشرك في الإرادة والنية:

وأما الشرك في الإرادات والنيات ، فذلك البحر الذي لا ساحل له ، وقل من ينجو منه ، فمن نوى بعمله غير وجه الله تعالى فلم يقم بحقيقة قوله : ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ ﴾ ، فإن ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ ﴾ هى الحنيفية ملة إبراهيم التي أمر الله بها عباده كلهم ولا يقبل من أحد غيرها ، وهي حقيقة الإسلام ﴿ وَمَن يَنْتَغ غَيْر الإسلام دينا فلَن يُقْبَلَ منه وَهُو فِي الآخِرة مِنَ الْخَاسِرِين ﴾ (١) فاستمسك بهذا الأصل ، وردً ما أخرجه المبتدعة والمشركون إليه تُحقِق معنى الكلمة الإلهية .

بطلان الوسائط والشفعاء في التقرب إلى الله:

فإن قيل: المشرك إنما قصد تعظيم جناب الله تعالى وأنه لعظمته لا ينبغى الدخول عليه إلا بالوسائط والشفعاء كحال الملوك، فالمشرك لم يقصد الاستهانة بجناب الربوبية، وإنما قصد تعظيمه وقال: ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ ﴾، وإنما أعبد هذه الوسائط لتقربنى إليه وتدخل بى عليه، فهو الغاية وهذه وسائل، فلم كان هذا القدر موجباً لسخط الله تعالى وغضبه ومخلداً فى النار وموجباً لسفك دماء أصحابه (٢) واستباحة حريمهم وأموالهم ؟ وهل يجوز فى العقل أن يشرع الله تعالى لعباده التقرب إليه بالشفعاء والوسائط فيكون تحريم هذا إنما استفيد بالشرع فقط، أم ذلك قبيح فى بالشرع والعقل يمنع أن تأتى به شريعة من الشرائع، وما السر فى كونه لا يغفر من الشرع والعقل يمنع أن تأتى به شريعة من الشرائع، وما السر فى كونه لا يغفر من بين سائر الذنوب كما قال تعالى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ لا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لَمَن

^{= &}quot; الكبير " (١/ ٢٦٣) ، وذكره في المجمع (١٠ / ١٩٩) وقال : فيه محمد بن مصعب ، وثقه أحمد وضعفه غيره ، وقال الذهبي متعقباً للحاكم: ابن مصعب : ضعيف ، وقال فيه الحافظ : صدوق كثير الأوهام (التقريب ٢٠٨/٢) .

⁽١) آل عمران : ٨٥ .

⁽۲) لعل ذلك إشارة من المؤلف إلى ما نقله جمع من أهل العلم في باب الردة من قولهم: « من جعل بينه وبين الله وسائط يتوكل عليهم ويدعوهم ويسألهم كفر إجماعاً » نقله ابن مفلح في الفروع (٦/ ١٦٥) ، والمرداوى في «الإنصاف في أسباب الخلاف » (١٦٥ / ٣٢٧) ، والحجاوى في الإقناع (٤/ ١٠٠) ، والشيخ مرعى الكرمي في غاية المنتهي (٣/ ٣٥٥) ، وابن حجر الهيثمي الشافعي في «الإعلام بقواطع الإسلام » .

⁽٣) النساء : ١١٦ .

أنواع الشرك :

أما الشرك الأول فهو نوعان:

أحدهما : شرك التعطيل ، وهو أقبح أنواع الشرك ، كشرك فرعون في قوله : ﴿ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِين ﴾ (١) وقال : ﴿ يَا هَامَانُ ابْنِ لِي صَرْحًا لَّعَلِي أَبْلُغُ الأَسْبَابَ . أَسْبَابَ السَّمَوَاتِ فَأَطَّلِعَ إِلَىٰ إِلَهِ مُوسَىٰ وَإِنِّي لأَظُنَّهُ كَاذِبًا﴾ (٢) والشرك والتعطيل متلازمان ، فكل مشرك معطل ، وكل معطل مشرك ، لكن الشرك لا يستلزم أصل التعطيل ، بل قد يكون المشرك مقراً بالخالق سبحانه وتعالى وصفاته ولكنه معطل حق التوحيد .

أنواع التعطيل:

وأصل الشرك وقاعدته التي يرجع إليها هو التعطيل وهو ثلاثة أقسام: أحدها: تعطيل المصنوع عن صانعه. الثاني: تعطيل الصانع عن كماله الثابت له. الثالث: تعطيل معاملته عما يجب على العبد من حقيقة التوحيد. ومن هذا: شرك أهل الوحدة، ومنه: شرك الملاحدة القائلين بقدم العالم وأبديته، وأن الحوادث بأسرها مستندة إلى أسباب ووسائط اقتضت إيجادها ويسمونها: العقول والنفوس.

ومن شرك معطلة الأسماء والصفات كالجهمية (٣) والقرامطة (٤) وغلاة المعتزلة:

شرك التشبيه والتمثيل:

وهو شرك من جعل معه إلهاً آخر كالنصارى فى المسيح واليهود فى عزير والمجوس القائلين بإسناد حوادث الخير إلى النور وحوادث الشر إلى الظلمة ، وشرك القدرية المجوسية مختصر منه ، وهؤلاء أكثر مشركى العالم ، وهو طوائف جمة ،

⁽۱) الشعراء : ۲۳ . (۲) غافر : ۳۷،۳۱ .

⁽٣) الجهمية نسبة إلى جهم بن صفوان ، لهم مقالات فاسدة خالفوا فيها أهل السنة ، منها : نفى الصفات، والجَبْر ، وهو قولهم : إن الإنسان مجبور غير مخير ، وقولهم : إن الإيمان هو المعرفة ، فمن جحده بلسانه لا يكفر إلى غير ذلك . انظر : الملل والنحل للشهرستاني (١/٨٦) ، الفصل فمن جحده بلسانه لا يكفر إلى غير ذلك . انظر : الملل والنحل للشهرستاني (٥٢١) ، الفصل (٨٨/٣) لابن حزم ، الفرق بين الفرق (١٩٩) للبغدادي، شرح الطحاوية (٥٢١ ،٥٢٣) لابن أبي العز .

⁽٤) القرامطة : فرقة من الرافضة ترجع نسبتهم إلى رجل من سواد الكوفة يقال " قرمط " وكانوا قد ظهروا في سنة ٢٨١ هـ في خلافة المعتضد بالله واشتدت شوكتهم واستولوا عَلَى بلاد كثيرة . انظر: الفرق بين الفرق (١٧٣) للبغدادي ، مقالات الإسلاميين (١/ ١٠٠) للأشعري .

منهم من يعبد أجزاء سماوية . ومنهم من يعبد أجزاء أرضية ، ومن هؤلاء من يزعم أن معبوده أكبر الآلهة ، ومنهم من يزعم أن إلهه من جملة الآلهة .

ومنهم من يزعم أنه إذا خصه بعبادته والتبتل إليه أقبل إليه واعتنى به ، ومنهم من يزعم أن معبوده الأدنى يقربه إلى الأعلى الفوقانى ، والفوقانى يقربه إلى من هو فوقه حتى تقربه تلك الآلهة إلى الله سبحانه وتعالى، فتارة تكثر الوسائط، وتارة تقل. حقيقة الشرك:

فإذا عرفت هذه الطوائف وعرفت اشتداد نكير الرسول ﷺ على من أشرك به تعالى فى الأفعال والأقوال والإرادات _ كما تقدم ذكره _ انفتح لك باب الجواب عن السؤال ، فنقول : اعلم أن حقيقة الشرك تشبيه الخالق بالمخلوق فى خصائص الإلهية، وهى التفرد بملك الضر والنفع والعطاء والمنع ، فمن علق ذلك بمخلوق فقد شبهه بالخالق تعالى وسوى بين التراب ورب الأرباب، فأى فجور وذنب أعظم من هذا، واعلم أن من خصائص الإلهية الكمال المطلق من جميع الوجوه الذى لا نقص فيه بوجه من الوجوه ، وذلك بموجب أن تكون العبادة له وحدة عقلاً وشرعاً وفطرة ، فمن جعل ذلك لغيره فقد شبه الغير بمن لا شبيه له ، ولشدة قبحه وتضمنه غاية الظلم أخبر من كتب على نفسه أنه لا يغفره أبداً .

صرف العبادات إلى غير الله من التشبيه له بخلقه:

ومن خصائص الإلهية: العبودية التي لا تقوم إلا على ساق الحب والذل ، فمن أعطاهما لغيره فقد شبه بالله سبحانه وتعالى في خالص حقه ، وقبح هذا مستقر في العقول والفكر، ولكن لما غيرت الشياطين فطر أكثر الخلق و [اجتالتهم] عن دينهم وأمرتهم أن يشركوا بالله ما لم ينزل به سلطانا كما روكي ذلك عن الله (١) أعرف الخلق به وبخلقه ، عموا عن قبح الشرك حتى ظنوه حسناً .

ومن خصائص الإلهية: السجود ، فمن سجد لغيره فقد شبه به. ومنها: التوكل ، فمن توكل على غيره فقد شبهه به . ومنها: التوبة ، فمن تاب لغيره فقد

⁽۱) يقصد حديث عياض بن حِمَار عن النبي ﷺ عن ربِّ العزة وفيه « وإنِّى خَلَقْتُ عبادى حُنَفَاء كُلُّهُمْ ، وإنهُمْ أتتهم الشياطين ، فَاجْتَالْتُهُمْ عن دينهم ، وحرمت عليهم ما أَحْلَلْتُ لهم ، وأمرتهم أن يُشْرِكُوا بي ما لم أُنزل به سلطانا » رواه مسلم ك : الجنة ب/١٦ (٢٨٦٥) ، والبيهقي في السنن الكبري (٢٠/٩) .

شبهه به . ومنها: الحلف باسمه ، فمن حلف بغيره فقد شبهه به . ومنها : الذبح له . فمن ذبح لغيره فقد شبهه به . ومنها : حلق الرأس ، إلى غير ذلك .

التشبه بالله:

هذا في جانب التشبيه ، وأما في جانب التشبه ، فمن تعاظم وتكبر ودعا الناس إلى إطرائه ورجائه ومخافته فقد تشبه بالله ونازعه في ربوبيته ، وهو حقيق بأن يهينه الله غاية الهوان ، ويجعله كالذر تحت أقدام خلقه ، وفي الصحيح عنه على أنه قال: « يقول الله عز وجل : العظمة إزاري والكبرياء ردائي فمن نازعني في واحد منهما عذبته » (۱) .

تحريم التشبه بالله في أفعاله وأسمائه :

وإذا كان المصور الذى يصنع الصور بيده من أشد الناس عذاباً يوم القيامة لتشبهه بالله فى الربوبية والإلهية كما قال لتشبهه بالله فى الربوبية والإلهية كما قال عنداباً يوم القيامة المصورون ، يقال لهم : أحيوا ما خلقتم» (٢).

وفى الصحيح عنه ﷺ أنه قال : يقول الله عز وجل : « ومن أظلم ممن ذهب يخلق كخلقى ، فليخلقوا ذرة ، فليخلقوا شعيرة » (٣) . فنبه بالذرة والشعيرة على ما هو أعظم منهما .

وكذلك من تشبه به تعالى فى الاسم الذى لا ينبغى إلا له ، كملك الملوك، وحاكم الحكام ، وقاضى القضاة ونحوه ، وقد ثبت فى الصحيح عن النبى عَلَيْكُمْ أنه

⁽۱) هو عند مسلم بلفظ « العزُّ إِزارُهُ ، والكبرياءُ رداؤُهُ . فمن ينازعنى عذبتهُ » ك : البر والصلة (۲ ۲۲۲) ، وأبو داود ك : اللباس (۲۲۲۰) ، وأبو داود ك : اللباس (٤٠٩٠) ، والبخارى في « الأدب المفرد » (۲۵۳) ، والحميدى في مسنده (۱۱٤۹) .

معنى الإزار والرداء استعارة حسنة ومجاز كما تقول العرب: فلان شعاره الزهد ، ودثاره التقوى ، لا يريدون الثوب ، بل يقصدون صفته . قال المازرى : ومعنى الاستعارة هنا أن الإزار والرداء يلصقان بالإنسان ويلزمانه ، وهما جمال له . فضرب ذلك مثلاً لكون العز والكبرياء بالله أحق وألزم . انظر : شرح مسلم (١٧٤/١٦) للنووى .

⁽۲) رواه البخارى ك : اللباس (۵۹۵۰) ، ومسلم ك : اللباس والزينة (۲۱۰۹) من حديث ابن مسعود . أما قوله :(يقال لهم : أحيوا ما خلقتم) فهذا من حديث ابن عمر عند البخارى ك : اللباس (۲۱۰۸) ، وعبد الرزاق في « المصنف » (۱۹۶۹) .

⁽۳) رواه البخارى ك : التوحيد (۷۰۰۹) ، ومسلم ك : اللباس والزينة (۲۱۱۱) من حديث أبى هريرة ، ورواه أحمد (۲/ ۳۹۱) ، والبيهقى فى « الصفات » (ص ۲۸) ، والبغوى فى « شرح السنة» (۳۲۱۶) .

قال: "إن أخنع الأسماء عند الله رجل تسمى بشاهان شاه ملك الملوك لا مالك إلا الله» (١) وفي لفظ "أغيظ رجل عند الله رجل تسمى ملك الأملاك » (٢). وبالجملة فالتشبيه والتشبه هو حقيقة الشرك ؛ ولذلك كان من ظن أنه إذا تقرب إلى غيره بعبادة ما يقربه ذلك الغير إليه فإنه يخطئ لكونه شبهه به ، وأخذ ما لا ينبغى أن يكون إلا له ، فالشرك منحه سبحانه وتعالى حقه ، فهذا قبيح عقلاً وشرعاً ؛ ولذلك لم يشرع ولم يغفر لفاعله واعلمه.

سوء ظن المعتقدين في الوسائط:

واعلم أن الذى ظن أن الرب سبحانه وتعالى لا يسمع له أو لا يستجيب له إلا بواسطة تطلعه على ذلك أو تسأل ذلك منه فقد ظن بالله ظن السوء ، فإنه إن ظن أنه لا يعلم أو لا يسمع إلا بإعلام غيره له وإسماعه فذلك نفى لعلم الله وسمعه وكمال إدراكه، وكفى بذلك ذنباً . وإن ظن أنه يسمع ويرى ولكن يحتاج إلى من يلينه ويعطفه عليهم فقد أساء الظن بأفضال ربه وبره وإحسانه وسعة جوده .

وبالجملة فأعظم الذنوب عند الله إساءة الظن به ، ولهذا يتوعدهم في كتابه على إساءة الظن به أعظم وعيد ، كما قال الله تعالى : ﴿ الظَّانِينَ بِاللّهِ ظَنَّ السَّوْءِ عَلَيْهِمْ وَعَضِبَ اللّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ﴾ (٣) ، وقال عَلَيْهِمْ دَاثِرَةُ السَّوْءِ وَغَضِبَ اللّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ﴾ (٣) ، وقال تعالى عن خليله إبراهيم عليه السلام : ﴿ أَيْفُكًا آلِهَةً دُونَ اللّهِ تُرِيدُونَ . فَمَا ظَنْكُم بِرَبِ الْعَالَمِينَ ﴾ (٤) أي فما ظنكم أن يجازيكم إذا عبدتم معه غيره ، وظننتم أنه يحتاج في الاطلاع على ضرورات عباده لمن يكون باباً للحوائج إليه ونحو ذلك .

عدم حاجته تعالى إلى الوسائط:

وهذا بخلاف الملوك فإنهم محتاجون إلى الوسائط ضرورة لحاجتهم وعجزهم

⁽۱) لم يرو في الصحيح بهذا السياق ، وإنما هو فيه بلفظ « أخنع الأسماء عند الله يوم القيامة رجُلٌ تسمى مَلِكَ الأمْلاك » رواه البخارى ك:الأدب (٢٠٦٦) ، ومسلم ك : الآداب (٢١٤٣) ، وأخرجه بسياق المصنف الحاكم في المستدرك ك : الأدب (٤/ ٢٧٥) ، بغير جملة (لا مالك إلا الله) فهذه من تتمة الحديث الذي بعده.

⁽٢) رواه مسلم ك: الآداب ب/ ٤ (٢١٤٣/٢١) ، وأحمد في مسنده (٣/ ٣١٥) والبغوى في « شرح السنة (٣٣٦٩) . قال الحافظ في الفتح (٢/ ٦٠٦) : استدل به على تحريم التسمى بهذا الاسم لورود الوعيد الشديد ، ويلتحق به ما في معناه مثل خالق الخلق ، وأحكم الحاكمين ، وسلطان السلاطين ، وأمير الأمراء ، وقيل : يلتحق به أيضا من تسمى بشيء من أسماء الله الخاصة به كالرحمن والقدوس والجبار . . . ».

وضعفهم وقصور علمهم عن إدراك حوائج المضطرين . فأما من لا يشغله سمع عن سمع، وسبقت رحمته غضبه وكتب على نفسه الرحمة ، فما تصنع الوسائط عنده .

فمن اتخذ واسطة بينه وبين الله تعالى ، فقد ظن به أقبح الظن ، ومستحيل أن يشرعه لعباده ، بل ذلك يمتنع في العقول والفطر .

واعلم أن الخضوع والتأله الذي يجعله العبد لتلك الوسائط قبيح في نفسه كما قررناه ، لاسيما إذا كان المجعول له ذلك عبداً للملك العظيم الرحيم القريب المجيب، ومملوكاً له ،كما قال تعالى : ﴿ صَرَبَ لَكُم مَثَلاً مِنْ أَنفُسكُمْ هَل لَكُم مِّن مًا مَلكَتْ أَيْمانكُم مِّن شُركاء في مَا رَزَقْنَاكُم فَأَنتُم فيه سَوَاءٌ تَخَافُونَهُمْ كَخيفَتكُم أَنفُسكُم ﴾ (١) أي إذا كان أحدكم يأنف أن يكون مملوكه شريكه في رزقه ، فكيف تجعلون لي من عبيدي شركاء فيما أنا منفرد به ، وهو الإلهية التي لا تنبغي لغيري ولا تصلح لسواي ، فمن زعم ذلك فما قدرني حق قدري ولا عظمني حق تعظيمي .

وبالجملة فما قدر الله حق قدره من عبد معه من ظنَّ أنه يوصل إليه، قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاسْتَمعُوا لَهُ إِنَّ اللَّهَ لَقُوىً عَزِيزٍ ﴾ (٣) وقال تعالى : ﴿ مَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرُو إِنَّ اللَّهَ لَقَوِى عَزِيزٍ ﴾ (٣) وقال تعالى : ﴿ وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرُوا اللَّهَ عَوْلِينٍ ﴾ (٣) وقال تعالى : ﴿ وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرُوا اللَّهَ يَوْمَ الْقَيَامَةِ وَالسَّمَواتُ مَطُويًاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ (٤) فما قَدَّرَ القَوى العزيز حق قدره من أشرك معه الضَعيف الذليل.

أصل ضلال أهل البدع والزيغ:

واعلم أنك إذا تأملت جميع طوائف الضلال والبدع وجدت أصل ضلالهم راجعاً إلى شيئين .

أحدهما: الظن بالله ظن السوء.

والثانى : أنهم لم يقدروا الرب حق قدره . فلم يقدره حق قدره من ظن أنه لم يرسل رسولاً ولا أنزل كتاباً ، بل ترك الخلق سدى وخلقهم عبثا (٥) . ولا قدره

⁽١) الروم : ٢٨ .

⁽٣) الحج: ٧٤ .

⁽٥) يقصد بكلامه هذا الملاحدة وأتباعهم الذين ينكرون الرسل والكتب ويعتقدون أن الله _ تعالى _ اكتفى بخلق الخلق ، وسيعرفه من جاد عقله ،وينكره من أظلمت بصيرته ، ولم يرتب الله تعالى ذلك ثواباً ولا عقاباً .

حق قدره من نفى عموم قدرته وتعلقها بأفعال عباده من طاعتهم ومعاصيهم وأخرجها عن خلقه وقدرته . ولا قدر الله حق قدره أضداد هؤلاء الذين قالوا : إنه يعاقب عبده على ما لم يفعله(١) بل يعاقبه على فعله سبحانه وتعالى .

وإذا استحال في العقول أن يجبر السيد عبده على فعل ثم يعاقبه عليه ، فكيف يصدر هذا من أعدل العادلين. وقول هؤلاء شر من أشباه المجوس القدرية الأذلين.

ولا قدر الله حق قدره من نفى رحمته ورضاه ومحبته وغضبه وحكمته مطلقاً وحقيقة فعله (٢) ولم يجعل له فعلا اختيارياً ، بل أفعاله مفعولات منفصلة عنه . ولا قدره حق قدره من جعل له صاحبة وولداً ، أو جعله يَحِلُّ فى مخلوقاته ، أو جعله عين هذا الوجود (٣) .

ولا قدر الله حق قدره من قال: إنه رفع أعداء رسوله وأهل بيته وجعل فيهم الملك ووضع أولياء رسوله وأهل بيته ، وهذا يتضمن غاية القدح في الرب ، تعالى الله عن قول الرافضة (٤) . وهذا مشتق من قول اليهود والنصارى في قول رب العالمين أنه أرسل ملكاً ظالماً وادعى النبوة وكذب على الله ومكث زمناً طويلاً يقول: أمرنى بكذا ونهاني عن كذا ، ويستبيح دماء أبناء الله وأحبائه ، والرب تعالى يظهره ويؤيده ويقيم الأدلة والمعجزات على صدقه ، ويقبل بقلوب الخلق وأجسادهم إليه ، ويقيم دولته على الظهور والزيادة ويذل أعداءه أكثر من ثمانمائة عام . فوازن بين ويقيم دقول إخوانهم من الرافضة تجد القولين سواء .

⁽۱) وهؤلاء هم الجبرية الذين يزعمون أن العبد ليس له اختيار وأنه كالريشة في مهب الريح ، وأن الله تعالى الله هو الذي يوجهه إلى الخير وإلى الشر وكلاهما فعل الله ، ويرتبون على ذلك أن الله تعالى يعذب العبد على فعل الشر وهو مجبور عليه . انظر مقالاتهم في : الفرق بين الفرق (ص ١٩٩) للبغدادي .

⁽٢) وهذا قول المعتزلة ومن تبعهم من نفاة صفاته تعالى. انظر: الفرق بين الفرق (ص ٩٥،٩٤) ، مقالات الإسلاميين (١/ ٢٣٥) للأشعرى .

⁽٣) وهؤلاء هم الحلوليون ، ومذهبهم هذا مذهب خبيث وقع فيه كثير من زهاد المتصوفة كابن عربى، وابن سبعين ، والحسين بن منصور الحلاج وغيرهم . انظر : الرسائل والمسائل (١٠/١) ، لابن تيمية ، « تنبيه الغبى » (ص ١١٤) للبقاعي ، الفرق بين الفرق (ص ٢٤١ _ ٣٤٣) للبغدادي، مقالات الإسلاميين (١/١٨) .

⁽٤) وهو قول غلاتهم الذين قالوا : لو كان الله موجوداً فكيف ينصر بنى أمية على على وأهل البيت، وهؤلاء مُحْكُومٌ عند العلماء بكفرهم وخروجهم من الإسلام .

ولا قدره حق قدره من زعم أنه لا يحيى الموتى ولا يبعث من في القبور ليبين لعباده الذي كانوا فيه يختلفون وليعلم الذين كفروا أنهم كانوا كاذبين .

عبادة غير الله عبادة للشيطان:

وبالجملة فهذا باب واسع ، والمقصود أن كل من عبد مع الله غيره فإنما عبد شيطاناً قال تعالى : ﴿ أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَن لاَّ تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ ﴾ (١) فما عبد أحد من بنى آدم كائناً من كان إلا وقد وقعت عبادته للشيطان فيستمتع العابد بالمعبود في حصول غرضه ، ويستمتع المعبود بالعابد في تعظيمه له وإشراكه مع الله تعالى ، وذلك غاية رضا الشيطان ؛ ولهذا قال تعالى : ﴿ وَيَوْمٌ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا يَا مَعْشَرَ الْجِنِ قَد اسْتَكُثْرُتُم مِنَ الإنسِ ﴾ أى من إغوائهم وإضلالهم وقال : ﴿ وَقَالَ أَوْلِيَاوُهُم مِنَ الإنسِ رَبّناً الله عَنْ الإنسَ رَبّناً واسْتَمْتَع بَعْضُنا بِبَعْض وَبَلَغْنَا أَجَلَنا الله يَ أَجُلْتَ لَنَا قَالَ النَّارُ مَثْوَاكُمْ خَالدِينَ فِيهَا إِلاَّ مَا شَاءَ اللَّهُ إِنْ رَبّنا عَنْ الله من عنه فقط ، بل يستحيل على الله سبحانه وتعالى أن يشرع لعباده عبادة إله غيره ، كما يستحيل عليه ما يناقض أوصاف كماله ونعوت بلاله .

مراتب الناس في عبادة الله:

واعلم أن الناس في عبادة الله تعالى والاستعانة به أقسام ، أجلها وأفضلها أهل العبادة والاستعانة بالله عليها ، فعبادة الله غاية مرادهم ، وطلبهم منه أن يعينهم عليها ويوفقهم للقيام بها نهاية مقصودهم ؛ ولهذا كان أفضل ما يسأل الرب تعالى الإعانة على مرضاته ، وهو الذي علمه النبي عليه لمعاذ بن جبل فقال : « يا معاذ ، والله إني أحبك ، فلا تدع أن تقول في دبر كل صلاة : اللهم أعنى على ذكرك وحسن عبادتك » (٣) ، فأنفع الدعاء طلب العون على مرضاته تعالى (٤) .

⁽۱) يس : ۲۰ . (۲) الأنعام : ۱۲۸ .

⁽٣) رواه أبو داود ك : الصلاة (١٥٢٢) ، والنسائى ك : السهو (٣/ ٥٣) ، والبخارى فى الأدب المفرد (٦٩١) ، وأحمد فى مسنده (٧٤٧٠) ، وابن حبان (موارد ٢٤٣٢) وصححه ، والحاكم (٢٧٣/١) وأقره الذهبى .

⁽٤) اقتبس المقريزى من كلام العلامة ابن القيم الجوزية في هذا التقسيم لمراتب الناس في العبادة . انظر مدارج السالكين (٢٣/١) لابن القيم والتفسير القيم (ص٦٩) .

ويقابل هؤلاء القسم الثانى: المعرضون عن عبادته والاستعانة به فلا عبادة لهم ولا استعانة ، بل إن سأله تعالى أحدهم واستعان به فعلى حظوظه وشهواته ، والله سبحانه وتعالى يسأله من فى السموات والأرض، ويسأله أولياؤه وأعداؤه، فيمد هؤلاء وهؤلاء . وأبغض خلق الله إبليس ، ومع هذا أجاب سؤاله وقضى حاجته (١) ومتعه بها ، ولكن لما لم تكن عوناً على مرضاته كانت زيادة فى شقوته وبعده . وهكذا كل من سأله تعالى استعان به على ما لم يكن عوناً له على طاعته كان سؤاله مبعداً له عن الله . فليتدبر العاقل هذا ، وليعلم أن إجابة الله لسؤال بعض السائلين مبعداً له عن الله . فليتدبر العاقل هذا ، وليعلم أن إجابة الله لسؤال بعض السائلين مبعداً له وصيانة ، والمعصوم من عصمه الله ، والإنسان على نفسه بصيرة .

وعلامة هذا أنك ترى من صانه الله من ذلك وهو يجهل حقيقة الأمر إذا رآه سبحانه وتعالى يقضى حوائج غيره يسىء ظنه به تعالى وقلبه محشو بذلك وهو لا يشعر . وأمارة ذلك حمله على الأقدار وعتابه في الباطن لها ، ولقد كشف الله تعالى هذا المعنى غاية الكشف في قوله تعالى : ﴿ فَأَمَّا الإِنسَانُ إِذَا مَا ابْتَلاهُ وَاللهُ فَأَكُرْمَهُ وَنَعْمَهُ فَيَقُولُ رَبّي أَهَانَنِ . كَلاً ﴾ (٢) أي ونعّمة فيقُولُ ربّي أَهانَنِ . كَلاً ﴾ (٢) أي ليس كل من أعطيته ونعمته وخولته فقد أكرمته ، وما ذاك لكرامته عليه ، ولكنه ابتلاء منى وامتحان له أيشكرني فأعطيه فوق ذلك أم يكفرني فأسلبه إياه وأحوله عنه لغيره، وليس كل من ابتليته فضيقت عليه رزقه وجعلته بقدر لا يفضل عنه فذاك من لغيره، وليس كل من ابتليته فضيقت عليه رزقه وجعلته بقدر لا يفضل عنه فذاك من حظه السخط ، وبالجملة فأخبر تعالى أن الإكرام والإهانة لا يدوران على المال وسعة الرزق وتقديره ، فإنه سبحانه وتعالى يوسع على الكافر لا لكرامته ، ويقتر على المؤمن لا لهوانه عليه ، وإنما يكرم سبحانه وتعالى من يكرم من عباده بأن يوفقه المؤمن لا لهوانه عليه ، وإنما يكرم سبحانه وتعالى من يكرم من عباده بأن يوفقه لمعرفته ومحبته وعبادته واستعانته . فغاية سعادة الأبد في عبادة الله والاستعانة به .

القسم الثالث: من له من نوع عبادة بلا استعانة وهؤلاء نوعان:

أحدهما : أهل القدر القائلون بأنه سبحانه وتعالى قد فعل بالعبد جميع مقدوره

⁽١) وذلك في قوله ﴿ قَالَ أَنظِرْنِي إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴾ فقال الله تعالى مجيباً له : ﴿ قَالَ إِنَّكَ مِنَ الْمُنظَرِينِ ﴾ : الأعراف : ١٥،١٤ .

⁽٢) الفجر : ١٥ _ ١٧ .

من الألطاف وأنه لم يبق في مقدوره إعانة له على الفعل ، فإنه قد أعانه بخلق الآلات وسلامتها وتعريف الطريق وإرسال الرسول وتمكينه من الفعل فلم يبق بعدها إعانة مقدورة يسأله إياها (١) ، وهؤلاء مخذولون موكلون إلى أنفسهم مسدود عليهم طريق الاستعانة والتوحيد . قال ابن عباس رضى الله عنهما : الإيمان بالقدر نظام التوحيد ، فمن آمن بالله وكذب بقدره نقض توحيده (٢) .

النوع الثانى: من لهم عبادة وأوراد ولكن حظهم ناقص من التوكل والاستعانة الم تتسع قلوبهم لارتباط الأسباب بالقدر وأنها بدون المقدور كالموت الذى لا تأثير له، بل كالعدم الذى لا وجود له ، وأن القدر كالروح المحرك لها والمعول على المحرك الأول ، فلم تنفذ بصائرهم من السبب إلى المسبب ، من الآلة إلى الفاعل ، فقل نصيبهم من الاستعانة ، وهؤلاء لهم نصيب من التصرف بحسب استعانتهم وتوكلهم ، ونصيب من الضعف والخذلان بحسب قلة استعانتهم وتوكلهم ، ولو توكلهم ، ولو العبد على الله حق توكله في إزالة جبل عن مكانه لأزاله (٣) .

حقيقة الاستعانة:

فإن قيل: ما حقيقة الاستعانة عملاً ؟ قلنا: هي التي يعبر عنها بالتوكل ، وهي حالة للقلب تنشأ عن معرفة الله تعالى وتفرده بالخلق والأمر والتدبير والضر والنفع وأنه ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن فتوجب اعتماداً عليه وتفويضاً إليه وثقة به ، فتصير نسبة العبد إليه تعالى كنسبة الطفل إلى أبويه فيما ينوبه من رغبته ورهبته ، فلو دهمه ما عسى أن يدهمه من الآفات لم يلتجئ إلى غيرهما . فإن كان العبد مع هذا الاعتماد من أهل التقوى كانت له العاقبة الحميدة ﴿ وَمَن يَتَّقِ اللّهَ يَجْعَل لّهُ مَحْرَجًا . ويَرْزُقُهُ مِنْ حَيْثُ لا يَحْتَسِبُ وَمَن يَتَوكَل عَلَى اللّهِ فَهُو حَسْبُه ﴾ (٤) أى كافيه .

القسم الرابع: من له استعانة بلا عبادة ، وتلك حالة من شهد تفرد الله بالضر

⁽۱) قوله : « فلم يبق بعدها إعانة مقدورة يسأله إياها » يعنى هذا من لازم قولهم ، وإلا فلم أنكروا مشروعية طلب الهداية من الله صراحة لكفروا لمناقضة القرآن والسنة ، ولذلك أوّلوا طلب الهداية بتأويلات فاسدة انظرها في مقالات الإسلاميين للأشعرى (١/ ٣٢٤ ، ٣٢٥) .

 ⁽۲) رواه اللالكائي في « شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة » (١/ ٣٣١) وفي سنده راوٍ مبهم ،
 وذكره ابن أبي العز في « شرح الطحاوية » (ص٢٤٥) .

⁽٣) انظر هذه الأقسام في مدارج السالكين (١/ ٢٧ _ ٢٩)، والتفسير القيم (ص٧٧) كلاهما لابن القيم.

⁽٤) الطلاق: ٣،٢.

والنفع ولم يدر (١) بما يحبه ويرضاه فتوكل عليه فى حظوظه فأسعفه بها ، وهذا لا عاقبة له سواء كانت أموالاً أو رياسات،أو جاهاً عند الخلق أو نحو ذلك ، فذلك حظه من دنياه وآخرته(٢).

المتابعة والإخلاص شرطان لقبول الأعمال:

واعلم أن العبد لا يكون متحققاً بعبادة الله تعالى إلا بأصلين :

أحدهما : متابعة الرسول ﷺ ، والثاني : إخلاص العبودية .

والناس في هذين الأصلين على أربعة أقسام :

أهل الإخلاص والمتابعة ، فأعمالهم كلها لله ، وأقوالهم ومنعهم وإعطاؤهم وحبهم وبغضهم ، كل ذلك لله تعالى ، لا يريدون من العباد جزاء ولا شكورا ، أعدوا الناس كأصحاب القبور لا يملكون ضراً ولا نفعاً ولا موتاً ولا حياة ولا نشوراً. فإنه لا يعامل أحداً من الخلق إلا لجهله بالله وجهله بالخلق .

والإخلاص هو العمل الذي لا يقبل الله من عامل عملاً صواباً عارياً منه ، وهو الذي ألزم عباده به إلى الموت ، قال الله تعالى : ﴿ لِيَبْلُو َكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً ﴾ (٣) وهو الذي ألزم عباده به إلى الموت ، قال الله تعالى : ﴿ إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الأَرْضِ زِينَةً لَّهَا لِنَبْلُوهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً ﴾ (٤) ، وأحسن العمل أخلصه وأصوبه . (فالحالص : أن يكون لله، والصواب : أن يكون على وفق سنة رسول الله على الله على العمل الصالح المذكور في قوله تعالى : ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ رسول الله عَلَى : ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ ﴾ (٢) وهو العمل الحسن في قوله تعالى : ﴿ فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحًا ﴾ (٧) وهو الذي أمر به النبي عَلَيْ في قوله « كل عمل عمل

⁽۱) فی خ : ولم یذر ما یحبه .

⁽٢) انظر هذا القسم في التفسير القيم (ص ٧٣) .

⁽٥) ما بين القوسين جزء من كلام التابعى الجليل: الفضيل بن عياض فى قوله: ﴿ لِيَبَلُوكُمْ أَيْكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً ﴾ قال : هو أخلصه وأصوبه ، قالوا : يا أبا على ، ما أخلصه وأصوبه ؟ قال : إن العمل إذا كان خالصاً ولم يكن حواباً ، لم يقبل . وإذا كان صواباً ولم يكن خالصاً ، لم يقبل . وإذا كان صواباً ولم يكن خالصاً ، لم يقبل . والخالص ما كان لله ، والصواب ما كان على السنة . نقله العلامة ابن القيم فى مدارج السالكين والخالص ، والتفسير القيم (ص ٧٤) .

⁽٦) النساء : ١٢٥ . الكهف : ١١٠

ليس عليه أمرنا فهو رد » (١) وكل عمل بلا متابعة فإنه لا يزيد عامله إلا بعداً من الله تعالى فإن الله تعالى إنما يعبد بأمره لا بالأهواء والآراء .

الضرب الثانى : من لا إخلاص له ولا متابعة له ، وهؤلاء شرار الخلق وهم المتزينون بأعمال الخير يراؤون بها الناس ، وهذا الضرب يكثر فيمن انحرف عن الصراط المستقيم من المنتسبين إلى الفقه والعلم والفقر والعبادة ، فإنهم يرتكبون البدع والضلال والرياء والسمعة ويحبون أن يحمدوا بما لم يفعلوا ، وفي أضراب هؤلاء نزل قوله تعالى : ﴿ لا تَحْسَبَنَ الّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا أَتُواْ وَيُحِبُونَ أَن يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعُلُوا فَلا تَحْسَبَنَ أَنْ يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ ﴾ (٢) .

الضرب الثالث: من هو مخلص في أعماله ، لكنها على غير متابعة الأمر ، كجهال العباد والمنتسبين إلى الزهد والفقر وكل من عبد الله على غير مراده . والشأن ليس في عبادة الله فقط ، بل في عبادة الله كما أراد . ومنهم من يمكث في خلواته تاركاً للجمعة ويرى ذلك قربة (٣) ويرى مواصلة صوم النهار والقيام بالليل قربة ، وأن صيام يوم الفطر قربة وأمثال ذلك .

الضرب الرابع: من أعماله على متابعة الأمر لكنها لغير الله تعالى ، كطاعات المرائين ، وكالرجل يقاتل رياء وسمعة وحمية وشجاعة وللمغنم ، ويحج ليقال ، ويقرأ ليقال ، ويعلم ويؤلف ليقال ، فهذه أعمال صالحة لكنها غير مقبولة ، قال تعالى: ﴿ وَمَا أُمِرُوا إِلاَّ لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ ﴾ (٤) فلم يؤمر الناس إلا بالعبادة على المتابعة والإخلاص فيها ، والقائم بهما هم أهل ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾ .

أفضل العبادات وأنفعها:

ثم أهل مقام ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُد ﴾ لهم في أفضل العبادة وأنفعها وأحقها بالإيثار

⁽۱) رواه البخارى معلقاً ك: البيوع ب/ ۲۰ النجش ، وموصولاً في ك: الصلح ب/ ٥ (٢٦٩٧) ، ومسلم ك: الأقضية (١٧١٨/١٨) ، وأبو داود ك: السنة (٤٦٠٦) ، وابن ماجه ك: المقدمة (١٤) ، والدارقطني (٢٧٧/٤) ، وأحمد (٢/٤٦) .

⁽٢) آل عمران : ١٨٨ .

⁽٣) وقع ذلك لكثير من متقدمى الصوفية وقد اشتد إنكار العلامة ابن الجوزى عليهم فى هذا وأمثاله فى كتابه «تلبيس إبليس» (ص ٢٨٨) فى باب :ذكر تلبيس إبليس على الصوفية فى ترك الجمعة والجماعة بالوحدة والعزلة.

⁽٤) البينة : ٥ .

والتخصيص أربعة طرق ، وهم في ذلك أربعة أصناف (١) :

الصنف الأول عندهم أنفع العبادات وأفضلها: أشقها على النفوس وأصعبها ، قالوا: لأنه أبعد الأشياء من هواها وهو حقيقة التعبد ، والأجر على قدر المشقة ، ورووا حديثاً ليس له أصل « أفضل الأعمال أحمزها (٢) » (٣) أى أصعبها وأشقها ، وهؤلاء هم أرباب المجاهدات والجور على النفوس ، قالوا: وإنما تستقيم النفوس بذلك إذ طبعها الكسل والمهادنة والإخلاد إلى الراحة ، فلا تستقيم إلا بركوب الأهوال وتحمل المشاق .

من قال: إن الزهد أفضل العبادات:

الصنف الثاني قالوا : أفضل العبادات وأنفعها التجرد والزهد في الدنيا والتقلل منها غاية الإمكان وإطراح الاهتمام بها وعدم الاكتراث لما هو منها .

ثم هؤلاء قسمان : فعوامهم ظنوا أن هذا غاية ، فشمروا إليه وعملوا عليه وقالوا: هو أفضل من درجة العلم والعبادة ورأوا الزهد في الدنيا غاية كل عبادة ورأسها . وخواصهم رأوا هذا مقصوداً لغيره ، وأن المقصود به عكوف القلب على الله والاستغراق في محبته والإنابة إليه والتوكل عليه والاشتغال بمرضاته ، فرأوا أفضل العبادات دوام ذكره بالقلب واللسان ، ثم هؤلاء قسمان : فالعارفون إذا جاء الأمر والنهي بادروا إليه ولو فَرَقَهُمْ وأذهب جمعهم، والمنحرفون منهم يقولون: المقصود من القلب جمعيته ، فإذا جاء ما يفرقه عن الله لم يلتفتوا إليه ، ويقولون :

يطالب بالأوراد من كان غافلا فكيف بقلب كل أوقاته ورد ؟

ثم هؤلاء أيضا قسمان : منهم من يترك الواجبات والفرائض لجمعيته . ومنهم

⁽١) انظر هذا الفصل بطوله في مدارج السالكين (١/ ٣٥ _ ٣٨) ، التفسير القيم (ص ٧٦ _ ٧٨) .

⁽٢) في الأصل : أحمرها ، والصواب : أحْمزُها : قال في القاموس : أحْمزُ الأعمال : أمْتنُها ، وإنه لحَموزٌ لما حَمَزهُ : ضابط لما ضَمَّةُ . ورجلٌ مَحْموزُ البنان : أي شديده (ترتيب القاموس ٧٠٧/١) .

⁽٣) ذكره العلامة ابن القيم في المدارج ، والتفسير القيم (ص ٧٦) وقال : لا أصل له . وذكره الغزالي بلفظ : «أفضل الأعمال ما أكرهت عليه النفوس » وقال فيه العراقي في تخريج الإحياء (٤/ ٦١): لا أصل له مرفوعاً ، وإنما هو من قول عمر بن عبد العزيز . هكذا رواه ابن أبي الدنيا في كتاب «محاسبة النفوس » وانظر : شرح الإحياء (٦/٩) للزبيدي .

من يقول بها ويترك السنن والنوافل ويعلم العلم النافع لجمعيته .

والحق أن الجمعية حظ القلب ، وإجابة داعى الله حق الرب فمن آثر حق نفسه على حق ربه فليس من العبادة في شيء (١) .

الصنف الثالث: رأوا أن أفضل العبادات ما كان فيه نفع متعد فرأوه أفضل من النفع القاصر ، فرأوا خدمة الفقراء والاشتغال بمصالح الناس وقضاء حوائجهم ومساعدتهم بالجاه والمال والنفع أفضل لقوله على الخلق عيال الله (٢) وأحبهم إلى الله أنفعهم لعياله » (٣) . قالوا : وعمل العابد قاصر على نفسه ، وعمل النفاع متعد إلى الغير ، فأين أحدهما من الآخر ، ولهذا كان « فضل العالم على العابد كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب » (٤) ، وقد قال على : « لأن يهدى الله بك رجلاً واحداً خير " لك من حمر النعم » (٥) ، وقال : « من دعا إلى يهدى الله بك رجلاً واحداً خير " لك من حمر النعم » (٥) ، وقال : « من دعا إلى

⁽۱) وذكر ابن القيم فى هذا الموضع أن بعض هؤلاء سأل بعض الأئمة العارفين فقال: إذا أذن المؤذن وأنا فى جمعيتى على الله، فإن قمت وخرجت تفرقت (أى ذهب حاله الذى هو فيه)، وإن بقيت على حالى بقيت على جمعيتى، فما الأفضل فى حقى ؟

فقال الشيخ: إذا أذن المؤذن وأنت تحت العرش فقم، وأجب داعى الله، ثم عد إلى موضعك. وهذا لأن الجمعية على الله: حظ الروح، وإجابة الداعى: حق الرب، ومن آثر حظ روحه على حق ربه فليس من أهل « إياك نعبد » . مدارج السالكين (١/ ٣٧)، والتفسير القيم (ص٧٧).

⁽۲) قال ابن طولون في « الشذرة في الأحاديث المشتهرة » (٢٧٤/١) . قوله : (عيال الله) مخرجه كما قال العسكرى على المجاز والتوسع ، كأن الله لما كان المتضمن بأرزاق العباد والكافل لهم كان الخلق كالعيال له . ونحوه حديث : « إن لله أهلين من الناس ، أهل القرآن وهم أهل الله » أي خاصته . وانظر شرحه في كشف الخفا (٤٥٨/١) للعجلوني .

⁽٣) رواه البزار (كشف الأستار) (١٩٤٩) ، والطبراني في « مكارم الأخلاق » (٣٤٢ ـ رقم ٨٧) وأبو يعلى في مسنده (٢/ ١٣٠٥) ، والقضاعي في مسند الشهاب (١٣٠٦) ، والبيهقي في « شعب الإيمان » (٢/ ٣٤٠) عن أنس ، ورواه ابن عدى في الكامل (٢/ ٣٤٠) ، وأبو نعيم في الحلية (٢/ ٢٠١) ، والطبراني في « الكبير » (١٠ / ١٠٥) (٣٣٠٠) عن ابن مسعود ، ورواه عبد الله ابن أحمد في « زوائد الزهد » مرسلاً عن الحسن البصرى ، ومال جمع من أهل العلم كابن طولون في « الشذرة » (١/ ٢٧٣) ، والهندى في « تذكرة الموضوعات » (٦٨) ، والمناوى في « فيض القدير » (١/ ١٧٤) إلى تقويته بشواهده .

⁽٤) رواه الترمذى ك : العلم : (٢٦٨٢) ، وابن ماجه فى المقدمة (٢٢٣) ، وابن حبان فى صحيحه «موارد » ك : العلم (٨٠) ، والخطيب فى «الفقيه والمتفقه» (١٧/١) وصححه ابن حبان ، وهو جزء من حديث أبى الدرداء.

⁽٥) رواه البخارى ك : الجهاد : (٢٩٤٣) ، ومسلم ك : فضائل الصحابة : ب/٤ (٣٤ / ٢٠٠٦) ، وأحمد في مسنده (٥/ ٣٤) ، والطحاوى في معانى الآثار (٣/ ٢٠٧) .

هدى كان له من الأجر مثل أجور من تبعه من غير أن ينقص من أجورهم شيئاً » (١)

وقال : " إن الله وملائكته يصلون على معلمى الناس الخير " (٢) وقال : " إن العالم يستغفر له من في السموات ومن في الأرض حتى الحيتان في البحر والنملة في جحرها " ($^{(7)}$).

قالوا : وصاحب العبادة إذا مات انقطع عمله ، وصاحب النفع لا ينقطع عمله ما دام نفعه الذي تسبب فيه .

والأنبياء عليهم الصلاة والسلام إنما بعثوا بالإحسان إلى الخلق وهدايتهم ونفعهم في معاشهم ومعادهم لم يبعثوا بالخلوات والانقطاع ؛ ولهذا أنكر النبي على أولئك (٤) النفر الذين هموا بالانقطاع والتعبد وترك مخالطة الناس ، ورأى هؤلاء أن التفرغ لنفع الخلق أفضل من الجمعية على الله بدون ذلك ، قالوا : ومن ذلك العلم والتعليم ونحو هذه الأمور الفاضلة .

الصنف الرابع: قالوا: أفضل العبادة العمل على مرضاة الرب سبحانه وتعالى واشتغال كل وقت بما هو مقتضى (٥) ذلك الوقت ووظيفته ، فأفضل العبادات في

⁽۱) رواه مسلم ك : العلم (٢٦٧٤) ، وأبو دادو ك : السنة (٢٠٩٤) ، والترمذى ك : العلم (٢٦٧٤) ، وابن ماجه : المقدمة (٢٠٦) ، وأحمد في مسنده (٢/ ٣٩٧) والدارمي في « السنن » (١/ ١٣١) .

⁽۲) رواه الترمذى ك : العلم : (٢٦٨٥) ، وابن عبد البر فى « جامع بيان العلم » (٢/ ٣٨) وابن الشجرى فى أماليه (١/ ٥٤) ، ورواه الدارمى فى السنن (١/ ٨٨) مرسلاً عن الحسن ، وقال الترمذى : حسن صحيح عن أبى أمامة .

⁽٣) جزء من الحديث السابق وهو أوله .

⁽٤) وذلك فيما رواه أنس من حديث الثلاثة رهط الذين سألوا عن عبادة النبي على فلما أخبرُوا بها كأنهم تقالوها ، فقال أحدُهُم: أما أنا فأصلى اللَّيْل أبداً ، وقال الآخر : أنا أصوم النهار لا أفطر، وقال الآخر : أنا أعتزل النساء، فلا أتزوجُ أبداً ، فجاء النبي على الله إليهم فقال : « أنتم الذين قلتم كذا وكذا ، أما والله إني لأخشاكُم لله وأتقاكُم له ، ولَكنِّي أَصُومُ وأَفْطِرُ ، وأُصلِّي وأرقُدُ ، وأتزوجُ النساء ، فمن رغب عن سنتي فليس مني » .

رواه البخاری \pm : النکاح ب/ ۱ الترغیب فی النکاح (۵۰ ۲۳) ، ومسلم \pm : النکاح ب/ ۱ استحباب النکاح (۱/۵۰ ۱۲۵) ، والنسائی \pm : النکاح (۱/۵۰) ، وأحمد (۳/ ۲۶۱) والدارمی فی السنن (۲/ ۱۲۳) وغیرهم .

⁽٥) انظر هذا الفصل بطوله في مدارج السالكين (١/ ٣٩ _ ٤٣) ، والتفسير القيم (٧٨ _ ٨٠).

وقت الجهاد: الجهاد ، وإن آل إلى ترك الأوراد من صلاة الليل وصيام النهار بل من ترك إتمام صلاة الفرض كما في حالة الأمن . والأفضل في وقت حضور الضيف : القيام بحقه والاشتغال به . والأفضل في وقت السحر : الاشتغال بالصلاة والقرآن والذكر والدعاء . والأفضل في وقت الأذان : ترك ما هو فيه من الأوراد والاشتغال بإجابة المؤذن (١) . والأفضل في أوقات الصلوات الخمس : الجد والاجتهاد في إيقاعها على أكمل الوجوه والمبادرة إليها في أول الوقت والخروج إلى المسجد .

والأفضل في أوقات ضرورة المحتاج: المبادرة إلى مساعدته بالجاه والمال والبدن . والأفضل في السفر: مساعدة المحتاج وإعانة الرفقة وإيثار ذلك على الأورد والخلوة.

والأفضل فى وقت قراءة القرآن :جمعية القلب والهمة على تدبره والعزم على تنفيد أوامره أعظم من جمعية قلب من جاءه كتاب من السلطان على ذلك . والأفضل فى وقت الوقوف بعرفة : الاجتهاد فى التضرع والدعاء والذكر .

والأفضل في أيام عشر ذي الحجة: الإكثار من التعبد ، لاسيما التكبير والتهليل والتحميد وهو أفضل من الجهاد غير المتعين . والأفضل في العشر الأواخر من رمضان: لزوم المساجد والخلوة فيها مع الاعتكاف ، والإعراض عن مخالطة الناس والاشتغال بهم ، حتى أنه أفضل من الإقبال على تعليمهم العلم (٢) وإقرائهم القرآن عند كثير من العلماء. والأفضل في وقت مرض أخيك المسلم أو موته: عيادته وحضور جنازته وتشييعه وتقديم ذلك على خلوتك وجمعيتك .

والأفضل في وقت نزول النوازل وإيذاء الناس لك : أداء واجب الصبر مع

⁽۱) قال العلامة ابن القيم في « الوابل الصيب » (۸۲ ، ۸۷) : « قراءة القرآن أفضل من الذكر ، والذكر أفضل من الدعاء ، هذا من حيث النظر إلى كل منهما مجرداً ، وقد يَعْرِضُ للمفضول ما يجعله أولى من الفاضل ، وكذلك إجابة المؤذن والقول كما يقول أفضل من القراءة ، وإن كان فضل القرآن على كل كلام كفضل الله على خلقه ، ولكن لكل مقام مقال » قلت : وإلى نحو ما قال ابن القيم ذهب جمهور العلماء . انظر المغنى (١/٤٢٢) وشرح المهذب (١١٨/٣) للنووى ، بدائع الصنائع (١/١٥٥) ، الأذان (ص ١١٢) للمحقق .

⁽٢) ذكر الحافظ ابن حجر عن ابن عبد الحكم أنه قال : كان الإمام مالك إذا دخل رمضان نفر من قراءة الحديث ومُجالَسة أهل العلم ، وأقبل على قراءة القرآن في المصحف ، وذكر عن جماعة غيره نحو ذلك كالزّهري والشافعي وأبي حنيفة. نقله أبو الإرشاد الأجهوري في « فضائل شهر رمضان» (ص ٩٧) .

خلطتك لهم ، والمؤمن الذى يخالط الناس ويصبر على أذاهم أو إيذائهم أفضل من المؤمن الذى لا يخالط الناس ولا يصبر على أذاهم . وخلطتهم فى الخير أفضل من عزلتهم فيه ، وعزلتهم فى الشر أفضل من خلطتهم فيه .

فإن علم أنه إذا خالطهم أزاله وقلله فخلطتهم خير من اعتزالهم ، وهؤلاء هم أهل التعبد المطلق ، والأصناف التى قبلهم أهل التعبد المقيد ، فمتى خرج أحدهم عن الفرع الذى تعلق به من العبادة وفارقه يرى نفسه كأنه قد نقص ونزل عن عبادته فهو يعبد الله تعالى على وجه واحد .

وصاحب التعبد المطلق ليس له غرض في تعبد بعينه يؤثره على غيره ، بل غرضه تتبع مرضاة الله تعالى ، إن رأيت العلماء رأيته معهم ، وكذلك في الذاكرين والمتصدقين وأرباب الجمعية وعكوف القلب على الله ، فهذا هو الغذاء الجامع للسائر إلى الله في كل طريق والوافد عليه مع كل فريق . وأستحضر ههنا حديث أبي بكر الصديق رضى الله عنه وقول النبي على بحضوره « هل منكم أحد أطعم اليوم مسكيناً ؟ قال أبو بكر: أنا ، قال: هل منكم أحد أصبح اليوم صائماً ؟ قال أبو بكر: أنا ، قال : هل منكم أحد أنا، قال : هل منكم أحد البيع اليوم جنازة ؟ قال أبو بكر : أنا (۱) . . . » الحديث . هذا الحديث روى من البيع اليوم جنازة ؟ قال أبو بكر : أنا انا (۱) . . . » الحديث . هذا الحديث رمني الله عنه قال : كان رسول الله عقل جماعة من أصحابه فقال : « من صام اليوم ؟ قال أبو بكر : أنا ، قال : من عاد فقال أبو بكر : أنا ، قال : من تصدق اليوم ؟ قال أبو بكر : أنا ، قال أبو بكر تابعه سلمة قال : وجبت لك » (۲) يعني الجنة . ونعيم بن سالم وإن تكلم فيه لكن تابعه سلمة قال : وجبت لك » (۲)

⁽۱) رواه بتمامه مسلم ك: فضائل الصحابة (۱۰۱۸) ، والبخارى في « الأدب المفرد » (۵۱۵) ، والنسائى والبيهقى في السنن (۱۹۹۶) ، وابن خزيمة كما في الترغيب (۱۹۹۳) من حديث أبى هريرة ، ومختصراً من حديث عبد الرحمن بن أبي بكر عند أبى داود ك: الزكاة (۱۲۷۰)، والحاكم (۱۲/۱) وصححه على شرط مسلم وأقره الذهبى ، والطبرانى في « الكبير » (مجمع ٣/١٦٠) .

⁽٢) الحديث من طريق أنس فيه أن القائل هو عمر وليس أبو بكر .

رواه ابن أبى شيبة فى المصنف ك : الجنائز (٣/ ٢٣٦) ك : الفضائل (٣٧/١٢) ، وأحمد فى مسنده (١١٨/٣) ، والبزار (كشف الأستار : ٣٤) والبغوى فى شرح السنة ك : الزكاة (الميثمى فى المجمع (١٦٣٣) وقال : (رواه أحمد والبزار وفيه سلمة بن وردان وهو ضعيف ».

ابن وردان (۱) وله أصل (۲) صحيح من حديث مالك عن محمد بن شهاب عن حميد ابن عبد الرحمن بن عوف عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله عنه قال : «من أنفق زوجين فى سبيل الله نودى فى الجنة : يا عبد الله ، هذا خير ، فمن كان من أهل الصلاة نودى من باب الصلاة ، ومن كان من أهل الجهاد نودى من باب الجهاد ، ومن كان من أهل الصدقة ، ومن كان من أهل الصيام دعى من باب الريان ، فقال أبو بكر رضى الله عنه : يا رسول الله ،ما على من يدعى من هذه الأبواب كلها من ضرورة ، فهل يدعى أحد من هذه الأبواب كلها ، قال : نعم وأرجو أن تكون منهم » (۳) هكذا رواه عن مالك موصولاً مسنداً عن يحيى بن يحيى بن يحيى بن عيسى (٥) وعبد الله بن المبارك (٦) . ورواه يحيى بن بكير (٧) وعبد الله بن يوسف (٨) عن مالك عن ابن شهاب (٩) عن حميد (١٠) مرسلاً .

⁽١) سلمة بن وردان الليثي أبو يعلى المدني. قال ابن حجر:ضعيف،من الخامسة (التقريب ١/٣١٩).

⁽٢) لا حاجة إلى تقوية الحديث بهذا الأصل، فالحديث في أبي بكر ثابت في مسلم وغيره كما سبق.

⁽٣) رواه مالك فى الموطأ ك : الجهاد (١٠٢١) ، والبخارى ك : الصوم (١٨٩٧) ، ومسلم ك : الزكاة (١٨٩٧) ، والترمذى (٣٦٧٤) ، والنسائى ك : الجهاد (٢٢/٦) ، وأحمد فى مسنده (٣٨٦/٤) .

⁽٤) يحيى بن يحيى بن بكر التميمى الحنظلى النيسابورى ، ثقة فقيه . قال أحمد : ما أخرجت خراسان بعد ابن المبارك مثله . توفى سنة $\Upsilon \Upsilon \Upsilon$ هـ . انظر : تذكرة الحفاظ ($\Upsilon \Upsilon$) للذهبى ، شذرات الذهب ($\Upsilon \Upsilon$) ($\Upsilon \Upsilon$) لابن العماد ، والعبر ($\Upsilon \Upsilon$) للذهبى .

⁽٥) مَعنُ بن عيسى بن يحيى الأشجعى المدنى ، ثقة حافظ . قال أبو حاتم : من أثبت أصحاب مالك وأوثقهم . وقال ابن سعد : كان ثقة كثير الحديث . تذكرة الحفاظ (١/ ٣٣٢) ، شذرات الذهب(١/ ٣٥٥) ، طبقات ابن سعد (٥/ ٣٢٤) .

⁽٦) عبد الله بن المبارك بن واضح الحنظلي ، أحد الأئمة الأعلام ، ثقة ثبت صحيح الحديث . تذكرة الحفاظ (١/ ١٧٤) ، شذرات الذهب (١/ ٢٩٥) العبر (١/ ٢٨٠) .

⁽۷) يحيى بن عبد الله بنُ بكير المخزومي مولاهم البصري، ثقة حافظ ، روى عن مالك والليث وحماد وغيرهم . انظر: تذكرة الحفاظ (۲/ ۲۱) ، العبر (۱/ ۲۱) للذهبي ، شذرات الذهب (۲/ ۷۱) .

⁽۸) عبد الله بن يوسف التنّيسي أبو محمد الدمشقى ، ثقة ثبت . قال فيه البخارى : كان من أثبت الشاميين . توفى بمصر سنة ۲۱۸ هـ . تذكرة الحفاظ (٤٠٤/١) ، العبر للذهبي (٣٧٣/١) .

⁽٩) هو أبو بكر محمد بن مسلم بن عبيد الله بن عبد الله بن شهاب الزَّهرى المدنى أحد الأئمة الأعلام . قال ابن منجويه : رأى عشرة من الصحابة وكان أحفظ أهل زمانه وأحسنهم سياقاً لمتون الاخبار . تذكرة الحفاظ (١٠٨/١) ،العبر (١٠٨/١) ، تهذيب التهذيب (٤٤٥/٩) .

⁽۱۰) هو حُمَيْد بن عبد الرحمن بن عوف الزهرى ثقة ، من الثانية ، توفى سنة ١٠٥ هـ (التقريب (١٠٠) .

وليس هو عند القعنبي (١) لا مرسلاً ولا مسنداً . ومعنى قوله : « من أنفق زوجین الله یعنی شیئین من نوع واحد نحو درهمین أو دینارین أو فرسین أو قمیصین، وكذلك من صلى ركعتين أو مشى في سبيل الله تعالى خطوتين ، أو صام يومين ونحو ذلك ، وإنما أراد _ والله أعلم _ أقل التكرار وأقل وجوه المداومة على العمل من أعمال البر؛ لأن الاثنين أقل الجمع (٢) ، فهذا كالغيث أين وقع نفع صحب الله بلا خلق ، وصحب الخلق بلا نفس، إذا كان مع الله عزل الخلائق من البين ، وتخلى عنهم ، وإذا كان مع خلقه عزل نفسه من الوسط وتخلى عنها ، فما أغربه بين الناس وما أشد وحشته منهم! وما أعظم أنسه باللَّه وفرحه به وطمأنينته وسكونه إليه!. أقسام الناس في منفعة العبادة:

واعلم أن للناس في منفعة العبادة وحكمتها ومقصودها طرقاً أربعة ، وهم في ذلك أربعة أصناف.

الصنف الأول : نفاة الحكم والتعليل للذين يردون الأمر إلى نفس المشيئة وصرف الإرادة ، فهؤلاء عندهم القيام بها ليس إلا لمجرد الأمر من غير أن يكون سبباً لسعادة في معاش ولا معاد ولا سبباً لنجاة ، وإنما القيام بها لمجرد الأمر ومحض المشيئة، كما قالوا في الخلق: لم يخلق لغاية ولا لعلة هي المقصودة به ولا لحكمة تعود إليه منه ، وليس في المخلوق أسباب تكون مقتضيات لمسبباتها، وليس في النار سبب للإحراق ، ولا في الماء قوة الإغراق ولا التبريد. وهكذا الأمر عندهم سواء لا فرق بين الخلق والأمر ، لا فرق في نفس الأمر بين المأمور والمحظور ، ولكن المشيئة اقتضت أمره بهذا ونهيه عن هذا من غير أن يقوم بالمأمور صفة تقتضى حسنه ولا بالمنهى عنه صفة تقتضى قبحه ، ولهذا الأصل لوازم فاسدة وفروع كثيرة، وهؤلاء غالبهم لا يجد حلاوة العبادة ولا لذتها ولا يتنعمون بها ؛ ولهذا يسمون الصلاة والصيام والزكاة والحج والتوحيد والإخلاص ونحو ذلك تكاليف ، أي كلفوا بها ، ولو سمى مدعى محبة ملك من الملوك أو غيره ما يأمر به تكليفاً لم يعد محباً له .

⁽١) القَعنَبيُّ عبد الله بن مسلمة بن قعنُب أبو عبد الرحمن المدنى ،أحد الأثمة الأعلام . قال العجلي: بصرى ثقة ، رجل صالح ، قرأ على مالك الموطأ توفي سنة ٢٢١ هـ . تذكرة الحفاظ (٣٨٣/١) العبر (١/ ٣٨٢) ، طبقات الحفاظ (٣٦٦) للسيوطي .

⁽۲) انظر معنى الحديث في « شرح السنة » للبغوى (٤/ ٨٢) ، شرح مسلم للنووى (٧/ ١١٦) .

وأول من صدرت عنه هذه المقالة : الجعد بن درهم $^{(1)}$.

رأى القدرية في الحكمة والتعليل:

الصنف الثانى : القدرية النفاة الذين يثبتون نوعاً من الحكمة والتعليل لا يقوم بالرب ولا يرجع إليه ، بل يرجع لمحض مصلحة المخلوق ومنفعته ، فعندهم أن العبادات شرعت أثماناً لما يناله العباد من الثواب والنعيم ، وأنها بمنزلة استيفاء الأجير أجره ، قالوا : ولهذا يجعلها سبحانه وتعالى عوضاً كقوله : ﴿وَنُودُوا أَن تِلْكُمُ الْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ (٣) ﴿هَلْ تُجْزُونَ إِلاَّ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ (٣) ﴿الْجَنَّةُ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ (٣) ﴿ الْجَنَّةُ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ (٥) ﴿ وَفَى الصحيح : ﴿إِنمَا مُوفَى الصحيح : ﴿إِنمَا هَى أَعْمَلُونَ ﴾ (٥) وفي الصحيح : ﴿إِنمَا هَى أَعْمَلُونَ ﴾ (٥) .

قالوا: وقد سماها جزاء وأجراً وثواباً ؛ لأنه شيء يثوب إلى العامل من عمله أي يرجع إليه .

قالوا : ويدل عليه الموازنة ، فلولا تعلق الثواب بالأعمال عوضاً عليها لم يكن للموازنة معنى .

تناقض الجبرية والقدرية:

وهاتان الطائفتان متقابلتان ، فالجبرية لم تجعل للأعمال ارتباطاً بالجزاء البتة ، وجوزت أن يعذب الله من أفنى عمره فى الطاعة ، ويُنعم من أفنى عمره فى مخالفته ، وكلاهما سواء بالنسبة إليه ، والكل راجع إلى محض المشيئة . والقدرية

⁽۱) الجعد بن درهم أحد رؤوس الجهمية يقال: إنه أول من ابتدع نفى محبة الله ، وتكليمه سبحانه وتعالى لموسى عليه السلام وكان ذلك في أوائل المائة الثانية فضحًى به خالد بن عبد الله القسرى أمير العراق بواسط وقتله يوم عيد الأضحى . انظر تفصيل ذلك في شرح القصيدة النونية (س. ۲۱۲) لابن القيم ، الفرق بين الفرق (ص. ۲۲۲) للبغدادى ، الرد على الجمهية (ص. ۲۱۲) لعثمان الدارمي .

⁽٢) الأعراف : ٤٣ . (٣)

⁽٤) النحل : ٣٢ .

⁽٦) في المخطوط : (عليكم) . والتصويب من صحيح مسلم .

⁽۷) جزء من الحديث القدسى المروى عن أبى ذر . رواه مسلم ك : البر (٥٥/ ٢٥٧٧) ، وأحمد فى مسنده (٥/ ١٦٠) ، والحاكم فى المستدرك ك : التوبة (٤/ ٢٤١) ، وأبو نعيم فى حلية الأولياء (٥/ ١٢٥) .

أوجبت عليه سبحانه وتعالى رعاية المصالح وجعلت ذلك كله بمحض الأعمال ، وأن وصول الثواب إلى العبد بدون عمله فيه تنقيص باحتمال منة الصدقة عليه بلا ثمن ، فجعلوا تفضله سبحانه وتعالى على عبده بمنزلة صدقة العبد على العبد وإعطائه ما يعطيه أجره على عمله أحب إلى العبد من أن يعطيه فضلاً منه بلا عمل ، ولم يجعلوا للأعمال تأثيراً في الجزاء البتة .

والطائفتان منحرفتان عن الصراط المستقيم ، وهو أن الأعمال أسباب إلى الثواب ، والأعمال الصالحات من توفيق الله وفضله وليست قدراً لجزائه وثوابه ، بل غايتها إذا وقعت على أكمل الوجوه أن تكون شكراً على أحد الأجزاء القليلة من نعمه سبحانه وتعالى، فلو عذب أهل سماواته وأهل أرضه لعذبهم وهو غير ظالم لهم ، ولو رحمهم لكان رحمته لهم خيراً من أعمالهم .

الأعمال سبب لدخول الجنة:

وتأمل قوله تعالى : ﴿وَتِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ (١) مع قوله عَلَيْ : « لن يَدْخُلَ أحدٌ مِنْكم الجِنَةَ بِعَمَله » (٢) .

نجد الآية تدل على أن الجنان بالأعمال ، والحديث ينفى دخول الجنة بالأعمال، ولا تنافى بينهما ؛ لأن توارد النفى والإثبات ليس على محل واحد ، فالمنفى باء الثمنية واستحقاق الجنة بمجرد الأعمال رداً على القدرية المجوسية التى زعمت أن الفضل بالثواب ابتداء متضمن لتكدير المنة . والباء المثبتة التى وردت فى القرآن هى باء السببية رداً على القدرية الجبرية الذين يقولون: لا ارتباط بين الأعمال (٣) وجزائها

⁽١) الزخرف : ٧٢ .

⁽٣) متفق عليه : رواه البخارى ك : المرضى ب/١٩ تمنى المريض الموت (٥٦٧٣) ، ومسلم ك : صفات المنافقين ب/١٧ رقم (٢٨١٦/٧٥).

⁽٣) قال النووى رحمه الله : « مذهب أهل السنة أن الله تعالى لا يجبُ عليه شيء ، بل العالم ملكه والدنيا والآخرة في سلطانه يفعل فيهما ما يشاء ، فلو عذب المطيعين والصالحين أجمعين وأدخلهم النار كان عدلاً منه ، وإذا أكرمهم وأدخلهم الجنة فهو فضل منه ، وأما المعتزلة فيثبتون الأحكام بالعقل ويوجبون ثواب الأعمال ، ويوجبون الأصلح ، وفي ظاهر هذه الأحاديث دلالة لأهل الحق أنه لا يستحق أحد الثواب والجنة بطاعته أما قوله : ﴿وَدُخُلُوا الْجُنَّةُ بِمَا كُنتُم تَعْمَلُونَ ﴾ ونحوهما من الآيات الدالة على أن الأعمال يدخل في أبل الجنة فلا يعارض هذه الأحاديث ، بل معنى الآيات أن دخول الجنة بسبب الأعمال ، ثم التوفيق للأعمال والهداية للإخلاص فيها وقبولها برحمة الله تعالى وفضله، فيصح أنه لم يدخل =

ولا هي أسباب لها وإنما غايتها أن تكون أمارة .

والسنة النبوية هي أن عموم مشيئة الله وقدرته لا تنافي ربط الأسباب بالمسببات وارتباطها بها . وكل طائفة من أهل الباطل تركت نوعاً من الحق فإنها ارتكبت لأجله نوعاً من الباطل بل أنواعاً ، فهدى الله أهل السنة لما اختلفوا فيه من الحق بإذنه(١) .

رأى الفلاسفة والمتصوفة في العبادات:

الصنف الثالث: الذين زعموا أن فائدة العبادة رياضة النفوس (٢) واستعدادها لفيض العلوم والمعارف عليها وخروج قواها من قوى النفس السبعية والبهيمية، فلو عطلت العبادة لالتحقت بنفوس السباع والبهائم، فالعبادة تخرجها إلى مشابهة العقول فتصير قابلة لانتقاش صور المعارف فيها. وهذا يقوله طائفتان:

أحدهما : من يقرب إلى الإسلام والشرائع من الفلاسفة القائلين بقدم العالم وعدم الفاعل المختار .

والطائفة الثانية : مَنْ تفلسف من صوفية الإسلام ويقرب إلى الفلاسفة ، فإنهم يزعمون أن العبادات رياضيات لاستعداد النفوس للمعارف العقلية ومخالفة العوائد .

ثم هؤلاء من لا يوجب العبادة إلا بهذا المعنى ، فإذا حصل لها ذلك بقى متحيراً في حفظ أوراده والاشتغال بالوارد عنها .

ومنهم من يوجب القيام بالأوراد وعدم الإخلال بها ، وهم صنفان أيضاً : أحدهما : من يقول بوجوبها حفاظاً للقانون وضبطاً للناموس .

والآخرون: يوجبونها حفظاً للوارد وخوفاً من تدرج النفس بمفارقتها إلى حالها الأولى من البهيمية ، فهذه نهاية أقدامهم في حكمة العبادة وما شرعت لأجله ، ولا تكاد تجد في كتب المتكلمين على طريق السلوك غير طريق من هذه الطرق الثلاثة أو مجموعها.

⁼ بمجرد العمل وهو مراد الأحاديث ، ويصح أنه دخل بالأعمال أى بسببها ، وهى من الرحمة » شرح مسلم (١٦١/١٥) للنووى .

⁽۱) انظر تفصيل ذلك للإمام ابن القيم في « التفسير القيم» (۸۶ ، ۸۵)، مدارج السالكين (۱/ ۰۰ – ۲۵) ، مفتاح دار السعادة (۳/ ۱۰۱) ، طريق الهجرتين (۱۰۵ ، ۱۰۵).

⁽٢) انظر التفسير القيم (٨٦ ، ٨٧) في ذكر الصنف الثالث والرابع ، ومدارج السالكين (١/٥٤ ، ٥٥).

قول أهل الحق في العبادة:

الصنف الرابع: هم القائلون (١) بالجمع بين الخلق والأمر والقدر والسبب، فعندهم أن سر العبادة وغايتها مبنى على معرفة حقيقة الإلهية ومعنى كونه سبحانه وتعالى إلها وأن العبادة موجب الإلهية وأثرها ومقتضاها وارتباطها ،كارتباط متعلق الصفات بالصفات ،وكارتباط المعلوم بالعلم والمقدور بالقدرة ، والأصوات بالسمع ، والإحسان بالرحمة ، والإعطاء بالجود . فعندهم من قام بمعرفتها على نحو الذى فسرناها به لغة وشرعاً مصدراً ومورداً استقام له معرفة حكمة العبادات وغايتها به وعلم أنها هى الغاية التى خلقت لها العباد ولها أرسلت الرسل وأنزلت الكتب وخلقت الجنة والنار . وقد صرح سبحانه وتعالى بذلك فى قوله : ﴿ وَمَا خَلَقْتُ النَّجِنَ وَالْإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ ﴾ (٢) فالعبادة هى التى ما وجدت الخلائق كلها إلا لأجلها كما قال تعالى : ﴿ أَيَحْسَبُ الإِنسَانُ أَن يُتْرَكَ سُدًى ﴾ (٣) أى مهملاً . قال الشافعى رحمه الله : لا يُؤمّرُ ولا يُنهي (٤) .

وقال غيره : لا يثاب ولا يعاقب . وهما تفسيران صحيحان ، فإن الثواب والعقاب مترتب على الأمر والنهى . والأمر والنهى هي طلب العبادة وإرادتها .

وحقيقة العبادة امتثالها ؛ ولهذا قال تعالى : ﴿ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ وَمَا وَالأَرْضَ وَمَا خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ وَمَا وَالأَرْضَ وَمَا خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلاَّ بِالْحَقِ ﴾ (٧) وقال تعالى : ﴿ وَمَا خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ بِالْحَقِ وَلَتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ ﴾ (٧) فأخبر الله تعالى أنه خلق السموات والأرض بالحق المتضمن أمره ونهيه وثوابه وعقابه .

⁽۱) وصف ابن القيم الصنف الرابع فقال: « وأما الصنف الرابع وهم الطائفة المحمدية الإبراهيمية ، أتباع الخليلين ، العارفون بالله وحكمته في أمره وشرعه وخلقه ، وأهل البصائر في عبادته ، ومراده بها . فالطوائف الثلاثة محجوبون بما عندهم من الشبه الباطلة ، والقواعد الفاسدة ، وما عندهم وراء ذلك شيء . . . » التفسير القيم (۸۷).

⁽٢) الذاريات : ٥٦ . (٣) القيامة : ٣٦ .

⁽٤) نقله ابن كثير فى تفسيره (٤٥٢/٤) ، وهو قول عبد الرحمن بن زيد بن أسلم ، وقال السدى : أن يترك سدى، أى: لا يبعثُ . قال ابن كثير : والظاهر أن الآية تعم الحالين . وكذا قال ابن القيم فى تفسيره القيم (٨٨) .

 ⁽٥) آل عمران : ١٩١ .
 (٦) الحجر : ٨٥ .

فإذا كانت السموات والأرض إنما خلقت لهذا وهو غاية الخلق ، فكيف يقال أنه لا غاية له ولا حكمة مقصودة أو أن ذلك بمجرد استئجار العمال حتى لا يتكدر عليهم الثواب بالمنة ، أو لمجرد استعداد النفوس للمعارف العقلية وارتياضها لمخالفة العوائد .

وإذا تأمل اللبيب الفرق بين هذه الأقوال وبين ما دل عليه صريح الوحى علم أن الله تعالى إنما خلق الخلق لعبادته الجامعة لكمال محبته مع الخضوع له والانقياد لأمره .

محبة الله أصل العبادة:

فأصل العبادة محبة الله ، بل إفراده تعالى المحبة ، فلا يحب معه سواه ، وإنما يحب ما يحبه لأجله وفيه ، كما يحب أنبياءه ورسله وملائكته لأن محبتهم من تمام محبته وليست كمحبة من اتخذ من دونه أنداداً يحبهم كحبه .

وإذا كانت المحبة له هي حقيقة عبوديته وسرها ، فهي إنما تتحقق باتباع أمره واجتناب نهيه ، فعند اتباع الأمر والنهي تتبين حقيقة العبودية والمحبة .

ولهذا جعل سبحانه وتعالى اتباع رسوله ﷺ علماً عليها وشاهداً لها كما قال تعالى : ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحبُّونَ اللَّهَ فَاتَبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ ﴾ (١) فجعل اتباع رسوله مشروطاً بمحبتهم لله تعالى وشرطاً لمحبة الله ، ووجود المشروط بدون تحقق شرطه ممتنع .

فعلم انتفاء المحبة عند انتفاء المتابعة للرسول ، ولا يكفى ذلك حتى يكون الله ورسوله أحب إليه منهما فهو الإشراك الذى لا يغفره الله . قال تعالى : ﴿ قُلْ إِن كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَأَنْوَالُكُمُ مِنَ اللّهِ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَقْتُمُوهَا وَتَجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَ إِلَيْكُم مِنَ اللّهِ وَرَسُولِه وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّىٰ يَأْتِي اللّهُ بِأَمْرِهِ وَاللّهُ لا يَهْدِى الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴾ (٢) .

تقديم الآراء على نصوص الوحى منافى للمحبة :

وكل من قدم قول غير الله على قول الله أو حكم به أو حاكم إليه فليس ممن أحبه ، لكن قد يشتبه الأمر على من يقدم قول أحد أو حكمه أو طاعته على قوله ظناً منه أنه لا يأمر ولا يحكم ولا يقول ما قال الرسول ﷺ فيطيعه ويحاكم إليه

⁽١) آل عمران : ٣١ .

ويتلقى أقواله كذلك ، فهذا معذور إذا لم يقدر على غير ذلك .

وأما إذا قدر على الوصول إلى رسول الله ﷺ وعرف أن غير من اتبعه أولى به مطلقاً أو في بعض الأمور كمسألة معينة ولم يلتفت إلى قول الرسول ﷺ ولا إلى من هو أولى به فهذا يخاف عليه . وكل ما يتعلل به من عدم العلم أو عدم الفهم أو عدم إعطاء آلة الفقه في الدين أو الاحتجاج بالأشباه والنظائر أو بأن ذلك المتقدم كان أعلم منى بمراده ﷺ فهي كلها تعللات لا تفيد .

هذا مع الإقرار بجواز الخطأ على غير المعصوم إلا أن ينازع في هذه القاعدة فتسقط مكالمته ، وهذا هو داخل تحت الوعيد ، فإن استحل مع ذلك ثلب من خالفه وقرض عرضه ودينه بأسنانه وانتقل من هذا إلى عقوبته أو السعى في أذاه ، فهو من الظلمة المعتدين ونواب المفسدين (١).

قواعد العبادة:

واعلم أن العبادة أربع قواعد ، وهي التحقق بما يحب اللهُ ورسوله ويرضاه ، وقيام ذلك بالقلب واللسان والجوارح . فالعبودية اسم جامع لهذه المراتب الأربع .

فأصحاب العبادة حقاً هم أصحابها ، فقول القلب : هو اعتقاد ما أخبر الله تعالى عن نفسه وأخبر رسوله عن ربه من أسمائه وصفاته وأفعاله وملائكته ولقائه وما أشبه ذلك . وقول اللسان : الإخبار عنه بذلك والدعاء إليه والذب عنه وتبيين بطلان البدع المخالفة له والقيام بذكره تعالى وتبليغ أمره . وعمل القلب كالمحبة له والتوكل عليه والإنابة والخوف والرجاء والإخلاص والصبر على أوامره ونواهيه وإقراره والرضاء به وله وعنه والموالاة فيه والمعاداة فيه والإخبات إليه والطمأنينة به ونحو ذلك من أعمال القلوب التي فرضها آكد من فرض أعمال الجوارح ، ومستحبها أحب إلى الله تعالى من مستحب أعمال الجوارح (٢).

وأما أعمال الجوارح فكالصلاة والجهاد ونقل الأقدام إلى الجماعة والجماعات ومساعدة العاجز والإحسان إلى الخلق ونحو ذلك .

فقول العبد في صلاته : ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ ﴾ التزام هذه الأربعة وإقرارٌ بها ،

⁽١) انظر التفسير القيم (٩٠) .

⁽٢) التفسير القيم (٩١، ٩٢).

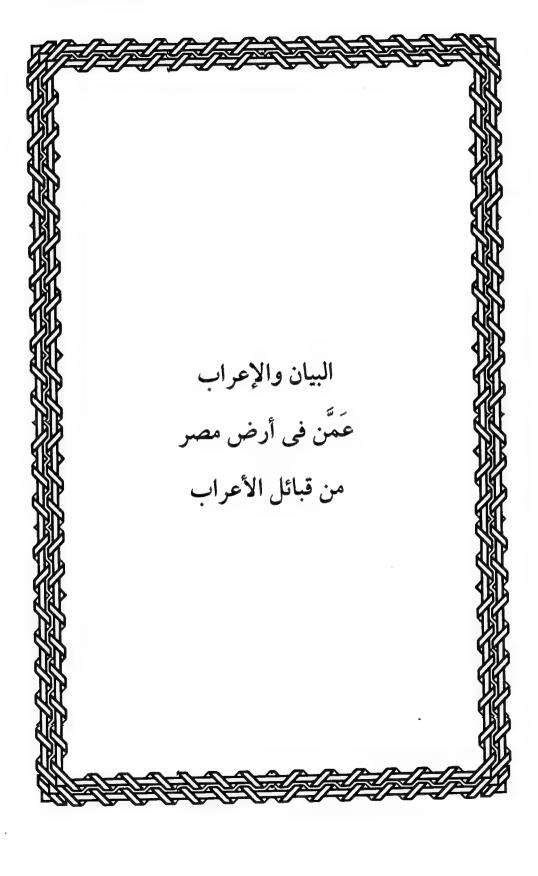
١ ----- تجريد التوحيد المفيد

وقوله: ﴿ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾ طلب الإعانة عليها والتوفيق لها ، وقوله : ﴿ اهْدِنَا الصَّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴾ متضمن الأمرين على التفصيل وإلهام القيام [....] وسلوك طريق السالكين إلى الله تعالى .

والله الموفق بمنه وكرمه والحمد لله وحده ، وصلى الله على من لا نبى بعده وعلى آله وصحبه وسلم .

قال مؤلفه رحمه الله : إنه صححه جهد الطاقة ومبلغ القدرة في سنة إحدى وأربعين وثمانمائة ، والله الموفق للصواب ، وإليه المرجع والمآب .

تم





« بسم الله الرحمن الرحيم »

الحمد لله ذي النعم الجزيلة والآلاء الجمّة الجليلة ، أحمده على ما عَلمَ وفَهم، وهَدَى إلى الطريق الأرشد الأقوم ، حمداً كثيراً أثيراً بتيراً وصلى الله وسلم على نبينا محمد، المبعوث إلى الكافة أجمعين ، والمقدم على سائر الأنبياء والمرسلين ، وعلى آله وصحبه والتابعين ، صلاة وسلاماً باقيِّن إلى يوم الدين ، وبعد :

فهذه رسالة وجيزة في ذكر مَنْ بأرض مصر من طوائف العرب ، قَيَّدتها لنفسي ولمن شاء الله من أبناء جنسى ، والله أسأل المعونة بمنّه .

اعلم أن العرب الذين شهدوا فتح مصر ، قد بادَهم الدهر وجَهُلت أحوال أكثر أعقابهم ، وقد بقيت من العرب بقايا بأرض مصر ، فممن بقي : ثعلبة وهي بالشام مما يلى أرض مصر إلى الخروبة وهم من طَى ينتسبون إلى ثعلبه بن سلامان (١) بن تعل بن عمرو بن الغوث بن طي بن عاد بن زيد بن يشجب بن عريب بن زيد بن كملان بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان . وثعلبة هذه بطن درما وزريق وكانوا يداً مع الفرنج لمّا ملكوا البلاد في الإسلام قدر ما في يمن فخذ في طي هم بنو عمرو بن عوف بن ثعلبة بن سلامان . ودرما هي أم عمرو المذكور ، فأعقب درما من أربعة أفخاذ ^(٢) لصلبه وهم:سلامة ، والأجم ،وعمرو ، وقصى ، وأوس أولاد درما وهو عمرو بن عوف .

وزريق هو أخو درما ابني عوف بن ثعلبة بن سلامان . ومن أفخاذ زريق: أشعب ولُبنى وثعلبة وعنى ونيل ،ومن درما:البقعة وسبل من ولد نافع بن مروان ، والحنابلة والمروانية (٣) والحبانيون ، ومن زريق : بنو وَهم ، والطلحيون ، وفي

⁽١) ثعلبة بن سلامان ، بطن من ثُعَل ، من طيّ ، من القحطانية ، وهم بنو ثعلبة بن سلامان بن ثعل بن عمرو بن الغوث بن طي ، ينقسم إلى قسمين : دَرْماء وزُرِيْق ، من أمكنتهم ثرمد بنجد، وجوء . ذكرهم القلقشندي فقال : هم ثعلبة الموجودون الآن بمصر والشام . معجم قبائل العرب (١٤٥/١) كحالة .

⁽٢) الفَخِذْ : في العشائر هو شعب صغير ، (ج) أفخاد ، وأكبرها الشعب ثم القبيلة ، ثم الفصيلة، ثم العمارة بالكسر ثم البطن ثم الفخذ .

⁽٣) هم بطن من كرفة ، من أثيج من بني هلال بن عامر ؛ كانوا يقيمون بأفريقيا الشمالية . المصدر السابق (٣ / ١٠٧٠) .

الطحليين آل حجاج وآل عمران والمصافحة ، وكان مقدمهم سقير بن جرجى أمّر بالبوق والعلم .

وفى زريق عدة بطون أيضاً وكان مقدمهم عمرو بن عسيلة أمّر بالبوق والعلم ، وجرم وهم من طى ثم من بنى جرم واسمه ثعلبة بن عمرو بن الغوث بن طى ، وجرم امرأة حضت ثعلبة هذا فغلبت عليه وعُرف بها ، ثم جرم هذه هى فخذ بنى شمجى ، وحيّان بن جرم ، وجرم هذه تمر مع ثعلبة طى الذين تقدم ذكرهم ، وكانوا يداً مع الفرنج لما تغلبوا على البلاد ، وجرم هذه غير جرم قضاعة ينزلون من الشام ببلاد غزة والدراوم مما يلى الساحل إلى بلد الخليل عليه السلام .

وفى جرم طى من ينزل الشام أيضاً ، ومن جَرْم قُضاعة : بنو جشم وبنو قُدامة وبنو عوف ، وفيهم أيضاً جرم بجيلة وجرم عاملة ومن جرم طى شمجى ويقال : شمجان وقمران وحيان ، فلما فتح السلطان صلاح الدين يوسف (۱) بن أيوب بلاد غزة وأعادها الله من أيدى الفرنج إلى المسلمين ، جاءت لقلبه طائفة من جُرم إلى مصر وبقيت جُرم مكانها ، والمشهور من جُرم هذه الآن جُذيمة ، ويقال : إن لهم نسباً في قريش ، وذهب بعضهم أنه ترجع إلى « مجزهم » ، وزعم إخوانها من جُديمة (۲) بن مالك بن حسل بن عامر بن لؤى بن غالب بن فهر ، وجُديمة هذه العوسجة (۳) وآل أحمد وآل محمود ، وكلهم في إمارة شاور بن فهر ، وجذيمة هذه آل عوسجة وآل أحمد وآل محمود وكلهم في إمارة شاور بن سنان ، ثم في بنيه ، وكان لسنان أخوان فيهما سؤدد (٤) ، وهما غانم وخضر ، ومن جذيمة هؤلاء جماعة

⁽١) يوسف بن أيوب بن شاذى ، أبو المظفر صلاح الدين الأيوبى ، الملقب بالملك الناصر ، من أشهر ملوك الإسلام .

كان أبوه وأهله من قرية دُوين (في شرقي أذربيجان) وهم بطن من الروادية، من قبيلة الهمذانية، من الأكراد .

نشأ فى دمشق ، وتفقه وتأدب وروى الحديث بها وبمصر والإسكندرية ، وقد انتصر على الفرنج فى موقعة حطين الشهيرة وجرر القدس من الاستعمار الصليبى . . . توفى رحمه الله عام 0.00 0.4 هـ 0.00 1197 م) . الأعلام 0.00 الزركلي 0.00 0.00 .

⁽٢) جذيمة بن مالك : بطن من أسد بن خزيمة ، من العدنانية ، وهم بنو جذيمة بن مالك بن النضر بن قُعَنْ بن الحارث بن ثعلبة بن دوران بن أسد بن خزيمة ، من مياههم البنانه ، عثمانه، الفتاه . معجم قبائل العرب _ كحالة _ (١ / ١٧٧) .

⁽٣) العُوسج : نبات شائك من الفصيلة الباذنجانية (المعجم العربي الأساس) .

⁽٤) سؤدد : مصدر (ساد) يسود سيادة وسؤدداً فهو سائله مُسُود .

مع الزيد بن جماعة منصور بن جابر ، وجماعة عامر بن سلامة ، ومنهم بنو أسلم، وأسلم هذه من جُذام لا من جذيمة وإنما اختلطت مع جذيمة ، ومنهم شبِل ورضيعة جرم ، ويفور والقدرة جماعة عليم بن رميح .

والأحامدة والرفث وكور من جرم جماعة جابر بن سعيد ، وموقع وكان كبير مالك الموقفى وكان مقدماً عند السلطان صلاح الدين وأخيه العادل أبى بكر ، ومنهم بنور غور ، ويقال لهم : من جرم بن جرمز بن سنبس ، ومن هؤلاء : العاجلة والقمار والعبادلة وبنو تمام وبنو جميل ، ومن بنى جميل : بنو مقدام ، ومن بنى غور : آل قادر وبنو عمون وبنو بهى ، وبنو خوْلة وبنو هرماس ، وبنو عيسى وبنو سُهيل ، وأرضهم الداروم وكانوا سُفراء بين الملوك ، وجاورهم قوم من زبيد يعرفون ببنى فهيد ، ثم اختلطوا بهم .

أما جرم طى فإنها تنزل من أرض مصر وسنبس وهم من طى ينتسبون إلى سنبس بن معاوية بن جزول بن تعل بن عمرو بن الغوث بن طى .

وفى سنبس أفخاذ وعشائر كبنى لُبَيْد وعمر وعَدَى وأبان وجرم ومحصب وقنة، فأما بنو عمرو فهم يُدْعُون بنى عقدة ، وعقدة أمهم وإنما هم بنو عمرو بن سنبس بن معاوية ، ومنهم الخزاعلة وأصلهم بنو قنة بن جلاد بن حميد بن خزعل بن عابد إحدى عشائر سنبس بن معاوية بن جزول .

وإلى قنة هذا يُنتَسب معالى من فرع مقدّم سنبس ، كان بالبحيرة وله جوار ومروءة (١) ، وفيه كرم وشجاعة ، قُتل صبراً في دار الراحة . . . بفلسطين قريباً من غزة (٢) وكثروا هناك واشتدت وطأتهم (٣) على الوُلاة وصَعُب أمرهم ، فبعث الوزير

⁽١) في المخطوطة : مروة.

⁽٢) غَزّة : مدينة فى أقصى الشام ، من ناحية مصر ، بينها وبين عسقلان فرسخان أو أقل ، وهى من نواحى فلسطين غربى عسقلان .

فيها مات هاشم بن عبد مناف جَد رَسول الله ﷺ ، وبها قبره ؛ ولذلك يقال لها : غزة هاشم ، وبها ولد الإمام أبو عبد الله محمد بن إدريس الشافعي رضى الله عنه ، وانتقل طفلا إلى الحجاز فأقام وتعلم العلم هناك .

معجم البلدان _ ياقوت الحموى _ (٤ / ٢٠٢) .

⁽٣) وطَّأَةً : كالفرية موضع القدم . مختار الصحاح (ص ٣٢٧) .

الناصر للدين أبو محمد الحسن بن على بن عبد الرحمن اليازوري (١) إليهم في سنة اثنتين وأربعين وأربعمائة يستدعيهم ، وأقطعهم (٢) البحيرة من أرض مصر ،وكانت البحيرة يومئذ بنى قُرّة من بطون حبيب بن جذام فنجعت (٣) سنبس وعدت إلى البحيرة وأوطأهم الوزير ديار بني قُرة ، وأقطعهم أرضيهم وديارهم واتسعت أحوالهم وفَخَم أمرهم وَعظُم في أيام الخلفاء الفاطميين ، ولم يزالوا بالبحيرة إلى أن كانت سلطنة المعُزّ عز الدين أيبك التركماني أول ملوك الترك بديار مصر وأنفت (٤) عُربان مصر من تملكه عليهم ؛ لأنه مملوك من جملة المماليك البحرية قد مسه الرق ، فاجتمعوا وأقاموا الشريف حصن الدين ثعلب بن الأُمير الكبير نجم على ابن الأمير الشريف فخر الدين إسماعيل بن حصن الدين مُجْد العرب تعلب الجعفري في سنة إحدى وخمسين وستمائة ، فقاتلهم الأتراك وأمسكوا الشريف وأصحابه ثم مضوا بعد وقعة دروط إلى ناحية سخا من الغربية، وكان من خلفاء سنبس عذرة ومدلج ، ويجاورهم فرقة من كنَّانة بن خزيمة كان مقدِّمهم في خلافة الفائز بنصر الله عيسي إبن الظافر ووزارة الصالح طلائع بن رزيك (٥) ويجاورهم فرقة من بني عَدى بن كعب رهط (٦) أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، ومقدمهم خلف بن نصر بن منصور بن عبيد الله عَدَى بن محمد بن أبى بكر عبد الله بن عبيد الله بن أبى بكر بن عبيد الله بن عبد الله بن عبيد الله بن عبد الله بن عمر بن الخطاب

⁽۱) الحسن بن على بن عبد الرحمن ، أبو محمد اليازورى ، وزيره من الدُهاة ولد في يازور (من قرى الرملة بفلسطين) وإليها نسبته وسكن الرملة ، ووّلى الحكم فيها ، واتصل بالمستنصر الفاطمي (صاحب مصر) فاستوزره سنة ٤٤٢ هـ وجعله قاضى القضاه . الأعلام ـ الزركلي (٢/

⁽٢) أقطعهم : (أقطعه قطعة) أي طائفة من أرض الخراج . المختار (٢٥١) .

⁽٣) نجع فيه الخطاب والوعظ والدواء ، أي دخل وأثّر . وبابه خضع .

⁽٤) أنفت : تعبت ،

⁽٥) طلائع بن رزيك ، الملقب بالملك الصالح ، أبى الغارات ، وزير عصامى يعد من الملوك ، أصله من الشيعة الإمامية فى العراق ، قدم مصر فقيراً ، فترقى فى الخدم حتى ولى منيه بن خصيب للنيا حالياً _ وسنحت له فرصة فدخل القاهرة بقوة ، فولى وزارة الخليفة الفائز الفاطمى عام ١٨٥هـ ، واستقل بأمور الدولة ، ونُعِتَ بالملك الصالح ، فارس المسلمين نصير الدين ، ومات الفائز سنة ٥٥٥ هـ . الأعلام (7 / 7 / 7) .

⁽٦) رهط الرجل : قومه وقبيلته ، والرهط ما دون العشرة من الرجال لا يكون فيهم امرأة . المختار (١٣٣٠) .

رضى الله عنه ، ونزلوا بالبُرُلس ، وكانوا هم والكنانيون من ذوى الأعمار المذكورة في نوبَة دمياط، وخلف هذا هو حَدْ بني فضل الله المحلي بن دعجاب بن خلف بن نصر الله ، وُلُّوا كتابة السر لملوك الترك بالقاهرة ودمشق نحو مائة سنة . وجذام وهم بنو جذام ، واسمه : عامر ، ويقال : عمرو بن عدى بن الحارث بن مِرّة بن أدد بن زيد بن يشجب بن عرب بن زيد بن كهلان وهما إخوة لخم ، واسمه مالك وإنما قيل لهم : لخم وجذام من أجل أنهما تخاصما فجذم جذام بفَمه إصبع أخيه فقطعها ، والجذم : القطع ، ولخم وجه أخيه جذام ، أي لطمه ، فحصر عينه فسمى لخماً ، وقيل في سبب تسميتهما بذلك غير هذا . وقد اختلف أيضاً في نسب جذام فقيل : جذام بن عدى بن عمرو بن سَبأ ، وقيل: جذام ولخم ابنا عدى بن عمرو بن الحارث بن مرة ، وقيل : إن قنص بن مُعْد بن عدنان هو أبو لخم ، وأن أسده بن خزيمة أخا أسد بن خزيمة بن مُدْركة بن إلياس ابن مُضر هو أبو جذام ، وأن جذام لحقت بالشام فانتمت إلى سبأ ولحقوا باليمن . وفي جذام عدة أبطن وأفخاذ وعشائر كبنى ضُبَيْب بن قُرْط بن نبيج ، وفي بني ضَبَيْب عدة أبطن [و] (١) وهم بنو سُويَد وبنو زيد وبنو بهجة ، وهلبا سويد وهلبا مالك وهلبا بعجة وبردعة ورفاعة ونايل ، وبنو مسعود وبنو الوليد وبنو منظور وبنو قُرّة الذين كانوا بالبحيرة قبل سنبس وبنو رداد ومحرية رهط رفاعة بن زيد جَدٌّ بني روح من الصحابة .

فأما سويد بن زيد بن أمية بن الضبيب المذكور ، وأما زيد فبنو زيد بن أميّه بن الضبيب ، ومنهم بنو إمامة بن غطفان ، ومنهم روح ومنهم قرظ بن حفيدة بن نبيح ، ومنهم جرام وحشم وعطفان ونبيح بنو عُبيد بن كعب وحطمة بنو عوف بن شبوه بن نزيل بن حشم بن جذام ، ومنهم طريف بن ثعلبة بن نفذرة بن عوف بن طانجة بن مالك بن أسلم بن الهون بن أسعد بن بكر بن نزيل بن حشم ابن جذام .

ويقال : طانجة بن الهون بن شبوة بن نزيل بن حشم . ومنهم عبيد بنو عبيد بن كعب بن على بن سعد بن إمامة بن غطفان ، منهم بنو صليع وبنو الضبيب وبنو زيد وبنو سويد وبنو رذالة بن نبيح بن عبيد المذكور ، وهم إخوه بنى حنيدة وصليع ، ومنهم بنو شاكر بن الضبيب بن قرظ ، وبنو عمرو بن سود بن بكر بن نزيل بن حشم بن جذام ، فخذ من بنى خبيس وبنو عروس مطرود بن كعب بن على بن

⁽١) ساقطة من المخطوطة .

سعد بن أيامة بن غطفان ، ومنهم عابدة وصبرة وجاير ، وفي صبرة هذه بنو جذام ابن صبرة بن نصر بن غنم بن غطفان بن سعد بن جزام بن جزام .

وكان من بنى سويد الأمير المقدم زين الدولة طريف بن مكنون أحد الكرام من أكبر (١) الأمراء الجذاميين بمصر ، كان فى مَضْيَفة أيام الغلاء اثنا عشر ألفاً تأكل عنده كل يوم وكان يهشم الثريد (٢) فى المراكب .

ومن أولاده فضل بن شمج بن كمون وإبراهيم بن غالى ، وأمر كل منهما بالبوق والعلم.

ومن جذام : بنو كعب بن على بن سعيد بن أيامة ، وهم فخذ بن الضبيب ، عشيرة بني زيد وسويد وميّة .

ومن بنی کعب بنو صلیع بے بصاد مهملة ، وبنو مطرود ونفاءة ورذّالة ، ومن جذام : بنو کمیل بن قرّة بن موهوب بن عبید بن مالك بن سوید بن زید بن ضبیب وهم جماعة صلاح وطارق من مقدمی جذام بالحوف (٣) ومساكن جذام بالحوف وراشد وهم فی الیمن(٤) ، ویجمعهم فخذان وعشیرة فی جذام من بنی سُوید ثم من بنی عُقبة ، فالتی فی سوید ولد راشد بن ولید بن سوید بن زید بن مَیّة من بنی الضبیب بن قرظ حفیدة ابن نبیج بن عبید بن کعب بن علی بن سعد بن إمامة بن غطفان . وقیل : آیامة بن عبیس بن غطفان بن سعد بن ایاس بن جذام ، ومن بنی راشد هذه : بنو حَیّة بن راشد ، منهم عروة بن تمام وماضی بن العریب ، وبنو عامر بن راشد ، منهم صخر بن عمارة ، وبنو حلمة من بنی منیع أحد بنی عامر .

وأما العشيرة فهى هلبا سويد (٥) بنو راشد من هلبا بن مالك بن سويد ، وأما التي في بني عقبة أحد بني محرية من بني تيه من بني الضبيب المذكور ، منهم بنو

⁽١) في المخطوطة : كبرا .

⁽٢) ثرد الخبز : كَسَرَه .

⁽٣) الحَوْف : بالفتح وسكون الواو والفاء ، قال البخارى : « الحوف بناحية عُمان ، والحوف بمصر حَوْفان : الشرقى والغربى، وهما متصلان، أول الشرقى من جهة الشام ، وآخر الغربى قرب دمياط. معجم البلدان (٢ / ٣٢٢) .

⁽٤) في المخطوطة : يمن بدون ألف ولام .

⁽٥) هَلْبَاء سُويَد: بطن من زيد بن حرام بن جذام من القحطانية ، كانت مساكنهم بالديار المصرية. معجم قبائل العرب (٣/ ١٢٢٣) .

حميدة بن صالح بن راشد ، عشيرة في عقبة ، منهم : حوذر بن حميد وله عقب ، ومن بطون الحميد بن البراجسة والجواشنة والعكوك وأولاد غانم ومن جذام هلبا وهي هلبا سُويد وهلبا بعجة ، فهلبا بعجة هو أبو الفوارس هلبا بن بعجة بن زيد بن الضبيب بن قرظ بن حفيدة بن نبيح، وهلبا سويد هو هلبا بن مالك بن سويد بن زيد بن ضبيب المذكور .

فمن هلبا بعجة الذواهبة والجزازرة والنجاد والغياث وبنو منظور والعبسة وبنو ثابت وبنو قُبيصة وأمراؤهم أولاد بقر بن نجم ، ومن هلبا سويد بنو عمرو وهم منهم أولاد شاش ، ومنهم العطويون والحميديون والجابريون والفتاورة ، ويقال لهم: أولاد طواح المكوس ، وبنو عقبة وهم جذام ينسبون إلى عقبة بن عبيد بن مالك بن سويد بن زيد بن الضبيب.

وقالوا: الضبيب بن قرظ بن حفيدة بن عمرو بن صليع بن نبيح بن عبيد بن كعب بن سعد بن أيامة بن غطفان بن سعد بن إياس بن حرام بن جذام ، وبعضهم يقول: حفيدة بن عمرو بن صليع بن نبيح بن كعب بن سعد بن إياس بن عبيس بن حرام بن جذام .

ومنهم من أوصل عقبة جذام بإياد بن نزار، وإلى هذا الفخذ يرجع كل عُقبى (۱) ببلاد الشام وحوف مصر وما بين إيلة وحوف مصر ، ولبنى عقبة من عقبة إيلة إلى داما قريب عينونة العايذ بياء آخر الحروف ، وذال معجمة هم بطين من جذام ينسبون إلى عايذ الله ، وقيل : ينسبون إلى عايذة إحدى بطون جذام والعايذ من القاهرة إلى عقبة إيلة ، وبنو رداد بن بعجة بن زيد بن مية بن الضيب بن قرظ بن حفيدة ابن نبيح بن عبيد بن كعب بن على بن سعد بن أيامة بن غطفان بن سعد بن إياس ابن حرام بن جذام ، ومنهم بنو ذبيب بن سنان المجرس وبنو ذواد بن سنان وفيهم من يسكن الشام ، وبنو زيد مناة بن أقصى بن إياس بن حرام بن جزام ، منهم بنو كنانة وبنو أروّح وبنو كلب وبنو سعد من جذام .

وفي جذام خمس سعود : سعد بن إياس (٢) بن حرام بن جذام ، وسعد بن

⁽١) أي يرجع إلى عُقْبة .

 ⁽۲) بطن من جذام ، من كهلان ، من القحطانية ، وهم بنو سعد بن إياس بن حرام بن جذام .
 معجم قبائل العرب (۲ / ۱۳۵) .

مالك ابن مالك بن زيد بن أقصى بن سعد بن إياس بن حرام بن جذام وإليه ينسب أكثر السعديين ، وسعد بن مالك بن حرام بن جذام ، وسعد بن أيامة بن غطفان ، وقيل : سعد بن أيامة بن عنبس بن غطفان بن سعد بن مالك بن حرام بن جذام ، وسعد بن مالك بن أقصى بن سعد بن إياس بن حرام بن جذام .

والخمسة اختلطت بمصر وأكثرهم مشايخ البلاد وخفراؤها ولهم مزارع ، وفسادهم كثير ، وسكنهم من مُنْيَة غَمْر (١) إلى زفيتا (٢) ومنهم الوزير شاور وإليه يُنسب بنو شاور كبار مُنْية غمر ، ومنهم بنو عبد الظاهر الموقعين ، ومنهم أهل برهمتوش ، ومن هؤلاء بنو شاش، ومن سعد هذه بنو الضبيب وبنو زيد وبنو سويد وبنو ميّة ، وفي سويد بن زيد بن مية : بنو قرة وبنو ولد وبنو صبرة بن نصرة بن غطفان بن سعد بن إياس بن حرام بن جذام.

ويقال : صبرة بن نصرة بن غنم بن غطفان بن مالك بن حرام بن جذام والى بنى صبرة درك بركة الحج ، ومن بنى سعد : بنو شاش وحوش وغيلان ، وبنو قرة ابن قيس فى هلال بنى عامر وهم بنو قرة بن عمرو بن ربيعة من عبد مناف بن هلال ابن عامر بن صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوازن ، وفى نزار بنو قُرة بن عكرى بن بشر بن رذالة بن نبيح بن كعب بن سعد بن إياس بن عنبس بن عبد عمرو ابن زهم ابن كعب بن إياد ، ويقال : إن هذه الفخذ انقلبت فى جذام ، ولما قدم الغز صحبه أسد الدين شيركوه إلى مصر ، كان بأرض مصر من الغرب طلحة وجعفر وبلى وجهيئة ولخم وجذام وشيبان وعذر وعذارة وطى وسنبس والحنيفة ومخزوم .

وفى جراية الدولة الفاطمية منهم ألوف. وجذام من قدماء عُرْبان مصر قدموا مع عمرو بن العاص (٣) ، وكانت لهم عدة إقطاعات ، منها : هربيط وتل بسطة ونوب

⁽١) مُنْية غمر : الغين معجمة ، والميم ساكنه ، وراء : شمالى مصر على فوهة النهر المؤدى إلى دمياط ، ومقابلها منية زفتا .

معجم البلدان _ (٥ / ٢١٨) .

⁽٢) الأصح زِفْتَا : بكسر أوله ، وسكون ثانية ، وتاء مُثنّاة من فوقها ، مقصور : بلد بقرب الفسطاط من مصر وهي قرب شطنوف . مصدر سابق (٣ / ١٤٤) .

⁽٣) عمرو بن العاص بن واثل السهمى القرشى ، أبو عبد الله ، فاتح مصر وأحد عظماء العرب ودُهاتهم وأولى الرأى والحزم والمكيدة فيهم . كان في الجاهلية من الأشداء على الإسلام، وأسلم =

ودم وغير ذلك ، وكان إقطاع ثعلبة جميعه في مناشين لجذام وإنما السلطان صلاح الدين وسَّع لثعلبة في بلاد جذام ، وكذلك كانت فاقوس (١) وما حولها لهلبا سويد وأمر جماعة منهم بالبوق والعلم ، فممن أمر منهم : أبو رشد ابن حبشي بن نجم بن إبراهيم بن مسلم بن يوسف بن وافد بن عديد بن عقيل بن قرة بن موهوب بن عبيد بن مالك بن سويد ، ودُحية وثابت ابنا هاني بن حوط بن نجم بن إبراهيم ، ولم تزل الأحوال في نجم وبنيه وكانت اليرموك الحيادرة ولد حيدرة بن معروف بن حبيب بن الوليد بن سويد وهم طائفة كبيرة ، ولبني عمارة بن الوليد بن سويد وفيهم عدد وممن أمر معيد بن منازل وأقطع شمس بن خثعم من ولد مالك بن هلبا ابن مالك بن سويد ، وأمر واقتنى عدداً من المماليك الأتراك والروم ، وبلغ من الملك الصالح نجم الدين أيوب (٢) منزلة وارتفع قدره في سلطنة المعز أيبك وقدّمه على عرب ديار مصر ، ولم يزل على هذا حتى قتله غلمانه فأقام الملك المعز ابنيه سلمى ودغش عوضة ، ثم قدم دغش دمشق فأمره الملك الناصر يوسف ببوق وعلم، وأمر الملك المعز أيبك أخاه سلمي ذلك فأبي حتى يؤمر مفرَّج بن سالم بن راضي من هلبا بعجة ، ثم أمر مزروع بن نجم كذلك في جماعة كثيرة من جذام وثعلبة ، وخلف ابن سالم على إمرته ولده حَسَّان بن مفرج ، وكان هيا بن علوان بن على ابن زيين بن حبيب بن نائل من هلبا جواداً كريماً ، طرقته (٣) ضيوف في شتاء (٤) وليس عنده حطب يقده (٥) لطعامهم الذي أراد أن يصنعه لهم ، فأوقد أحمالا من بُن

⁼ فى هدنة الحديبية وولاه النبى ﷺ إمْرَة جيش ذات السلاسل، وأمدّه بأبى بكر وعمر ثم استعمله على عُمان وتوفى بالقاهرة عام ٤٣هـ. الأعلام ــ الزركلي ــ(٥ / ٧٩) .

⁽۱) فاقوس: بالقاف وآخره سين مهملة ، اسم مدينة في حوف مصر الشرقي ، من مصر إلى مشتول ثمانية عشر ميلاً ، وفي آخر ديار مصر من جهة الشام في الحوف الأقصى . معجم البلدان ـــ ياقوت الحموى (٤ / ٢٣٢) .

⁽۲) أيوب (الملك الصالح) ابن محمد (الملك الكامل) ابن أبى بكر العادل بن أيوب ، أبو الفتوح نجم الدين . من كبار الملوك الأيوبيين بمصر ، ولد ونشأ بالقاهرة وولى بعد خلع أخيه (العادل) سنة ٦٣٧ هـ ، وضبط الدولة بحزم _ وكان شجاعاً مهيباً عفيفاً ، صموتا ، عُمر بمصر ما لم يعمره أحد من ملوك بنى أيوب . الأعلام (٢ / ٣٨) .

⁽٣) أي طرقت عليه الباب .

⁽٤) أي في فصل الشتاء حيث الناس مختبئة في منازلهم من شدة البرد .

⁽٥) يقده ويوقده : ومنه قوله تعالى: ﴿ يُوقَدُ من شجرة مباركة زيتونة لا شرقية ولا غربية . . . ﴾ .

كانت عنده وكان له كفر برسوط بنوحي مرصفي ، وكان لبني رديني بن زياد بن حسين بن مسعود بن مالك بن سُويد _ ومنهم أولاد جَيَّاش بن عمران وكان للشواكرة (١) أولاد شاكرين راشد ابن عقبة بن مجرية شنبارة بني خصيب، وكان أولاد الحاج في أولاد العجار من أيام السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب وحميدة بن صالح بن أسد بن عقبة ذوو عدد يُعْرفون به ، منهم فرقة بالحجاز من واصل بن عقبة وكان لبني خليفة وحصر من بني عبيد موضع حقوق هربيط يعرف بالأحراد وكانت زهير بالشام وامتزج من كان بديار مصر منهم بولد زيد وهم نجدى الحوف إلى ما يلى أشموم ، وكانت قرارة بني سعد تل طنبوب إلى نوب طريف ، منهم بدقدس ودمريط وضواحى القاهرة إلى أطراف الشرقية ، وبالإسكندرية من جذام ولخم جماعة ذو عدد وعدة (Y) وشجاعة وإقدام ، ولهم أيام معلومة وأخبار معروفة ووقائع مشهورة .

وببلاد الصعيد عدة قبائل من العرب ، ففي بلاد أُسُوان (٣) وما تحتها : بنو هلال، وفي بلاد إخميم (٤) وما تحتها : بلي . وفي بلاد منفلوط (٥) وسيوط (٦) : جهينة. وفي بلاد الأشمونين (V): قريش. وفي معظم بلاد البهنسا: لوانة ، ومنهم طوائف بالجيزة وبالمنوفية وبالبحيرة . وببلاد الفيوم : بنو كلاب .

⁽١) هم بطن من بني مجرية ، من جذام ، من القحطانية ، وهم : بنو شاكر بن راشد بن عقبة بن مجرية ، كانت مساكنهم بالحوف من الشرقية بالديار المصرية . معجم قبائل العرب (٢ / ٦١٩) . (٢) العدّة : هي عدة الحرب وآلاته .

⁽٣) أُسُواَن : بالضم ثم السكون وهي مدينة كبيرة ، وكورة في آخر صعيد مصر ، وأول بلاد النوبة على النيل في شرقيه . معجم البلدان (١/ ١٩١) .

⁽٤) إخميم : بالكسر ثم السكون وكسر الميم : بلد بالصعيد في الإقليم الثاني وهو بلد قديم على شاطئ النيل بالصعيد ، وفي غربيه جبل صغير من أصغى إليه بأذنه سمع خرير الماء . مصدر سابق (۱ / ۱۲۳) .

⁽٥) منفلوط : بفتح الميم ، وسكون النون ثم فاء مفتوحة ، بلدة بالصعيد ، في غربي النيل بينها وبين شاطئ النيل بُعْد . مصدر سابق (٥ / ٢١٤) .

⁽٦) سيوط (أسيوط) كورة جليلة من صعيد مصر ، ينتسب إليها ومدفون فيها العالم الجليل صاحب التصانيف الكثيرة الإمام جلال الدين السيوطى .

⁽٧) أُشْمُون : أهل مصر يقولون الأشمونين ، وهي مدينة قديمة أزلية عامرة آهلة إلى هذه الغاية ، وهي كورة من كُور الصعيد الأدني غربي النيل . مصدر سابق (١ / ٢٠٠) .

فأما بنو هلال فإنهم بنو هلال بن عامر بن صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوازن بن منصور بن عكرمة بن حضعة بن قيس عيلان ، ويقال : قيس بن عيلان (بالعين المهملة) ابن مُضر بن نزار بن معد بن عدنان .

وبنو هلال بطن من بنى عامر وكانوا أهل بلاد الصعيد كلها إلى عيذاب وبإخميم ، منهم: بنو قرة، وبساقية قلته ، منهم : بنو غمر، وفي بنى هلال عدة بطون، منهم: بنو رفاعة وبنو حجير وبنو غريز وباصفون وإسنا بنو عقبة وبنو جميلة.

وأما بكي (١) فإنها بلى بن عمرو بن الحاف بن قضاعة بن مالك بن عمرو بن مرة بن زيد بن مالك بن حميرة بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان على ما فى نسب قضاعة من الخلاف الذى يذكر فى موضعه إن شاء الله تعالى .

وبلى قيل (٢) عظيم فيه بطون كثيرة ، كانت بلى بالشام فنادى رجل بالشام : يا آل قضاعة ، فبلغ ذلك عمر بن الخطاب رضى الله عنه إلى عامل الشام أن يسير ثُلث قضاعة إلى مصر ، فنظروا فإذا بلى ثلث قضاعة فسيروا إلى مصر فكانت بلى متفرقة بأرض مصر ثم اتفقت هى وجهينة (٣) ، فصار لبلى من سوهاى (٤) غربا إلى قرب قمولة (٥) ، وصار من الشرق من عُقبة فلو الخراب إلى عيذاب (١) .

وكان ببلاد مصر هذه من بطون بلى: بنو هنى وبنو هرم وبنو سوادة وبنو جادية وبنو رايس ، وبنو ناب وبنو شاد ، وكان بنو شاد هم الأمراء وبنو هجيل بن الريب وهم العجلة، وفيهم الأمراء أيضاً ، وزعم بعضهم أن بنى شاد من بنى أُميّة وصل

⁽۱) بَلَى بن عمرو : قبيلة عظيمة من قُضاعة ، من القحطانية ، تنتسب إلى بلى بن عمرو بن الحافى من قضاعة . معجم قبائل العرب (۱/ ۱۰۵) .

⁽٢) قَيْل : مَلك من ملوك حمْير (المعجم العربي الأساس) .

⁽٣) جهيئة : بلفظ التصغير ، وهو علم مرتجل في اسم أبى قبيلة من قضاعة (وهي قرية من قرى محافظة سوهاج المصرية غرباً) .

⁽٤) قرية بمصر من قرى إخميم .

 ⁽٥) قَمولة: بالفتح ثم الضم ، وبعد الواو الساكنة لام ، هى بليدة بأعلى الصعيد من غربى النيل
 كثيرة النخل والخضرة . مصدر سابق (٤/ ٣٩٨) .

⁽٦) عَيْذاب : بالفتح ثم السكون ، وذال معجمة وآخره باء موّحدة : بليدة على ضفة بحر القلزم ، هي مَرْسي المراكب التي تقدم من عدن إلى الصعيد . مصدر سابق (٤/ ١٧١) .

حين طردوا إلى القصر الخراب المعروف بهم وكان معهم رجل من ثقيف معه قُوسُ فسموه القوس وعُرفت ذريته بالقوسية أو القوسة ، ودعوتهم لبنى شاد وهم بطوخ وكذلك يدعى لهم خلق سوى القوسة ، منهم هذيل وهم بطوخ (١) أيضا .

ومنهم بنو عماد وبنو فَضَالة وهم بفرشوط (٢) وزعم قوم أن بنى شاد من بنى العجيل بن الذيب وإنما هم إخوتهم ، وأن العجيل كان قد تزوج أخت إبراهيم بن شاد فولدت ابناً سمته : شادياً ، فتوهم من لا علم له أن بنى شاد من بنى العجيل ، وزعم آخرون أن العجيل من الذيب من ولد عمر بن ذى الجوشن (٣) قاتل الحسين إبن على رضى الله عنهما ورحمه ولُعِن قاتله ـ وليس كذلك .

وأما جهينة فإنها من قبائل اليمن وهي جهينة بن زيد بن ليث بن سود بن أسلم ابن الحاف بن قضاعة ، وهي قبيلة عظيمة وفيها بطون كثيرة وهي أكثر عرب الصعايدة، وكانت مساكنهم في بلاد قريش فأخرجتها قريش بمساعدة الخلفاء الفاطميين ونزلوا في بلاد إخميم أعلاها وأسفلها ، وروى أن بلي وبطونها كانت لهذه الديار .

وجهينة بالأشمونين جيراناً بمصر كما هم بالحجاز ، فوقع بينهم واقع أدى إلى دوام الفتنة ، فلما خرج العسكر لإنجاد قريش على جهينة خافت بلى فانهزمت فى أعلى الصعيد إلى أن أدينت لقريش وملكتهم دار جهينة ، ثم حصل بينهم جميعاً الصُلُح على مساكنهم هذه التى تقدم ذكرها وزالت الشَحناء ، وأما قريش فإنهم ولد مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مُدْركة بن إلياس بن مُضر بن نزار بن معد بن عدنان .

وقيل: هم ولد فهر بن مالك بن النضر ورَجَّحه الزبير بن بكار وغيره ، وقيل: هم ولد النضر بن كنانة ، فعلى قول الزبير [يكون] (٤) فهر جماع قريش ومنه افترقت بطون قريش ، وإنما قريش جماع نسب ليس بأب ولا أم ولا حاضن ولا حاضنة، والقَرْش عند العرب التجمع ، فمن بطون قريش: الجعافرة ، بنو جعفر الطيار

⁽١) طوخ : قرية في صعيد مصر على غربي النيل . مصدر سابق (٤ / ٦) .

⁽٢) فرُسُوط : قرية كبيرة على شاطئ غربي النيل من الصعيد .

⁽٣) قَاتل الإمام الحسين هو اللعين « شمر بن ذى الجوشن » الذى أرسله عمر بن سعد ، وهو الذى اجتز رأسه الشريف بالسكين .

⁽٤) ساقطة من المخطوطة .

ابن أبى طالب ، واسمه عبد مناف بن عبد المطلب واسمه شَيْبة الحمد، هاشم واسمه عمرو بن عبد مناف بن قُصى بن كلاب بن لُؤى بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مُضر بن نزار بن مَعْد بن عدنان .

ومن الجعافرة الزيانية أولاد على بن عبد الله بن جعفر بن أبى طالب رضى آلله عنه، $عُرِف بنو على هذا بالزيانية ؛ لأن أمه زينب المذكورة ، ومن الزيانية العشيرة المعروفة ببنى ثعلب الداوودى الحجازى ابن داود بن موسى بن إبراهيم بن إسماعيل ابن جعفر بن إبراهيم بن محمد بن على بن عبد الله بن جعفر بن أبى طالب رضى الله عنه ، فهم عشيرة نزلت بجرجة من أعمال سيوط يُعرفون بطلحة وجعفر فهم عَلاَّقُ (١) _ بفتح العين المهملة وتشديد اللام، وحامد ووديعة وإبراهيم أولاد مُسلَّم _ بضم الميم وفتح السين المهملة وتشديد اللام _ ابن عبد الله بن حسين بن ثعلب المذكور .$

ويقال : فيمن هو في بنى ثعلب الثعلبي الجعفرى الزينبي والجعافرة هو لابد مع بنى طلحة بن عمرو بن عبيد الله بن معمر بن عثمان بن عمر بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة التيمي .

ويقال لطلحة هذا: طلحة الجود ، وتزوج طلحة المذكور فاطمة بنت القاسم بن محمد بن جعفر وإنها زينب بنت على بن أبى طالب رضى الله عنه ، فولدت فاطمة بنت القاسم لطلحة الجود إبراهيم بن طلحة ، وولدت زينب بنت على بن أبى طالب رضى الله عنه لعلى بن عبد الله بن جعفر أولاداً عُرِفوا بالزيانية ، وهم : بنو جعفر الذى بمصر بالصعيد ، ومنهم ثعلب ، ومن هنا كانت بنو طلحة المذكور يداً مع بنى جعفر وهم بطون منهم بنو طلحة من بنى محمد بن أبى بكر الصديق رضى الله عنه، وليس كذلك ؛ لأن محمد بن أبى بكر ليس فى ولده طلحة ، وإنما طلحة فى ولد عبد الرحمن بن أبى بكر وأخوه إبراهيم بن طلحة بن عمر بن عبيد الله بن معمر المذكور من أمه فاطمة بنت القاسم المذكورة .

وفاطمة هذه هي أم يحيى وأمّ أبى بكر ابنى حمزة بن عبد الله بن الزبير بن العوّام رضى الله عنهما ، ومن هذه الأخوة كانت بنو طلحة بن عمرو بن عبيد الله

⁽١) العلاق : فرع يتبع البو محمد من البو سلطان من رُبيد الأكبر بالعراق . معجم قبائل العرب __ الاستدراكات (٥ / ٥٦) .

ابن معمر التيمي مع بني الزبير ومع الجعافرة أهل الصعيد .

إن الجعافرة لا يجمعهم بطنان ، هما: بنو عبد الله وبنو محمد ، وغلب على بنى محمد اسم بنى إسماعيل ، وهو إسماعيل بن جعفر بن إبراهيم بن محمد بن على بن عبد الله بن جعفر ، وفى بنى محمد عدّة بطون هم الخلصيون والصالحيون وبنو على وبنو صالح وبنو قاسم وبنو إدريس وبنو شاكر وبنو عبد الله _ بفتح الدال _ على كل حال ، وبنو شعران وبنو داود وأولاد بريق وبنو والى وبنو زيد وبنو إبراهيم وأولاد الشريف الأمير الكبير حصن الدولة مجد العرب ثعلب بن يعقوب بن مسلم ابن يعقوب بن أبى جميل بن جعفر بن موسى بن إبراهيم بن إسماعيل بن جعفر بن بعفر وبنو عكّق، إسماعيل بن جعفر بن إبراهيم بن محمد بن على بن عبد الله بن جعفر وبنو عكّق، وفى بنى عبد الله الحسنات وهم أولاد أحمد بن سعد الدولة بن حسنة بن سلطان ويجمعهم بنو عبد الله غير عبد الله الأول ، وبنو إبراهيم وبنو عيسى وبنو أحمد وبنو يوسف وبنو سليمان ، وبنو حبيب وبنو إدريس وبنو مقيل وبنو حسين ، ويتبع بنى عبد الله هؤلاء من أخلافهم عترة وقرارة وبنو عثمان أحد بطون بنى أمية وبنو خالد وبنو مُسلّمة وبنو منباب وبنو عسكر وبنو نذا .

وقيل: إن بنى ندا من بنى جعفر ومن أخلاف بنى محمد أولاد حسين والأنصار ومزينة ، وكان لجعفر بن إبراهيم بن محمد بن على بن عبد الله بن جعفر عدة أولاد ، هم: إسماعيل وداود ومحمد وعبد الله وموسى وعيسى ويوسف ، وكان له سبط (١) اسمه قاسم بن يعقوب بن جعفر .

فمن قاسم هذا: بنو إبراهيم بن محمد بن على بن عبد الله بن جعفر ، وأما بنو إبراهيم في بني محمد فإنهم يرجعون إلى إبراهيم بن محمد بن على بن عبد الله ابن جعفر ، والخلصيون هم ولد عيسى بن جعفر بن إبراهيم هذا .

وأما أولاد الشريف حصن الدولة مجد العرب ثعلب بن يعقوب بن أبى جميل بن جعفر بن إبراهيم بن إبراهيم بن إسماعيل بن جعفر بن إبراهيم بن محمد ابن على بن عبد الله بن جعفر ، فإنهم فخر الدين بن إسماعيل ونجم الدين على وحسام الدين عبد الملك وفاس الدين عز العرب ، وقطب الدين حسام ونصار .

⁽١) سَبُط : واحد الأسباط ، وهم من ولد الولد . مختار الصحاح (١٤٤) مادة سبط .

فمن الأمير فخر الدين إسماعيل ابن الأمير الشريف حصن الدين ثعلب: جمال الدين مراد معين الدين محمد وشهاب الدين إبراهيم ، والأمير نجم الدين على وشرف الدين أبو جميل وشهاب الدين عبد الله ، ومن نجم الدين على ابن حصن الدولة ثعلب: عز الدين قيصر ونصير الدين قسور وتاج الشرف قيس وهمام الدين إبراهيم .

ومن حسام الدين عبد الملك ابن حصن الدولة ثعلب: نور الدين حامد وشرف الدين عيسى ، ومن فارس الدين عز العرب ابن حصن الدولة ثعلب: سابق الدين مودود وناصر الدين صلاح وعكم الدين عزيز والشجاع كليب والشهاب أحمد والجمال مراد والشرف جزى والفخر إسماعيل وسيف الدين سخطة الذى شنق على باب زويلة في سنة اثنتين وخمسين وستمائة .

ومن قطب الدين حسام ابن حصن الدولة ثعلب :شهاب الدين ثعلب وفلك الدين حامد وعماد الدين مسلم وزين الدين يعقوب ومعين الدين محمد وفخر الدين أحمد ، وأما نصار ابن حصن الدولة ثعلب فلم يكن له غير ابنة واحدة .

ومن مشاهير أولاد جمال الدين من ابن فخر الدين إسماعيل ابن حصن الدولة ثعلب: الشريف شرف الدين عيسى ، ومن ولد معين الدين محمد ابن الأمير فخر الدين إسماعيل ابن حصن الدولة ثعلب: الشريف تقى الدين جعفر .

ومن أولاد الأمير الكبير نجم الدين على ابن الأمير فخر الدين إسماعيل ابن حصن الدولة ثعلب : الأمير حصن الدولة ثعلب أمير الجعافرة ورئيس القوم الذى أنف من سلطنة المماليك الأتراك وثار في سلطنة المعز أيبك التركماني ، وكاتب الملك الناصر يوسف بن العزيز صاحب دمشق ، وجمع عُربان مصر فخرجت إليه الأتراك وحاربوه فقبض عليه وسبعن بالإسكندرية حتى شنقه الظاهر بيبرس وقتل معه جمال الدولة أبو عملاق أحمد ابن علم الدين عبد الله بن الحسين ثعلب بن عبد الله بن المدولة أبو عملاق أموسي بن إبراهيم بن إسماعيل بن جعفر بن إبراهيم بن إسماعيل بن جعفر بن إبراهيم بن عملاق هذا من بطن يقال لهم: بنو داود بن يوسف بن جعفر بن إبراهيم ، وقيل: عملاق هذا من بطن يقال لهم: بنو داود بن يوسف بن جعفر بن إبراهيم ، وقيل: الى داود بن محمد بن جعفر بن إبراهيم ، وهم ثلاثة أثلاث : ثُلث لجعفر بن سليمان ابن جمال الدولة أبو عملاق ، وثلث للفارس هَمّام الدولة ، وثلث لزيّالة سليمان ابن جمال الدولة أبو عملاق ، وثلث للفارس هَمّام الدولة ، وثلث لزيّالة

وهم ينقسمون أيضا إلى الكبر والصغر ، فالكبر أولاد مسلم وأولاد عمود وأولاد سكمة وأولاد الفارس هم أم الدولة ، والصغر أولاد جعفر ابن عز الدولة .

وفى الجعافرة أولاد عز الدين على وولده ، ونصير الدين قَتَلة ابنه شهاب الدين على . وفيهم أولاد عز العرب وبنو إدريس النعم وبنو صالح بن محمد بن جعفر ابن إبراهيم ، وهم أخوال الشريف فخر الدين إسماعيل بن ثعلب ، وفيهم بنو طى وبنو زيد وأولاد يوسف بن جعفر بن إبراهيم ، وكان الشريف ثعلب صاحب دروة شريام.

وكانت مساكن الجعافرة من بحرى منفلوط إلى سَملّوط (١) غرباً أو شرقاً ولهم بلاد أخرى يسيرة ، وبجرجة (٢) منفلوط قوم من بنى الحسن بن على بن أبى طالب رضى الله عنه، وفى سيوط طائفة من أولاد إسماعيل بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن على بن الحسين بن على رضى الله عنهم ، يُعرفون بأولاد الشريف قاسم، وكانت بلاد الأشراف التى ينزلون بها هُم ومواليهم وأتباعهم وأخلافهم من الأشمونين إلى بحرى أتليد ، ومعظمهم بالذورة ، وكان بالصعيد من قريش بنو طلحة وبنو الزبير وبنو شيبة وبنو مخزوم وبنو أميّة وبنو زهرة وبنو سهم .

فأما بنو طلحة فهم يُنْسَبون إلى طلحة بن عبد الله بن عبد الرحمن بن أبى بكر الصديق رضى الله عنه ، وهم ثلاث فرق: بنو إسحاق ، ويقال: إن إسحاق ليس بجد ، ولكنه موضع تحالفوا عنده سمّوه إسحاق ، وبنو قصّة وهم بطون كثيرة مشتتون في البلاد ، وبنو محمد من ولد محمد بن أبى بكر رضى الله عنه ، ومنازل بنى طلحة هؤلاء بالبرجيين بطحا.

وأما العمريون الذين بأرض مصر فإنهم ينسبون إلى عبد الله بن عمر بن الخطاب رضى الله عنهما ، وقال الشريف محمد بن أسعد الجوّاني النسابة (٣): وهم يكذبون في ذلك ؛ لأن أنسابهم لا تتصل به وقد لقيت منهم جماعة وعرّفتهم كذبهم بطرق علمية .

⁽۱) سَمَلَّوط : بفتح أوله وثانيه ، وتشديد اللام ، وطاء مهملة ، قرية بناحية الصعيد ،على غربى النيل من الأشمونين . معجم البلدان (٣/ ٢٥١) .

⁽٢) جُرْجا : بجيمين ، والراء ساكنة ، قرية من أعمال الصعيد . مصدر سابق (٢ / ١١٩) .

⁽٣) النَسَّابِ والنَّسابة : العالم بالأنساب . الوجيز (٦١٢) .

وأما بنو الزبير فهم من ولد عبد الله بن الزبير بن العوّام رضى الله عنهما ، وهم بنو بدر وبنو مُصْلح وبنو رمضان ، ومنهم بنو مصعب بن الزبير رضى الله عنه ، ويعرفون بجماعة محمد بن رواق ، ومنهم بنو عروة بن الزبير رضى الله عنه ، وهم بنو غنى وبلادهم بالبهنسا (۱) وما يليها ، وصار أكثرهم صاحب معايش وأهل زرع وفلاحة وماشية وضرع .

وأما بنو مخزوم فيزعمون أنهم من ولد خالد بن الوليد رضى الله عنه ، وقد اتفق علماء الأنساب على انقراض عقب (٢) خالد ، ولعلهم من بنى مخزوم وهم أكثر قريش بقية ، وفيهم بأس ونجدة وبلادهم متاخمة (٣) لمن تقدم ذكرهم .

وأما بنو شيبة فينتسبون إلى شيبة بن عبد الدار بن قصى ويُعرفون بجماعة نهار وديارهم نواحى تسقط ، وأما بنو ميّة فمنهم ولد أبان بن عثمان بن عفان رضى الله عنه ، وولد خالد بن يزيد بن معاوية بن أبى سفيان ، وبنو مسلمة بن عبد الملك بن مروان ، وبنو حبيب بن عبد الملك بن مروان وديارهم تندة وما حولها ، ومنهم المراونية أولاد مروان بن الحكم ، دُمّرت الدولة الفاطمية وهم بأماكنهم لم يُرَّوع لهم سرْب ولم يكدر لهم شرب.

وأما بنو سَهُم فمن ولد عمرو بن العاص (٤) رضى الله عنه ابن وائل بن هاشم ابن سعيد بن سهم بن عمرو بن هصيص بن كعب بن لؤى بن غالب بن فهر بن مالك ، وكانوا بفسطاط مصر وفُرِّق منهم أشتات بالصعيد ولهم حصة (٥) في وقف عمرو بن العاص رضى الله عنه على أهله بفسطاط مصر وكان دُور بنى سهم حول جامع عمرو بن العاص من الفسطاط (٦) إلى أن [اندثرت] (٧) .

⁽۱) البَهْنَسا : بالفتح ثم السكون ، مدينة بمصر من الصعيد الأدنى غربى النيل وهى عامرة كبيرة كثيرة الرجل . معجم البلدان (۱/ ٥١٦) .

⁽٢) عَقِب : آخر كل شيء و_ الولد : ولد الوالد الباقون بعده (ج) أعقاب . الوجيز (٤٢٦) .

⁽٣) تخم : تاخم الموضع : جاوره ولاصقه .

⁽٤) في المخطوطة : العاصي .

⁽٥) الحصّة : النصيب (ج) حصص . الوجيز (١٥٥) .

⁽٦) فُسَّطاط : أول مدينة مصرية شيدها العرب بأمر من عمرو بن العاص تقع على الضفة الشرقية لنهر النيل قريباً من حصن بابليون .

⁽٧) في المخطوطة : دثرت .

وذكر الزبير بن بكّار أن ولد عطا بن قيس بن عدى بن سعيد بن سهم بمصر وكان بصعيد مصر أولاد الكنز أصلهم من ربيعة بن نزار بن معد بن عدنان ، وكانوا ينزلون اليمامة (١) وقدموا أرض مصر في خلافة المتوكل على الله أعوام بضع وأربعين ومائتين في عدد كثير ، وانتشروا في النواحي ونزل طائفة منهم بأعالي الصعيد وسكنوا بيوت الشُّعر في « براريها » الجنوبية وأوديتها ، وكانت البجة تشن الغارات على القرى الشرقية في كل وقت حتى أخربوها فقامت ربيعة في منعهم من ذلك حتى كفوهم ثم تزوجوا منهم واستولوا على معدن الذهب بالعَلاَّقي (٢) فكثرت أموالهم واتسعت أحوالهم وصارت لهم مرافق ببلاد البجة ، واختطوا قرية تُعرف بالنمامش وحفروا بها آباراً وراس (٣) عليهم إسحاق بن بشر مُدّة ثم خالف عليه بعض أهله وكانت عيذاب لبني يونس من ربيعة ملكوها عند قدومهم من اليمامة فجرى بينهم وبين بني بشر حروب انهزموا فيها ومضوا من عيذاب إلى الحجاز ، ثم وقعت حروب بين بني بشر قُتل فيها إسحاق فأحضروا إليهم بلبيس (١) ، الشيخ أبا عبد الله محمد بن على بن محمد بن يوسف المعروف بأبي زيد بن إسحاق بن إبراهيم بن مسروق وهو ابن عم إسحاق بن بشر المقتول ، ويرجع نسبه إلى مسروق ابن معدى كرب بن الحارث بن مسلمة بن عبيد بن ثعلبة بن الدول بن حنيفة بن لجيم بن صعب بن على بن بكر بن وائل بن قاسط بن هنب بن أقصى بن دعمى ابن جديلة بن أسد بن ربيعة الفرس بن نزار بن معد بن عدنان أم حنيفة صفية بنت كاهل بن أسد بن خزيمة ، فولد حنيفة : الدول وعديًا وعامرًا وزيد مناة وحجراً ، منهم بنت الحارث بن الدول بن صباح بن عزة بن أسد ، فولد الدول بن حنيفة : مرّة وثعلبة وعبد الله وذهلا، أمهم عبلة بنت سدوس بنت شيبان ، فولد ثعلبة بن

⁽۱) اليمامة : كان فتحها وقتل مسيلمة الكذاب في أيام أبي بكر الصديق رضى الله عنه ، سنة ١٢ هـ، وفتحها أمير المسلمين خالد بن الوليد عَنْوة ثم صولحوا ، وبين اليمامة والبحرين عشرة أيام . معجم البلدان (٥/ ٤٤٢) .

 ⁽٢) حصن فى بلاد البجة فى جنوب أرض مصر ، به معدن التبر ، بينه وبين مدينة أسوان فى أرض
 فيّاحة وهو رجل من بنى حنيفة من ربيعة ٤ / ١٤٥.

⁽٣) (راس) القوم : رَيْساً : رأسهم . الوجيز (٢٨٣) .

⁽٤) بلبيس : بكسر الباءين : مدينة ببنها ، فتحت سنة ١٨ أو ١٩ على يد عمرو بن العاص . معجم البلدان (٢ / ٧٧) .

الدول ابن حنيفة : يربوع ومعاوية ، فولد يربوع بن الدول ثعلبة بن يربوع بن ثعلبة : عُبَيْداً، فولد عبيد بن ثعلبة بن يربوع بن ثعلبة : مسلمة وزيد والحارث .

قال الجوانى: وبنو الحارث بن مسلمة بن عبيد بن ثعلبة بن يربوع بن ثعلبة بن الدول فخذ بنى مسروق ، هذا ينتسب كنز الدولة حامى أسوان فنزل أسوان وأنشأ مكانه المعروف بساقية شعبان ، ولم يزل رئيساً على ربيعة حتى مات فقام برئاستهم بعده ابنه أبو المكارم هبة الله ابن الشيخ أبى عبد الله محمد بن على _ يُعرف بالأهوج المطاع ، وهو الذى ظفر بأبى ركوة الخارج على الحاكم بأمر الله وقبض عليه فأكرمه الحاكم إكراماً عظيماً ولَقبه كنز الدولة وهو أول من لُقب بذلك منهم ولم تزل الإمارة فيهم ، وكلهم يعرف بكنز الدولة حتى كان آخرهم كنز الدولة ، فقتله الملك العادل أبو بكر بن أيوب في سابع صفر سنة سبعين وخمسمائة عندما خالف على السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب وجمع لحربة وقتل أخا أبى الهيجاء السمين ودُعى للأمير داود بن العاضد ومحمد فقتله على مدينة طور بعد حروب شديدة .

كنانة (١): هم بنو كنانة بن خزيمة بن مُدْركة بن إلياس بن مُضر بن نزار بن معد بن عدنان ، وهم بنو الليث وبنو خمرة ابنا بكر بن عبد مناة بن كنانة ، وبنو فراس بن غانم بن ثعلبة بن مالك بن كنانة ولم تمكنهم قريش من التعدية إلى بلادها عند قدومهم من بادية الحجاز إلا بمراسلة بنى إبراهيم بن محمد ، وكان مع كنانة جماعة من أخلاط العرب دخلت فى لفيفها (٢) وبنو الليث منهم سكان ساقية قُلْته وباقيهم فيما يليها ، وبالصعيد أيضاً طائفة من الأنصار رضى الله عنهم ، والأنصار قبيل (٣) عظيم من قبائل الأزد ، وقيل لهم: الأنصار من أجل أنهم نصروا رسول الله عليها والخزرج ابنا حارثة وبنو العنقاء بن عمرو وهو من بقيا بن عامر وهو ماء السماء ابن حارثة وهو الغطريف بن امرئ القيس بن ثعلبة بن مازن بن الأزد ، ومنهم بأرض مصر بنو محمد وبنو عكرمة وديارهم بحرى منفلوط ، فأما

⁽۱) كِنَانَة : ج كنائن : جُعبة صغيرة من جلد أو نحوه لوضع السهام ، وهي أرض الكنانة مصر . المُعَجم العربي الأساس (۱۰۵۷) .

⁽٢) اللفيف : ما اجتمع من الناس من قبائل شتى أو من أخلاط شِتى (ج) ألفاف .

⁽٣) القبيل : الجماعة والأتباع ، قال تعالى: ﴿ إِنَّهُ يَرَاكُمُ هُو وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لَا تَرُونَهُم ﴾ .

بنو محمد فمن ولد حسان بن ثابت بن المنذر بن حوام بن عمرو بن زید مناة بن عدى بن عمر بن مالك بن النجاد بن الوليد الأنصارى رضى الله عنه .

وبنو عكرمة ينسبون إلى سيد الأوس سعد بن معاذ بن النعمان بن امرئ القيس ابن زيد بن عبد الأشهل بن جشم بن الحارث بن الخزرج بن النبيت وهو عمرو بن مالك بن الأوس الأنصارى الأشهلي أبو عمرو رضى الله عنه .

وبأرض مصر بنو سليم بن منصور بن عكرمة بن خصيفة بن قيس بن غيلان وهم بنو عوف بن يمين بن امرئ وهم بنو عوف بن بهثة بن سليم بن منصور ، فخذ ، وبنو عوف بن بهثة ، فخذ ، وبنو عوف بن فالج بن ذكوان بن ثعلبة بن بهثة ، فخذ ، وعوف هؤلاء في بلاد الصعيد وفي الفيوم وفي البحيرة إلى بلاد المغرب منهم أمم لا تُحصى كثرة .

وبأرض مصر أيضا قرارة (١) وهم بنو قرارة بن ذُبيان بضم الذال المعجمة بن بغيض بن ريث بن غطفان بن سعد بن قيس غيلان وسُمى فزّارة واسمه عمرو لأن سعد بن ذبيان أخاه فزر (٢) ظهره فكانت به فزرة فسمى فزارة .

وفى هذا فزارة هذه عدة عشائر كبنى شمخ وظالم ومرّة ومازن وشكم وسعد ولوذان وغير ذلك .

وفزارة (٣) هذه منها جماعة بالصعيد وجماعة بضواحي القاهرة في قليوب وما حولها وهم عرفت البلد بخراب فزارة .

وبأرض مصر أيضا لوانة وهم يزعمون أنهم من قيس ثم من ولد لوا بن بربر بن جابر بن بغيض بن ديث بن غطفان بن سعد بن قيس غيلان ، وقيل: بربر بن قيس

 ⁽۱) يجوز أن تكون فزارة كما قاله ياقوت الحموى في معجمه ولعله منسوب إلى رجل من بني فزارة .
 معجم البلدان (٤ / ٣١٦) .

⁽٢) فَزَر يفزر فزراً فهو فازر : شقه صَدَعه (المعجم العربي الأساس) .

⁽٣) فزارة بن ذُبیان : بطن عظیم من غطفان ، من العدنانیة ، وهم بنو فزارة بن ذبیان بن بغیض بن ریث بن غطفان بن سعد بن قیس بن عیلان بن مُضر بن نزار بن معد بن عدنان . ینقسم إلی خمسة أفخاذ : عَدَّی،سعد ، شمخ ، مازن ، ظالم . وکانت منازلهم بنجد ووادی القری ، ثم تفرقوا فنزلوا بصعید مصر وضواحی القاهرة فی قلیوب وما حولها ، وفی المنطقة الواقعة ما بین برقة وطرابلس والمغرب الأقصی ، وعَدوا فزارة من قبائل بنی سویف والفیوم ۱۸۸۳ م .

ابن غيلان ، وقيل: بر بن معد عدنان ، وزعموا أن معد عدنان تزوج امرأة من بنى إسرائيل فولدت له بر بن معد ، ثم عاد معد إلى الحجاز وترك بر عند أمه فخرج عندما كبر إلى أبيه معد فتعلم العربية بالحجاز وكان يعرف العبرانية (١) لغة أمه ، فلما مات أبوه معد بن عدنان ترك بر إخوته نزار بن معد وغيره ، ومضى نحو المغرب فتزوج هناك وأعقب (٢) وهذا قول باطل .

وزعم بعضهم أن بر إنما هو من ولد قيدار بن إسماعيل وأنه كان ارتكب ذنباً فطرده أبوه قيدار وقال له: البر البر اذهب يا بر فما أنت بر ، فأتى فلسطين فتزوج من العماليق فولدت له لوانة ومزاتة وزنارة وهوارة وزويلة ومغيلة وملطة وكتامة وغمادة ونفوسة ، فلما قتل جالوت على يد نبى الله داود عليه السلام دخلوا إلى بلاد المغرب ، وهذا القول أيضا لا يصح .

وقیل: بل البربر ولد قبط بن قفط بن تبصر بن حام وأن أفریقین بن قیس بن صیفی بن زرعة وهو حمیر الأصغر بن سبأ الأصغر افتتح أفریقیة فسمیت به وقیل: ملکها جبریل فسمیت به حینئذ البرابر برابر ؛ وذلك أنه قال لهم: ما أكثر بربرتكم . والذی یشبه الصواب أنهم من ولد كنعان بن حام بن نوح ثم من ولد بر ویقال : بر بن بَدْیان بن كنعان المذكور وأن صوی بن وجیك بن مادغس بن بر ولد له بر مادغس وبرنس ، فولد برنس : كتامة وعجیسة ومصمودة واوریة وورداجة وأوریغة فولد أوریغ بن برنس بن صری هوار ، وولد مادغس بن صری : وجیك ضری ولوی الكبیر وهو لُوانة ونقوس وداش فتزوج أم داش هكذا أرزیع بن برنس والد هوارة فدخل نسبة فی هوارة فولد إداش بن زجیك بن مادغس : واسفاتة واترارة وهتروتة وصنبرة وهزاعة وأوطیطة ونزهنة ،فصارت هذه كلها فی هوارة ، وولد صری بن زجیك : ذانا وهو أبو زنانة وسمحان ودرسطف ، فولد زانا بن ورجلة ومنحصة وغالتة ،وولد ورسیج بن زانا : مسارت وبنی ناجرة وبنی واسین، ورجلة ومنحصة وغالتة ،وولد ورسیج بن زانا : مسارت وبنی ناجرة وبنی واسین، وولد ورسطیف بن یحیی : مكناسة وأوكنة ووزنتاج مكنسة وبطالسة وكرنیطة وسورجة ،وولد سمحان بن یحیی وزاعة ووزارة ،وولد تمریت بن ضری مطماطة وسورجة ،وولد سمحان بن یحیی وزاعة ووزارة ،وولد قریت بن ضری مطماطة

⁽١) العبرانية أو العبرية هي لغة اليهود أو الإسرائيليين .

⁽٢) أعقب الرجل : ترك ولداً . الوجيز (٤٢٥)

وصدفورة ولُمانة ومذعوة وصدينة ومغيلة ومكزوزة وكشَّاتة ودُونْة ومديونة .

وولد لوى : أبو لوانة نقراو ولو الصغير بن لوى الكبير ، تركه أبوه حملاً فولد نقزاو بن يطوفت : الماضة ومرنيسة وزهيلة وسوعانة وزيم وورجول وورعروس وغَسَّاسة وورد بن ورسيف ، وولد المهاص : دحية تبرغاسن ووريتون ، فولد تبرغاسن بن الهاص : ورفجوم ، فولد ورفجوم : وانجن وبعدغش وماايتجدل وكرطيط ووتمول ورجال وسبيت ، وولد لوا بن لوا : عترورة وأكورة، وُوَلد كرطيط: سدرانة، ويُقال: مغوارة وهو من زناتة تزوج أم سدرانه وكأن سدرانة أخا أولاد مغوارة لأمهم، وولد كطوف : جلانة ومغاغة ، وولد أوريغ بن برنس : هوَّارة ، وملد وصقر وفلدن، فولد ملد بن أوديغ : مليلة وسطط وروفل أسيل ومسراتة ، ويقال لهؤلاء: لهانة مقر بن أوريغ وزمور وكباد ومسراى .

وولد فلدن بن أوريغ : قمصاتة وورسطيف ويل وبيانة، ويقال: إن صهناج ولمط إنما هما ابنا امرأة يقال لها: تزكى لا يعرف لها أب تزوجها أوريغ فولدت له : هواد فهم إخوة لأم.

ولزنارة بطون عظيمة كبنى برزال وبنى زمر ومغرادة وبنى صبغار ويقال: إن سدرانة ومزانة ولوانة من القبط.

وفى لوانة عدة بطون كبنى بلال وبنى مجدول وبنى حديدى وقطوفة وبركين ومالوا ومزورة.

فأما بني حديدي فإنهم مجمع أولاد قريش وأولاد زعازع وهم أشهر من في الصعيد، وأما قطوفة فإنها تجمع مغاغة وواهلة ، وأما بركين فإنها تجمع بني زيد وبنى روحين، وأما مزورة فإنها تجمع بين ولكان وبين عرواس، وأما بنو بلال ففرقتان: فرقة بالساوية وفرقة بالجزيرة ، فالتي بالبهنسا بنو محمد وبنو على وبنو نزار ونصف بنى شهلان ، والتي بالجيزية بنو مجدول وسقارة وبنو أبى كثير وبنو الجلاس، ونصف بني شهلان لهذه الفرقة التي تنزل الجيزة (١) حدو خاص ، والفرقة التى تنزل البهنساوية البلارية ومنهم مغاغة ولهم سملوط إلى الساقية ولبنى بركين

⁽١) الجيزة في لغة العرب : الوادي أو أفضل موضع فيه ، وهي بُلَيْدة في غربي فسطاط مصر قبالتها. معجم البلدان (۲ / ۲۰۰) .

قلوسنا، وما معها إلى بحرى طنبدا ،ولبنى حدو خاص الكفور وسفط (۱) وجرجة (۲) وأهريت (۳) وبنو مجد وبنو على أمراء وهم بنى زعازع ومزورة ، فيهم بنو وركان وبنو فغراس وبنو حمان وبنو الحكم وبنو الوليد وبنو الحجاج وبنو المحرينة. ويقال: إن بنى الحجاج من بنى خماس ؛ ولهذا كانوا يودون معهم القطائع وبنو نزار فى إمارة بنى زعازع وهم من بنى ندية ومنهم نصف بنى عامر والحماسنة والضباعنة ، وأفرد قوم منهم الإمارة تاج الملك عزيز بن ضبعان ثم ولده ، ومنهم بنو زيد وأمراؤهم أولاد قريش ومساكنهم نويرة دلاص وكان قريش عبداً صالحاً كثير الصدقة وهو والد سعد الملك .

وفى المنوفية (٤) من لوانة بن يحيى والوسوة وعبدة ومصلحة ، وبنو مختار ومعهم فى البلاد أحلاف من مزاتة وزنارة وهوارة وبنى الشعرية فى أقوام آخرين ومن زنارة مزديش وبنو صالح وبنو مسام وزمران وورديغة وعرمان ولقان ومن هوارة بنو محريش وبنو سرات ، وبنو قطران وبنو كبريت ، وهوارة يقال : إنهم من هوار واسمه المثنى فيقال : هوار بن المثنى ، ويقال : ابن المثنى بن نمحصب وقيل : المثنى بن المسور بن المثنى بن خلاع بن أيمن بن دعين بن سعد بن حمير الأصغر بن سبأ الأصغر وأنه خرج المسور بن المثنى من مصر فى طلب إبل قد فقدها فذهبت نحو المغرب وهو فى أثرها ، فإنه كان من أجناد مصر الذين أسكنهم التبابعة بها ، لما طوفوا الأرض ، فلما دخل أفريقية فقال : تهورنا ، والتهور : الحمق ، فنزل على قوم من رتانة فتزوج العرجاء أم صُنهاج ولمط ابنى الأكبر ، وقد مات زوجها فمات عنها وكانت جميلة فكثر نسله فهم الهواريون .

وقيل : هوارة وكتامة وصُنْهاجة إخوة وهم أولاد قيس بن ذرعة بن ذهير بن أيمن بن همشيع بن حمير الأكبر بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان ، وقيل :

⁽١) جَرْجا : قرية من أعمال الصعيد ، قرب إخميم .

⁽۲) سفط أبى جرجا: قرية بصعيد مصر فى غربى النيل ، لها نهر مفرد وليست بشارفة على النيل.مصدر سابق (٣ / ٢٢٤) .

⁽٣) أهريت: اسم لقريتين بمصر، إحداهما في كورة البهنسا، والأخرى في كورة الفيوم . مصدر سابق (١/ ٢٨٤) .

⁽٤) مَنُوف : من قرى مصر القديمة ، لها ذكر فى فتوح مصر ، ويضاف إليها كورة رمسيس ومنوف، وهى من أسفل الأرض من بطن الريف ، ويقال لكورتها الآن المنوفية. مصدر سابق (٥/ ٢١٦) .

بل هوارة وصنهاجة وكنانة ودنهاج وثلكان وتركوت وسيساج وعجيس من أولاد كان ابن صالوت أحد بنى شكلرجيم بن مصريم بن حام بن نوح عليه السلام .

وقيل: هوارة من ولد قبط من قوط بن حام بن نوح عليه السلام ، ويقال: جالوت بن بربر بن قبط بن مصر بن قوط ، ويقال: إن مصر هـو ابن يبصر بن حام بن نوح عليه السلام وأن تركوت هي ابنة أحد أولاد يمن وأن بعلها كان يعرف بكاهن بن جالوت وأنه أبو البربر ، وأن من ولد تركوت هذه إبراهيم جد على بن يوسف بن تاشفين بن إبراهيم ملك الملثمين ، ومن ولد تركوت أيضاً ملوك كزولة الجبل المعروف بجبل الكسة وهم يزيدون على ثلاثمائة قبيلة ، كل قبيلة ثلاثون ألف نسمة ، ومنهم انسكات ومصلات واريش وبنو طريف وبنو جابر وبنو وعردة ومستوكة وارغتان .

وقيل: إن ولد صهناج يلرن وهم الملثمون وتزكيك ومسرفة ومسطوفة وهم صنّاع در اللمط وملتة بنت صنهاج ، وعُرفوا بأمهم ، ومنير وجزوم وهوارة يزعمون أنهم من البربر^(۱) وأن مزّاتة ولوانة كانوا منهم فانقطعوا عنهم وفارقوا ديارهم وصاروا إلى برقة وغيرها، وتزعم هوارة أيضاً أنها من قوم من أهل اليمن جهلوا أنسابهم وكل هذه الأقوال لا تثبت [أى شيء] (٢) بالصواب أنهم من ولد هواً ربن أوريغ بن برنس بن صرى بن وجيك بن مادغش بن برّ بن بديان بن كنعان بن حام ابن نوح عليه السلام كما تقدم .

وهُوّارة تتناسب بطونها كما تنتسب العرب وأصل ديارها من آخر عمل سوت إلى طرابلس ثم قدم منهم طوائف إلى أرض مصر وتركوا بلاد البحيرة وملكوها من قبل السلطان هوارة التى ببلاد الصعيد ، أنزلهم الظاهر برقوق بعد واقعة بدر بن سلام هناك في سنة اثنتين وثمانين وسبعمائة تخمينا ؛ وذلك أنه أقطع إسماعيل بن مازن منهم ناحية جرجا وكانت خراباً فعمرها وأقام بها حتى قتله على بن غريب فولى بعده عمر بن عبد العزيز الهوارى حتى مات .

⁽۱) البربر: الأكثر والأشهر في نَسبَهم أنهم بقية قوم جالوت ، لما قتله طالوت هربوا إلى المغرب فتحصنوا في جبالها وقاتلوا أهل بلادها ، ثم صالحوهم على شيء يأخذونه من أهل البلاد وأقاموا هم في الجبال الحصينة. معجم البلدان (۱/ ٣٣٣).

⁽٢) في المخطوطة : لا شية .

فولى بعده ابنه محمد المعروف بأبى الشون ، وفخم أمره وكثرت أمواله ، فإنه أكثر من زراعة النواحى وإقامة دواليب السكر واعتصاره حتى مات ، فولى بعده أخوه يوسف بن عمر ثم لخم . واسم لخم مالك بن عدى بن الحارث ابن مرة بن أدد بن زيد بن كملان بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان .

وفى لخم بطون كثيرة منها بالبر الشرقى من أرض مصر بنو سماك، وهم بنو مزو وبنو مليح وبنو يتهان وبنو عبس وبنو كريم وبنو بكر وديارهم من طارف ببا (١) إلى منحدر دير الجميزة فى البر الشرقى ، ومنهم بنو حدان وهم بنو محمد وبنو على وبنو سالم وبنو مدلج وبنو رعيس وديارهم من دير الجميزة إلى ترعة صون ، ومنهم بنو راشد وهم بنو معمر وبنو واصل وبنو مرا وبنو حيّان وبنو معاذ وبنو النيص وبنو حجرة وبنو شتوة ، وديارهم من مسجد موسى إلى أشكو ونصف بلاد إتفيح (٢) ولبنى النيص الحى الصغير، ولبنى أشتوه من ترعة شريف إلى معصرة بوش (٣).

ومنهم بنو جعد وهم بنو مسعود وبنو حرير وبنو زبير وبنو ثمال وبنو نصاّر وسكنهم ساحل إتفيح . ومنهم بنو عدى وهم بنو موسى وبنو محرب ومساكنهم تلى بنى جعد ، ومنهم بنو بحر وهم بنو سهل وبنو معطار وبنو فهم وبنو عشير وبنو مسند وبنو سباع ومسكنهم الحى الكبير ، ومنهم قسيس (٤) ، وسكنهم بلا أشكر ، ولبنى غنم منهم العدوية ودير الطين (٥) إلى جسر مصر ، ولبنى عمر ومنهم نصف حلوان ، ولبنى حجرة النصف الآخر من حلوان ونصف طرا بالبحيرة والغربية طوائف من مزاتة وبقليوب طوائف من قرارة ومنهم بنو نقاية وفيهم أعيان ، ودارهم أطراف الشرقية وبالمنوفية فرقة من لوانة من مزاتة .

⁽١) بَبَا : بالفتح مدينة بمصر من جهة الصعيد على غربى النيل . مصدر سابق (٢ / ٣٣٣) .

⁽٢) إطفيح : بالكسر في أوله والفاء ، بلد بالصعيد الأدنى من أرض مصر على شاطئ النيل في شرقيه ، وفي قبلته مقام موسى بن عمران عليه السلام فيه موضع قدمه. معجم البلدان (١/ ٢١٨)

 ⁽٣) بوش : كورة ومدينة بمصر من نواحى الصعيد الأدنى فى غربى النيل ، بعيدة عن الشاطئ .
 مصدر سابق (١ / ٥٠٨) .

⁽٤) قُسَّ (ج) قوس (عند المسيحيين) : كاهن ، وهو من كان بين الأسقف والشماس . المعجم العربي الأساس (٩٨٤) لاروس .

⁽٥) دير الطين : بأرض مصر على شاطئ نيل مصر فى طريق الصعيد ، قرب الفسطاط ، متصل ببركة الحبش عند العدوية . مصدر سابق (٢ / ٥٢٠) .

ومن زنارة ومن هوارة كما تقدم وبقطب الأخارسة وبنو بياضة ، وهم من ثعلبة ومنهم بنو صدر بالبدرية وهي طريق البر من الشام إلى مصر وإليهم تنسب قلعة صدر ، وفي الطينة _ وهي طينة تنيس عرب كانوا بعمل تنيس يقال لهم: بنو عُذَر _ بضم العين المهملة وفتح الذال العجمة _ وبنو عُذَر بن سعد بن دافع بن مالك بن جشم بن خيران بن نوف بن همدان وهؤلاء النفر الذين بالطينة قوم لا خلاق لهم ولا ذمام .

وبأرض مصر حرام وحرام فى جزام وفيهم أفخاذ وعشائر ، وقليل فى عرب مصر من يعرفها ، ومنهم بنو صبرة بن غطفان بن سعد بن إياس بن حرام بن جذام والى بنى صبرة درك بركة الحاج وفى الخزرج ثم فى سلمة بنو حرام بن كعب بن غنم بن كعب بن سلمة بن سلمة بن سعد بن على بن أسد بن شاددة بن يزيد بن جشم بن الحزرج ، منهم جابر بن عبد الله الأنصارى رضى الله عنهما ، ويقال : إن حرام القاطنة بمصر من الخزرج وهم بنو حية وبنو ذبيان وهم أشتات ، فيهم مشايخ بلاد وخوكة وقضاة وفقهاء ، وليست دار خاصة ولا مكان معروف .

وفى الدقهلية والمرتاحية عرب يدعون الحمارسة وقوم ينسبون إلى قريش وهم نفر من بنى عُذْرة وهم من كنانة بن عذرة لا كنانة بن خزيمة ، وهم بنو كنانة بن عذرة بن زيد اللات بن رفيدة بن نؤر بن كلب بن دبرة بن تغلب بن حلوان بن عمران بن الحاف بن قضاعة .

وفيهم بنو شهاب وبنو زيدة والرواشدة (١) وهم غير رواشدة هلبا سويد وبنو عُصا وبنو محمد وبنو سنان وبنو حمرة وبنو فراس وهم بمنية محمود ومنية عدلان ، وبنو لام وليسوا بلام الحجاز وبنو شمش والفضليون وقرارتهم كوم الثعالب وبها طوائف من عمرو وزهير المقدم ذكرهم ، والحصينين ورذالة الأحامدة وليسوا أبا حامدة هلبا والجمازية وهم بنو جماز وبعضهم أصحاب أقطاع .

⁽١) الرواشدة عدّة أقسام نذكر منها:

١ _ الرواشدة : عشيرة من الأحامدة من النعيمات بالكرك .

٢ ــ الرواشدة : فرع منها بقرية الكتة ، من أعمال ناحية المعراض .

٣ _ الرواشدة : فرقة من اللبادنة إحدى عشائر البلقاء .

٤ _ الرواشدة : من عشائر التباها ببير السبع .

معجم قبائل العرب (٢ / ٤٥٠ وما بعدها) .

وفى بنى زهير هؤلاء بنو عربز وبنو سبيب وبنو عبد الرحمن وبنو مالك وبنو عبيد غير بنى عبيد المقدم ذكرهم ، وبنو عبد القوى وبنو شاكر وهم غير شاكر عقبة وبنو حسن وبنو شما ، وهم غير شما آل ربيعة ، وبنو سليم وهم مرقيس وهم ولد سليم بن منصور بن عكرمة بن حفصة بن قيس غيلان وإليه يَرْجع كل سلمى .

وكان نزول سليم وعدة قبائل من قيس في أرض مصر سنة تسع ومائة وأمير مصر إذ ذاك الوليد بن رفاعة بن خالد بن ثابت بن طاعن الفهمي ، ولم يكن بأرض مصر أحد من قيس قبل ذلك إلا من كان منهم عدوان فإنهما من قيس في جديلة وهما ابنا عمرو بن قيس غيلان اسما جديلة بنت مراخت تميم بن مرة ، وفَهُم هذا قتله أخوه عدوان واسمه الحارث ، فسمي عدوانا ؛ لأنه عدا على أخيه منهم فوفَد عبيد الله الجنحاب بن مولى بن سلول عامل هشام بن عبد الملك على خراج مصر على هشام، فسأله أن ينقل إليها من قيس أبياتا فأذن له هشام في إلحاق ثلاثة آلاف منهم وتحويل ديوانهم على مصر على أن لا ينزلوا بالفسطاط ففرض لهم أبن الجنحاب وقدم بهم فأنزلهم الحوف الشرقي وفرقهم فيه ، وعن الهيثم بن عدى قال : حدثني غير واحد أن عبيد الله بن الجنحاب لما ولاه هشام مصر، قال:ما لكري قيس فيها حظ إلا لناس من جديلة ، وهم فَهُم وعدوان ، فكتب إلى هشام أن أمير المؤمنين — أطال الله بقاه — قد شرف هذا الحي من قيس ونعشهم ورفع من ذكرهم وإني قدمت مصر فلم أر لهم فيها حظا إلا أبياتا من فَهُم وفيها كُور ليس فيها أحد وليس بأهلها نزولهم معهم ، ولا يكثر ذلك خراجاً وهي بلبيس ، فإن رأى أمير المؤمنين أن ينزلهما هذا الحي من قيس فليفعل ، فكتب إليه هشام أنت ورأيك .

فبعث إلى البادية فقدم عليه مائة أهل بيت من بنى نصر بن معاوية بن بكر بن هوازن ومائة أهل بيت من بنى عامر بن صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوازن بن منصور بن عكرمة بن حفصة بن قيس غيلان بن مضر البطن المشهورة التى منها بنو كلاب وجعدة وعقيل وقُشير والبكا وعجلان وعبد الله وربيعة وسواة وهلال ونمير ومائة أهل بيت من هوازن بن منصور (١) بن عكرمة بن حفصة بن قيس غيلان،

⁽۱) بطن من قيس بن عيلان ، من العدنانية ، وهم : بنو هوازن بن منصور بن عكرمة بن حصفة ابن قيس بن عيلان بن مُضر بن نزار بن معد بن عدنان، له أفخاذ كثيرة يجمعهم ثلاثة أجرام، =

فانزلهم ببلبيس وأمرهم بالزرع ونظر إلى الصدقة من العشور (١) فصرفها إليهم فاشتروا إبلاً فكانوا يحملون الطعام إلى القلزم فكان الرجل يصيب فى الشهر العشرة دنانير وأكثر ثم أمرهم بشراء الخيول فجعل الذى يشترى المهر لا يمكث إلا شهراً حتى يُرْكب وليس عليهم مؤنة فى أعلاف إبلهم ولا خيلهم لجودة مرعاهم ، فلما بلغ ذلك عامة قومهم تحمل إليهم خمسمائة أهل بيت من البادية فكانوا على مثل ذلك فأقاموا سنة فأتاهم نحو من خمسمائة بيت من البادية فكانوا على مثل ذلك ، وبلبيس ألف وخمسمائة أهل بيت من قيس ، حتى إذا كان فى زمن مروان ابن محمد وولى الحوثرة بن سهيل الباهلى مصر ، أشالت إليه قيس فمات مروان وبها ثلاثة آلاف أهل بيت ثم توالدوا ، وقدم عليهم من البادية من قدم ، فأحصوا فى ولاية محمد بن سعيد فوجدوا خمسمائة ألف ومائتين ما بين صغير وكبير .

وفى هذه القبيلة قبيلة سليم بطون وأفخاذ وعشائر كبنى ذكوان وهلال وعوف والحرث ورفاعة وعصبة وظفر وعميرة وبهز وغيرهم ، ومساكن سليم هذه ببرقة مما يلى مصر، وكانت فى غالبة نجد بالقرب من خيبر ومنها حرة بن سليم وحرة النار بين وادى القرى وبنها ثم تحولوا إلى مصر وأفريقية ولم يبق لهم عدد ولا بقية فى بلادهم وصار لهم بأفريقية عدد عظيم ، فمنهم بها بنو الشريد لهم صولة وشوكة ، وبنو زغب بن مالك بن بهتة كانوا بين الحرمين فصاروا إلى أفريقية فى جوار إخوانهم بنى رباب بن مالك ثم صاروا فى جوار بنى كعب، ومن سليم: بنو رباب بن مالك ينزلون ما بين قابس وبرقة وهم ببرقة بجوار هيب ، ومنهم بنو سليمان بن ذياب فى جبهة فزان وودان وروساد _ باب الآن ما بين طرابلس وقابس ، وبينهم بنو صابر والمحامد بنواحى قابس وبينهم فى بنى رجاب بن محمود ، ومن سليم بن عوف بن بهثة أخوة عوف بن بهمة ما بين السدرة من برقة إلى حدود إسكندرية ، وبنو أحمد منهم ، منهم باجد أبيه لهم عدد ويرجعون إلى شماخ ولها العز فى هَيْب، ومن هيب : سيال ومحارب ورياستهما فى بنى عزاز ولهيب فى سليم عزة ومن هيب : سيال ومحارب ورياستهما فى بنى عزاز ولهيب فى سليم عزة ومن هيب : سيال ومحارب ورياستهما فى بنى عزاز ولهيب فى سليم عزة الستيلائهما على أقليم طويل خُربّت مُدته وصارت ولايته لأشياخهم ونحت أيديهم لاستيلائهما على أقليم طويل خُربّت مُدته وصارت ولايته لأشياخهم ونحت أيديهم

⁼ كلهم لبكر بن هوازن ، وهم : بنو سعد بن بكر وبنو معاوية بن بكر وبنو منبه بن بكر ، وكانوا يقطنون في نجد مما يلي اليمن . معجم قبائل العرب (٣/ ١٢٣١) .

⁽١) العُشْر : جزء من عشرة أجزاء : ما يؤخذ من زكاة الأرض التي أسلم أهلها عليها وهي التي أحياها المسلمون من الأرضية والقطائع (ج) عشور . الوجيز (١٩٩) .

خلق من البر ، وفيهم الأبطال والأنجاب والإمرة فيهم وفي أولاد عزاز بن مقدام ، وكان فريد بن عزاز جليل القدر مُعَظّماً في الدولة ، وبنو زايد وحمدان وزيّان كلهم كرام .

أما أبو خالد عطا الله بن عمر بن عزاز كان كريماً مطاعاً في قومه وبنوه مُعز وعمر بن ومنهم علوى بن إبراهيم بن عزاز وسلطان بن زيان بن عزاز وعمر بن مشعل بن عزاز وجماعة بن مليح المنصورى أصحاب غازى بن يَحَجُ ، وعليان بن عويف وبلبوش وكان قد هرب من السلطان الملك الظاهر فاتخذ جيشا وراءه فقاتلوه وأخذوه أسيراً فاعتقله مُرة ثم أفرج عنه ، وهو والد زيد بن بلبوش .

ومنهم جماعة سعيد بن العريب بن الأحمر وجماعة محمد الهوارى وكانت الإمرة على عُربان البحيرة في أيام الناصر محمد بن قلاوون فيهم وهي لقايد بن مقدم وخالد بن أبي سليمان وكانا أميرين سيدين ذوى كرم وأمن وشجاعة .

وفيما بين الإسكندرية والعقبة الكبرى جماعة فايد وزنارة ومزاتة وخفاجة وهوازة وسماك ولبيد جماعة سلام وفزارة ومحارب وقضاب والزعافته وبشر والجواشنة والبعاجنة والقبايص وأولاد سليمان والقصاص والعلاونة ومنازلهم من العقبة الكبرى إلى سوسة ثم جماعة جعفر بن عمر وهم المثانية والياسة وعرعره والعظمة والعكمة والمزايل والمعزة ، ومن المعزة الجعافرة جماعة جعفر بن عمر ، ومنهم البدادي أيضاً ومنهم السهاونة والجلدة وأولاد أحمد ومنازلهم من سوسة إلى بئر السدرة وهي آخر حدود ديار مصر ومسافتها من الإسكندرية نحو شهر بَسيْر القوافل .

وأما طريق مكة ــ شرّفها الله تعالى ــ فإن من القاهرة إلى عقبة أيلة للعائد ومن العقبة إلى داما بالقرب من عينونة لبنى عقبة ، ومن داما إلى أكدى ليلى لا ومن أكدى إلى ثَمَا وهي آخر الوعرات الجهنية .

ومن تما إلى نهاية بدر على الفرعا إلى نهاية الصفرا على نقب لبنى حسن أصحاب بدر إلى رملة عالج في طرف قاع البزوة ، ومن الصغرى إلى الجحفة ورابغ لزبيد الحجاز . ومن الجحفة على قديد وما حولها إلى عقبة السويق لسليم ، ومن عقبة السويق إلى خلص إلى عسفان للشريف حسار من بنى حسن ، ومن ثنية عسفان إلى المخاطب لبنى جابر وهم في طاعة صاحب مكة ، ومن المخاطب لصاحب

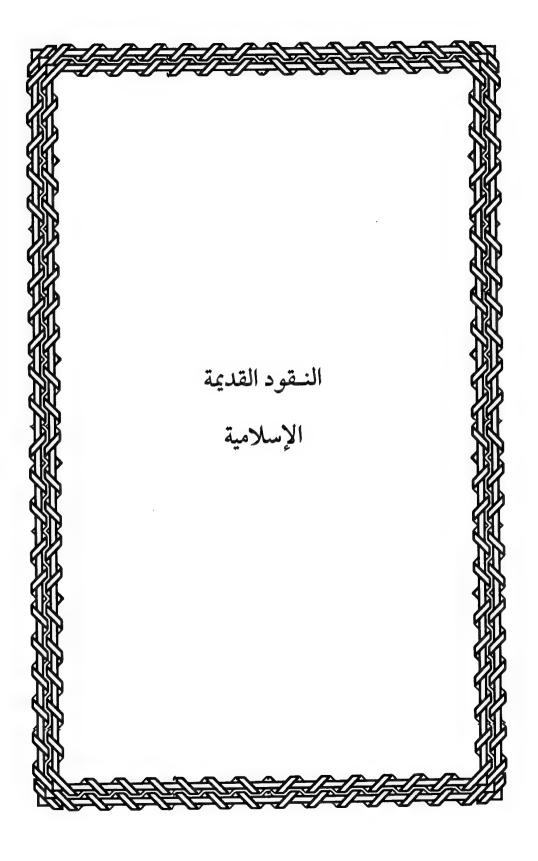
مكة وبنى حسن في برقة أحياء من بني جعفر .

وكان شيخهم أبو ذويب وأخوة حامد بن كميل وهم يُنسبون إلى العرب فتارة في بني كعب بن سليم وتارة في فزارة ، والصحيح أنهم من مسراتة إحدى بطون هوارة .

وفيما بين برقة والعقبة أولاد سلام ، وما بين العقبة الكبيرة والإسكندرية أولاد مقدم وهم بطنان : أولاد التركية وأولاد فايد مقدم وسلام معاً ، وهم ينسبون إلى لبيد بن على بن هبة بن جعفر بن كلاب بن ربيعة بن عامر وهم ثلاثة إخوة : لبيد وحديد وزبيد بنو على بن هبة بن جعفر ، ومن حديد : محارب ، وبَقَال وأولاد مقدم من ربيعة بن نزار ، وقيل : لبيد بن سليم ، وفيهم هيب ورواحة وفزارة وهؤلاء يقال : إنهم من غطفان ، والله تعالى أعلم بالصواب وإليه المرجع والمآب .

قال مؤلفه: حرره جهد الطاقة مؤلفه وجامعه أحمد بن على المقريزى الشافعي في ذي القعدة سنة إحدى وأربعين وثمانمائة.

والحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبى بعده وعلى آله وصحبه وسلم .





بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد خاتم الأنبياء والمرسلين وعلى آله وأصحابه والتابعين وبعد :

فقد تمكنا من تحرير رسالة لطيفة في أمر النقود الإسلامية وأسأل الله التوفيق بمنه وكرمه آمين .

فصل في النقود

ذكر أبو بكر بن أبى شيبة فى مصنفه عن كعب أن أول من ضرب الدينار والدرهم آدم عليه السلام وقال : لا تصلح المعيشة إلا بهما .

اعلم أن النقود التي كانت للناس على وجه الدهر ، على نوعين : السُود الوافية والطبرية والعُتُق ، وهما ما كان البشر يتعاملون به . فالوافية هي البَعْلية(١) وهي دراهم فارس ـ الدرهم ورَنْهُ زنَة المثقال الذهب ، والدراهم الجواز تنقص في العشرة ثلاثة فكل سبعة بغلية ، عشرة بالجواز (٢) ، وكان لهم أيضاً دراهم تسمى جوراقية (٣) ، وكانت نقود العرب في الجاهلية التي تدور بينها : الذهب والفضة لا غير ، ترد إليها من المماليك ، ودنانير الذهب قيصرية (٤) من قبل الروم .

ودراهم(٥) الفضة على نوعين

⁽١) البغلية نسبة إلى رجل يقال له : « بَغُل » وهو يهودى أول من ضرب هذه الدراهم .

وقال الإمام حسن الصغانى في كتابه الموسوعي «مجمع البحرين»: «الدرهم البغلى بسكون الغين وتخفيف اللام ، منسوب إلى ضرّاب مشهور باسم « رأس البغل » ، وقيل: هو بفتح الغين وتشديد الياء (أى يَغَلَى) بلدة قريبة من الحلة وهي بلدة مشهورة بالعراق . . . وقدرت سعته بسعة الراحة _ أى راحة اليد _ ويعقد الإبهام والدرهم الشرعي دون البغلي عُرف ذلك بالاختيار » ا . ه . .

⁽٢) بالجواز مشتقة من قولك : جاوز الدراهم : قِبَلَها على ما فيها من الدخل .

⁽٣) الدراهم الجوارقية : منسوبة إلى بلدة يقال لها : جورقان قرية صغيرة بنواحى همذان .

⁽٤) أي منسوبة إلى قيصر الروم .

⁽٥) قال الإمام حسن الصغانى فى مجمع البحرين : الدرهم بكسر الدال وفتح الهاء وكسرها لغة ، واحد الدراهم ، فارسى معرب ، وربما قالوا : درهام . وقال صاحب المصباح المنير : الدرهم الإسلامى اسم للمضروب من الفضة ، وهو ستة دوانق ، والدرهم نصف دينار وخُمسه . وكانت الدراهم فى الجاهلية مختلفة، فكان بعضها خفافا وهى الطبرية ، وبعضها ثقالاً ،كل =

سود وافية (۱) وطبرية (۲) عُتُق ، وكان وزن الدراهم والدنانير في الجاهلية مثل وزنها في الإسلام مرتين : ويسمى المثقال من الفضة درهماً ومن الذهب ديناراً (۳) . ولم يكن شيء من ذلك يتعامل به أهل مكة في الجاهلية ، وكانوا يتبايعون بأوزان ، اصطلحوا عليها فيما بينهم ، وهو الرطل الذي هو اثنتا عشرة أوقية ، والأوقية هي أربعون درهما فيكون الرطل (٤) ثمانين وأربعمائة درهم. والنص، وهو نصف الأوقية حُولت صاده شيئًا فقيل : « نَشّ » (٥) وهو عشرون درهماً والنواة (٦) وهي خمسة دراهم، والدرهم الطبري ثمانية دوانيق، والدرهم البغلي أربعة دوانيق، وقيل العكس، والدرهم الجوراقي أربعة دوانيق ونصف والدانق ثماني حبات وخُمساً حَبة من حبات الشعير المتوسطة التي لم تقشر ، وقد قطع من طرفيها ما امتد .

وكان الدينار يسمى لوزنه ديناراً وإنما هو تبر (٧) ، ويسمى الدرهم لوزنه درهما، وإنما هو تبر ، وكانت زنة كل عشرة دراهم ستة مثاقيل . والمثقال زنة اثنين وعشرين قيراطاً (٨) إلا حَبّة (٩) وهو أيضاً بزنة اثنتين وسبعين حبة شعير ، مما تقدم ذكره ،

⁼ درهم ثمانية دوانيق ، وكانت تسمى العيدية ، وكان أهل المدينة يتعاملون بالدراهم عند مقدم رسول الله عليه فأرشدهم إلى وزن مكة.

⁽١) الدراهم الوافية جمع درهم واف ، قاله صاحب القاموس ، وهو درهم وأربعة دوانق .

⁽٢) الطبرية : منسوبة إلى طبرستان ، وقال آخرون : منسوبة إلى طبرية وهي ناحية في الأردن .

⁽٣) كلمة دينار هي كلمة رومية الأصل ومعناها نقد ذي عشرة آسات وقال الزمخشري : الدينار قطعة من الفضة تساوى ثمان وأربعين شعيرة ، وهو خلاف المشهور ؛ لأن المعروف أن الدينار قطعة من الفضة هي الدرهم ؛ ولذلك يشبهون الدينار بالشمس والدرهم بالبدر .

⁽٤) قال الإمام السيوطى : « إن الرطل جمع كل الموزونات ، فهو اثنتا عشرة أوقية ، والأوقية إستار وثلثا إستار ، والإستار أربعة مثاقيل ، والمثقال درهم وثلاثة أسباع درهم ، والمدرهم ثمانية دوانق، والدانق قيراطان ، والقيراط طسوجان والطسوج حبتان ، والحبة هى حَبة الحنطة » ا. هـ .

⁽٥) النَشّ بفتح النون : هو نصف أوقية عشرون درهما ، قاله الفيروزآبادي .

⁽٦) قال صاحب القاموس : « النواة من العدد عشرون أو عشرة ، والأوقية من الذهب ، أو أربعة دنانير ، أو ما رنَّةُ خمسة دراهم أو ثلاثة دراهم أو ثلاثة ونصف » .

⁽٧) قال الإمام الرازَى في مختاره : « التبر ما كان من الذهب غير مضروب ، فإذا ضُرُب دنانير فهو عين ، ولا يقال تبر إلا الذهب » .

⁽٨) قال صاحب القاموس : القيراط ، ويقال : القراط بتشديد الراء بكسر ، يختلف وزنه بحسب البلاد ، فبمكة رُبْع سُدُس دينار ، وبالعراق نصف عشره .

ويُجمع على قراريط في كلا الوزنين ، مثال دينار ودنانير ، وديوان ودواوين .

⁽٩) الحبة كما جاء ذكرها في القاموس : « واحدة الحب والجمع حَبّات وحبوب وحُبّان كتمران ، والحاجة وبالضم المُحَبّة ، وعجم العنب ويخفف ، وبالكسر بزور البقول والرياحين ، أو نبت =

وقيل: إن المثقال منذ وضع لم يختلف في جاهلية ولا إسلام ، ويقال إن الذي اخترع الوزن في الدهر الأول، بدأه بوضع المثقال أولاً فجعله ستين حبة ، زنة الحبة مائة من حب الخردل البرى المعتدل، ثم ضرب صنجة (١) بزنة مائة من حب الخردل، وجعل بوزنها مع المائة الحبة صنعجة ثالثة ، حتى بلغ مجموع الصنج خمس صنجات، فكانت صنجته نصف سدس مثقال ثم أضعف وزنها حتى صارت ثُلث مثقال فركب منها نصف مثقال ، ثم مثقالا وعشرة وفوق ذلك ، فعلى هذا تكون زنة المثقال الواحد ستة آلاف حبة.

ولما بعث الله نبينا محمدًا ﷺ أقرَّ أهل مكة على ذلك كله وقال: « الميزان ميزان أهل مكة » وقد ذكرت طُرق هذا الحديث والكلام عليه في مجاميعي .

وفرض رسول الله ﷺ زكاة الأموال ، فجعل في كل خَمْس أواق من الفضة الحالصة التي لم تُغَشّ خمسة دراهم وهي النواة ، وفرض في كل عشرين ديناراً نصف دينار ، كما هو معروف في مظنّته من كتب الحديث .

النقود الإسلامية

قد تقدم ما فرضه رسول الله ﷺ في نقود الجاهلية من الزكاة وأنه أقر النقود في الإسلام على ما كانت عليه ، فلما استُخلف أبو بكر الصديق رضى الله عنه ، عمل في ذلك بُسنَّة رسول الله ﷺ ولم يُغيَّر منه شيء ، حتى إذا استخلف أمير المؤمنين أبو حفص عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، وفتح الله على يديه مِصْر والشام والعراق لم يعترض لشيء من النقود بل أقرها على حالها .

فلما كانت سنة ثمانى عشرة من الهجرة وهى السنة الثامنة من خلافته أتته الوفود ، منهم : وفد البصرة ، وفيهم الأحنف بن قيس ، فكلم عمر بن الخطاب رضى الله عنه فى مصالح أهل البصرة ، فبعث مَعْقل بن يَسار فاحتقر « نهر مَعْقل » . الذى قيل فيه : « إذا جاء نهر الله بطل نهر معقل » .

⁼ الحشيش صغير أو الحبوب المختلفة من كل شيء ، أو بزور العشب ، أو جميع بزور النبات ، وواحدها حَبّة بالفتح . . . »

⁽١) قال الفيروزآبادي : وسننجة الميزان ، مفتوحة وبالسين أفصح من الصاد .

وذكره الجوهري في الصاد ، ونقل عن ابن السكيت أنه لا يقال : سنجة .

وفي اللسان : سُنجة الميزان لغة في صنجة والسين أفصح .

ووضع الجريب (١) والدرهمين في الشهر ، فضرب حينئذ عمر رضى الله عنه ، الدراهم على نقش الكسْروية (٢) وشكلها بأعيانها غير أنه زاد في بعضها « الحمد لله» وفي بعضها « محمَّد رسول الله » ، وفي بعضها « لا إله إلا الله وحده » وفي آخر مدة عُمر وزن كل عشرة دراهم ستة مثاقيل ، فلما بويع أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضى الله عنه ضُرب في خلافته دراهم نَقْشها « الله أكبر » .

فلما اجتمع الأمر لمعاوية بن أبى سفيان رضى الله عنه ، وجُمع لزياد بن أبيه الكوفة والبصرة ، قال : « يا أمير المؤمنين إن العبد الصالح أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه صَغّر الدرهم وكبّر القفيز (٣) ، وصارت تؤخذ عليه ضريبة أرزاق الجند وترزق عليه الذرّية طلبًا للإحسان إلى الرعية ، فلو جعلت أنت عياراً دون ذلك العيار ، ازدادت الرعية به مرفقاً ومضت لك السّنة الصالحة .

فضرب معاوية رضى الله عنه تلك الدراهم السُوْد الناقصة من ستة دوانيق فتكون خمسة عشر قيراطاً تنقص حبّة أو حبتين وضرب منها زياد ، وجعل وزن كل عشرة دراهم سبعة مثاقيل ، وكتب عليها فكانت تجرى مجرى الدراهم .

وضرب معاوية أيضاً دنانير عليها تمثال متقلدًا سيفاً ، فوقع منها دينار ردى، فى يد شيخ من الجند فجاء به إلى معاوية ، وقال : يا معاوية ، أنا وجدت ضربُكَ شرضرب ، فقال له معاوية : لأحرمنّك عطاءك ، ولأكسونّك القطيفة .

فلما قام عبد الله بن الزبير _ رضى الله عنه _ بمكة ضرب دراهم مُدورة ، وكان أول من ضرب الدراهم المستديرة ، وكان ما ضرب منها قبل ذلك ممسوحاً غليظاً قصيراً ، فدورها عبد الله ، ونقش على أحد وجهى الدراهم «محمد رسول الله» وعلى الآخر « أمر الله بالوفاء والعدل » .

وضرب أخوه مصعب بن الزبير دراهم بالعراق ، وجعل كل عشرة منها سبعة مثاقيل، وأعطاها الناس في العطاء حتى قدم الحجاج بن يوسف العراق ، من قبل أمير

⁽١) يُعرف أهل البصرة بالعراق الجريب ؛ لأنه عندهم يساوى مائة نخلة . وقال صاحب اللسان : الجريب من الأرض نصف الفنجان .

⁽۲) قال صاحب القاموس : « كِسْرَى بكسر القاف ويُفتح : ملك الفُرس ، معرب خسرو أى واسع الملك والجمع أكاسرة وكساسرة ، وأكاسر وكسور والنسبة كسروى »

⁽٣) القفيز كما جاء في القاموس: مثله في الآرامية « فقيزاً هو من الأرض قدر مائة وأربع وأربعين ذراعاً والجمع أقفزة وقفزان » .

المؤمنين عبد الله بن مروان، فقال: «ما تُبقى من سنة الفاسق أو المنافق شيئًا» فغيرها.

فلما استوثق الأمر لعبد الملك بن مروان بعد مقتل عبد الله ومصعب ابنى الزبير فحص عن النقود والأوزان والمكاييل ، وضرب الدنانير والدراهم فى سنة ست وسبعين من الهجرة فجعل وزن الدينار اثنين وعشرين قيراطاً إلا حبة بالشامى ، وجعل وزن الدرهم خمسة عشر قيراطاً سُوى ، والقيراط أربع حبات ، وكل دانق قيراطين ونصفاً .

وكتب إلى الحجاج وهو بالعراق أن اضربها قبلى ، فضربها وقدمت مدينة رسول الله على وبها بقايا الصحابة رضى الله عنهم أجمعين ، فلم ينكروا منها سوى نقشها ، فإن فيها صورة ، وكان سعيد بن المسيب ـ رحمه الله ـ يبيع بها ويشترى ولا يعيب من أمرها شيئاً .

وجعل عبد الملك الذهب الذى ضربه دنانير ، على المثقال الشامى وهى الميالة الوازنة المائة دينارين ، وكان سبب ضرب عبد الملك الدنانير والدراهم كذلك أن خالد بن يزيد بن معاوية بن أبى سفيان قال له : يا أمير المؤمنين ، إن العلماء من أهل الكتاب الأول يذكرون أنهم يجدون فى كتبهم أن أطول الخلفاء عمراً من قدس الله تعالى فى درهمه ، فعزم على ذلك ووضع السكة الإسلامية .

وقيل: إن عبد الملك كتب فى صدر كتابه إلى ملك الروم: قل هو الله أحد، وذكر النبى ﷺ فى ذكر التاريخ، فأنكر ملك الروم ذلك، وقال: إن لم تتركوا هذا وإلا ذكرنا نبيكم فى دنانيرنا بما تكرهون، فعظم ذلك على عبد الملك واستشار الناس، فأشار عليه يزيد بن خالد بضرب السكة وترك دنانيرهم.

وكان الذى ضرب الدراهم رجل يهودى من تَيْمًاء : يقال له سُمَيْر نُسِبَت الدراهم إذ ذاك إليه ، وقيل لها : الدراهم السُمَيْرية (١) .

وبعث عبد الملك بالسِكَّة (٢) إلى الحجاج فسيَّرها الحجاج إلى الآفاق لتضرب

⁽١) ذكر ابن منظور في لسانه : حكى ابن الأعرابي : أعطيته سُمَيْريَّة من دراهم كأن الدخان يخرج منها ولم يفسرها ، قال ابن سيده : أراه دراهم سُمراً .

وقوله : كأن الدخان يخرج منها ، يعنى كُدْرة لَوْنها أو طراء بياضها . وذكير البلاذرى في كتابه النقود : وسميت السميرية بأول من ضربها واسمه سُمَيْر .

⁽٢) قال صاحب القاموس : هي بكسر السين وتشديد الكاف ، وقد توسع بعض العوام في معناها حتى أطلقوها على النقود نفسها والفصحاء لم تعرفه .

الدراهم بها ، وتقدم إلى الأمصار كلها أن يكتب إليه منها في كل شهر بما يجتمع قبلهم من المال كي يُحصيه عندهم وأن تُضرب الدراهم في الآفاق على السكة الإسلامية ، وتحمل إليه ، أولاً فأولاً ، وقدر في كل مائة درهم درهماً عن ثمن الحطب وأجر الضرّاب ، ونقش على أحد وجهى الدرهم : «قل هو الله أحد » وعلى الآخر : « لا إله إلا الله » ، وطوّق الدرهم على وجهيه بطوق وكتب في الطوق الواحد « ضُرب هذا الدرهم بمدينة كذا » وفي الطوق الآخر « محمد رسول الله أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون » ، وقيل : الذي نُقشَ فيها : «قل هو الله أحد » هو الحجاج .

وكان الذى دعا عبد الملك إلى ذلك ، أنه نظر للأمة ، وقال : هذه الدراهم السُود ، الوافية الطبرية ، العتُقُ ، تبقى مع الدهر . وقد جاء فى الزكاة أن فى كل مائتين ، وفى كل حَمْس أوراق خمسة دراهم ، واتفق أن يجعلها كلها على مثال السود العظام مائتى عدد يكون قد نقص من الزكاة ، وإن عملها كلها على مثال الطبرية ، ويحمل المعنى على أنها إذا بلغت مائتى عدد وجبت الزكاة فيها ، فإن فيه حيفاً (۱) وشططاً ، على أرباب الأموال فاتخذ منزلة بين منزلتين ، يجمع فيها كمال الزكاة من غير بخس ولا إضرار بالناس مع موافقة ما سنّة رسول الله على ذلك .

وكان الناس قبل عبد الملك يؤدون زكاة أموالهم شطرين ، من الكبار والصغار، فلما اجتمعوا مع عبد الملك على ما عزم عليه ، عهد إلى درهم واف فوزنه فإذا هو ثمانية دوانيق ، وإلى درهم من الصغار فإذا هو أربعة دوانيق ، فجمعهما وكمّل وزن الأكبر على نقص الأصغر وجعلهما درهمين متساويين زنة كل منهما ستة دوانيق سُوى .

واعتبر المثقال أيضًا فإذا هو لم يبرح فى آباد (٢) الدهر ، مُوفى محدوداً ، كل عشرة دراهم منها ستة دوانيق فإنها سبعة مثاقيل سوى ، فأقر ذلك وأمضاه من غير أن يعرض لتغييره ، فكان فيما صنع عبد الملك فى الدراهم ثلاث فضائل :

الأولى : أن كل سبعة مثاقيل زنة عشرة دراهم .

⁽١) حاف عليه حيفاً ، جار وظلم .

⁽٢) الأبد : الدهر ، والجمع آباد (مختار الصحاح) .

والثانية : أنه عُدّل صغارها وكبارها حتى اعتدلت وصار الدرهم ستة دوانيق .

الثالثة : أنه موافق لما سُنّه رسول الله ﷺ في فريضة الزكاة بغير وكس (١) ولا اشتطاط ، قضت بذلك السُنة واجتمعت عليهما الأمة .

وضبط هذا الدرهم الشرعى المجمع عليه أنه كما مُر زنة العشرة منه سبعة مثاقيل ، وزنة الدرهم الواحد خمسون حبة وخُمْساً ، حبة من الشعير الذي تقدم ذكره آنفا .

ومن هذا الدرهم تركب الرَّطل (٢) والقدح (٣) والصاع (٤) وما فوقه ، ولنلمع بذلك من طرف مما ذكرته في كتاب « المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار » عند ذكر دار العيار ، فأقول :

إنما جعلت العشرة من الدراهم الفضية بوزن سبعة مثاقيل من الذهب ؛ لأن الذهب أوْزَن من الفضة وأثقل وزناً ، فَأُخذت حبة فضة وحبة ذهب ووزنتا فرجحت حبة الذهب على حبة الفضة ثلاثة أسباع ، فجعل من أجل ذلك كل عشرة دراهم زنة سبعة مثاقيل ، فإن ثلاثة أسباع الدرهم إذا أضيفت عليه بلغت مثقالا ، والمثقال إذا نقص منه ثلاثة أعشار بقى درهماً وكل عشرة مثاقيل تزن أربعة عشر درهماً ، وسبعًى درهم .

فلما رُكِّب الرطل ، جعل الدرهم من ستين حبة ، لكن كل عشرة دراهم تعدل زِنة سبعة مثاقيل ، فتكون زنة الحبة سبعين حبة من حب الخردل ، ومن ذلك تركب

⁽١) الوكس ــ بيع الوكس : البيع بالخسارة . الوجيز (٦٨) .

 ⁽۲) قال ابن الأعرابى فى النوادر: اثنتا عشرة أوقية بأواقى العرب، والأوقية: أربعون درهما، فذلك أربعمائة وثمانون درهما وجمعه أرطال.

وذكر السيوطى فى المزهر : « إن الرطل جمع كل الموزونات فهو اثنتا عشرة أوقية ، والأوقية إستار . . . وقد تقدم ذكره كاملا .

⁽٣) قال صاحب اللسان : القدح من الآنية بالتحريك واحد الأقداح التى للشرب ، معروف . وقال أبو عبيد في كتابه « مُعجم ما استعجم » : يروى الرجلين وليس لذلك وقت ، وقيل هو قَدّاح وصناعته القداحة .

⁽٤) قال ابن منظور : الصاع : مكيال لأهل المدينة ، يأخذ أربعة أمداد ، يذكر ويؤنث ، فمن أنث قال : ثلاث أصوع مثل ثلاث أدور ، ومن ذكر قال : ثلاث أصواع مثل أبواب ، وقيل : جمعه أصوع وإن شئت أبدلت من الواو المضمومة همزة ، وأصوع وصيعان .

وقال الزجاج : هو يذكر ويؤنث ، وقرأ بعضهم « صَوْعَ الملك » [الآية] .

الدرهم فرُكِبَ الرطل ومن الرطل تركب المد ، ومن المد تركب الصاع وما فوقه ، وفي ذلك طَرق حسابية مُبَرْهَنة بأشكال هندسية ليس هذا موضع إيرادها .

وكان مما ضرب الحجاج الدراهم البيض ونقش عليها « قل هو الله أحد » فقال القُرَّاء : قاتل الله الحجاج ، أى شىء صنع للناس !! الآن يأخذ الدرهم الجُنُب والحائض .

وكانت الدراهم قبل منقوشة بالفارسية ، فكره ناس من القراء مُسّها وهم على غير طهارة وقيل لها : المكروهة ، فعرفت بذلك .

ووقع فى المدينة أن مالكاً _ رحمه الله _ سئل عن تغيير كتابة الدنانير والدراهم لما فيها من كتاب الله عز وجل . فقال : أول ما ضربت على عهد عبد الملك بن مروان ، والناس متوافرون ، فما أنكر أحد ذلك وما رأيت أهل العلم أنكروه ، ولقد بلغنى أن ابن سيرين كان يكره أن يبيع بها ويشترى ، ولم أر أحداً من ذلك ههنا ، يعنى _ رحمه الله تعالى _ أهل المدينة النبوية .

وقيل لعمر بن عبد العزيز رحمه الله تعالى : « هذه الدراهم البيض ، فيها كتاب الله تعالى ، يقبلها اليهودى والنصراني والجُنُب والحائض ، فإن رأيت أن تأمر بمحوها فقال : أردت أن تحتج علينا الأمم أنْ غيّرنا توحيد ربنا واسم نبينا عَلَيْهُ .

مات عبد الملك والأمر على ما تقدم ، فلم يزل من بعده فى خلافة الوليد ثم سليمان بن عبد الملك ثم عمر بن عبد العزيز إلى أن استخلف يزيد بن عبد الملك فضرب الهُبَيْريّة(۱) بالعراق عمر بن هُبيرة على عيار ستة دوانيق ، فلما قام هشام بن عبد الملك وكان جمُوعاً للمال ، أمر خالد بن عبد الله القسرى فى سنة ست ومائة من الهجرة أن يعيد العيار إلى وزن سبعة ، وأن يبطل السكك من كل بلدة ، إلا واسطاً (۲) فضرب الدراهم بواسط فقط ، وكبّر السكة فضربت الدراهم على السكة الخالدية حتى عُزل خالد فى سنة عشرين ومائة، وتولى من بعده يوسف بن عمر الثقفى ، فصغر السكة وأجراها على وزن ستة وضربها بواسط وحدها حتى قُتل الوليد بن يزيد فى سنة ست وعشرين ومائة .

⁽١) الهبيرية : نوع من النقود العراقية تُنْسب إلى عُمر بن هُبَيْرة .

⁽٢) تسمى واسط الحجاج ، لأنه أعظمها وأشهرها ، وهي من أشهر مدن العراق في العصر العباسي.

فلما استخلف مروان بن محمد الجعدى ، آخر خلائف بنى أمية ، ضرب الدراهم بالجزيرة على السكة بحرّان إلى أن قتل .

وأتت دولة بنى العباس، فضرب عبد الله بن محمد السفاح الدراهم بالأنبار(١) ، وعملها على نقش الدنانير ، وكتب عليها السكة العباسية ، وقطع منها ونقصها حَبّة ثم نقصها حبتين .

فلما قام من بعده أبو جعفر المنصور نقصها ثلاث حبات ، فصارت تلك الدراهم ثلاثة أرباع قيراط ؛ لأن القيراط أربع حبات ، فكانت الدراهم كذلك ، وحدثت الهاشمية على المثقال البصرى فكان يقطع على المثاقيل الميالة الوازنة التامة فأقامت الهاشمية على المثاقيل والعتق على نقصان ثلاثة أرباع قيراط مدة أيام أبى جعفر وإلى سنة ثمان وخمسين ومائة.

فضرب المهدى محمد بن جعفر فيها سكّة مُدّورة فيها نقطه ، ولم يكن لموسى الهادى بن محمد سَّكة تُعْرف ، وتمادى الأمر على ذلك إلى شهر رجب من سنة ثمان وسبعين ومائة ، فصار نقصانها قيراطاً غير ربع حبة ، فلما صيّر هارون الرشيد السكك إلى جعفر بن يحيى البرمكى ، كتب اسمه بمدينة السلام (٢) وبالمحمدية (٣) من الرى على الدنانير والدراهم وصير نقصان الدرهم قيراطا إلا حبة .

وضرب الأمين دنانير ودراهم وأسقط منها .

ثم أخوه محمد المأمون فلم تجز مدة ، وسميت : الرباعيات ، وكان ضرب ذلك بمرو^(٤) قبل قتل أخيه .

وهارون الرشيد أول خليفة ترفع عن مباشرة العيار بنفسه ، وكان الخلفاء من قبله يتولون النظر في عيار الدراهم والدنانير بأنفسهم .

وكان هذا مما نَوَّه باسم جعفر بن يحيى ؛ إذ هو شيء لم يتشرف به أحد قبله .

⁽۱) الأنبار إحدى مدن العراق ، وهي تقع على شاطئ الفرات غربي بغداد وقال صاحب « مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع » : أن الأنبار لم تُسَمَّ بهذا الاسم إلا بعد أن بني فيها «سابور» ذو الأكتاف ــ الذي ملك من عام ٣١١ إلى ٣٨٠ بعد الميلاد ــ مخازن عظيمة أو أنبارا.

⁽٢) السلام : هي ما تعرف الآن بمدينة بغداد ، وقد ضرب فيها الدنانير والدراهم العباسيون .

⁽٣) المحمدية : جزء من الري ، وقد سُمَّاها العرب هكذا بعد فتوحاتهم .

⁽٤) مَرُو : من أعمال خراسان ، وقد ضرب الدراهم فيها العباسيون والأمويون .

واستمر الأمر كما ذكر إلى شهر رمضان سنة أربع وثمانين ومائة ، فصار النقص أربعة قراريط وحبة ونصف حبة ، وصارت لا تجوز إلا في المجموعة أو بما فيها ثم بطلت ، فلما قَتَل هارون الرشيد جعفراً ، صير السكك إلى السندى ، فضرب الدراهم على مقدار الدنانير ، وكان سبيل الدنانير في جميع ما تقدم ذكره سبيل الدراهم ، وكان خلاص السندى جيداً أشد الناس خلاصاً للذهب والفضة .

فلما كان شهر رجب سنة ١٩٢ نقصت الدراهم الهاشمية نصف حبة ، وما زال الأمر في ذلك كله عصراً يجوز جواز المثاقيل ثم ردت إلى وزنها، حتى كان أيام الأمين محمد بن هارون الرشيد ، فصيّر دور الضرب إلى العباس بن الفضيل بن الربيع ، فنقش في السَّكة بأعلى السطر : « ربى الله » ومن أسفلها « العباس بن الفضل » .

فلما عهد الأمين إلى ابنه موسى ولقبه : (الناطق بالحق المظفر بالله) ضرب الدنانير والدراهم باسمه ، وجعل زنة كل واحد عشرة ونقش عليه :

كــــل عـــز ومفـــخر فلمـــوسى المظــــفَّر مــلك خـــص ذكـــره فـــى الكتــاب المــَـطَّر

فلما قتل الأمين واجتمع الأمر لعبد الله المأمون ،لم يجد أحداً ينقش الدراهم فنقشت بالمخراط (١) كما تنقش الخواتم ، وما برحت النقود على ما ذكر ، أيام المأمون والمعتصم والواثق والمتوكل ، فلما قتل المتوكل وتغلبت الموالى من الأتراك وتناثر سلك الخلافة وبقيت الدولة العباسية في الترف ، وقوى عامل كل جهة على ما يليه ، وكثرت النفقات وقلت المجابي (٢) بتغلّب الولاة على الأطراف ، وحدثت بدع كثيرة من حينئذ ، ومن جملتها غش الدراهم .

ويقال : إن أول من غش الدراهم وضرَبها زيوفاً (٣) : عبيد الله بن زياد حين فرّ من البصرة في سنة أربع وستين من الهجرة ثم فشت في الأمصار (٤) أيام دولة

⁽١) آلة تَسُّوى بها الخواتم .

⁽٢) جمع جباية وهي الخَراج والمال .

⁽٣) زافت النقود زيفاً : ظهر فيها غش ورداءة ويقال : درهم زيف أي زائف . الوجيز (٢٩٨) .

⁽٤) المصر : المدينة الكبيرة تقام فيها الدور والأسواق والمدارس وغيرها من المرافق العامة (ج) أمصار مصدر سابق (٥٨٤) .

العجم من بني بُويَة (١) وبني سَلْجُوق (٢) والله أعلم .

نقود مصر

أما مصر من بين الأمصار ، فما برح نقدها المنسوب إليه قيم الأعمال وأثمان المبيعات، ذهباً في سائر دولها ، جاهلية وإسلاماً، يشهد لذلك بالصحة أن خراج مصر في قديم الدهر وحديثه إنما هو الذهب كما ذكرته في (كتاب المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار) فإني أوردت فيه مبلغ خراج مصر ، منذ مُصرَّت بعد الطوفان ، إلى زماننا هذا ، ويكفي من الدلالة على صحة ذلك ، ما رويته من طريق مسلم وأبي داود رحمهما الله تعالى ، من حديث أبي هريرة رضى الله عنه ، قال : قال رسول الله عنه ، قال : قال رسول الله عنه : « منعت العراق درهمها وقفيزها (٣) ، ومنعت الشام مُدّها ودينارها ، ومنعت مصر إرْدبَّها ودينارها » الحديث (٤) فذكر رسول الله عنه على لله وما تختص به من كيل ، ونقد ، وأشار إلى أن نقد مصر : الذهب . وكأن في هذا الحديث ما يشهد بصحة فعل عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، فإنه لما افتتح العراق في ست عشرة من الهجرة ، بعث عثمان بن حنيف رضى الله عنه ففرض على أهل السواد(٥) عشرة من الهجرة ، بعث عثمان بن حنيف رضى الله عنه ففرض على أهل السواد(٥) عشرة من الهجريب النخل ثمانية دراهم ، وعلى جريب النخل ثمانية دراهم ، وعلى جريب البر أربعة دراهم ، وعلى جريب الشعير درهمين ، وكتب بذلك إلى عمر رضى الله عنه فارتضاه .

ولما فُتحت مصر سنة ٢٠ على القول الراجح ، فرض عمرو بن العاص رضي

 ⁽١) بنو بُويَه : أول من اشتهر بهذا الاسم (على بن بويه) ثم اشتهر بعد ذلك بعماد الدولة وهو الذى أسس هذه السلالة فى ديار فارس .

⁽۲) السلاجقة / السلجوقيون : أسرة إسلامية تركية ،حكمت إيران وآسيا الصغرى والعراق وسوريا بين ٤٢٩ ــ ٧٠٠ هـ ، ١٠٣٧م، تنسب إلى زعيم عشائر الغز التركمانية «سلجوق» المعجم العربي الأساس (٦٣٣).

⁽٣) القفيز كلمة آرامية الأصل : وهى قفيزا فى هذه اللغة وهى عندهم مكيال يسع ثمانية مكاكيك ، والمكوك صاع ونصف ، قاله الأزهرى .

⁽٤) أخرجه مسلم في الفتن ٣٣ ، ٦٦ .

⁽٥) السوَاد : هي العراق في معظم اتساعه ، فيمتد من حديثة الموصل طولاً إلى عبادان ، ومن العُذَيْب بالقادسية إلى حُلوان عرضا ، وكان يُعرف في أيام الفرس الاقدمين قبل الفتوحات الإسلامية باسم « ميان روذان » أي بين النهرين .

⁽٦) الجريب هو مكيال قدره أربعة أقفزه .

الله عنه على جميع من بها من القبط البالغين من الرجال دون النساء والصبيان والشيوخ دينارين على كل رأس ، فجبيت أول عام اثنا عشر ألف ألف دينار ، وقد روى أنها جبيت ستة عشر ألف ألف دينار ، وهما روايتان معروفتان، فأقر ذلك عمر ابن الخطاب رضى الله عنه .

ومن أنعم النظر في أخبار مصر عَرف أن نقدها وأثمان مبيعاتها وقيم أعمالها لم يكن إلا من الذهب فقط إلى أن ضعفت مملكتها باستيلاء الفرنج عليها فحدث حينئذ اسم الدراهم ، وسأبين فيما يأتى طرفًا من ذلك .

ومع هذا ، فإن مصر لم تزل منذ فتحت دار إمارة ، وسكتها إنما هي سكة بني أمية ثم من بني العباس ، إلا أن الأمير أبا العباس أحمد بن طولون ضرب بمصر دنانير عرفت بالأحمدية ، وكان سبب ضربها أنه ركب يوما إلى الأهرام فأتاه الحجّاب بقوم عليهم ثياب صوف ومعهم المساحي (١) والمعاول ، فسألهم عما يعملون فقالوا : نحن قوم نتبع المطالب. فقال لهم: لا تخرجوا بعد هذا إلا بمشورة ورجل من قبكي، وسألهم عمّا وقع إليهم من الصفات فذكروا له أن في سمت (٢) الأهرام مطلبا قد عجزوا عنه ؛ لأنهم يحتاجون في إحاثته (٣) إلى قدر كبير من المال ، ونفقات واسعة، فأمر بعض أصحابه أن يكون معهم، وتقدم إلى عامل معونة الجيزة (٤) ، في دفع جميع ما يحتاجون إليه من المال والنفقات ، فأقام القوم يعملون إلى أن ظهرت لهم العلامات ، فركب أحمد بن طولون حتى وقف على الموضع وهم يحفرون فجدوا في الحفر وكشفوا عن حوض مملوء دنانير وعليه غطاء مكتوب عليه بالبربوية(٥) فأحضر من قرأه ففسره فقال :

« أنا فلان بن فلان ، الملك الذى مَيّز الذهب من غِشّه ودنسه ، فمن أراد أن يعلم فضلى وفضل مُلْكي على مُلْكه ، فلينظر إلى فضل عيار دينارى على ديناره ،

⁽١) جمع مسْحاة وهي ما تقشّر به الأرض وتكون من حديد .

⁽٢) السَّمْتُ : الهيئة : يقال : فلان حسن السمت .

⁽٣) مصدر أحاث الأرض أي أثارها ، وقلّبها وطلب ما فيها من الدفائن .

⁽٤) كانت في القديم قرية صغيرة مجاورة لمصر المحروسة وهي الآن تعتبر ملتقى السُيّاح الأجانب والعرب حيث يشاهدون عروض الصوت والضوء ، والأهرامات والمقابر الفرعونية .

⁽٥) قال ياقوت في معجمه : البرابي بالفتح وبعد الألف باء أخرى ، هو جمع بربا ، وهي كلمة قبطية تعني موضع العبادة .

فإن تخلص الذهب من الغش تخلص في حياته وبعد وفاته » .

فقال أحمد بن طولون: الحمد لله على ما نبهتنى عليه هذه الكتابة فإنه أحب إلى من المال ، ثم أمر لكل رجل كان يعمل بمائتى دينار منه ، وأنفذ بأن يُوفَّى الصُنّاع أجرهم ووهب لكل رجل منهم خمسة دنانير ، وأطلق للرجل الذى أقام معهم من أصحابه ثلاثمائة دينار ، وقال لخادمه نسيم : خذ لنفسك منه ما شئت. فقال : ما أمرنى به مولاى أخذته . فقال : خذ ملء كفيك جميعاً وعُد من بيت المال مثل ذلك كَرّتين ، فبسط نسيم كفيه فحصل على ألف دينار .

وحمل أحمد بن طولون ما بقى فوجده أجود عياراً من عيار السندى بن هاشك ومن عيار المعتصم ، فتشدد حينئذ أحمد بن طولون فى العيار حتى لحَق ديناره بالعيار المعروف له ــ وهو الأحمدى الذى كان لا يُصاب بأجود منه .

ولما دخل القائد أبو الحسين جَوْهر الكاتب الصقلى إلى مصر بعساكر الإمام المعز لدين الله في سنة ٣٥٨ ، وبنى القاهرة المعزّية حيث كان مُناخُه الذي نزل فيه ، صارت مصر من يومئذ دار ملكه ، وضرب جوهر القائد الدينار المعزِّى ونقش عليه في أحد وجهيه ثلاثة أسطر ، أحدها : «دعى الإمام المعز لتوحيد الأحد الصمد» وتحته سطر فيه « ضرب هذا الدينار بمصر سنة ثمان وخمسين وثلاثمائة » وفي الوجه الآخر « لا إله إلا الله ، محمد رسول الله أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون على أفضل الوحيين وزير خير المرسلين ».

وكثر ضرب الدينار المعزى حتى أن المعز لما قدم إلى مصر سنة ثنتين وستين وثلاثمائة ونزل بقصره من القاهرة ، أقام يعقوب بن كلس بن عسلوج بن الحسن لقبض الحراج ، فامتنع أن يأخذ إلا دينارا مُعزياً ، فاتضع الدينار الراضى وانحط ونقص من صرفه ، أكثر من ربع دينار ، وكان صرف الدينار المعزى خمسة عشر درهماً ونصفاً .

وفى أيام الحاكم بأمر الله _ أبى على المنصور بن المعز ّ _ تزايد أمر الدراهم فى شهر ربيع الأول سنة تسع وتسعين وثلاثمائة فبلغت أربعة وثلاثين درهما بدينار ، ونزل السعر واضطربت أمور الناس ، فرُفعت تلك الدراهم وأنزل من القصر عشرون صندوقاً فيها دراهم جُدُد فرفعت للصيارف ، وقرئ سجل يمنع المعاملة بالدراهم الأولى وترك من فى يده شىء منها ثلاثة أيام ، وأن يورد جميع ما تحصل

منها إلى دار الضرب ، فاضطرب الناس وبلغت أربعة دراهم بدرهم جديد ، وتقرر أمر الدراهم الجدد على ثمانية عشر درهما بدينار.

فلما زالت الدولة الفاطمية بدخول الفرس الشام ومصر على يد الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب ، في سنة تسع وستين وخمسمائة ، قُرِّرت السّكة بالقاهرة باسم المرتضى بأمر الله وباسم الملك العادل نور الدين محمود بن زنكى ، صاحب بلاد الشام، فرسم اسم كل منهما في وجه ، وفيها عمت بلوى المصارف بأهل مصر ؛ لأن الذهب والفضة خرجا منها وما رجعا وعُدما ، فلم يوجدا ، ولهج الناس بما غمّهم من ذلك وصاروا إذا قيل : دينار أحمر ، فكأنما ذكرت حرمة له ، وإن حصل في يده فكأنما جاءت بشارة الجنة له ، ومقدار ما حدث أنه خرج من القصر ما بين درهم ودينار ، ومصاغ وجوهر ونحاس، وملبوس ، وأثاث وقماش وسلاح ما لا يفي به ملك الأكاسرة ولا تتصوره الخواطر ولا تشتمل على مثله الممالك ولا يقدر على حسابه إلا من يقدر على حساب الخلق في الآخرة.

نقلت ما هذا نصه من خط القاضى الفاضل عبد الرحيم ، ثم لما استبد الملك صلاح الدين ، بعد موت الملك العادل نور الدين ، أمر فى شوال سنة ٥٨٣ بأن تبطل نقود مصر ، وضرب الدينار ذهبا مصرياً ، وأبطل الدرهم الأسود ، وضرب الدراهم الناصرية وجعلها من فضة خالصة ومن نحاس ، نصفين بالسوى ، فاستمر ذلك بمصر والشام إلى أن دخل الملك الكامل ناصر الدين محمد بن العادل أبى بكر محمد بن أيوب ، فأبطل الدرهم الناصرى ، وأمر فى ذى القعدة من سنة ٢٢٢ بضرب دراهم مستديرة ، وتقدم أنه لا يتعامل الناس بالدراهم المصرية العتق ، وهى التى تُعرف فى مصر والإسكندرية بالزُيُوف.

وجعل الدرهم الكامل ثلاثة أثلاث ، ثلثيه من فضة ، وثلثيه من نحاس ، فاستمر ذلك بمصر والشام مدة أيام ملوك بني أيوب .

فلما انقرضوا وقامت الأتراك من بعدهم أبقوا سائر شعارهم واقتدوا في جميع أحوالهم وأقروا نقدهم على حاله ، من أجل أنهم كانوا يفتخرون بالانتماء إليهم ، حتى أنى شاهدت المراسيم التي كانت تصدر عن الملك المنصور قلاوون وفيها بعد البسملة «الملكي الصالحي » وتحت ذلك بخطه « قلاوون ».

فلما ولى الملك الظاهر ركن الدين ببيبرس البندقدارى ، الصالحى ، النجمى ، وكان من أعظم ملوك الإسلام ، وممن يتعين على كل ملك معرفة سيرته ، ضرب دراهم ظاهرية وجعلها كل مائة درهم من سبعين درهماً فضة خالصة وثلاثين نحاساً رَنْكة (١) على الدرهم ، وهو صورة سبع ، فلم تزل الدراهم الظاهرية والكاملية بديار مصر والشام إلى أن فسدت في سنة ٧٨١ ، بدخول الدراهم الحموية (٢) فكثر تعنت الناس منها ، وكان ذلك في إمارة الظاهر برقوق ، فلما وصل الأمر إليه وأقام الأمير محمود بن على أُستَاداراً (٣) أكثر من ضرب الفلوس ، وأبطل ضرب الدراهم فتناقصت ، حتى صارت عَرضاً ينادى عليه في الأسواق بحراج حراج (٤) وغلبت الفلوس إلى أن قدم الملك المؤيد شيخ عز نصرة من دمشق في رمضان سنة ١٨٨ ، بعد قتل الأمير نوروز الحافظي نائب دمشق ، فوصل مع العسكر وأتباعهم شيء كثير من الدراهم البندقية (٥) والدراهم النوروزية (١) فتعامل الناس بها وحسن موقعها لبعد العهد بالدراهم .

فلما ضرب الملك المؤيد شيخ عز نصرة الدراهم المؤيدية (٧) في شوال منها نودى في القاهرة بالمعاملة بها في يوم السبت ٢٤ صفر سنة ٨١٨ فتعامل الناس بها ، وقد قال مُسكد: حدثنا خالد بن عبد الله : حدثنا مالك عن يحيى بن سعيد ، عن سعيد ابن المسيب، قال : قطع الدينار والدرهم من الفساد في الآخرة يعنى كسرهما، وأنا أقول : إن في ضرب الملك المؤيد الدراهم المؤيدية ست فضائل :

الأولى : موافقة سُنَّة رسول الله ﷺ في فريضة الزكاة ؛ لأنه قال عليه الصلاة والسلام ، إنما فَرْضُتُها في الفضة الخالصة لا المغشوشة .

الثانية : اتباع سبيل المؤمنين ، وذلك أنه اقتدى في عملها خالصة بالخلفاء

⁽١) الرَّنك بالفتح : الشارة أو الشعار من النقوش يتخذه الأشراف ليعرفوا به (ج) أرنوك .

⁽٢) نسبة إلى حُماة بسورية .

⁽٣) الأستادار : كلمة فارسية من مقطعين هما « أستاد » أى صاحب « ودار » أى منزل ، فتكون معناها رئيس المنزل ، وهو لقب يُلقب به من تُلقى إليه أعباء بيت أحد الملوك والكُبراء .

⁽٤) قال أبو عبيد : كلمة يقولها من يبيع أي شيء عندما لا يُزاد على ثمنها .

⁽٥) الدراهم البندقية : أي التي كانت تُضرب في البندقية .

⁽٦) الدراهم النوروزية : منسوبة إلى الأمير نوروز الحافظي .

⁽٧) الدراهم المؤيدية : نسبة إلى الملك المؤيد « شيخ عز نصرة » .

الراشدين، وقد تقدم بيان ذلك فلا حاجة إلى إعادته .

الثالثة : أنه لم يتبع سُنّة المفسدين الذين نهى الله عن اتباعهم بقوله عز وجل : ﴿ وَأَصْلِحْ وَلا تَتَبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ ﴾ (١) وبيان ذلك : أن الدراهم لم تُغَسَّ إلا عند تغلب المارقين الذين اتبعوا قوماً قد ضلوا كما مَرّ آنفاً .

الرابعة : أنه نكب عن الشَرَه في الدنيا ، وذلك أن الدراهم لم تُغَشّ إلا للرغبة في الازدياد منها .

الخامسة : أنه أزال الغش عملاً بقوله عَلَيْلِيُّ : « من غشنا فليس منا » (٢) .

السادسة : أنه فعل ما فيه نُصح لله ولرسوله ، وقد علم قوله عليه أفضل الصلاة والسلام : الدين النصيحة . الحديث (٣) . ويمكن أن يتلمح لها فوائد أُخَر .

وإنه ليكثر تَعجّبى من كون هذه الدراهم المؤيدية ولها من الشرف والفضل ما ذكر ، وللملك المؤيد من عظيم القدر ، وفخامة الأمر ما هو معروف ، ومع ذلك تكوم مُضافة ومنسوبة إلى الفلوس ، التي لم يجعلها الله تعالى قط نقداً في قديم الدهر وحديثه ، إلى أن راجت في أيام أقبح الملوك سيرة وأردأهم سريرة : الناصر فرج ، وقد علم كل من رزق فهماً وعلماً أنه حدث من رواجها خراب الإقليم ، وذهاب نعمة أهل مصر وأن هذا في الحقيقة كعكس للحقائق ، فإن الفضة هي نقد شرعي، لم تزل في العالم والفلوس ، إنما هي أشبه بلا شيء ، فيصير المضاف مضافاً إليه ، اللهم ألهم مولانا الملك المؤيد بحسن السفارة الكريمة ، أن يأنف من أن يكون نقده مضافاً إلى غيره ، وأن يجعل نقده تضاف إليه النقود ، كما جعل الله تعالى اسمه الشريف يضاف إليه اسم كل من رعيته ، بل كل ملك من مجاوري ملكه ، والأمر في ذلك سهل إن شاء الله تعالى .

⁽١) الأعراف : ١٤٢ . في الأصل : « وأصلح ولا تتبع المفسدين » وهو خطأ ، والصواب ما أثبتناه.

⁽۲) أخرجه مسلم في الإيمان (۱٦٤) ، وأبو داود في البيوع (٥٠) ، والترمذي في البيوع (٧٠) ، وابن ماجه في التجارات (٣٦) .

⁽٣) نص الحديث هكذا

^{...} عن تميم الدارى : أن النبى ﷺ قال : « الدين النصيحة » ؟ قلت : لمن ؟ قال : « لله ولكتابه ولرسوله ولائمة المسلمين وعامتهم » أخرجه مسلم والبخارى في الإيمان .

وذلك أنه برز المرسوم الشريف ، لموالينا قضاة القضاة ، أعز الله بهم الدين ، أن يلزموا شهود الحوانيت ، بأن لا يكتب سجل أرض ، ولا إجارة دار ولا صداق امرأة ولا مسطور بدين ، إلا ويكون المبلغ من الدنانير المؤيدية ، ويبرز أيضاً للدواوين الملكية ودواوين الأمراء ، والأوقاف ألا يكتبوا في دفاتر حساباتهم متحصلاً ولا مصروفاً إلا من الدراهم المؤيدية ، فتصير الدراهم المؤيدية ينسب إليها ما عداها من النقود ، كما جعل الله تعالى الملك المؤيد عز نصرة ، يضاف إليه ويتشرف به كل من انتسب أو انتمى إليه ، والله تعالى أعلم .

وأما الفلوس ، فإنه لم تزل سنة الله في خلقه وعادته المستمرة ، منذ كان الملك ، إلى أن حدثت الحوادث والمحن بمصر ، منذ سنة ست وثمانائة ، في جهات الأرض كلها _ عند كل أمة من الأمم ، كالفرس ، والروم ، وبنى إسرائيل ، واليونان والقبط والنبط، والتبابعة ، وأفيال اليمن ، والعرب العاربة والعرب المستعربة ، ثم في الدولة الإسلامية ، من حين ظهورها . على اختلاف دولها التي قامت بدعوتها ، كبنى أمية بالشام والأندلس وبنى العباس بالعراق ، والعلويين بطبرستان وبلاد المغرب ، وديار مصر والشام وبلاد الحجاز واليمن ودولة بنى بُويه ، ودولة الترك بنى سلجوق ، ودولة الأكراد بمصر والشام ، ودولة بنى مرين بالمغرب ، ودولة بنى نصر بالأندلس ، ودولة بنى حَفْص بتونس ، ودولة بنى رسول باليمن، ودولة الحطى بالحبشة ، ودولة بنى تيمورلنك بسمرقند، ودولة بنى عثمان بالجانب ودولة الشمالي الشرقي _ أن التي تكون إثماناً للمبيعات ، وقيم الأعمال ، إنما هي الذهب والفضة فقط .

ولا يُعْلَم في خبر صحيح ولا سقيم عند أمة من الأمم ، ولا طائفة من طوائف البشر ، أنهم اتخذوا أبداً في قديم الزمان ولا حديثه نقداً غيرهما ، إلا أنه لما كانت في المبيعات محقرات تقل عن أن تباع بدرهم ، أو بجزء منه ، احتاج الناس من أجل هذا في القديم والحديث من الزمان إلى شيء سوى الذهب والفضة ، يكون بإزاء تلك المحقرات ، ولم يُسمَّ أبداً ذلك الشيء الذي جعل للمحقرات نقداً البتة ، فيما عرف من أخبار الخليقة ، ولا أقيم قط بمنزلة أحد النقدين ، واختلفت مذاهب البشر وآراؤهم فيما يجعلونه بإزاء تلك المحقرات ، ولم يزل بمصر والشام وعراقي العرب والعجم وفارس والروم في أول الدهر وآخره ، ملوك هذه الأقاليم ،

لعظمهم وشدة بأسهم ، ولعزة ملكهم وكثرة شأوهم وخُنزُوانية (١) سلطانهم ، يجعلون بإزاء هذه المحقرات نحاساً يضربون منه قطعاً صغاراً تسمى فلوساً (٢) لشراء ذلك ، ولا يكاد يوجد منها إلا اليسير، ومع ذلك فإنها لم تقم أبداً في شيء من هذه الأقاليم ، بمنزلة أحد النقدين قط .

وقد كانت الأمم في الإسلام وقبله ، لهم أشياء يتعاملون بها بدل الفلوس كالبيض والكسر من الخبز والورق ولحاء (٣) الشجر والودع (٤) الذي يستخرج من البحر ويقال له : الكوري وغير ذلك .

وقد استقصيت ذكره في كتاب (إغاثة الأمة بكشف الغُمّة) وكانت الفلوس لا يشترى بها شيء من الأمور الجليلة وإنما هي لنفقات الدور ، ومن أنعم النظر (٥) في أخبار الخليقة عرف ما كان الناس فيه بمصر والشام والعراق من رخاء الأسعار ، فيصرف الواحد العدد اليسير من الفلوس في كفاية يومه .

فلما كانت أيام محمود بن على ، أُسْتَادار الملك الظاهر برقوق ، استكثر من الفلوس، وصارت الفرنج تحمل النحاس الأحمر رغبة فى فائدته ، واشتهر الضرب فى الفلوس عدة أعوام والفرنج تأخذ ما بمصر من الدراهم إلى بلادهم ، وأهل البلد تسبكها، لطلب الفائدة حتى عَزّت وكادت تُفْقَد ، وراجت الفلوس رواجاً عظيماً حتى نُسب إليها سائر المبيعات وصار يقال : كل دينار بكذا من الفلوس .

وتالله ، إن هذا الشيء يُستحيا من ذكره لما فيه من عكس الحقائق إلا أن الناس لطول تمرنهم عليه أَلفُوه ، إذ هم أبناء العوائد ، وإلا فهو في غاية القبح ، والمرجو أن يزيل الله عن بلاد مصر هذا العار ، بحسن السفارة الكريمة ، أرجو إن شاء الله تعالى أن يكون الأمر فيه هيناً ، وذلك أن ينظر إلى النحاس الأحمر القُرْص المجلوب من بلاد الفرنج كم سعر القنطار منه ، ويضاف إلى ثمن القنطار جُملة ما يصرف عليه بدار الضرب إلى أن يصير فلوساً ، فإذا جُمل ذلك عُرف كم يصرف لكل دينار

⁽١) الخنزوانية : أي الكبر .

⁽٢) الفلوس : جمع فَلْس ، وأصلها أفْلُس ، وهو نقد أثيني وكان يساوى ١٥ سنتيماً .

⁽٣) لحاء الشجر: أي قِشرُه .

⁽٤) الودع : هو خرز بيض تخرج من البحر بيضاء ، شقها كشق النواة .

⁽٥) في الأصل المطبوع : ومن أمعن النظر .

من الفلوس ، وإذا عُرف كم كل دينار منها ، عُرف بكم كل درهم مؤيدى وفى هذا سر شريف ، وهو أنه من استقرى سير فضلاء الملوك ، فإنه يجدهم يأنفون أن يبقى لغيرهم ذكر ، ويحرصون على تفردهم بالمجد فإذا ضُرِحت (١) هذه الفلوس صار نقداً للناس ، بين درهم مؤيدى وفلوس مؤيدية .

وكفاك إشارة وتنبيهًا على شرف بقاء الذكر مَدَى الدهر ، قول الله تعالى عن إبراهيم الخليل ، صلوات الله وسلامه عليه : ﴿ وَاجْعَل لِّي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الآخرينَ﴾(٢) .

وقوله تعالى فى معرض الامتنان على نبينا محمد ﷺ : ﴿ وَإِنَّهُ لَذِكُرٌ لَّكَ وَلَقُومُكَ ﴾ (٣).

وقوله تعالى : ﴿ وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ﴾ (٤) .

وهذه رتبة لا يرغب عنها إلا خسيس القدر وضيع النفس ، ومقام الملوك يُجَل عن أن يشاركهم أحد في رتبة عز أو منصب رفعة ، وإنى لأرجو الله سبحانه أن يُصلح الله بحسن سفارتكم ما قد فسد ، إن شاء الله تعالى .

ولولا خوف الإطالة لذكرت ما كان من ضرب الملوك للفلوس وأنها لم تزل بالعدد إلى أن أمر الأمير يَلُبُغا السالمي ــ رحمة الله عليه ــ أن تكون بالميزان وذلك في سنة ٨٠٦ وللبلاد قوانين وعوائد متى اختلت فسد نظامها .

والله تعالى يختم بخير أعمالنا ، والحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم . انتهى .

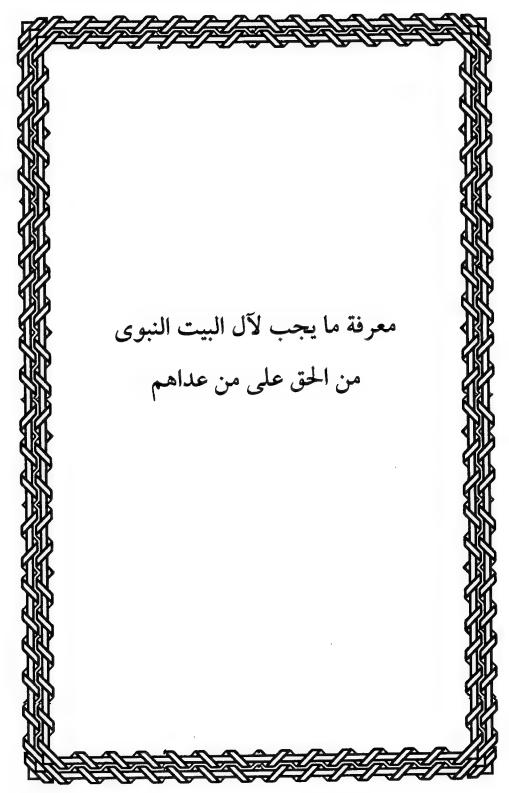
⁽١) الضرح : التنحية والدفع وبابه قطع . محتار الصحاح (١٨٣) ــ دار المنار .

⁽٢) سورة الشعراء : ٨٤ .

⁽٣) سورة الزخرف : ٤٤ .

⁽٤) سورة الشرح : ٤ .

. .





بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله حق حمده ، وصلى الله على محمد رسوله وعبده ، وآله وصحبه وأتباعه وجنده .

وبعد: فإنى لما رأيت أكثر الناس فى حق آل البيت مقصرين ، وعمّا لهم من الحق مُعرضين ، ولمقدارهم مُضيعين ، وبمكانتهم من الله تعالى جاهلين ، أحببت أن أقيد فى ذلك نبذة تدل على عظيم مقدارهم ، وترشد المتقي لله تعالى على جليل أقدارهم ، ليقف عند حده ، ويصدق بما وعدهم الله ومن [به](١) عليهم من صادق وعده .

والله أسأل الهداية ، وأعوذ به من الضلال والغواية ، إنه قريب مجيب .

فصل

قال الله جل جلاله : ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴾ (٢) .

قال الأستاذ أبو الحسن على بن إسماعيل بن سيده (٣) رحمه الله :

الرِّجْس : القذر .

وقال ابن درید ^(٤) : ورجل مَرْجُوس ، ورجس : نجس ،وأحسبهم قد قالوا : رجس: نجس ،وهی الرجاسة ^(٥) .

⁽١) ساقطة من المخطوطة . ٣٣ : ٢٥

⁽٣) على بن إسماعيل ، المعروف بابن سيده ، أبو الحسن : إمام في اللغة وآدابها ، ولد بمرسية (شرق الأندلس) وانتقل إلى دانية فتوفى بها ، كان ضريَّراً (وكذلك أبوه) واشتغل بنظم الشعر مدة ، وانقطع للأمير أبى الجيش مجاهد العامرى ونبغ في آداب اللغة ومفرداتها فصنف : المخصص وهو من أثمن كنوز العربية ، والمحكم والمحيط الأعظم . الأعلام (٤ / ٢٦٣) ، وفيات الأعيان (١ / ٣٤٢)، بغية الملتمس (٥٠٥) ، إنباه الرواة (٢ / ٢٢٥)، شذرات الذهب (٣ / ٥٠٥).

⁽٤) محمد بن الحسن بن دُريد الأزدى ، من أزد عمان من قحطان ، أبو بكر ، من أثمة اللغة والأدب، كانوا يقولون : ابن دريد أشعر العلماء ، وأعلم الشعراء ، ولمد فى البصرة وانتقل إلى عُمان فأقام اثنى عشر عاماً وعاد إلى البصرة ، ثم رحل إلى نواحى فارس ، ومن درة مؤلفاته : المجمهرة فى اللغة ، والوشاح واللغات . الأعلام (٢/ / ٨) ، وفيات الأعيان (١/ ٤٩٧) ، إرشاد الأربب (٢/ ٤٨٧) ، طبقات الشافعية (٢/ ١٤٥).

⁽٥) قال الزجاج : الرجس : في اللغة اسم لكل ما استُقذر من عمل ، فبالغ الله تعالى في ذم هذه =

والنجاسة والرجس : العذاب ، كالرجز ، ورجس الشيطان وسوسته (١) .

وقال الإمام أبو جعفر محمد بن جرير الطبرى (٢) رحمه الله : يقول الله تعالى: ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ ﴾ أى السوء والفحشاء يا أهل البيت ، بيت محمد ، ويطهركم من الدنس الذي يكون في أهل معاصى الله تطهيراً .

وذكر بسنده عن [سعيد عن] (٣) قتادة قوله : ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُدْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرِكُمْ تَطْهِيرًا ﴾: فهم أهل بيت طهرهم الله من السوء وخصهم برحمة منه .

وعن ابن وهب قال نقلاً عن [ابن] (٤) زيد قال : الرجس هاهنا الشيطان وسوى ذلك من الرجس الشر [ك] (٥) ، واختلف أهل التأويل في الذين عُنوا بقوله: ﴿ أَهْلَ النَّيْتِ ﴾ فقال بعضهم: عُني به رسول الله عليه ، وعلى ، وفاطمة ، والحسن والحسين ، رضى الله عنهم ، ثم ذكر من حديث مندل عن الأعمش عن عطية ، عن أبي سعيد الخدري رضى الله عنه ، قال : قال رسول الله عليه : «نزلت هذه الآية في خمسة : في وفي على ، وحسن ، وحسين ، وفاطمة . . . ﴿ إِنَّمَا يُوِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴾ (٢) .

ومن حديث زيد ، عن شهر بن حوشب ، عن أم سلمة رضى الله عنها قالت: كان النبي ﷺ عندى وعلى وفاطمة والحسن والحسين ، فجعلت لهم خزيرة (٧)

⁽١) هذا الكلام اقتبسه المقريزي من لسان العرب .

⁽۲) محمد بن جرير بن يزيد الطبرى ، أبو جعفر : المؤرخ المفسر ، الإمام، ولد في آمل طبرستان ، واستوطن بغداد وأقام بها ، وعُرض عليه القضاء فامتنع وتوفى بها ، ومن مؤلفاته : أخبار الملوك والأمم والذي يعرف بتاريخ الطبرى ، وجامع البيان في تفسير القرآن . قال عنه ابن الأثير : أبو جعفر أوثق من نقل التاريخ . الأعلام (٦ / ٦٩)، إرشاد الأريب (٦ / ٢٣٤) ، تذكرة الحفاظ (٢ / ٣٥١)، الوفيات (١ / ٤٥٦)، طبقات السبكي (٢ / ١٣٥)، البداية والنهاية (١١/١٥٥) . (٣) أثبته الطبرى في تفسيره . (٥) الكاف ساقطة من المخطوطة .

⁽٦) تفسير الطبرى ٥ / ٢٢ .

⁽٧) في المخطوطة « جريرة » وهي خطأ ؛ لأنها بمعنى الإثم أو الذنب ، والخزيرة هي اللحم ، يؤخذ فيقطع قطعاً صغيرة ، ثم يطبخ ويذر عليه الدقيق ، ولا تكون الخزيرة إلا وفيها لحم . لسان العرب ــ مادة خزر .

فأكلوا وناموا وغطى عليهم كساء ، أو قطيفة ، ثم قال : « اللهم هؤلاء أهل بيتى ، أذهب عنهم الرجس ، وطهرهم تطهيرا » .

ومن حديث [يونس](١) بن إسحاق قال : أخبرني أبو داود عن أبي الحمراء قال : رابطت المدينة سبعة أشهر على عهد النبي ﷺ قال : رأيت النبي ﷺ إذا طلع الفجر جاء إلى باب على ، وفاطمة ، رضى الله عنهما ، فقال : « الصلاة الصلاة ، إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا » .

ومن حديث أبى نعيم الفضل بن ركين قال : حدثنا عبد السلام بن حرب ، عن كلثوم المحاربى ، عن أبى عمار قال ، إنى لجالس عند واثلة بن الأسقع _ رضى الله عنه _ وذكروا علياً _ رضى الله عنه _ فشتموه ، فلما قاموا قال : اجلس حتى أخبرك عن هذا الذى شتموه ، إنى عند رسول الله عليه إذ جاءه على ، وفاطمة ، وحسن ، وحسين ، فألقى عليهم كساءً له ، ثم قال : « اللهم هؤلاء أهل بيتى ، اللهم أذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً ،قلت : يا رسول الله، وأنا ، قال : فوالله إنها لمن أوثق عمل عندى .

ومن الحديث الوليد بن مسلم قال : حدثنا ابن عمرو قال : حدثنى شدّاد أبو عمار قال : سمعت واثلة بن الأسقع يحدث قال : سألت عن على بن أبى طالب ، رضى الله عنه ، فى منزله ، فقالت فاطمة ، رضى الله عنها : قد ذهب يأتى برسول الله عنها ، إذ جاء ، فدخل رسول الله عليه ، ودخلت ، فجلس رسول الله على الفراش ، وأجلس فاطمة عن يمينه وعلياً عن يساره ، وحسناً ، وحسيناً رضوان الله عليهم ، بين يديه ، فلقع عليهم بثوبه ، وقال : « إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً ، اللهم هؤلاء أهلى ، اللهم أهلى أحق ، قال واثلة : فقلت : من ناحية البيت : وأنا يا رسول الله من أهلك ؟ قال : «وأنت من أهلى قال واثلة : إنها لمن أرجى ما أرتجى .

ومن حديث وكيع ، عن عبد الحميد بن بهرام ، عن شَهر بن حوشب عن أم سلمة ، رضى الله عنها ، قالت : لما نزلت الآية : ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴾ دعا رسول الله ﷺ علياً ، وفاطمة ، وحسناً

⁽١) يونس : ساقطة من المخطوطة .

وحسينًا فجلّل عليهم (١) بكساء خيبرى (٢) وقال : « اللهم هؤلاء أهل بيتى ، اللهم أذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً » قالت أم سلمة : ألست منهم ؟ قال : « أنت إلى خير » .

ومن حديث سعيد بن زَربَى ، عن محمد بن سيرين ، عن أبى هريرة ، رضى الله عنه ، عن أم سلمة رضى الله عنها ، قالت : جاءت فاطمة رضى الله عنها إلى رسول الله عنها ببرُمة (٣) لها قد صنعت فيها عصيدة تحملها على طبق ، فوضعتها بين يديه ، فقال: أين ابن عمك ، وابناك ؟ فقالت: في البيت . فقال : ادعيهم . فجاءت علياً فقالت: أجب النبي عليه أنت وابناك . قالت أم سلمة : فلما رآهم مقبلين مد يده إلى كساء كان على المنامة (٤) ، فمده ، وبسطه ، فأجلسهم عليه ، ثم أخذ بأطراف الكساء الأربعة بشماله فضمه فوق رؤوسهم وأوماً بيده اليمني إلى ربه تعالى ، ذكر ، ثم قال : « اللهم هؤلاء أهل البيت ، فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا » .

ومن حديث فضيل بن مروزق ، عن عطية ، عن أبي سعيد ، عن أم سلمة زوج النبي ﷺ ؛ أن هذه الآية نزلت في بيتها : ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴾ قالت : وأنا جالسة على باب البيت ، فقلت: أنا يا رسول الله ، ألست من أهل البيت ؟ قال : إنك إلى خير ، أنت من أزواج النبي . قالت : وفي البيت رسول الله ﷺ [وعلى] (٥) وفاطمة ، والحسن والحسين .

ومن حديث هاشم بن هاشم بن عُتبة بن أبى وقاص ، عن عبد الله بن وهب ابن زمْعَة قال : أخبرتنى أم سلمة رضى الله عنها ، أن رسول الله عنها ، فاطمة، والحسن والحسين ، رضى الله عنهم ، ثم أدخلهم تحت ثوبه ، ثم جأر (٦) إلى الله تعالى و[قال] (٧) : « اللهم هؤلاء أهل بيتى » فقالت أم سلمة : يا رسول الله ، أدخلنى معهم. قال : إنك من أهلى .

⁽۱) غطاهم . (۲) أي من خيبر .

⁽٣) قدر من الحجارة . الوجيز (٤٧) .

⁽٥) ساقطة من المخطوطة .

⁽٦) جأر جأراً : رفع صوته ، وجأر إلى الله ، تضرع واستغاث . مصدر سابق (٩٠) .

⁽٧) ساقطة من المخطُّوطة .

ومن حديث محمد بن سليمان [بن] (١) الأصبهاني ، عن يحيى بن عبيد المكى عن عطاء عن عمر بن أبي سلمة قال : نزلت هذه الآية على النبي عليه وهو في بيت أم سلمة ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴾ فدعا حسناً ، وحسيناً ، وفاطمة ، فأجلسهم بين يديه ، ودعا علياً فأجلسه خلفه ، فتجلل (٢) هو وهم بالكساء ، ثم قال : « اللهم هؤلاء أهل بيتي فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا » قالت أم سلمة : أنا معهم ؟ قال : « أنت [على] (٣) مكانك ، وأنت على خير » .

ومن طريق السُدِّى ، عن أبى الدَّيلم قال : قال على بن الحسين – رحمه الله – لرجل من أهل الشَّهُ لِيُدُهِبَ عَنكُمُ الله – لرجل من أهل الشام : أما قرأت فى الأحزاب : ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُدُهِبَ عَنكُمُ اللهِ صَلَّا اللهُ لِيَدُهُ عَلَّهُ عَلَى اللهِ صَلَّا اللهِ صَلَّا اللهِ صَلَّا اللهُ اللهِ صَلَّا اللهِ مَن اللهِ اللهِ صَلَّا اللهِ صَلَّا اللهِ اللهُ اللهِ اللهُ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِي

ومن حدیث بکیر بن أسماء قال : سمعت عامر بن سعد قال : قال سعد : قال رسول الله علیه حین نزل علیه الوحی ، فأخذ علیاً وابنیه ، وفاطمة ، فأدخلهم تحت ثوبه ثم قال : « رب هؤلاء أهلی ، وأهل بیتی » .

ومن حديث عبد الله بن عبد القدوس عن الأعمش عن حكيم بن سعد قال : ذكرنا على بن أبى طالب عند أم سلمة رضى الله عنها فقالت : في بيتى نزلت : ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ اللّهُ لِيُدْهِبَ عَنكُمُ الرّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرِكُمْ تَطْهِيرًا ﴾ قالت أم سلمة : جاء النبى عليه إلى بيتى فقال : لا تأذن لأحد . فجاءت فاطمة ، رضى الله عنها ، فلم أستطع أن أحجبها عن أبيها ، ثم جاء الحسن ، رضى الله عنه ، فلم أستطع أن أحجبه ، فاجتمعوا أمنعه أن يدخل على جده وأمه ، ثم جاء الحسين فلم أستطع أن أحجبه ، فاجتمعوا حول النبي عليه على بساط ، فجللهم النبي عليه بكساء كان عليه ، ثم قال : « هؤلاء أهل بيتى فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا ».

هذه الآية نزلت حين اجتمعوا على البساط . قالت أم سلمة : فقلت : يا رسول الله ، وأنا ؟ قالت : فوالله ما أنعم (٤) وقال : إنك إلى خير .

وقال آخرون : بل عَنى بذلك أزواج النبي ﷺ .

ثم ذكر من طريق الأصبغ [عن علقمه](٥) قال : كان عمر رضى الله عنه

⁽١) ساقطة من المخطوطة . (٢) تغطى .

⁽٣) ساقطة من المخطوطة . (٤) أي : ما قال نعم . (٥) ساقطة من المخطوطة .

ينادى في السوق : ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴾ .

قال : نزلت في نساء النبي ﷺ خاصة .

وقال العلامة أبو محمد ابن عطية(١):

والرجس اسم يقع على الإثم وعلى [العذاب](٢)، وعلى النجاسات والنقائص، فأذهب الله تعالى جميع ذلك عن أهل البيت [ونصب أهل البيت](٣) على المدح أو على النداء للمضاف أو بإضمار : أعنى .

واختلف الناس في أهل البيت من هم ؟ فقال عكرمة ، ومقاتل ، وابن عباس [رضى الله عنهم] (٤): هم زوجاته خاصة لا رجل معهم (٥)، وذهبوا إلى أن البيت أريد به مساكن النبي عليه .

قال أبو سعيد الخدرى ، رضى الله عنه ، قال رسول الله ﷺ : نزلت هذه الآية في خمسة : فِيّ ، وفي على ، وفاطمة ، والحسن ، والحسين .

ومن حُجة الجمهور قوله : ﴿ عَنكُمُ ﴾، و ﴿ يُطَهِّرَكُمْ ﴾ بالميم ، ولو كان للنساء خاصة لقال : « عنكن » .

قال ابن عطية : والذي يظهر [لى] (٦) أن زوجاته لا يخرجن عن ذلك البتة، فأهل البيت : زوجاته ، وبنته وبنوها ، وزوجها ، وهذه الآية تقتضى أن الزوجات من أهل البيت؛ لأن الآية فيهن ، والمخاطبة لهن . أما [أن] (٧) أم سلمة ، رضى الله عنها قالت: نزلت هذه الآية في بيتى ، فدعا (٨) رسول الله علياً ،

⁽۱) عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن عطية المحاربي ، من محارب قيس ، الغرناطي ، أبو محمد ، مفسر، فقيه ، أندلسي ، عارف بالأحكام والحديث ، له شعر ، ولى قضاء المرية ، وكان يكثر الغزوات في جيوش الملثمين وله « المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز » . الأعلام (٣٧) ، نفح الطيب (١ / ٥٩٣) ، بغية الملتمس (٣٧٦) ، بغية الوعاة (٢٩٥).

⁽٢ ، ٣) ساقطة من المخطوطة ومثبته في تفسير ابن عطية .

⁽٤) زائدة وأثبتها ابن عطية .

⁽٥) في تفسير ابن عطية جاءت هكذا « لا يدخل معهن رجل » .

⁽٦، ٧) ساقطة من المخطوطة وأثبتها ابن عطية بالتفسير .

⁽٨) في المخطوطة : بدعاً . .

وفاطمة، وحسناً ، وحسيناً ، فدخل معهم (١) تحت كساء خيبرى ، وقال : « هولاء أهل بيتى ، وقرأ الآية ، وقال : اللهم أذهب عنهم الرجس ، وطهرهم تطهيرا » .

قالت أم سلمة : فقلت : وأنا يا رسول الله ؟ فقال : « أنت من أزواجي وأنت إلى خير » .

وقال الثعلبى (7): قيل: هم بنو هاشم ، فهذا على [أن](7) البيت يُراد به بيت النسب، فيكون العباس وأعمامه [وبنو أعمامه $]^{(3)}$ منهم ، وروى نحوه عن زيد بن أرقم ، رضى الله عنه .

وقال الشيخ أبو العباس أحمد بن عمر بن إبراهيم القرطبى (٥): ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُدْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ ﴾ قال الزجاج: قيل: يراد به نساء النبى على المدح يراد به نساؤه وأهله الذين هم أهل بيته . وأهل [البيت] (٦): نصب على المدح قال: وإن شئت على البدل. قال: ويجوز الرفع والحفض. قال [النحاس] (٧): إن خفض على أنه بدل من الكاف والميم لم يجز عند أبى العباس محمد بن يزيد (٨) قال: لا يبدل من المخاطب ، ولا من المخاطب ؛ لأنهما لا يحتاجان إلى تبيين "ويطهركم تطهيرا " مصدر فيه معنى التوكيد .

⁽١) في المخطوطة: معهن.

⁽۲) أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبى (وفى رواية: الثعالبى) النيسابورى، أبو إسحاق ، مفسر ، مقرئ ، واعظ، أديب ، توفى لسبع بقين من المحرم ، من تصانيفه : الكشف والبيان عن تفسير القرآن ، العرائس فى قصص الأنبياء. سير أعلام النبلاء (١١ / ٩٦) ، ابن خلكان (١ / ٢٦) ، إنباه الرواة (١ / ٩٦) ، البداية والنهاية (١١ / ٤٠) ، معجم الأدباء (٥ / ٣٦) ، شذرات الذهب (٣/ ٣٠) ، معجم المؤلفين (٢ / ٠٠).

⁽٣ ، ٤) ساقطة من المخطوطة .

⁽٥) أحمد بن عمر بن إبراهيم ، أبو العباس الأنصارى القرطبى ، فقيه مالكى ، من رجال الحديث ، يُعرف بابن المزين ، كان مدرسا بالإسكندرية ، وتوفى بها ، ومولده بقرطبة . من كتبه : «المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم »، واختصار صحيح البخارى . الأعلام (١/ ١٨٦) ، البداية (١/ ٢١٣) ، نفح الطيب (١/ ٦٤٣).

⁽٦ ، ٧) ساقطة من المخطوطة .

⁽٨) محمد بن يزيد بن عبد الأكبر الثمالي الأزدى أبو العباس ، المعروف بالمبرد ، إمام العربية ببغداد في زمنه ، وأحد أئمة الأدب والأخبار ، مولده بالبصرة ووفاته ببغداد . من كتبه : الكامل ، والمذكر والمؤنث ، المقتضب، التعازى والمراثي ، شرح لامية العرب ، إعراب القرآن ، طبقات النحاة البصريين . الأعلام (٧ / ١٤٤) ، بغية الوعاة (١١٦)، وفيات الأعيان (١ / ٤٩٥) ، النحاة البيان (٥ / ٤٣٠) ، نزهة الألباء (٢٧٩) ، طبقات النحويين (١٠٨ _ ١٢٠).

قوله : ﴿ وَاذْكُرْنَ مَا يُتُلَّىٰ فَي بُيُوتَكُنَّ مَنْ آيَاتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ ﴾ (١). هذه الألفاظ تعطى أن أهل البيت: نساؤه.

ومن اختلف أهل العلم في أهل البيت من هم ؟

فقال عطاء وعكرمة وابن عباس : هم زوجاته خاصة لا رجل معهن ، وذهبوا إلى أن البيت أريد به مساكن النبي ﷺ لقوله تعالى: ﴿ وَاذْكُرْنَ مَا يُتْلَىٰ فِي بُيُوتِكُن ﴾ .

وقال فرقة منهم الكلبي : هم على وفاطمة والحسن والحسين خاصة ، وفي هذا أحاديث عن النبي ﷺ ، واحتجوا بقوله تعالى : ﴿ لَيُذْهِبَ عَنكُمُ الرَّجْسَ أَهْلَ الْبَيْت وَيَطَهّرُكُمْ تَطْهيرًا ﴾ بالميم، ولو كان للنساء خاصة لكان : « عنكن » و «يطهركن » إلا أنه يحتمل أن يكون خرج على لفظ الأهل ، يقول الرجل لصاحبه : كيف أهلك ؟ أى امرأتك ونساؤك . فيقول : هم بخير . قال تعالى : ﴿ أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ اللَّه رَحْمَتُ اللَّه وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ ﴾ (٢) .

[والذى يظهر من الآية أنها عامة في جميع أهل البيت] (٣) من الأزواج وغيرهم ، وإنما قال : ﴿ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴾ ؛ لأن رسول الله ﷺ ، وعلياً وحسناً ﴿ وحسيناً كانوا فيهم . وإذا اجتمع المذكر والمؤنث، غُلب المذكر ، فاقتضت الآية أن الزوجات من أهل البيت ؛ لأن الآية فيهن ، والمخاطبة لهن ، يدل عليه سياق الكلام والله أعلم .

أما أن أم سلمة رضى الله عنها قالت : نزلت هذه الآية في بيتي ، فدعا رسول الله ﷺ علياً ، وفاطمة ، وحسناً ، وحسيناً ، فدخل معهم تحت كساء خيبري ، وقال : « هؤلاء أهل بيتي ، وقرأ الآية ، وقال : اللهم أذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا » فقالت أم سلمة ، وأنا معهم يا نبى الله ؟ قال : « أنت على مكانك وأنت على خير » .

أخرجه الترمذي (٤)وغيره(٥) وقال: هذا حديث غريب.

⁽١) الأحزاب : ٣٤ . (٢) هود : ٧٣ .

⁽٣) الجملة ساقطة بتمامها من المخطوطة .

⁽٤) تحفة الأحوذي _ أبواب التفسير : ٦٦ ، ٦٧ .

⁽⁰⁾ مسئد الإمام أحمد 7 / 797 = 797

وفى رواية : وقالت أم سلمة : أدخلت رأسى فى الكساء وقلت : وأنا منهم ؟ قال: نعم .

وقال الثعلبى : هم بنو هاشم ، فهذا [يدل](١) على أن البيت يُراد به بيت النسب، فيكون العباس وأعمامه وبنو أعمامه منهم ، وروى نحوه عن زيد بن أرقم .

وعلى قول الكلبى ، يكون قوله : ﴿ وَاذْكُرْنَ ﴾ ابتداء مخاطبة أمر الله تعالى أزواج النبى ﷺ على جهة الموعظة وتعديد النعمة بذكر ما يتلى في بيوتكن من آيات الله تعالى والحكمة.

قال أهل العلم بالتأويل: آيات الله: القرآن، والحكمة: السُّنَّة .

والصحيح أن قوله : ﴿ وَاَذْكُرْنَ ﴾ منسوق(٢) على ما قبله ، وقال : ﴿ عَنكُمُ ﴾ كقوله : ﴿ أَهْلَ ﴾ فالأهل مذكر ، فسماهن _ وإن كن إناثاً _ باسم التذكير ، فلذلك صار «عنكم»، ولا اعتبار بقول الكلبي وأشباهه فإنه توجد له أشياء من هذا التفسير ما [لو] (٣) كان في [زمن] (٤) السلف الصالح لمنعوه وحجروا عليه .

فالآيات كلها من قوله: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلِ لاَّزْوَاجِك ﴾ إلى قوله: ﴿ إِنَّ اللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا ﴾ (٥) ، منسوق بعضا على بعض ، فكيف صار في الوسط كلاماً منفصلاً لغيرهن ؟ وإنما هذا شيء جرى في الأخبار أن رسول الله على لم نالت هذه الآية دخل عليه على ، وفاطمة ، والحسن ، والحسين ، رضى الله عنهم ، فعمد النبي دخل عليه على ، وفاطمة ، والحسن ، والحسين ، رضى الله عنهم ، فعمد النبي التي كساء فلفها عليهم ، ثم ألوى (٢) بيده إلى السماء فقال : « اللهم هؤلاء أهل بيتى ، اللهم أذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا » (٧).

فهذه دعوة رسول الله ﷺ بعد نزول الآية ، أحب أن يدخلهم في الآية التي خوطب بها [الأزواج] (٨) ، فذهب الكلبي وطائفة أنها لهم خاصة ، وإنما هي دعوة لهم خارجة عن التنزيل والله أعلم .

⁽١) ساقطة من المخطوطة .

⁽٢) نسق الشيء نسقاً : نظمه ، يقال : نَسَّق الدُّر والكلام ، أحكم نظمه ، والنسيق : المنسوق . الوجيز (٦١٤) .

⁽٣) ساقطة من المخطوطة .

 ⁽٤) في المخطوطة : زمان .
 (٥) الأحزاب: ٢٨ _ ٣٤ .

⁽٦) ألوى برأسه : أماله _ وبيده أو بثوبه : أشار . مصدر سابق (٥٦٩) .

⁽٧) المسند ٦ / ٢٩٢ . (٨) ساقطة من المخطوطة .

وقال العلامة نجم الدين سليمان بن عبد القوى بن عبد الكريم الطوفي (١) في كتاب « الإشارات الإلهية في المباحث الأصولية » قوله عز وجل : ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيدُ اللَّهُ لِيدُهُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴾ احتج بها الشيعة على أن أهل البيت معصومون ، ثم على أن إجماعهم حُجة ، وكل من كان كذلك فهو معصوم .

أما الأولى : فلنص هذه الآية .

وأما الثانية : فلأن الرجس اسم جامع لكل شر ونقص ، والخطأ وعدم العصمة بالجملة شر ونقص، فيكون ذلك مندرجاً تحت عموم الرجس الذاهب عنهم، فتكون الإصابة في القول والفعل والاعتقاد ، والعصمة بالجملة ثابتة لهم ، وأيضا فلأن الله عز وجل طهرهم ، وأكد تطهيرهم بالمصدر حيث قال: ﴿ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً ﴾ أي ويطهركم من الرجس وغيره تطهيراً ؛ إذ هي تقتضي عموم تطهيرهم من كل ما ينبغي التطهر منه عرفاً أو عقلاً ، أو شرعاً ، والخطأ وعدم العصمة داخل تحت ذلك، فيكونون مطهرين منه ، ويلزم من ذلك عموم إصابتهم وعصمتهم .

ثم أكدوا دليل عصمتهم من الكتاب والسنة في على رضى الله عنه وحده ، وفي فاطمة عليها السلام وحدها ، وفي جميعهم . أما دليل العصمة في على رضى الله عنه [فلما](٢) ثبت أن النبي على السله إلى اليمن قاضياً قال : يا رسول الله ، كيف تبعثني قاضياً ولا علم لى بالقضاء ؟ قال: [اذهب](٣) فإن الله سيهدى قلبك ، ويسدد لسانك ، ثم ضرب صدره وقال : « اللهم اهد قلبه وسدد لسانه » . قالوا : قد دعا له بهداية القلب [وسداد](٤) اللسان ، وأخبره بأن سيكونان له ، ودعاؤه مستجاب ، وخبره حق وصدق ، ونحن لا نعني بالهداية إلا هداية القلب ، ونطق اللسان بالصدق ، فمن كان عنده للعصمة معنى غير هذا أو ما يلازمه فليذكره .

وأما دليل العصمة في جميعهم ، أعنى في فاطمة رضي الله عنها ، فقوله ﷺ

⁽۱) سلمان بن عبد القوى بن عبد الكريم الطوفى _ الصرصرى ، أبو الربيع نجم الدين ، فقيه حنبلى ، من العلماء ، ولد بقرية طوف أو طوفا من أعمال صرصر ، فى العراق . وزار مصر وجاور الحرمين ، وتوفى فى بلدة الخليل بفلسطين ، وله من الكتب الكثير . بغية السائل فى أمهات المسائل ، الأكبر فى علم التفسير ، الإشارات الإلهية ، المباحث الأصولية . الأعلام (٣/ أمهات المدرات الذهب (٦/ ٣٩) ، الدرر الكامنة (١/ ١٥٤) ، الأنس الجليل (١/ ٩٩٠) . (٣) فى المخطوطة : فما .

⁽٤) في المخطوطة : سد .

« فاطمة بضعة منى يريبنى ما رابها ، ويؤذينى ما آذاها »(١) والنبى ﷺ معصوم ، فبضعته ـــ أى جزؤه ، والقطعة منه يجب أن تكون معصومة .

وأما دليل العصمة فى جميعهم ، أعنى علياً وفاطمه وولديهما ، فلقوله ﷺ : « إنى تارك فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا : كتاب الله وعترتى أهل بيتى ، وإنهما لن يفترقا حتى يردا على الحوض » رواه الترمذي (٢).

ووجه دلالته أنه لازم بين أهل بيته ، والقرآن المعصوم ، وما لازم المعصوم فهو معصوم . قالوا : وإذا ثبت عصمة أهل البيت وجب أن يكون إجماعهم حُجة لامتناع الخطأ والرجس عليهم بشهادة السمع المعصوم ، وإلا لزم وقوع الخطأ فيه وإنه محال .

واعترض الجمهور بأن قالوا: لا نُسلم أن أهل البيت في الآية من ذكرتم بل هم نساء النبي ﷺ بدليل سياقها وانتظام ما استدللتم به معه ، فإن الله تعالى قال : ﴿ يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدِ مِّنَ النَّسَاء إِن اتَّقَيْتُنَّ ﴾ (٣) الآية .

ثم استطردها إلى أن قال : ﴿ وَأَقِمْنَ الصَّلاةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطَعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنَّمَا يُريدُ اللَّهُ لِيُدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا وَاذْكُرْنَ مَا يُتْلَىٰ فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ وَالْحَكْمَةِ ﴾ الآية .

فخطاب نساء النبى ﷺ ، مكتنف لذكر أهل البيت قبله وبعده ، منتظم له ، فاقتضى أنهن المراد به ، وحينئذ لا يكون لكم فى الآية متعلق أصلاً ، ويسقط الاستدلال بها بالكلية ، سلمناه ، لكن لا نسلم أن المراد بالرجس ما ذكرتم ، بل المراد به رجس الكفر ، أو نحوه من المسميات الخاصة .

وأما ما أكدتم به عصمتهم من السنة فأخبار آحاد لا تقولون بها مع أن دلالتها ضعيفة.

⁽۱) أخرجه البخارى فى كتاب فضائل أصحاب النبى (٥ / ٢٨) وباب مناقب قرابة رسول الله ، باب مناقب فاطمة عليها السلام (٥ / ٣٦) ، ومسلم فى كتاب فضائل فاطمة بنت النبى عليها السلام (18. / 7) .

⁽۲) تحفة الأحوذى : أبواب المناقب ، باب مناقب أهل بيت النبى ﷺ . الحديث (۳۸۷٤ ، ۳۸۷۳) (۱۰ / ۲۸۷ _ ۲۹۷).

⁽٣) الأحزاب : ٣٢ .

وأجاب الشيعة بأن قالوا: الدليل على أن أهل البيت في الآية [هم](١) من ذكرنا: النص والإجماع (٢).

أما النص فما ثبت عن النبى على أنه بقى بعد نزول هذه الآية ستة أشهر يمر وقت صلاة الفجر على بيت فاطمة رضى الله عنها ، فينادى : « الصلاة يا أهل البيت إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا » . رواه الترمذي وغيره (٣) .

وهو تفسير منه لأهل البيت بفاطمة ومَنْ في بيتها ، وهو نص ، وأنصُّ منه حديث أم سلمة رضى الله عنها : أنه ﷺ أرسل خلف على وفاطمة وولديهما _ رضى الله عنهم _ فجاؤوا فأدخلهم تحت الكساء ثم جعل يقول : « اللهم إليك لا إلى النار أنا وأهل بيتى . اللهم هؤلاء أهل بيتى وخاصتى _ وفى رواية حامَّتى _ اللهم أذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا ».

قالت أم سلمة : فقلت : يا رسول الله ، ألست من أهل بيتك ؟ قال : « أنت إلى خير » رواه أحمد (٤) .

وهو نص في أهل البيت ، وظاهر في أن نساءه لَسْن منهم ؛ لقوله لأم سلمة : «أنت إلى خير » ولم يقل : بلي أنت منهم .

وأما الإجماع فلأن الأمة اتفقت على أن لفظ أهل البيت إذا أطلق إنما ينصرف إلى من ذكرناه دون النساء ولو لم يكن إلا شهرته فيهم كفي .

وإذا ثبت مما ذكرناه من النص والإجماع أن أهل البيت على وزوجته وولداه ، فما استدللتم به من سياق الآية ، ونظمه على خلافه لا يعارضه ؛ لأنه مجمل يحتمل الأمرين ، وقصاراه أنه ظاهر فيما ادعيتم ، لكن الظاهر لا يعارض النص والإجماع ، ثم إن الكلام العربي يدخله الاستطراد والاعتراض _ وهو تخلل الجملة الأجنبية بين الكلام المنتظم المتناسب ، كقوله تعالى : ﴿ إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخُلُوا قَرْيَةً أَهْلُهَا أَذَلَةً وَكَذَلكَ يَفْعُلُونَ ﴾ (٥).

⁽١) ساقطة من المخطوطة . (١) في المخطوطة : النص .

⁽٣) تحفة الأحوذى تفسير سورة الأحزاب حديث رقم (٣٢٥٩) (٩ /٦٧ ، ٦٨) ، مسند أحمد (٣/ ٢٥٩) .

⁽٤) مسئد الإمام أحمد (٦/ ٢٩٢، ٢٩٨، ٢٩٨).

⁽٥) النمل : ٣٤ .

فقوله: ﴿ وَكَذَلِكَ يَفْعُلُونَ ﴾ جملة معترضة من جهة الله تعالى بين كلام بلقيس. وقوله تعالى : ﴿ فَلا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النَّجُومِ . وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ . إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرَيمٌ ﴾ (١) .

أى فلا أقسم بمواقع النجوم . إنه لقرآن كريم . وما بينهما اعتراض على اعتراض ، وهو كثير في القرآن وغيره من كلام العرب ، فلم لا يجوز أن يكون قوله تعالى : ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ ﴾ جملة معترضة متخللة لخطاب نساء النبي ﷺ على هذا النهج ؟ وحينئذ يضعف اعتراضكم .

وأما الرجس فإنما يجوز حمله على الكفر ، أو على مسمى خاص لو كان له معهود ، ولكن لا معهود له ، فوجب حمله على عمومه إذ هو اسم جنس معرّف باللام ، وهو من أدوات العموم ، وأما ما ذكرناه من أخبار الآحاد فإنما أكدنا به دليل الكتاب ، ثم هى لازمة لكم ، فنحن أوردناها (٢) إلزاماً لا استدلالا .

قال [الطوفى]^(٣) : واعلم أن الآية ليست نصاً ولا قاطعاً فى عصمة أهل البيت، وإنما قصاراها أنها ظاهرة فى ذلك بطريق الاستدلال الذى حكيناه عنهم ، والله أعلم .

وقال العارف محيى الدين أبو عبد الله محمد بن عربى (٤) رحمه الله تعالى : «كل عبد إلهى توجه لأحد عليه حق من المخلوقين فقد نقص من عبوديته لله تعالى بذلك القدر [من الحق] (٥) فإن ذلك المخلوق يطلبه بحقه وله عليه سلطان به ، فلا يكون عبداً محضاً خالصاً لله تعالى ، وهذا هو الذى رجح عند المنقطعين إلى الله انقطاعهم عن الخلق ، ولزومهم السياحات، والبرارى ، والسواحل ، والفرار من

⁽١) الواقعة : ٧٥ ــ ٧٧ .

⁽٢) في المخطوطة : أورناها . (٣) ساقطة من المخطوطة .

⁽٤) محمد بن على بن محمد بن عربى ، أبو بكر الحاتمى الطائى الأندلسى المعروف بمحيى الدين ابن عربى ، الملقب بالشيخ الأكبر ، فيلسوف من أئمة المتكلمين فى كل علم ، ولد فى مرسية بالأندلس وانتقل إلى أشبيلية ، وقام برحلة فزار الشام وبلاد الروم والعزاق والحجاز ، له نحو أربعمائة كتاب ورسالة . فوات الوفيات (٢ / ٢٤١) ، ميزان الاعتدال (٣ / ١٠٨) ، لسان الميزان (٥/ ٣١١) ، جامع كرامات الأولياء (١ / ١١٨) ، نفح الطيب (١ / ٤٠٤) ، شذرات الذهب (٥ / ١٩٠) ، الأعلام (٦ / ٢٨١).

⁽٥) ساقطة من المخطوطة .

الناس ، والخروج عن ملك الحيوان، فإنهم يريدون بذلك الحرية من جميع الأكوان.

ولما كان رسول الله ﷺ عبداً محضاً (١) قد طهره الله تعالى وأهل بيته تطهيراً ، وأذهب عنهم الرجس وهو كل ما يشينهم ، فإن الرجس هو القذر عند العرب ، كذا قال الفراء (٢) قال الله تعالى : ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرِكُمْ تَطْهِيراً ﴾ .

فلا يضاف إليهم إلا مُطهر ولابد ، فإن المضاف إليهم هو الذي يشبههم ، فما يضيفون لأنفسهم إلا من له حكم الطهارة والتقديس .

فهذه شهادة من النبي ﷺ لسلمان الفارسي ، رضى الله عنه ، بالطهارة والحفظ الإلهي والعصمة حيث قال فيه رسول الله ﷺ :

« سلمان منا أهل البيت» وشهد الله لهم بالتطهير ، وذهاب الرجس عنهم ؟ وإذا كان لا يضاف إليهم إلا مقدس مطهر ، وحصلت له العناية الإلهية بمجرد الإضافة ، فما ظنك بأهل البيت في نفوسهم فهم المطهرون ، بل هم عين الطهارة .

فهذه الآية تدل على أن الله تبارك وتعالى قد شرك أهل البيت مع رسول الله على أن الله مَا تَقَدَّمُ مِن ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ ﴾ (٣) .

وأى وسخ وقذر أقذر من الذنوب وأوسخ ؟ فطهر الله تعالى نبيه عَلَيْ بالمغفرة مما هو ذنب بالنسبة إلينا لو وقع منه عَلَيْ لكان ذنباً في الصورة لا في المعنى ؛ لأن الذم لا يلحق به على ذلك من الله تعالى ولا منا شرعاً ، فلو كان حكمه حكم الذنب لصحبه ما يصحب الذنب من المذمة ، ولم يكن يصدق قوله : ﴿لِيُذْهِبَ عَنكُمُ اللهُ بَعْلُورًا ﴾ .

فدخل الشرفاء أولاد فاطمة عليهم السلام كلهم إلى يوم القيامة في حكم هذه الآية من الغفران ، فهم المطهرون باختصاص من الله تعالى ، وعناية بهم لشرف

⁽١) المحض : كل شيء خلص حتى لا يشوبه شيء يخالطه . الوجيز (٥٧٣) .

 ⁽۲) يحيى بن زياد بن عبد الله بن منظور الديلمى ، مولى بنى أسد ، أبو زكريا ، المعروف بالفراء ، إمام الكوفيين ، وأعلمهم بالنحو واللغة وفنون الأدب ، كان يقال:الفراء أمير المؤمنين فى النحو. ولد بالكوفة وانتقل إلى بغداد، وكان فقيها متكلما ، عالماً بأيام العرب وأخبارها . الأعلام (٨ / ١٤٦)، إرشاد الأريب (٧ / ٢٧٢)، وفيات الأعيان (٢ / ٢٢٨) ، تهذيب التهذيب (١١ / ٢١٢).

⁽٣) الفتح : ٢ .

محمد ﷺ وعناية الله تعالى بهم .

فينبغى لكل مسلم أن يصدق الله تعالى فى قوله: ﴿ لِيُدْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً ﴾ . فيعتقد فى جميع ما يصدر من أولاد فاطمة رضى الله عنهم ، أن الله تعالى قد عفا عنهم فيه .

ولا ينبغى لمسلم أن يُلْحِق المذمة ، ولا ما يشنؤ (١) أعراض من قد شهد الله تعالى بتطهيرهم وإذهاب الرجس عنهم لا بعمل عملوه ، ولا بخير قدموه ،بل سابق عناية واختصاص إلهى ﴿ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴾ (٢) .

وإذا صح الخبر الوارد في سلمان رضى الله عنه ، فله هذه الدرجة ، فإنه لو كان سلمان على أمر يشنؤه الله وتلحقه المذمة من الله تعالى بلسان الذنب عليه ، لكان مضافاً إلى أهل البيت من لم يذهب عنه الرجس ، فيكون لأهل البيت من ذلك بقدر ما أضيف إليهم وهم المطهرون بالنص ، فسلمان منهم بلا شك .

وإذا كانت مرتبة مخلوق عند الله تعالى بهذه المثابة أن يشرف المضاف إليهم بشرفهم ، وشرفهم ليس لأنفسهم ، وإنما الله تعالى هو الذى اجتباهم وكساهم حُلّة الشرف ، فكيف بمن له الشرف، والشرف التام لنفسه ، فهو المجيد سبحانه وتعالى ، فالمضاف إليه من عباده الذين هم عباده ، وهم الذين لا سلطان ولا مُلك لمخلوق عليهم، قائمون بحقوق سيدهم ، واقفون عند مراسمه وحدوده ، فشرفهم أعلى .

وهؤلاء هم أقطاب (٣) هذا المقام ، ومن هؤلاء الأقطاب ورث سلمان رضى الله عنه شرف أهل البيت ، فكان رضى الله عنه من أعلى الصحابة بالحقوق وأقواهم على أدائها ، وفيه قال رسول الله على أدائها ، وأشار إلى سلمان الفارسي رضى الله عنه ، فَسرُ سلمان الذي ألحقه بأهل فارس، وأشار إلى سلمان الفارسي رضى الله عنه ، فَسرُ سلمان الذي ألحقه بأهل البيت ما أعطاه النبي عَلَيْكُ أداء كتابته ، فهو عتيقه عَلَيْ ومولى القوم منهم .

وبعد أن تبين لك منزلة أهل البيت عند الله تعالى وأنه لا ينبغي لمسلم أن يذمهم

⁽١) الشانئ : (المبغض) ، شنأه شنئاً وشنآناً : أبغضه وتجنبه ، فهو شانئ ، (الشناءة) : أشد البغض . الوجيز ومختار الصحاح ــ مادة شناً .

⁽٢) الحديد : ٢١ .

⁽٣) القطب من القوم سيدهم (ج) أقطاب.

أصلاً ، فإن الله تعالى طهرهم ، فليعلم الذام لهم أن ذلك يرجع إليه ولو ظلموه ، فذلك الظلم هو في زعمه ، لا في نفس الأمر ، بل حكم ظلمهم ينافي نفس الأمر ، كجرى المقادير على العبد في ماله يغرق أو يقع في النار فيحترق أو يموت له أحد أحبابه ، أو يصاب هو في نفسه ، وهذا كله مما لا يوافق غرضه ، ولكن ينبغى أن يقابل ذلك كله بالرضا والتسليم ، وإن نزل عن هذا المقام فبالصبر ، وإن ارتفع فبالشكر ، فإن في طي ذلك نقمة (١) من الله تعالى له ، وليس وراء ما ذكرناه خير ، فإنه ما وراءه إلا الضجر والتسخط ؛ ولذلك ينبغى أن يقابل المسلم جميع ما يطرأ عليه من أولاد فاطمة رضى الله عنهم في ماله وفي أهله ، وفي عرضه وفي نفسه أن يقابله بالرضا والتسليم والصبر ، ولا يلحق بهم المذمة أصلاً ، وإن توجهت عليهم الأحكام الشرعية من إقامة الحدود المشروعة ، فذلك لا يقدح في هذا ، وإنما نمتع من إلحاق الذم بهم وسبهم ؛ إذ قد ميزهم الله تعالى عنا بما ليس لنا معهم فيه قدم ، وأما أداء الحقوق المشروعة فهذا رسول الله تعالى عنا بما ليس لنا معهم فيه قدم ، وأما أداء الحقوق المشروعة فهذا رسول الله تعالى عنا بما ليس لنا معهم فيه طالبوه بحقوقهم أداها على أحسن ما يمكن .

وقد قال رسول الله ﷺ : « لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها » فذلك حق الله تعالى .

وإنما كلامنا في حقوقكم ، وفيما لكم أن تطالبوهم به فلكم ذلك ، وليس لكم ذمهم ولا الكلام في أعراضهم ، ولا سبهم ، وإن نزلتم عن طلب حقوقكم ، وعفوتم عنهم فيما أصابوه منكم كان لكم بذلك عند الله الزُلفي ، فإن النبي على سأل منكم إلا المودة في القربي ، ومن لم يقبل سؤال نبيه فيما هو قادر عليه فبأى وجه يلقاه غداً أو يرجو شفاعته ، وهو ما أسعف نبيه فيما سأله من المودة في قرابته ، ثم إنه جاء بلفظ المودة وهي الثبوت على المحبة ، فإن من ثبت على محبته استصحب المودة في كل حال لم يؤاخذ أهل البيت فيما يطرأ منهم في حقه مما لا يوافق غرضه ، ألا ترى ما قال المحب وما ذكر المودة التي هي أتم :

وكل ما يفعل المحبوب محبوب

⁽١) لا صح أن تكون نعمة بدلاً من نقمة .

وقال الآخر :

أحب لحبها السودان حتى أحب لحبها سود الكلاب

وكانت الكلاب تناوشه ، وهو يتحبب إليها ، فهذا فعل المحب في حب من لا تسعده محبته عند الله تعالى ولا تورثه القربة عند الله تعالى ، فهل هذا إلا من صدق الحب ، وثبوت الود في النفس ، فلو أحببت الله ورسوله على أحببت أهل بيت الرسول على ورأيت كل ما يصدر منهم في حقك أنه جمال محض تتنعم به وتعلم أن لك عناية عند الله تعالى حيث ذكرك من يحبه وهم أهل بيت رسول الله عناية ، ولو ذكروك بذم وسب فتقول : الحمد لله الذي أجراني على ألسنتهم ، وتزيد الله تعالى شكراً على هذه النعمة ، فإنهم ذكروك بألسنة طاهرة قد طهرها الله تعالى بطهارة لم يبلغها علمك .

وإذا رأيناك على ضد هذه الحالة مع أهل بيت رسول الله على الذى أنت محتاج إليه، وله عليك المنة حيث هداك به ، فكيف أثق أنا بودك إذ تزعم أنك شديد الحب في والرعاية لجانبي ، وما ذاك على الحقيقة إلا من نقص إيمانك ، ومن مكر الله تعالى واستدراجه بك حيث لا تعلم ، وصورة المكر فيه أن تقول وتعتقد أنك في ذلك ذاب عن دين الله تعالى وشرعه ، وإنى ما طلبت إلا ما أباح الله تعالى لى طلبه ، ويندرج الذم في ذلك الطلب المشروع ، والبُغض والمقت، وأنت لا تشعر .

والدواء الشافى من هذا الداء العُضال(١) أنك لا ترى نفسك صاحب [حق معهم](٢)، بل تنزل عن حقك لئلا يندرج فيه ما ذكرت لك ، وما أنت من حكام المسلمين حتى تقيم فيهم حدود الله تعالى ، فلو كشف لك عن منازلهم فى الآخرة عند الله تعالى لوددت أن تكون [عبداً من عبيدهم] (٣) . والله يلهمنا رشد أنفسنا بمنه وكرمه .

قال جامع هذه النبذة (٤) : ويؤيد مقالة الشيخ محيى الدين هذه ما أخرجه

⁽١) عُضال : الشديد المعجز ، ويقال : داء عُضال لا طب له . الوجيز (٤٢٣) .

⁽٢) ساقطة من المخطوطة .

⁽٣) في بعض النسخ المخطوطة : مولى من مواليهم .

⁽٤) أي المؤلف ــ المقريزي ــ أحمد بن على .

الحاكم في مستدركه من حديث معاوية بن هشام قال : حدثنا عمر بن غياث (١) عن عاصم ، عن زرِّ بن حبيش ، عن عبد الله بن مسعود ، رضى الله عنه قال ، قال رسول الله على النار » .

وقال الحاكم : هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه .

وذكر الفقيه الحافظ محب الدين أحمد عبد الله الطبرى (٢) في كتابه « ذخائر العقبي في مناقب ذوى القربي » من حديث عمران بن حصين رضى الله عنه ، قال: قال رسول الله عليه : « سألت ربى أن لا يدخل النار أحداً من أهل بيتى فأعطانا ذلك » . أخرجه الملا في سيرته .

ومن حديث على رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ لفاطمة رضى الله عنها: يا فاطمة ، تدرين لم سميت فاطمة ؟ قال على رضى الله عنه : لم سميت ؟ قال : « إن الله عز وجل قد فطمها وذريتها من الناريوم القيامة » . أخرجه الحافظ الدمشقى .

وقد رواه الإمام على بن موسى الرضا (٣) بسنده ، ولفظه : قال رسول الله على بن موسى الرضا (٣) بسنده ، ولفظه : قال رسول الله يُظِينُهُ : « إن الله فطم ابنتى فاطمة وولداها ومن أحبهم من النار » .

وأخرج الإمام أحمد من حديث أبى سعيد قال : قال رسول الله عليه الله المنافق » . أبغض أهل البيت فهو منافق » .

وروى أبو الفرج الأصبهاني من طريق عبد الله بن عمر القواريري، حدثنا يحيى ابن سعيد ، عن سعيد بن أبان القرشي قال : دخل عبد الله بن حسن على عمر بن

⁽۱) المثبت عن المستدرك : عمرو بن عتاب. المستدرك (π / ۱۵۲) ، ميزان الاعتدال (π / ۲۱۲) . (۲) أحمد بن عبد الله بن محمد الطبرى ، أبو العباس ، محب الدين ، حافظ ، فقيه شافعى متقن، من أهل مكة مولداً ووفاة وكان شيخ الحرم فيها. الأعلام (π / ۱۵۹) ، النجوم الزاهرة (π / ۷٤) ، طبقات الشافعية (π / ۸) .

⁽٣) على بن موسى الكاظم بن جعفر الصادق ، أبو الحسن الملقب بالرضا ، ثامن الأثمة الاثنى عشر عند الإمامية ، ومن أجلاء السادة أهل البيت وفضلائهم ، ولد فى المدينة ، وكان أسود اللون ، أمه حبشية ، وأحبه المأمون العباس فعهد إليه بالخلافة من بعده وزوجه ابنته ، وغير من أجله الزى العباسى الذى هو السواد فجعله أخضر وكان هذا شعار أهل البيت . الأعلام (٥/ ٢٦) ، ابن الأثير (٦/ ١١٩) ، الطبرى (١/ ٢٥١) ، اليعقوبى (٣/ ١٨٠) ، ابن خلكان (١/ ٣٢١).

معرفة ما يجب لآل البيت النبوى من الحق على من عداهم عبد العزيز وهو حديث السن له وفرة (١)، فرفع مجلسه وأقبل عليه ، وقضى حوائجه ثم أخذ عُكُنة (٢)من عُكنة فغمزها حتى أوجعه وقال : اذكرها عندك للشفاعة، فلما خرج لامه قومه وقالوا : فعلت هذا بغلام حدث ؟ فقال : إن الثقة حدثنى حتى كأنى أسمعه من في رسول الله عليه الله عليه الما فعلت بابنها . قالوا : فما يسرها » (٣) وأنا أعلم أن فاطمة لو كانت حية لسرها ما فعلت بابنها . قالوا : فما معنى غمزك بطنه ، وقولك ما قلت ؟ قال: إنه ليس أحد من بنى هاشم إلا وله شفاعة ، فرجوت أن أكون في شفاعة هذا .

وقال تعالى : ﴿ والذين آمنوا وأتبعناهم ذريتهم بإيمان ألحقنا بهم ذرياتهم وما ألتناهم من عملهم من شيء ﴾ (٤).

قرأ ابن كثير ، وعاصم ، وحمزة ، والكسائى ، وعبد الله بن مسعود ، وعبد الله بن مسعود ، وعبد الله بن عباس ،ومجاهد ، وطلحة ، والحسن ،وقتادة ، وأهل مكة: ﴿واتبعتهم﴾ بالتاء ﴿ ذريتهم بإيمان ألحقنا بهم ذريتهم ﴾ على الإفراد .

وقرأ نافع ، وأبو جعفر ، وابن مسعود بخلاف عنه ، وأبو عمرو بخلاف عنه، وشيبة ، والجحدرى ، وعيسى ﴿واتبعتهم﴾ بالتاء ﴿ ذريتهم ﴾ ﴿ ألحقنا بهم ذرياتهم﴾ على إفراد في الأولى وجمع في الثانية .

روى خارجة عنه مثل قراءة حمزة . وقرأ ابن عامر وابن عباس وعكرمة وسعيد ابن جبير ، والضحاك ﴿واتبعتهم﴾ بالتاء ﴿ ذرياتهم بإيمان ألحقنا بهم ذرياتهم﴾ جمعاً في الموضعين .

وقرأ أبو عمرو والأعرج وأبو رجاء والشعبى وابن جبير والضحاك: ﴿وأتبعناهم﴾ بالنون ﴿ ذرياتهم ﴾ ﴿ بهم ﴾ جمعاً في الموضعين ، فكون الذرية جمعاً في نفسه حسن الإفراد في هذه القراءات ، وكون المعنى يقتضى انتشاراً وكثرة حسن جمع الذرية في قراءة من قرأ : ﴿ ذرياتهم ﴾ . و﴿ الذين آمنوا ﴾ مبتدأ و﴿أتبعناهم﴾ خبره، و﴿اتبعتهم﴾ فعل متعد إلى مفعول، و﴿أتبعناهم﴾ متعدى بالهمزة إلى مفعولين ،

⁽١) الوفرة : الكثرة . والشعر المجمع على الرأس . الوجيز (٦٧٦) .

⁽٢) العُكْنَة : ما انْطُوى وتثنى من لحم البطن سمناً . مصدر سابق (٤٣٠).

⁽٣) مسند الإمام أحمد (٤/ ٣٢٣).

⁽٤) الطور : ٢١ .

وقوله ﷺ : « وأتبعه ستاً من شوال » .

وقوله : « وأتبع السيئة الحسنة تمحها » .

وقوله: ﴿ وأتبع أهل القليب لعنة ﴾ (١) في جميع هذه آخر الذي كان فاعلاً ولم يقدم على قياس قوله تعالى: ﴿ وَلَنُسْكِنَنَّكُمُ الأَرْضَ ﴾ (٢).

وقوله : ﴿ وَأُوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضْعَفُونَ مَشَارِقَ الأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا ﴾ (٣) ونحو ذلك .

والظاهر أنه يجوز العكس في الموضعين بأن يقول : « أتبعت الذرية أباهم » و «أسكنت الأرض إياكم » .

ولعل اختيار العكس للبدأة بالأهم ، وإنما عُرف هذا بالقرينة ، ولو قلت : «أتبعت زيداً عمراً ، وأورثت سالماً غانماً ، احتمل » ، والحمل على ما ورد من نظائرها يقتضى أن عمراً تابع وسالماً وارث .

وقوله : « بإيمان » متعلق بـ « أتبعنا » .

وقال الزمخشرى: متعلق بـ « ألحقنا » وهل هو إيمان الذرية فيراد بهم الكبار البالغون، أو إيمان الآباء فيراد بهم الصغار ؟ فيه خلاف ، والصحيح أنه يراد بهم الصغار . وعلى هذا فالتنكير في الإيمان يراد به التعظيم تنبيهاً على أنه إيمان خالص عظيم المنزلة ، وعلى الأول يكون التنكير للتقليل كأنه قال : شيء من الإيمان لا يوصلهم لدرجة الآباء أتبعناهم آباءهم .

وهل التبع في الدخول أو في رفع الدرجة ؟

قال أبو على الفارسى : إن حُملت الذرية على الصغار كان قوله : « بإيمان » في موضع النصب على الحال من المفعول ، أى اتبعتهم بإيمان من الآباء ذريتهم . يعنى على قراءة الجمهور ، وكلا القولين مروى عن ابن عباس رضى الله عنه .

وقال الواحدي : والوجه أن تُحمل الذرية على الصغير والكبير ؛ لأن الكبير

⁽١) مسند أحمد (١ / ٣٠٤) والقليب هي البئر .

⁽٢) إبراهيم : ١٤ . (٣) الأعراف : ١٣٧ .

معرفة ما يجب لآل البيت النبوى من الحق على من عداهم _______ 199 يتبع الأب بإيمان الأب، والذرية تقع على الصغير والكبر .

وقد اختلف الناس في معنى الآية على ثلاثة أقوال :

أحدها: قال ابن عباس رضى الله عنهما ، وابن جبير ، والجمهور: أخبر الله تعالى أن المؤمنين الذين تتبعهم ذريتهم فى الإيمان ، فيكونون مؤمنين كآبائهم ، وإن لم يكونوا فى التقوى والأعمال كالآباء ، فإنه يلحق الأبناء بمراتب أولئك الآباء كرامة للآباء .

وقد ورد في هذا المعنى حديث عن النبي ﷺ فجعلوا الحديث تفسير الآية ، وهو ما رواه جبارة بن المغلس ،حدثنا قيس عن عمرو بن مرة ،عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : إن الله ليرفع ذرية المؤمن إليه في درجته ، وإن كانوا دونه في العمل لتقر بهم عينه ، ثم قرأ ﴿والذين آمنوا وأتبعناهم ذرياتهم بإيمان ألحقنا بهم ذرياتهم وما ألتناهم من عملهم من شيء . قال : ما أنقصنا الآباء بما أعطيناه البنين .

قال ابن عطية : وكذلك وردت أحاديث تقتضى أن الله تعالى رحم الآباء رعياً للأبناء الصالحين .

ثانيها: قال ابن عباس رضى الله عنهما أيضاً والضحاك: معنى هذه الآية أن الله تعالى ألحق الأبناء الصغار بأحكام الآباء المؤمنين، يعنى الموارثة والدفن فى قبور المسلمين وفى أحكام الآخرة، وفى الجنة، ومعنى هذا القول أن أولادهم الكبار تبعوهم بإيمان منهم، وأولادهم الصغار تبعوهم بإيمان الآباء، لأن الولد يُحكم له بالإسلام تبعاً لوالديه، فيكون معنى الآية على هذا.

﴿ واتبعتهم ذرياتهم بإيمان ﴾ ، أى إن بلغت أن آمنت ألحقنا بهم ذريتهم الصغار الذين لم يبلغوا الإيمان .

ثالثها : ذهب بعض الناس إلى إخراج هذا المعنى من هذه الآية ، وذلك لا يترتب إلا بأن يجعل اسم الذرية بمثابة نوعهم على نحو ما هو في قوله تعالى : ﴿أَنَّا حُمَلْنَا ذُرِّيَّتُهُمْ فِي الْفُلْكِ الْمَشْحُون ﴾ (١)

⁽۱) يس : ٤١ .

وقال الكلبى عن ابن عباس رضى الله عنه : إن كان الآباء أرفع درجة من الأبناء رفع الله تعالى الأبناء إلى درجة الآباء ، وإن كان الأبناء أرفع درجة من الآباء رفع الله الآباء إلى درجة الأبناء .

وهذا القول اختيار الفراء . والآباء على هذا القول داخلون في اسم الذرية ، ويجوز ذلك كما قيل في قوله تعالى: ﴿ وَآيَةٌ لَّهُمْ أَنَّا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ فِي الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ ﴾ .

قال ابن عطية : وفي هذا نظر .

وحكى أبو. حاتم عن الحسن أنه قال: الآية في الكبار من الذرية ، وليس فيها من الصغار شيء .

وقال القاضي منذر بن سعيد البلوطي : هي في الصغار لا في الكبار .

وحكى الإمام أبو جعفر محمد بن جرير الطبرى قولاً معناه : أن الضمير في قوله : ﴿ بهم ﴾ عائد على الذرية ، والضمير الذي بعده في ﴿ ذرياتهم ﴾ عائد على «الذين آمنوا » أي اتبعتهم الكبار ، وألحقنا نحن بالكبار الصغار .

قال ابن عطية : وهذا قول مستنكر .

وعن ابن عباس رضى الله عنهما أيضاً أنه فَسّر الذين آمنوا: بالمهاجرين والأنصار، والذرية: بالتابعين.

قال ابن عطية : وأرجح الأقوال في هذه الآية القول الأول بمعنى أن الصغار والكبار المقصرين يلحقون بالآباء ؛ لأن الآيات كلها في صفة إحسان الله تعالى إلى أهل الجنة ، فذكر من جملة إحسانه أنه يرعى المحسن في المسيء ، ولفظه « ألحقنا » تقتضى أن للملحق بعض التقصير في الأعمال .

قال جامعه: خرَّج الحاكم من حديث عبد الرزاق، عن سفيان الثورى، عن عمرو بن مرة، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس رضى الله عنهما فى قوله تعالى: ﴿أَلَحْقنا بهم ذرياتهم ﴾ قال: إن الله عز وجل يرفع ذرية المؤمن معه فى درجته فى الجنة، وإن كانوا دونه فى العمل، ثم قرأ: ﴿ والذين آمنوا وأتبعناهم ذرياتهم بإيمان ألحقنا بهم ذرياتهم وما ألتناهم من عملهم ﴾.

يقول : وما أنقصناهم ^(١) .

⁽١) المستدرك : تفسير سورة الطور (٢ / ٢٦٨) .

وروى شريك عن سالم ، عن سعيد بن جبير قال: يدخل الرجل الجنة فيقول: أين أبى ؟ أين أمى ؟ أين ولدى ؟ أين زوجى ؟ فيقال له : لم يعملوا مثل عملك . فيقول : كنت أعمل لى ولهم ، فيقال لهم : ادخلوا الجنة . ثم قرأ : ﴿جَنَّاتُ عَدْنِ يَدْخُلُونَهَا وَمَن صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرَيَّاتِهِمْ ﴾(١).

قال جامعه : فإذا أكرم الله تعالى المؤمن لإيمانه ، فجعل ذريته الذين لم يستحقوا درجته معه في الجنة لتقصيرهم ، فالمصطفى ﷺ أكرم على ربه تبارك وتعالى من أن يُهين ذريته بإدخالهم النار في الآخرة ، وهو عز وجل يقول : ﴿ إِنَّكَ مَن تُدْخِلِ النَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتُهُ ﴾(٢) .

بل من كمال شرفه ﷺ ورفيع قدره ، وعظيم منزلته عند الله عز وجل ، أن يقر الله سبحانه وتعالى عينه بالعفو عن جرائم ذريته ، والتجاوز عن معاصيهم ، ومغفرة ذنوبهم ، وأن يدخلهم الجنة من غير عذاب جهنم .

وقال تعالى : ﴿ وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنزٌ لَهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا ﴾ (٣) .

قال سفيان عن مسْعَر عن عبد الملك عن ميسرة عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس رضى الله عنهمًا في قوله : ﴿ وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا ﴾ قال : حفظاً لصلاح أبيهما، وما ذكر عنهما صلاحاً .

قال الحاكم: صحيح على شرط الشيخين (٤)، وكان السابع من آبائهما. قال جامعه: فإذا صح أن الله سبحانه قد حفظ غلامين لصلاح أبيهما فيكون قد حفظ الأعقاب برعاية الأسلاف وإن طالت الأحقاب (٥).

ومن ذلك ما جاء فى الأثر أن حمام الحرم من حمامتين عَشَّشتا على فم الغار الذى اختفى فيه رسول الله ﷺ؛ فلذلك حُرِّم حمام الحرم. وإذا كان كذلك فمحمد ﷺ أحرى وأولى وأحق ، وأجدر أن يحفظ الله ذريته ، فإنه إمام الصلحاء،

⁽١) الرعد : ٢٣ .

⁽٢) آل عمران : ١٩٢ .

⁽٣) الكهف : ٨٢ .

⁽٤) المستدرك / تفسير سورة الكهف ٢ / ٣٦٩ .

⁽٥) (الحُقْب ــ والحُقُب) المدة الطويلة من الدهر (ج) أحقاب . الوجيز (١٦٢) .

وما أصلح الله فساد خلقه إلا به . ومن جملة حفظ الله تعالى لأولاد فاطمة عليها السلام أن لا يدخلهم الناريوم القيامة .

وقد خرج أبو داود الطيالسى ، حدثنا عمرو بن ثابت ، حدثنا عبد الله بن محمد بن عقيل ، عن حمزة بن أبى سعيد الخدرى عن أبيه قال : خطب رسول الله عنال :

« ما بال أقوام يزعمون أن رحمى لا تنفع ، والذى نفسى بيده إن رحمى لم وصلة فى الدنيا والآخرة وإنى فرطكم(١) على الحوض ، أيها الناس ألا وسيجىء قوم يوم القيامة، فيقول القائل منهم : يا رسول الله ، أنا فلان بن فلان ، فأقول : أما النسب فقد عرفت ، ولكنكم ارتددتم بعدى ، ورجعتم القهقرى » (٢) .

ورواه شُريك عن عبد الله بن محمد بن عقيل ، عن سعيد بن المسيب وحمزة ابن أبى سعيد ، عن أبى سعيد الخدرى ، عن النبى ﷺ فذكره ، قيل لشريك : يا أبا عبد الله ، علام حملتم هذا الحديث ؟ قال : عن أهل الردة .

ورواه قتيبة وعبد الرحمن بن شريك عن شريك .

وقال تعالى : ﴿ جَنَّاتُ عَدْن مِدْخُلُونَهَا وَمَن صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِيَّاتِهِمْ ﴾ (٣) قال أبو جعفر الطبرى :

يقول الله تعالى: جنات عدن يدخلها هؤلاء الذين وصف صفتهم ، وهم الذين يوفون بعهد الله ، ويصلون ما أمر الله به أن يوصل ، ويخشون ربهم، والذين صبروا ابتغاء وجه ربهم ، وأقاموا الصلاة ، وفعلوا الأفعال التى ذكرها الله تعالى فى هذه الآيات الثلاث ، ومن صلح من آبائهم وأزواجهم ، وهم نساؤهم وأهلوهم ، وذرياتهم، وصلاحهم: إيمانهم بالله تعالى ، واتباعهم أمره ، وأمر رسوله عليه .

ثم ذكر عن مجاهد : ﴿ وَمَن صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ ﴾ من آمن في الدنيا .

⁽١) أي متقدم عليكم .

⁽۲) منحة المعبود ـ مسند الطيالسي ، كتاب الكبائر ، باب الترهيب من احتقار الذنوب الصغيرة (۲ / ١٤) . رواه أحمد في مسنده (۳ / ۱۸).

⁽٣) الرعد : ٢٣ .

معرفة ما يجب لآل البيت النبوى من الحق على من عداهم __________ ٢٠٣

وقال الإمام أبو الحسن على بن أحمد الواحدى (١): « ومن صلح » موضع «من» رفع عطف على الواو في « يدخلونها » .

وقال أبو إسحاق: وجائز أن يكون نصباً كما تقول : « دخلوا وزيداً » أى مع يد .

وقال ابن عباس رضى الله عنهما : « ومن صلح من آبائهم » يريد من صدق بما صدقوا به ، وإن لم يعمل مثل أعمالهم .

وقال أبو إسحاق : اعلم أن الأنساب لا تنفع بغير أعمال صالحة . فعلى قول ابن عباس، رضى الله عنهما : معنى صلح : صدق ، وآمن ، ووحد ، وعلى ما ذكره أبو إسحاق معناه : صلح في عمله .

والصحيح ما قال ابن عباس ، رضى الله عنهما ؛ لأن الله تعالى جعل من ثواب المطيع سروره بما يراه فى أهله حيث بشره بدخول الجنة مع هؤلاء ، فدل على أنهم يدخلونها كرامة للمطيع العامل ، ولا فائدة للتبشير والوعد إلا بهذا ؛ إذ كل مصلح فى عمله قد وعد دخول الجنة .

وقال القرطبى : « ومن صلح من آبائهم » يجوز أن يكون معطوفاً على «أولئك» والمعنى : أولئك ومن صلح من آبائهم وأزواجهم ، وذرياتهم لهم عقبى الدار .

ويجوز أن يكون معطوفاً على الضمير المرفوع في : « يدخلونها » وحسن العطف لما حال الضمير المنصوب بينهما ، ويجوز أن يكون المعنى : يدخلونها فيدخلها من صلح من آبائهم أى من كان صالحاً ، لا يدخلونها بالأنساب ، ويجوز أن يكون موضع « مَنْ » نصباً على تقدير : يدخلونها مع من صلح من آبائهم ، أى : وإن لم يعملوا مثل أعمالهم يلحقهم الله تعالى بهم كرامة لهم .

وقال ابن عباس ، رضى الله عنهما : هذا الصلاح : الإيمان بالله والرسول ، ولو كان لهم مع الإيمان طاعات أخرى لدخلوها بطاعتهم لا على وجه التبعية .

⁽۱) على بن أحمد بن محمد بن على بن متّويه ، أبو الحسن الواحدى ، مفسر عالم بالأدب ، نعته الذهبى بإمام علماء التأويل ، كان من أولاد التجار ، أصله من ساوة بين الرى وهمذان ، ومولده ووفاته بنيسابور ، من مؤلفاته : أسباب النزول ، وشرح أسماء الله الحسنى . الأعلام (٤ / ٥٠٥) ، النجوم الزاهرة (٥ / ١٠٤) ، الوفيات (١ / ٣٣٣) ، السبكى (٣ / ٢٨٩).

قال القشيرى : وفى هذا نظر ؛ لأنه لابد من الإيمان فالقول فى اشتراط العمل الصالح كالقول فى اشتراط الإيمان ، فالأظهر أن هذا الصلاح فى جملة الأعمال ، والمعنى أن النعمة غداً تتم عليهم بأن جعلهم مجتمعين مع قراباتهم فى الجنة وإن كان لا يدخلها كل إنسان بعمل نفسه ، بل برحمة الله تعالى .

قال جامعه : فإذا جاز أن يكرم الله تعالى عباده المؤمنين بالذين عملوا بطاعته ، ونهوا أنفسهم عن مخالفته بأن يدخل معهم الجنة من أهاليهم وذوى قراباتهم مَنْ كان مؤمنا قد قصر في عبادة ربه ، وخالف بعض ما نهى عنه بطريق التبعية لهم ، لا أنهم قد استحقوا تلك المنازل بما أسلفوا من الطاعات في أيام الحياة الدنيا ، فرسول الله عَلَي الله عَلَي الله عَلَي عُصاة ذريته الجنة تبعاً له ، ويرضى عنهم أخصامهم.

وقال تعالى : ﴿ قُل لا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلاَّ الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَيٰ ﴾ (١) .

قال الطبرى: يقول الله تعالى لنبيه ﷺ: قل يا محمد للذين يمارونك فى الساعة من مشركى قومك: قل لا أسألكم أيها القوم على دعايتكم إلى ما أدعوكم إليه من الحق الذى جئتكم به، والنصيحة التى أنصحكم، ثوابًا وجزاء وعوضاً من أموالكم تطعونيه إلا المودة فى القربى، فاختلف أهل التأويل ما يعنى بقوله: ﴿ إِلاَ الْمَودَةَ فِى الْقُرْبَىٰ ﴾ فقال بعضهم: معناه: إلا أن تودونى فى قرابتى منكم وتصلوا رحمى بينى وبينكم.

ثم ذكر من طريق الشعبى عن ابن عباس ، رضى الله عنهما قال : لم يكن بطن من بطون قريش إلا وبين رسول الله ﷺ وبينهم قرابة ، فقال : قل لا أسألكم عليه أجراً إلا أن تودوني في القرابة التي بيني وبينكم .

وعن طاوس فى قوله : ﴿ قُل لا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلا الْمَوَدَّةَ فِى الْقُرْبَىٰ ﴾ فقال: سئل عنها ابن عباس رضى الله عنهما فقال سعيد بن جبير : هى قربى آل محمد ، فقال : عَجِل أبو عبد الله ، إن رسول الله ﷺ لم يكن بطن من بطون قريش إلا وله فيه قرابة قال : فنزلت : ﴿ قُل لا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ ﴾ . قال :

⁽١) الشورى : ٢٣ .

⁽٢) تفسير الطبرى ٢٥ / ٢٢ / ٢٦.

إلا القرابة التي بيني وبينكم أن تصلوها (١).

وفى رواية عن ابن عباس ، رضى الله عنهما قال : كان لرسول الله ﷺ قرابة فى جميع قريش ، فلما كذبوه وأبوا أن يتابعوه قال : يا قوم إن أبيتم أن تتابعونى فاحفظوا قرابتى فيكم ، لا يكن غيركم من العرب أولى أن يحفظنى وينصرنى منكم.

وفى رواية عن ابن عباس ، رضى الله عنهما ، يعنى محمداً ﷺ قال لقريش : لا أسألكم من أموالكم شيئاً ولكن لا تؤذونى لقرابة بينى وبينكم ، فإنكم قومى وأحق من أطاعنى ، وأجابني .

وعن عكرمة رضى الله عنه ، أن النبى ﷺ كان واسطاً في قريش ، وكان له في كل بطن من قريش نسب فقال : لا أسألكم عليه أجراً على ما أدعوكم إليه إلا أن تحفظوني في قرابتي .

وعن أبى مالك : كان رسول الله ﷺ من بنى هاشم ، وأمه من بنى زهرة ، وأم أبيه من بنى رهرة ، وأم أبيه من بنى مخزوم ، فقال : « احفظونى فى قرابتى » .

وعن عكرمة قال : « تعرفون قرابتي وتصدقوني فيما جئت به وتمنعوني » .

وعن قتادة : أن الله أمر محمداً ﷺ أن لا يسأل الناس على هذا القرآن أجراً إلا أن يصلوا ما بينه وبينهم من القرابة ، وكل بطون قريش قد ولدته ، وبينه وبينهم قرابة .

وعن مجاهد قوله: ﴿ إِلاَّ الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ ﴾ أن يتبعوني ويصدقوني ويصلوا رحمي.

وعن السُدِّى قال: لم يكن بطن من بطون قريش إلا لرسول ﷺ فيهم ولادة ، فقال : قل لا أسألكم عليه أجراً إلا أن تودوني لقرابتي منكم .

وعن الضحاك فى قوله : ﴿ إِلاَّ الْمَوَدَّةَ فِى الْقُرْبَىٰ ﴾ يعنى قريشاً ، يقول : إنما أنا رجل منكم فأعينونى على عدوى ، واحفظوا قرابتى ، وإن الذى جئتكم به لا أسألكم عليه أجراً إلا المودة فى القربى أن تودونى لقرابتى وتعينونى على عدوى .

وعن أبى زيد يقول: إلا أن تودونى لقرابتى كما توادونى فى قرابتكم وتواصلون بها، ليس هذا الذى جئت به يقطع ذلك عنى ، فلست أبتغى على الذى (١) البخارى – كتاب التفسير (٦/ ١٠٧).

٢٠٦ ــــــمعرفة ما يجب لآل البيت النبوى من الحق على من عداهم

جئت به أجرًا آخذه على ذلك منكم .

وعن قتادة قال : كل قريش قد كانت بينهم وبين رسول الله ﷺ قرابة ، فقال : قل لا أسألكم عليه أجراً إلا أن تودوني بالقرابة التي بيني وبينكم .

وعن عطاء بن دينار يقول : لا أسألكم على ما جئتكم به أجراً إلا أن تودوني في قرابتي منكم وتمنعوني من الناس .

وقال آخرون : بل معنى ذلك : قل لمن اتبعك من المؤمنين لا أسألكم على ما جئتكم به أجراً إلا أن تودوا قرابتي .

ثم ذكر عن السُدِّى عن أبى الديلم قال : لما جىء بعلى بن الحسين أسيراً ، وأقيم على درج (١) دمشق ، قام رجل من أهل الشام فقال : الحمد لله الذى قتلكم واستأصلكم ، وقطع قرن الفتنة . فقال له على : أقرأت القرآن ؟ قال : نعم . قال : قرأت : « آل حم »؟ قال : قرأت القرآن ولم اقرأ « آل حم». قال : ما قرأت ﴿ قُل لا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِلا الْمَودَةَ فِي الْقُرْبَىٰ ﴾ ؟ قال : فإنكم لإياهم ؟ قال : نعم .

وعن مقسم عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : قالت الأنصار : فعلنا وفعلنا ، فكأنهم فخروا ، فقال ابن عباس _ أو العباس : لنا الفضل عليكم . فبلغ ذلك رسول الله عليه فأتاهم فى مجالسهم فقال : يا معشر الأنصار ألم تكونوا أذلاء فأعزكم الله بى ؟ قالوا: بلى يا رسول الله . قال : ألم تكونوا ضلالا فهداكم الله بى ؟ قالوا : بلى يا رسول الله . قال : أفلا تجيبونى ؟ قالوا : ما نقول يا رسول الله ؟ قال : ألا تقولون : أولم يخرجك قومك فآويناك ؟ أولم يكذبوك فصدقناك؟ أو لم يخذلوك فنصرناك ؟ قال : فما زال يقول حتى جثوا على الركب ، وقالوا : أموالنا ، وما فى أيدينا لله ولرسوله . قال : فنزلت : ﴿ قُلُ لا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إلا المَودَةَ فى الْقُرْبَىٰ ﴾ .

وعن أبى العالية عن سعيد بن جبير : ﴿ إِلاَّ الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ ﴾ قال : هي قربي رسول الله ﷺ .

وعن أبى إسحاق : سألت عمرو بن شعيب ، عن قول الله تعالى : ﴿ قُل لاَّ أَسْأَلُكُمْ عَلَيْه أَجْرًا إِلاَّ الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَيْ ﴾ قال : قربي النبي ﷺ .

⁽١) الدرج : الطريق . ويقال : رجع فلان درجه وأدراجه ورجع من حيث جاء . الوجيز (٢٢٤).

وقال آخرون : بل معنى ذلك : قل لا أسألكم أيها الناس على ما جئتكم به أجراً إلا أن توددوا إلى الله ، وتتقربوا إليه بالعمل الصالح والطاعة .

ثم ذكر من طريق قزيمة بن سويد عن ابن أبى نجيح عن مجاهد ، عن ابن عباس رضى الله عنهما ، عن النبى على قال : « قل لا أسألكم على ما جئتكم به من البينات والهدى أجراً إلا أن تودوا الله وتتقربوا إليه بطاعته » .

وعن الحسن : ﴿ إِلاَّ الْمُودَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ ﴾ قال : القربي إلى الله . وفي رواية : إلا التقرب إلى الله تعالى ، والتودد إليه بالعمل الصالح . وفي رواية : قل لا أسألكم على ما جئتكم به أجراً إلا المودة في القربي : إلا أن توددوا إلى الله تعالى عمل بطاعته .

وعن قتادة : عن الحسن ، بنحوه . وقال آخرون : بل معنى ذلك : إلا أن تصلوا قرابتكم .

ثم ذكر عن عبد الله بن القاسم في قوله : ﴿ إِلاَّ الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ ﴾ قال : أمرت أن تصل قرابتك .

قال الطبرى: وأولى الأقوال فى ذلك بالصواب ، وأشبهها بظاهر التنزيل قول من قال: معناه: قل لا أسئلكم عليه أجراً يا معشر قريش إلا أن تودونى فى قرابتى منكم ، وتصلوا الرحم التى بينى وبينكم ثم استدل لذلك .

وقال ابن عطية (١): اختلف الناس في معناه _ يعنى قوله تعالى : ﴿ قُل لاً أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلاَّ الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ ﴾ فقال ابن عباس ، رضى الله عنهما ، وغيره : هي آية مكية نزلت في صدر الإسلام ، ومعناها : استكفاف(٢) شر الكفار ، ودفع أذاهم ، أي إنى ما أسألكم على القرآن والدين ، والدعاء إلى الله تعالى إلا أن تودوني لقرابة هي بيني وبينكم فتكفوا عنى أذاكم .

قال ابن عباس ، وابن إسحاق ، وقتادة : لم يكن في قريش بطن إلا ولرسول الله ﷺ فيهم نسب أو صهر ، والآية على هذا هي استعطاف ، ودفع أذى وطلب سلامة منهم ، وذلك كله منسوخ بآية السيف ، ويحتمل على هذا التأويل أن يكون

⁽١) تفسير ابن عطية « المحرر الوجيز » ٩٨ ، ٩٩ .

⁽٢) استكف : فلانا عن الشيء : طلب منه أن يكف عنه .

٢٠٨ ----- معرفة ما يجب لآل البيت النبوى من الحق على من عداهم

معنى الكلام استدعاء نصرهم أى لا أسألكم غرامة ولا شيئا إلا أن تودونى لقرابتى منكم ، وأن تكونوا أولى بى من غيركم .

وقال مجاهد : المعنى إلا أن تصلوا رحمى باتباعى .

وقال ابن عباس أيضا مايقتضى أنها مدنية ، وسببها : أن قوماً من شباب الأنصار فاخروا المهاجرين وطالوا بالقول على قريش ، فنزلت الآية في ذلك على معنى : إلا أن تودوني فتراعوني في قرابتي وتحفظوني فيهم .

وقال بهذا المعنى فى هذه الآية : على بن الحسين رضى الله عنهما ، واستشهد بهذه الآية حين سيق إلى الشام أسيراً. وهو تأويل سعيد بن جبير وعمرو بن شعيب، وعلى هذا التأويل قال ابن عباس رضى الله عنهما ، قيل : يا رسول الله ، من قرابتك الذين أمرنا بمودتهم ؟ فقال : « على وفاطمة وابناهما » .

وقيل: هم ولد عبد المطلب . قال ابن عطية : وقريش كلها عندى قُربى وإن كانت تتفاضل .

وقد روى عن النبى ﷺ أنه قال : « من مات على حب آل محمد مات شهيداً، ومن مات على بغضهم لم يشم رائحة الجنة » .

وقال ابن عباس أيضا _ في كتاب الثعلبي : سبب نزول هذه الآية أن الأنصار جمعت لرسول الله ﷺ مالا وساقته إليه فرده عليهم ، ونزلت الآية في ذلك .

وقال ابن عباس أيضاً : معنى الآية : قربى الطاعة ، والتزلف إلى الله تعالى كأنه قال : إلا أن تودوني لأنى أقربكم من الله ، وأريد هدايتكم وأدعوكم إليها .

وقال الحسن بن أبي الحسن: معناه: إلا أن تتوددوا إلى الله تعالى بالتقرب إليه .

وقال عبد الله بن القاسم في كتاب الطبرى : معنى الآية إلا أن تتوددوا بعضكم إلى بعض ، وتصلوا قراباتكم ، فالآية على هذا أمر بصلة الأرحام .

وذكر النقاش عن ابن عباس ، ومقاتل والكلبي والسدى : أن الآية منسوخة بقوله تعالى في سورة سبأ : ﴿ قُلْ مَا سَأَلْتُكُم مِّنْ أَجْرِ فَهُوَ لَكُم ﴾ (١) .

والصواب أنها مُحكمة ، وعلى كل قول فالاستثناء منقطع ، و ﴿إلا ۗ بمعنى لكن ، والله أعلم.

⁽١) سبأ : ٤٧ .

قال جامعه: ويظهر لى أن الخطاب فى الآية عام لجميع مَنْ آمن ، وذلك أن العرب بأسرها قوم رسول الله على الذين هو منهم ، فيتعين على من سواهم من العجم أن يوادوهم ، ويحبوهم . وقد ورد فى الأمر بحب العرب أحاديث ، وأن قريشاً أقرب إلى رسول الله على من اليمن كلهم ، فإنهم كلهم أبناء إسماعيل بن إبراهيم عليهما الصلاة والسلام ، فعلى كل يمانى من العرب أن يود قريشاً ويحبهم من أجل أنهم قوم رسول الله على وبنو أبيه إبراهيم خليل الرحمن عليه السلام .

وقد وردت أحاديث فى تفضيل قريش وفى تقديمها على غيرها وأن بنى هاشم رهط رسول الله عليه وأسرته ، فيجب ويتعين على من عداهم من قريش محبتهم ومودتهم ، وأن علياً وفاطمة وحسناً وحسيناً وذريتهما أقرب العرب من رسول الله عليه ، فتتأكد مودتهم ، ويجب على بنى هاشم ، بل وجميع قريش إكرامهم لما يجب من أكيد مودتهم ويتعين من فضائلهم ، وفوق كل ذى علم عليم .

وقال الطوفى: اختلف فى القربى فقيل: هى قربى كل مكلف أوصى بمودتها فهى كالوصية بصلة الرحم، وقيل: هى قربى النبى على ثم اختلف فيها فقيل: هى جميع بطون قريش كما فسره ابن عباس رضى الله عنهما فيما رواه البخارى وغيره. وقيل: هى قرابة الأدنين، وهم أهل بيته: على وفاطمة وولداهما أوصى بمودتهم، وعند هذا استطالت الشيعة وزعموا أن الصحابة رضى الله عنهم خالفوا هذا الأمر، ونكثوا هذا العهد بأذاهم أهل البيت بعد النبى على ما لا يجوز الأجر على ما لا يجوز الأجر عليه.

وإلى هذه الآية أشار الكميت بن زيد الأسدى (١) وكان شيعياً حيث يقول : وجدنا لكم في آل حم آية تأوّلها منا تقى ومُعرب (٢)

أى المجاهر ، ومن يحب التقية جميعاً ، فتأولناها جميعاً على أنكم المراد بها .

وأجاب الجمهور بمنع أن القربى فيها من ذكرتم ، ثم يمنع أن أحداً من الصحابة رضى الله عنهم ، آذاهم أو نكث العهد فيهم .

⁽١) انظر ترجمته في كتاب الأغاني للأصفهاني (١٥ / ٢٦٠) .

⁽٢) البيت من قصيدته التي يمدح بها آل البيت وأولها :

طربت وما شوقا إلى البيض أطرب

حدثنى الشيخ الفقيه الحنفى الصوفى جمال الدين أبو المحاسن محمد بن إبراهيم بن أحمد المرشدى المكى ، حرّمه الله بالمحرم الشريف تجاه الكعبة المعظمة قال : أخبرنى الإمام العلامة مفتى المسلمين زين الدين عبد الرحمن الحلال البغدادى، وقد جاور بمكة _ شرفها الله تعالى _ أن بعض أمراء تيمورلنك أخبره أنه لما مرض تيمورلنك مرض الموت اضطرب ذات يوم اضطراباً كثيراً واسود وجهه وتغير لونه ثم أفاق ، فذكروا له ذلك فقال : إن ملائكة العذاب أتته ، فجاء رسول الله على فقال لهم : اذهبوا عنه ، فإنه كان يحب ذريتى ويُحسن إليهم ، فذهبوا .

وقد حدثنى بهذا الخبر عن الخلال أيضاً تلميذه الفاضل شرف الدين أحمد بن إسماعيل بن عثمان الشهرزورى الكورانى الشافعى والشيخ جمال الدين المرشدى ، والشيخ زين الدين الحلال .

وللشيخ شرف الدين الكورانى عندى ترجمة فى كتاب « درر العقود الفريدة فى تراجم الأعيان المفيدة » وكتب إلى المحدث الفاضل أبو حفص بن محمد الهاشمى ، وشافهنى به غير مرة قال: أخبرنى الشيخ شمس الدين محمد بن حسن الخالدى قال: رأى بعض أصحابنا النبى عليه فى المنام ورأى عنده تيمورلنك فقال له: وصلت إلى هنا يا عدو ؟ فقال له النبى عليه : « إليك يا محمد فإنه كان يحب ذريتى » .

وحدثنى الشيخ الفاضل يعقوب بن يوسف بن على بن محمد القرشى المكناسى قال : أخبرنى أبو عبد الله محمد الفاسى قال : كنت أبغض بنى حسين أشراف المدينة المنورة لما كان يظهر لى من تعصبهم على أهل السنة بالمدينة وتظاهرهم بالبدع مدة مجاورتى بالمدينة ، فنمت مرة بالنهار بالمسجد النبوى تجاه القبر المقدس ، فرأيت رسول الله على وهو يقول لى : يا فلان ، ما لى أراك تُبغض أولادى ؟ فقلت : حاشا لله يا رسول الله ، ما أكرههم ، وإنما كرهت منهم ما رأيت من تعصبهم على أهل السنة . فقال لى مسألة فقهية : أليس الولد العاق يلحق بالنسب ؟ فقلت : بلى أرسول الله . فقال : هذا ولد عاق ، فانتبهت وقد زال بغضى لهم وصرت لا ألقى أحداً من بنى حسين أشراف المدينة إلا بالغت فى إكرامه ولله الحمد والمنة .

وقد ذكرت المذكور في كتاب « درر العقود » ونعم الرجل هو .

وحدثنى قاضى القضاة عز الدين عبد العزيز بن عبد العزيز بن عبد المحمود البكرى البغدادى الحنبلى قال: رأيت في المنام كأنى بمسجد رسول الله ﷺ ، وقد

انفتح القبر المقدس وخرج منه رسول الله عليه وجلس وعليه أكفانه وأشار بيده المقدسة أن تعال ، فقمت وجئت حتى دنوت منه ، فقال لى : قل للمؤيد يفرج عن عجلان ، فانتبهت وصعدت على عادتى إلى مجلس السلطان المؤيد شيخ ، وأخذت أحلف له إيماناً حرجة أنى ما رأيت عجلان قط ، ولا بينى وبينه معرفة ثم قصيت عليه رؤياى ، فسكت وقمنا حتى انفض المجلس ، فقام وخرج من مجلسه إلى دركاه القلعة (۱) ووقف عند مرماه نُشّاب استجدها ، ثم استدعى الشريف عجلان من سجنه وأفرج عنه .

ولما حدثني القاضي عز الدين بهذا الخبر أقسم بالله أني ما كنت قبل رؤياي هذه أعرف الشريف عجلان بل ولا رأيته قط . قلت : عجلان هذا هو الشريف عز الدين عجلان بن تعير بن منصور بن جماز بن شيخة بن هاشم بن قاسم بن مهنا ابن حسين بن مهنا بن داود بن قاسم بن عبد الله بن طاهر بن يحيى بن الحسين بن جعفر بن عبد الله بن الحسين بن على بن حسين بن على بن أبى طالب رضى الله عنهم . ولى المدينة النبوية بعد وفاة أخيه ثابت بن تعير ، ثم عُزل ، ثم أعيد ، ثم عزل ثانيا بعزيز بن هيازع بن هبة بن جماز بن منصور في ذي الحجة سنة إحدى وعشرين وثمانمائه، وحمل في الحديد من المدينة إلى القاهرة وسجن في برج بقلعة الجبل حتى أفرج عنه عندما ذكر القاضى عز الدين المنام للملك المؤيد شيخ، وأعيد بعد ذلك إلى إمارة المدينة ، ثم عزل عنها بخشرم بن دوفان بن جعفر بن هبة بن جماز ، وقتل في ذي الحجة سنة اثنتين وثلاثين وثمانمائة في حرب بينه وبين مانع إبن على بن عطية بن منصور بن جماز ، واتفق أن الشريف سرواح بي مقبل بن نخبار ابن مقبل بن محمد بن رابح بن إدريس بن حسن بن أبى عزيز قتادة بن إدريس بن مطاعن بن عبد الكريم بن عيسى بن حسن بن سليمان بن على بن عبد الله بن محمد بن موسى بن عبد الله بن موسى بن عبد الله بن الحسين الحسين ابن على بن أبى طالب رضى الله عنهم ، قبض على أبيهم مقبل أمير ينبع في سنة خمس وعشرين وثمانمائة وأقيم عوضه في إمرة ينبع ابن أخيه عقيل بن زبير بن نخبار ، وحمل حتى سجن بالإسكندرية ، ومات في سجنه ، وكحل ابنه سرواح هذا حتى سالت حدقتاه وورم دماغه ونتن ، وأقام خارج القاهرة مدة وهو أعمى ،

⁽١) دركاه القلعة : مدخلها وهي كلمة فارسية .

ثم مضى إلى المدينة المنورة ووقف تجاه قبر جده المصطفى على وشكا ما به وبكى ودعا الله تعالى ثم انصرف ، وبات تلك الليلة فرأى فى منامه رسول الله على مسح بيده المقدسة على عينه فانتبه ، وقد رد الله عليه بصره فاشتهر خبره عند أهل المدينة وأقام عندهم مدة ثم عاد إلى القاهرة ، فبلغ السلطان الملك الأشرف برسباى قدومه وأنه يبصر فقبض عليه وطلب المزينين اللذين أكحلاه وضربهما ضرباً مبرحاً فأقاما عنده بينة يرتضيها من أتباعه بأنهم شاهدوا الميل وقد أحمى بالنار ثم كحل به سرواح فسالت حدقتاه بحضورهم ، فعند ذلك كف عن قتلهما ؛ لأنه ظن أنهما تمالأا على عدم إكحاله ، وكذلك أخبر أهل المدينة النبوية أنهم شاهدوا سرواح وهو ذاهب الحدقتين ثم إنه أصبح عندهم وقد أبصر بعد عماه وقص عليهم رؤياه ، فأفرج عن سرواح وأقام حتى مات بالطاعون فى آخر جمادى الآخرة سنة ثلاث وثلاثين وثماغائة شهيداً غريباً مُقلاً .

وحدثنى الرئيس شمس الدين محمد بن عبد الله العمرى قال: سرت يوماً في خدمة القاضى جمال الدين محمود العجمى محتسب القاهرة من منزله حتى جاء إلى بيت الشريف عبد الرحمن الطباطبى المؤذن ومعه نوابه وأتباعه ، فاستأذن عليه فخرج من منزله وعظم عليه مجىء المحتسب إليه وأدخله إلى منزله فدخلنا معه وجلسنا بين يديه على مراتبنا فلما اطمأن به الجلوس قال للشريف: يا سيد حاللنى قال: ألم أحاللك يا مولانا ؟ قال: لما صعدت البارحة إلى القلعة وجلست بين يدى مولانا السلطان _ يعنى الظاهر برقوق _ فجئت أنت وجلست فوقى في المجلس فقلت في نفسى : كيف يجلس هذا فوقى بحضرة السلطان ؟ ثم لما قمنا وكان الليل ونمت رأيت في نومي رسول الله عبد الرحمن وقال: يا محمود ، تأنف أن تجلس يذكرني رسول الله على عند ذلك الشريف عبد الرحمن وقال: يا مولانا ، ومن أنا حتى يذكرني رسول الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

تتبعه مؤلفه أحمد بن على المقريزى وذلك فى ذى القعدة سنة إحدى وأربعين وثمانمائة ، وحسبنا الله ونعم الوكيل ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم ، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .





بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد خاتم النبيين ، وعلى آله وصحبه والتابعين ، صلاة باقية إلى يوم الدين . . . وبعد :

فهذه مقالة وجيزة في ذكر المعادن قدتها تذكرة لي ولمن شاء الله تعالى من عباده، وبالله أستعين فهو المعين .

اعلم أن الأرض (١) جسم بسيط طبعها بارد يابس وهي متحركة إلى الوسط ، وشكها قريب من الكرة ، والقدر الخارج منها محدث ، وخُلقت باردة لأجل الغلظ والتماسك ، إذ لولاهما لما أمكن قرار الحيوان على ظهرها (٢) ، وحدوث المعادن والنبات في جوفها ، وهي ثلاث طبقات : طبقة قريبة من المركز وهي الأرض الصرفة ، وطبقة طينية انكشف بعضها وأحاط البحر بالبعض الآخر والأرض الأفلاك (٣) وهي واقعة في الوسط ، والهواء والماء يحيط بها من جميع الجهات ، والإنسان في أي موضع وقف على سطح الأرض تكون رأسه مما يلي السماء ورجلاه من السماء مقدار ما خفي عنه من الجانب الآخر ، ولكل تسعة عشر فرسخاً (٤) في من السماء مقدار ما خفي عنه من الجانب الآخر ، ولكل تسعة عشر فرسخاً (٤) في منها قليل وهو ناء عن الماء على هيئة بيضة غاطسة في الماء ، وقد خرج من الماء محدبها ، وليست الأرض منتصبة ولا ملساء ولا مستديرة ، بل كثيرة الارتفاع والانخفاض ، وأما باطنها فكثيرة الأودية والأهوية والكهوف والمغارات، ولها منافذ وخلجانات عمتلئة مياهاً وبخورات ورطوبات دهنية ينعقد منها الجواهر المعدنية ، وتسلك الأبخرة والرطوبات دائماً في الاستحالة والتغير والفساد .

وأما ظهرها فكثير الجبال والأودية والجداول والبطاح (٥) والآجام (٦) والرحال

⁽١) أرض (ج) أراض وأرضون وهي أحد كواكب المجموعة الشمسية وهو الكوكب الذي نسكنه .

⁽٢) في المخطوطة : ظهورها .

⁽٣) الفلك : المدار الذي يسبح فيه الجرم السماوي (ج) أفلاك . الوجيز (٤٨١) .

⁽٤) الفرسخ: مقياس قديم من مقاييس الطول يقدر بثلاثة أميال (ج) فراسخ. مصدر سابق (٤٦٧) .

⁽٥) الأبطح:المكان المتسع يمر به السيل فينزل فيه الرمل والحصى الصغار (ج) أباطح.مصدر سابق (٥٤).

⁽٦) الأجمة : الشجر الكثير الملتف (ج) آجام .

والغدران (١) ، وفيها منافذ وخلجان تجرى بعضها إلى بعض دائماً ، والرياح والغيوم والأمطار لا تنقطع منها أبداً ألا أن البقاع تختلف شرقاً وغرباً وجنوباً وشمالاً في الليل والنهار والصيف والشتاء ، والمعادن والنبات والحيوان أبداً في الكون والفساد، فما في الأرض موضع إلا وهناك معدن أو نبات أو حيوان بحسب اختلاف صورتها ومزاجها وأجناسها وألوانها وأنواعها، لا يعلم تفصيلها إلا الله خالقها لا إله إلا هو.

فصل: الأجسام المتولدة

إما نامية أو غير نامية ، والنامية إما أن تكون لها قوة الحس والحركة أو لا ، فالتى لها الحس والحركة هى الحيوان ، والتى لا حس لها ولا حركة فهى النبات (٢) وغير النامية فهى المعادن ، وأول ما تستحيل إليه الأركان الأبخرة والعصارات ، فالبخار ما يصعد من لطيف مياه البحار والآبار والآجام بواسطة تسخين الشمس، والعصارات ما يمكث فى بطن الأرض من مياه الأرض ويختلط بالأجزاء الأرضية في عمق الأرض فتصيرها مادة للمعادن والنبات فيغلظ وتنضجها الحرارة المختنقة فى عمق الأرض فتصيرها مادة للمعادن والنبات والحيوان ، وأول مراتب الكائنات تراب وآخرها نفس ملكية (٣) .

فالمعادن أولها متصل بالتراب وآخرها متصل بالنبات ، والنبات أوله متصل بالنبات وآخره متصل بالخيوان وآخره متصل بالملائكة .

وبيان ذلك : أن أول المعادن الجص والملح مما يلى التراب ، فهو تراب رملى حصل له بلل من الأمطار فانعقد وصار حصى ، والملح مما يلى الماء وهو ما امتزج باخراً سبخة من الأرض فانعقد ملحاً .

وآخر المعادن مما يلي الكمأة (٤) وهي تتكون في التراب كالمعدن وتنبت في

⁽١) الغدير : عن الجغرافيين النهر الصغير (ج) غدران .

⁽٢) قد أثبت العلم الحديث أن النبات يَحسُّ ويتنفس ويتمايل طرباً عند سماع بعضه إلى الموسيقي .

⁽٣) قال الشريف الجرجاني في تعريفاته :

النفس هى الجوهر البخارى اللطيف ، الحامل لقوة الحياة والحسّ والحركة الإرادية ، والنفس الأمارة هى التى تميل إلى الطبيعة البدنية وتأمر باللذات والشهوات الحسيّة وتجذب القلب إلى الجهة السفلية .

والنفس اللوامة : هي التي تنورت بنور القلب قدر ما تَنَبَّهت به عن سنَّة الغفلة .

⁽ التعريفات : الجرجاني ص ٢٧١ وما بعدها ــ دار الرشاد) .

⁽٤) الكم، : فطر من الفصيلة الكمئية ،وهي أرضية تتفتح حاملات أنواعها فتجنى وتؤكل مطبوخة ويختلف حجمها بحسب الأنواع (ج) أكمؤ . الوجيز (٥٤٠) .

مواضع نديّة أيام الربيع من الأمطار وأصوات الرعود ، وكما ينبت النبات ففيها شبه من المعدنيات لكونها نامية كنمو النبات .

وأما النبات فإن أوله وأدونه مما يلى التراب وهو خضراء الدمن (١) والكمأة ، أما خضراء الدمن فإنها غبار يتلبد من الأرض فيصيبه بلل الأمطار فيصبح بالمغدوات أخضر ، كأنها حشيش أخضر من نداوة الليل وطيب النسيم ، ولا تنبت الكمأة ولا خضراء الدمن إلا في زمن الربيع ، فأحدها نبات معدن والآخر معدن نباتي .

والنبات أشرفه النخلة (٢) فإن أحوالها مباينة أشخاص النبات ، فإن فحولة النخل مباينة لأشخاص إناثه ، ولفحولته في إناثه لقاح كما في الحيوان ، وإذا قُطع رأس النخلة جفّت وبطُل ثمرتها كالحيوان، وغير متبين أن النخلة نبات حيوان، وأما الحيوان فإن أوله وأدونه يشبه النبات وهو ما ليس له سوى حاسة اللمس فقط وهو الحلزون(٣) فإنه دودة في جوف أنبوبة حجرية توجد بالسواحل ، وتلك الدودة تبرز لنصف بدنها من جوف تلك الأنبوبة وتنبسط يمنة ويسرة لطلب ما تغتذى به فإذا أحست برطوبة أو لين انبسطت ، وإن أحست بصلابة انقبضت واستترت في جوف الأنبوبة من فوق لجسمها وليس لها سمع ولا ذوق ولا شم إلا اللمس فقط .

وهذا حال أكثر الديدان المتولدة من الطين ، فهذا النوع حيوان نباتى ؛ لأنه يُنبت جسمه كما ينبت النبات ، وأما الحيوان الذى يلى الإنسان فالقرد (3) ؛ لأن شكل جسده قريب من جسد الإنسان ، ونفسه تحاكى أفعال النفوس الإنسانية ، وكذا الفرس(6) الجواد ، فإن الأصايل من الخيول لها ذكاء وحُسْن أدب وكرم أخلاق حتى أنها لا تورّث ما دام المالك راكبها ، ولها أقدام في الهيجاء (7) وصبر على الطعن .

⁽۱) خضراء الدمن : يُكّنى بها عن جميل المظاهر قبيح الباطن ؛ لأنها تنبت على المزابل ونحوها وتكون حسنة المنظر قبيحة المخبر .

⁽٢) النخلة هي شجرة التمر وهي من الفصيلة النخلية ، كثيرة في بلاد العرب .

⁽٣) الحلزون : حيوان بحرى رخو يعيش في صدفة وبعضه يؤكل .

⁽٤) القرد : حيوان معروف وكُنيته أبو خالد ، وهو حيوان قبيح ، مليح ذكى سريع الفهم ، يتعلم الصنعة ، وهو شبيه بالإنسان في غالب حالاته فإنه يضحك ويطرب ويغنى ويقعى ويحكى ويتناول الشيء بيده . . . (حياة الحيوان ــ الدميرى ص ١٠٨٠) .

⁽٥) الفرس : واحد الخيل ، والجمع أفراس . الذكر والأنثى في ذلك سواء ، والفرس أشبه الحيوان بالإنسان لما يوجد فيه من الكرم وشرف النفس وعُلّو الهمة . . . (مصدر سابق ص ١٠١٨) .

⁽٦) الهيجاء: الحرب.

وكذا الفيل (١) فإنه يفهم الخطاب ويمتثل الأمر والنهى كأنه إنسان عاقل ، وآخر مرتبة الحيوان الإنسان ، وهو طبقتان أدناها يلى الحيوان وهم الذين لا يعلمون سوى المحسوسات ولا يرغبون إلا في زينة الحياة الدنيا ولذاتها من الأكل والشرب والنكاح.

قال الله تعالى فيهم : ﴿ إِنْ هُمْ إِلاَّ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلاً ﴾ (٢) .

فهم يرتقون كالخنازير والحُمُر (٣) ويدّخرون ما يحتاجون إليه كالنمل ، ويقتتلون ويتخاصمون على حطام الدنيا كما يتشاجر (٤) الكلاب على الجيف ، فهؤلاء وإن كانت صُورَهم صور الإنسان ، فإن أفعال نفوسهم أفعال حيوانية ، وأعلى مراتبها الإنسانية تلى الملائكة وهي مرتبة الذين انتبهت نفوسهم من نوم الغفلة ، وانفتحت أعين بصائرهم حتى رأت بنور قلوبها ما غاب عن حواسها وشاهدت بصفاء جواهرها عالم الأرواح الملكية وتبين لها سرورهم ونعيمهم فرغبت فيه وزهدت زخرف الدنيا الفانية وأقبلت على تحصيل الآخرة فهم من أصناف الملائكة مع خلطتهم لأبناء جنسهم من الآدميين .

فصل في أقسام المعادن

اعلم أن الأجسام المتولدة من الأبخرة والأدخنة المحتبسة في الأرض إذا اختلطت على من دب من الاختلاطات مختلطة في الكم والكيف ، كانت إما قوية التركيب أو ضعيفة التركيب ، والقوية التركيب : إما متطرفة ، أو غير متطرفة هي الأجساد السبعة التي يقال لها: الفلزات (٥) ، وهي الذهب والفضة والنحاس والرصاص والحديد والأسرب والخارصيني(٦).

وغير المتطرفة إما في غاية اللين أو غاية الصلابة، فالتي في غاية اللين كالزئبق، والتي في غاية الصلابة كاليواقيت ، وهي إما تنحل بالرطوبات وهي الأجسام الملحية

⁽١) الفيل : معروف وجمعه أفيال وفيول وفيَكَة ، ويقال : إن الفيل يحقد كالجمل ، وربما قتل سائسه حقداً عليه ، وفيه من الفهم ما يقبل التأديب ، ويفعل ما يأمره به سائسه من السجود للملوك . (٢) الفرقان : ٤٤ .

⁽٣) الحُمُر: جمع حمار، وتجمع أيضاً حمير، قال تعالى: ﴿والخيل والبغال والحمير لتركبوها وزينة.. ﴾.

⁽٤) في المخطوطة : يتشاور .

⁽٥) الفلز:عنصر كيماوى يتميز بِالبريق المعدني والقابلية لتوصيل الحرارة والكهرباء. الوجيز (٤٨٠).

⁽٦) الخارصين : فلز كالقصدير يُستعان به على تفاعل المواد الكيميائية .

كالزاج والشب(١) والنوشادر ، وإما لا تنحل وهي الأجسام الدهنية كالزرنيخ (٢) والكبريت (٣) على اختلاف اختلاطها في الكم والكيف .

والزئبق يتولد من أجزاء مائية أرضية ، فإذا أنضجتها الحرارة القوية صار كالدهن.

وأما الأجسام الصلبة الشفافة فإنها تتولد من مياه عذبة وقفت في معادنها بين الحجارة الصلدة زماناً طويلاً حتى غلظت وصفت وأنضجتها الحرارة في المعدن بطول مكثها .

وأما غير الشفافة فإنها تتولد من الماء والطين إذا امتزجا وكانت فيهما لزوجة وأثرت فيها حرارة الشمس في المدة الطويلة ، وأما الأجسام المنحلة بالرطوبة فإنها تتولد من مياه مختلطة بأجزاء أرضية محترقة يابسة اختلاطا شديداً .

وأما الأجسام الدهنية فإنها تتولد من الرطوبات المحتقنة في باطن الأرض إذا احتوت عليها حرارة المعدن حتى تحللت واختلطت بتربة البقاع ، فإن زادت غلظا وصارت كالدهن . والذهب لا يتولد إلا في البرارى الرملية والجبال الرخوة ، والفضة والنحاس والحديد وأمثالها لا تتولد إلا في الأراضى الندية والرطوبات الدهنية ، والأملاح لا تتولد إلا في الأراضى السبخة والبقاع المالحة ، والجص لا يكون إلا في الأراضى اللينة ، والإسفيداج (٤) لا ينعقد إلا في الأرض الرملية المختلط ترابها بالجص والزاجات (٥) ، والشبوب (٦) لا تتكون إلا في التراب العفن الناشف . وعلى هذا القياس حُكم سائر أنواع الجواهر والأحجار ، وكل واحد منها يختص ببقعة من البقاع ويتولد من خواص تلك البقعة والمعادن مع كثرة أفرادها

⁽١) الشب : ملح متبلور اسمه الكيماوى « كبريتات الألمونيوم والبوتاِسيوم » .

⁽٢) الزرنيخ : عنصر شبيه بالفلزات له بريق كالصلب ومركباته سامّة .

⁽٣) الكبريت : عنصر لا فلزّى ذو شكلين بلوريين وثالث غير بلورى .

⁽٤) الإسفيداج: هو إسفيداج الرصاص وهو ما يعرف كيميائياً بكربونات الرصاص القاعدية، ويعرفه العامة بالإسبيداج، وهو بشكل مسحوق أبيض برّاق يستعمل في الغالب في تبييض الحوائط والدهانات.

⁽٥) الزاجات أنواع منها :

الزاج الأبيض : كبريتات الخارصين .

الزاج الأزرق : كبريتات النحاس .

الزاج الأخضر: كبريتات الحديد.

⁽٦) جمع شب (سبق ذكره) .

ثلاثة أنواع: الفلزات والأحجار والأجسام الدهنية ، وقد اشتهر أن الياقوت والماس واللعل والعقيق (١) والفيروزج (٢) والجَزْع (٣) واللازورد يختص بالشرق ، وأن الذهب والفضة والحديد والنحاس والرصاص والقصدير والزئبق والزبرجد (٤) والدهنج مختص بالغرب ، وأن الزمرد بمصر ، ويوجد ببلاد الهند معادن ذهب ، وبالرامغان معدن ذهب ، وبسفالة الزنج معدن فضة ، وفي الهند المهند معادن حديد تصنع منه السيوف الهندية.

القول في الفلزات

اعلم أن الفلزات تتوالد باختلاط الزئبق والكبريت ، فإن كان الزئبق والكبريت صافيين واختلطا اختلاطاً تاماً وشرب الكبريت رطوبة الزئبق كما تشرب الأرض نداوة الماء وكانت فيه قوة صباغة ومقدارهما متناسبان ، وحرارة المعدن تنضجهما على اعتدال ولم يعرض لهما عارض من البرد واليبس قبل إنضاجهما ، فإن ذلك ينعقد على طول الزمان ذهباً إبريزاً ، وإن كان الزئبق والكبريت صافيين ونضج الكبريت والزئبق نضجاً تاماً وكان الكبريت أبيض انعقد ذلك فضة ، وإن وصل إليه قبل استكمال النضج برد عاقه تولد الخارصيني .

وإن كان الزئبق صافياً والكبريت رديئا وفيه قوة محرقة تولد النحاس ، وإن كان الزئبق والكبريت الكبريت غير جيد الاختلاط مع الزئبق تولد الرصاص ، وإن كان الزئبق والكبريت رديئين وكان الزئبق رديئاً متخلخلاً والكبريت رديئاً متحرقًا تولد الحديد ، وإن كانا مع رداءتهما ضعيفي التركيب تولد الأسرب . وبسبب هذه الاختلافات في الاختلاطات اختلفت أجناس الجواهر المعدنية وهي العوارض التي تعرض لكيفيتها مفرطة أو قاصرة ، فالذهب حار لطيف ويشده اختلاط أجزائه الترابية والمائية ، لا يحترق بالنار ؛ لأن النار لا تقدر على تفريق أجزائه ، ولا يبلى بالتراب ولا يصدأ على طول الزمان ولا تنقصه الأرض ولا يتغير ريحه بالمكث في الخبء ، وهو ألطف

⁽١) العقيق : حجر كريم أحمر يُعمل منه الفصوص ويكون باليمن وسواحل البحر المتوسط .

 ⁽۲) الفيروز والفيروزج : حجر كريم غير شفاف معروف بلونه الأزرق كلون السماء وهو أميل إلى
 الخضرة يتحلى به .

⁽٣) الجزع : ضرب من العقيق ، يعرف بخطوط متوازية مستديرة مختلفة الألوان .

⁽٤) الزبرجد : حجر كريم يشبه الزمرد وهو ذو ألوان كثيرة أشهرها الأخضر المصرى .

شيء شخصا وأثقل شيء وزناً ، وهو لين أصفر برّاق حَلو الطعم طيب الرائحة ثقيل رزين ، فصُفرة لونه من ناريته ، ولينه من دهنيته ، وبرقه من صفاء ماهيته ، وعزته ليست لقلته ، فإنه أكثر من النحاس والحديد ، فإنه يستخرج دائما من معادنه ولا يتطرق إليه التلف بخلاف النحاس والحديد فإنهما يتلفان بطول المكث ، وإنما عز ؛ لأن من ظفر بشيء منه دفنه ، فالذي تحت الأرض أضعاف الذي بأيدى الناس .

ومن خواصه أنه يقوى القلب ويدفع الصرع إن عُلق على إنسان ، ويمنع الفزع، ومن اكتحل بميل (١) ذهب جلا عينه وقواها وحسن النظر ، وإن ثقبت شحمة الأذن بإبرة من ذهب لم تلتحم ، وإن كُوى الجرح لم ينفط وبرئ سريعاً ، وإمساكه في الفم يزيل البخر(٢) وينفع من أوجاع القلب والخفقان وحديث النفس ، وإن كويت به مقادم أجنحة الحمام ألفت أبراجها ، وإن طُرح منه وزن حبتين في وزن عشرة أرطال زئبق غاص إلى قعره، ولو طُرح في هذا القدر مائة درهم من غيره من الأجساد الثقيلة عام فوقه ولم ينزل فيه ، ولو تختم بخاتم ذهب من في أصبعه داحس (٣) خفف وجعه .

والفضة أقرب الفلزات إلى الذهب ولولا البرد الذى أصابها قبل النضج لكانت ذهباً ، وهي تحترق بالنار وتُبلى بالتراب بطول المكث وتنتن بالمكث في الحجارة ولها وسخ ، وإذا أصابها رائحة الزئبق أو الرصاص تكسرت عند الطرق ، وإن أصابها رائحة الكبريت اسودت ، ومن خواصها تقطيع الرطوبات اللزجة إذا خلطت سحالتها(٤) بالأدوية المشروبة وتنفع من البخر والحكة والجرب وعُسر البول ، وتنفع مع الزئبق طلاءً للبواسير ، والشرب في آنية الفضة يُسْرِع السكر .

النحاس ويقال له:الشبه _ بسكون الباء وكسر الشين _ ويقال: بفتحها _ قريب من الفضة لم يباينها إلا بالحمرة واليبس ، فحمرته من كثرة حرارته الكبريتية ، ويبسه وغلظه ووسخه من غلظ مادته ، فمن قدر على تبييضه وتليينه فقد ظفر بحاجته .

وأجوده الشديد الحمرة ، وأردؤه المشرب بالسواد ، وإذا أوفى النحاس من

⁽١) أداه صغيرة يكتحل بها .

 ⁽۲) بَخر الفم _ بخراً ، أنتنت ريحه فهو أبخر وهي بخراء . الوجيز (۳۸۰).

⁽٣) الداحس : بثرة تظهر بين الظفر واللحم فينقلع منها الظفر .

⁽٤) السُّحالة : بُرادة الذهب والفضة . مصدر سابق (٣٠٥) .

الحموضات أخرج زنجاراً ، وإدمان الأكل فيه (١) من الأطعمة الدسمة يورث أمراضا رديئة كداء الفيل(٢) والسرطانات ووجع الكبد والطحال وفساد المزاج لا سيما إن تُرك فيها الدسم أو الحامض يوماً وليلة ، فإنه أسرع للقتل .

والحديد بعيد من الاعتدال لكدورة مادته الكبريتية والربيعية وسواد لونه لإفراط حرارته ، وهو أكثر فوائد من جميع الفلزات وأقلها ثمناً حتى قيل : إنه [ما] (٣) من صنعة إلا وللحديد في أدواتها مدخل .

وهو ثلاثة أصناف: السابورقان والأينث والذكر، والسابورقان هو الفولاذ المعدنى، وإذا علقت برادة الحديد على من يغط فى نومه زال عنه ،وحَمْل الحديد يقوى القلب ويذهب المخاوف والأفكار الرديئة، ويطرد الأحلام الرديئة ويَسُر النفس، ويزيد هيبة حامله فى أعين الناس، وصداًه يأكل أوساخ العين اكتحالاً (٤)، ويبرئ جرب الأجفان والسيل، وينفع النقرس، والتحمل به ينفع البواسير، والماء الذى فيه الحديد ينفع من أورام الطحال وضعف المعدة، وإذا حمى مسمار بالنار حتى يحمر ودُلك به النصل (٥) فإنه لا يصدأ، وإذا ألقيت برادة الحديد فى شراب مسموم مصت كل ما كان من السهم وذهب ضرره، وإذا تحملت التى بها النزيف زنجار(٢) الحديد قطعه، وإذا حُك بالخل ولطخ على الحمرة المنتشرة والبثور وعلى الداحس وخشونة الجفون والبواسير نفعها، ويشد اللثة، وينفع من النقرس إذا لطخ به، ويُنبت الشعر فى داء الثعلب (٧).

⁽١) أي في الآنية المصنوعة من الفضة .

⁽٢) داء الفيل: داء يصيب الأطراف السفلية للرجال والنساء وتُسبّبه ديدان طفيلية تُدعى الديدان الخيطية حيث تنتقل أجنتها بواسطة لدغ نوع من البعوض إلى الدم ومن الدم إلى العروق اللمفاوية فتستقر فيها ثم تنمو وتكبر وتتناسل ويتكاثر عددها حتى يسد العروق كلياً أو جزئياً فيحصل ارتشاح في جلد الساق والفخذ فينتفخ ويتضخم الطرف حتى يصبح كجذع شجرة أى شبيها برجل الفيل. (انظر: الجامع لمفردات الأدوية والأغذية _ ابن البيطار).

⁽٣) ساقطة من المخطوطة .

⁽٤) لقد ميز الله الإنسان بالعقل وجعله أشرف مخلوقاته على البسيطة وليس من المعقول أن صدأ الحديد الذى تفاعل مع الطبيعة ، وتفككت جزيئاته نتيجة العديد من التفاعلات ، يكون شفاءً للعين إذا اكتحل به . . . والله أغلم .

⁽٥) النصل _ نصل السهم _ والسيف والسكين والرمح ، والجمع : نصول ونصال (وهي الحديدة لكل السابق ذكره) (مختار الصحاح _ الوجيز) .

⁽٦) الزنجار هو الصدأ لكل من : الحديَّد والنحاس .

⁽٧) مرض يتميز بسقوط الشعر من بقعة معينة من فروة الرأس .

الرصاص: بفتح الراء _ قاله أبو عبيد، وحكى غيره الكسر، وهو الأنك وهو الأسرب، والرصاص القلعى الشديد البياض ضد الفضة، دخلت مادته ثلاث آفات: نتن الرائحة والرخاوة والصرير، كما تدخل الآفة على الجنين فى بطن أمه، ومن طوق شجرة بطوق رصاص فى أصلها من الأرض لم يسقط من ثمرتها شىء، وإذا شدت منه صفحة على الظهر سكن الإنعاظ وبطل الاحتلام، وإن ألقى شىء منه فى قدر لم ينضج لحمها، وإذا دُلك الرصاص بملح ودهن دلكا قوياً وأخذ من السواد الحاصل منه وطلى به السيف فإنه لا يصدأ، وإذا خلط بدهن الورد نفع من البواسير، والقروح تندمل، وإذا لطخ الأصبع بدهن أو شحم ودُلك به الرصاص ولطخ به الحاجبان قوى شعرهما، وكثرة الأسرب _ وهو الإنك _ تولده كتولد الرصاص، وهو ردىء ومادته أكثر وسخاً، ومن خواصه تكليس (١) الذهب وتكسير الماس، فإن الماس إذا وضع على سندان (٢) وضرب بمطرقة لم ينكسر، ودخل فى أحدهما، وإذا وضع على الأسرب تكسر باد فى ضربه، وإذا شدت على البطن صفيحة أسرب على الجنازير والغدد وقروح المفاصل ذابت، وإذا شدت على البطن أضعفت الباه ومنعت كثرة الاحتلام.

الخارصينى معدنه بالعين ولونه أسود يضرب إلى حُمرة ويتخذ منه فصول تعظم مضرتها لا سيما إذا نشبت بشىء لا تنفصل منه إلا بعد عناء ، ويتخذ منه مرآة تنفع صاحب اللقوة (٣) إذا أدام النظر إليها وهو فى بيت مظلم ، وإذا نتف بمنقاش يعمل منه الشعر لم ينبت أبداً .

القول في الأحجار

اعلم أن الأحجار متولدة من مياه الأمطار والأنداء (٤) المحتقنة في جوف الأرض إن كانت شفافة أو من امتزاج الماء بالأرض إن كان بأرض لزوجة وأثرت فيها حرارة الشمس زئيراً شديداً.

أما القسم الأول فإن مياه الأمطار والأنداء إذا احتبست في المغارات والكهوف

⁽١) التكلس : في الكيمياء ترسيب أملاح الكالسيوم غير القابلة للذوبان . الوجيز (٥٣٩) .

⁽٢) السندان : ما يطرق الحداد عليه الحديد وهو ساخن . مصدر سابق (٣٢٤) .

⁽٣) اللقوة : داء يَعْرِض للوجه يَعوج منه الشدق . مصدر سابق (٥٦٣) .

⁽٤) جمع ندى : وهو بخار الماء يتكاثف فى طبقات الجو الباردة فى أثناء الليل ويسقط على الأرض قطرات صغيرة (ج) أنداء . مصدر سابق (٦٠٩) .

ولم يخالطها شيء من الأجزاء الأرضية وأثرت فيها حرارة المعدن وطال وقوفها هناك، فإنها تزداد صفاء وثقلاً وغلُظاً ، فتنعقد منها الأحجار الصلبة التي لا تتأثر من الماء والنار كاليواقيت ، واختلفت لوانها بسبب حرارة المعدن وقلّتها .

أما القسم الثانى فيتولد من امتزاج الماء والأرض إذا كانت لزجة وأثرت فيها حرارة الشمس مدة طويلة ، ألا ترى أن النار إذا أثرت في اللين كيف تصليه وتصيّره أجزاء ، فإن الآجر صنف من الحجر إلا أنه رخو وكلما كان تأثير النار فيه أكثر كان أصلب ، ثم إن هذه الأحجار تختلف باختلاف الأماكن ، فإن كانت في بقاع سبخة تولدت منها أنواع الأملاح والبوارق والشبوب ، وإن كانت في بقاع غضة تولدت فيها أنواع الأحمر والأصفر والأخضر ، وإن كانت في بقاع ترابية وطين حر انعقدت حجراً مطلقاً ، وقد ينعقد الحجر في بعض المواضع من الماء .

ومن خاصية ذلك الموضع أن يرى الماء فى بعض المواضع يتقاطر من أعلاه ، فإن أُخذ قبل أن يقع على الأرض بقى ماءً ، وإن ترك حتى يقع على الأرض صار حجراً صلداً ، أو ما ذاك إلا لخاصية فى ذلك الموضع يعقد بها الماء حجراً .

ووجد فى بعض المواضع حيوانات ونبات قد مسخها الله حجارة ، فجاز أن يكون بهذا الطريق وأن يكون قد أفاض الله تعالى على تلك الأرض قوة عند غضبه على سكانها حتى ظهرت من جوف الأرض وصيّرت عليها شبه حجر صلد .

وحكى ابن سينا أنه كان على الجبل الذى « بجاجرم » فرأى جردقا (١) من الخبز أطرافها ذاتية ووسطها مقعر كما يكون بجرادق الخبز وعلى ظهرها خطوط كما يكون الخبز من أناشق التنور (٢) ، فبواسطة هذه العلامات يغلب على الظن ولا يشك الناظر إليه أنه كان خبزاً فمسخه الله حجراً . والجواهر المعدنية كثيرة ولم يعرف الناس منها إلا القليل . والأحجار منها ما هو صلب لا يذوب بالنار ولا تعمل فيه القوس كاليواقيت، ومنها ما هو تراب رخو يذوب في الماء كالأملاح والزاجات ، ومنها ما هو نبات مصنوع كإقليميا الذهب والفضة والزنجفر والزيجات .

ومنها ما بينه وبين آخر أُلْفَة كالذهب والماس ، فإن الماس إذا قرب من الذهب

⁽١) الجيم والقاف لا يجتمعان في كلمة واحدة من كلام العرب ، إلا أن يكون مُعرَّباً أو حكاية صوت مثل : الجردقة وهي الرغيف . مختار الصحاح (٦٩) .

⁽٢) التنور : الفُرن يُخْبز فيه .

تشبث به حتى قيل: إن الماس لا يوجد إلا في معادن الذهب ، ومنها ما بينه وبين آخر مجاذبة شديدة حتى أن كل واحد منهما يجذب الآخر كالعاشق والمعشوق كما شاهده كل أحد في الحديد والمغناطيس ، فإن بين هذين المعدنين ملاءمة شديدة ، بحيث إذا شم أحدهما رائحة الأخر سرى إليه فأمسكه مسكاً شديداً ولم يفارقه إلا بجاذب يجذبه ، ومنها ما بينه وبين آخر مخالفة كالسنبادج وسائر الأحجار فإنه يحكها ويجعلها ملساء ، وكالأسرب والماس ، فإن الماس يقهر سائر الأحجار والأسرب يقهره.

ومنها ما فيه قوة منظفة كالنوشادر ، فإنه ينظف سائر الأحجار من الوسخ. والأحجار كثيرة جداً .

الزاج أصناف وهو يتولد من أجزاء أرضية محرقة ، ومن أجزائه مائية يختلط بعضها ببعض اختلاطاً شديداً فيحدث فيه دهنية قابلة لذوبانه بسبب الحرارة الزائدة ، فما كان منه يغلب عليه قوة الحديد كان أحمر أو أصفر ، وما غلبت قوة النحاس مال لونه إلى الخضرة ، ويقال : إن الزاجات تتولد من الزئبق الميت والكبريت الأخضر ، وهي ألوان فمنها : الأحمر ، والأخضر ، والأصفر ، والأسود ، والأبيض وهو أخص أنواع الزاجات ، ويُجلب من نواحي قبرض .

واعلم أن الرطوبات المحتقنة تحت الأرض تسحق في الشتاء وتبرد في الصيف فإذا فرّت الحرارة وأسخنت باطن الأرض وكهوف الجبال في أيام الشتاء اكتسبت الرطوبات المنصبة إلى تلك المواضع بواسطة الحرارة دهنية ، فإذا أصابها نسيم الهوى وبرودة الجو انعقدت وربما بقيت مائعة فتصير كبريتاً أو زئبقاً أو نفطاً بحسب اختلاف البقاع وتغير الهوى، ويقال : إن أول هذه القوى _ أعنى : الحرارة والبرودة والرطوبة واليبوسة في تكوين المعادن _ الزئبق ؛ وذلك أن الرطوبة المحتقنة في ولا وفي والرطوبة والبخارات المحتبسة فيها إذا تعاقب عليها حر الصيف مع حرارة المعدن لطفت وخفت وتصاعدت إلى سقوف المغاير ونحوها فتعلقت بها زماناً حتى يتعاقب عليها برد الشتاء فتغلظ وتجمد وتتقاطر إلى أسفل المغاير فتختلط بتربة تلك البقاع وتمكث زماناً ، وحرارة المعدن تعمل دائماً في إنضاجها وطبخها وتصفيتها حتى تصير تلك الرطوبة المائية بما اختلط بها من الأجزاء الترابية ، وبما تكتسب من نقلها وغلظها بطول الوقوف وإنضاج الحرارة لها كبريتا محرقا ، فإذا اختلط الزئبق والكبريت مرة

ثانية وتمازجا والتدبير بحالة فإنه يتركب من مزاجها الجواهر المعدنية التي قد تقدم ذكرها .

الزئبق: يتولد من أجزاء مائية اختلطت بأجزاء أرضية لطيفة كبريتية اختلاطاً شديداً حتى لا يتميز أحدهما من الآخر ويكون عليه غشاء ترابى فإذا اتصلت إحدى القطعتين بالأخرى انفتح الغشاء وصارت القطعتان واحدة والغشاء محيط بها كقطرة الماء إذا وقفت على التراب فإنها تبقى مُدُّورة وتحيط بها الأجزاء الأرضية من التراب، وربما أصاب تلك القطرة قطرة أخرى وانشق ذلك الغلاف وصارت القطرتان واحدة وأحاط بها الغلاف البراني وسبب بياض الزئبق صفاء ذلك الماء ونقاء التراب الكبريتي.

وقال أرسطو (١) الزئبق من جنس الفضة لإزالة الآفات ، دخلت عليه فى معدنه، والآفات هى الرصاص ، وتلك الآفات مخلخلة ، فصار كأنه شبيه بالمفلوج، وله أيضا صرير ورائحة ورعدة ، وهو يحل أجسام الأحجار كلها إلا الذهب فإنه يغوص فيه ، وأصل الزئبق من أذربيجان وبالأندلس معدنه أيضاً .

والكبريت : يتولد من أجزاء مائية وهوائية وأرضية فإذا اشتد اختلاط بعضها ببعض بسبب حرارة قوية ونضج تام حتى يصير مثل الدهن وينعقد بسبب برودة جزئية وهو ألوان أحمر وأبيض .

فالأحمر معدنه فى مغرب الشمس بمواضع لا ساكن بها بالقرب من بحر أوقيانوس والأبيض قد يكون كافياً فى عيون الماء الجارى ، ويوجد لذلك الماء رائحة منتنة، ويقال: الكبريت عين تجرى، فإذا جمد ماؤها صار كبريتا أصفر وأبيض وأكدر.

وقال الرازى: إن الكبريت يتولد من البخار اليابس الدخانى إذا ماس شيئاً من الدخان الرطب لطبخ حرارة الشمس لرطوبة الماء حتى تحيله ناراً أو نفطاً أو ما أشبه ذلك ، والكبريت من البخار الدخانى والرطب امتزجا وطبختها حرارة الشمس حتى صار ما فيه من الرطوبة دهنا لطيفا حاراً خفيفاً ، ولذلك نفاذه ؛ لأنه شديد الحرارة فتسرع إليه النار ؛ لأن النار تطلب أحرها لقربها منه ، بدليل أن الأشياء الرطبة الباردة واليابسة لا تحترق لمضادتها النار بطرفيها ، والأشياء الباردة لا تحترق ؛ لأنها لا

⁽١) أرسطو : (٣٨٤ ـ ٣٢٢ ق . م) فيلسوف يوناني يُعَدّ واحداً من أعظم الفلاسفة في جميع العصور .

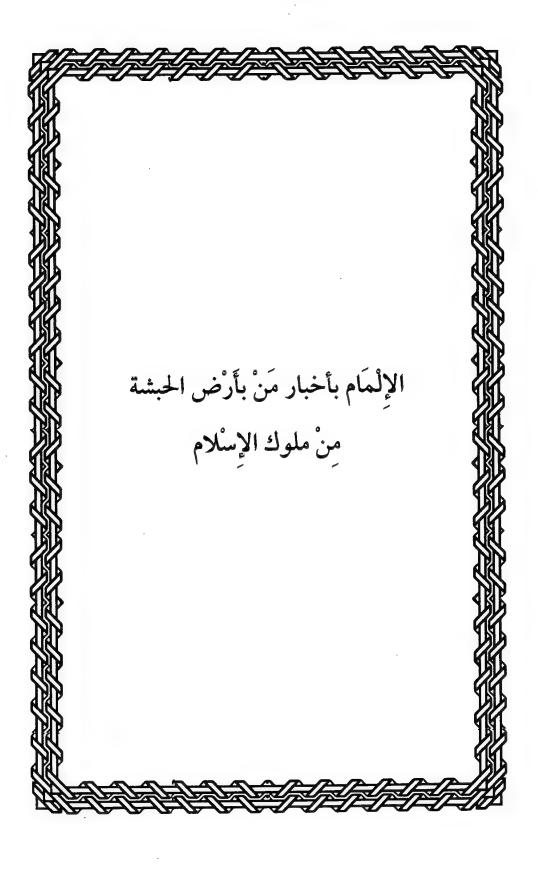
رطوبة فيها ، وإنما عدو النار الرطوبة ؛ لأنها صاعدة لا تقيم في أسفل إلا معلقة بما يجذبها إلى أسفل كما لا يقيم الحجر في الجو إلا بما يغمده .

وقال الخليل بن أحمد : الكبريت عين تجرى ، فإذا جمد ماؤها صار كبريتًا أبيض وأصفر وأكدر ، والأحمر منه من الجوهر ، ومعدنه خلف التبت في وادى النمل الذي مر به سليمان ، ونسله مثل الذباب تخفر أسرابا بناؤها كبريت أحمر .

قال مؤلفه أحمد بن على المقريزى : حررته فى شوال سنة إحدى وأربعين وثماعاتة إلا فى مواضع فإنها تحتاج إلى مراجعة .

وحسبنا الله ونعم الوكيل ، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم







بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، وصلى الله على محمد وآله وصحبه أجمعين .

وبعد: فهذه جملة من أخبار الطائفة القائمة بالملة الإسلامية ببلاد الحبشة ، المجاهدين في سبيل الله من كفر به وصد عن سبيله ، تلقيتها بمكة ــ شرفها الله تعالى ــ أيام مجاورتي بها في سنة تسع وثلاثين وثمانمائة من العارفين بأخبارهم ، والله أسأل التوفيق إلى سواء الطريق بمنّه وكرمه .

ذكر بلاد الحبشة

اعلم أن بلاد الحبشة أولها من جهة المشرق المائل إلى جهة الشمال بحر الهند المار من باب المندب إلى بلاد اليمن ، وفيها يمر نهر حُلو يقال له :سيحون ، يَرْفد نيل مصر ، وجهة الحبشة الغربية تنتهى إلى بلاد التكرور مما يلى جهة اليمن ، وأولها مغازة مكان يسمى وادى بركة يتوصل منه إلى سحرت ، وكانت مدينة المملكة في القديم، ويقال لها : أنصار رفرفتا وبها كان النجاشى ، ثم إقليم أمحرا ، وهو الآن مدينة المملكة ويسمى أيضاً : مرعدى ، ثم إقليم شاوه، ثم إقليم داموت ، ثم إقليم لامنان ، ثم إقليم السنهو ، ثم إقليم الزنج ، ثم إقليم عدل الأمواء ، ثم إقليم حماسا ، ثم إقليم باربا ، ثم إقليم الطرار الإسلامي الذي عشر ملك ، والكل من يقال له : الزيلع ، ولكل إقليم من هذه الأقاليم الاثنى عشر ملك ، والكل من يحت يد الحطي ومعناه بالعربية : السلطان .

وتحت يده تسع وتسعون ملكاً هو تمام المائة إلا أن بلادهم غير مشهورة عندنا ، وجميع بلاد الحبشة تزرع على المطر مرتين فيحصل لهم في السنة الواحدة فعلان ، وإذا أكثر عندهم نزول المطر وقعت الصواعق ، وعندهم أشجار كثيرة منها ما تطول الواحدة منهم مائتي فارس ، فمن أشجارهم شجر الأبنوس .

وعندهم القنا وهو نوعان : صامت ومجوف ، ولهم منابت لا تُعْرف بأرض مصر ولا الشام ولا العراق ، وعندهم معدن الحديد ومعدن الذهب ، ويوجد في بلادهم معدن الفضة، وتعظم عندهم الحيّات ، بحيث تقوم الحية بأعلى الجبل فتصير في الجوشة قوس قزح في عظمها لا في اللون .

وأخبرنى بعض ثقة (١) أنه شاهد ذلك ، وعندهم سَحرة يمنعون الريح أن تهب، فيأمر الحطى (٢) بعضهم أن يضربوا فلا زالوا يهيئون حتى تهب الريح فيذرون عليها غلالهم ، وهو عند الحبش دجاج برى ، ولهم دجاج ثان يخرج هو والبط من بركة ماء فى إقليم هدية من بلاد الزيلع وهو يتولد من هذا الماء ، ولابد للحبشة من مطران (٣) يُولِّيه بطريق (٤) النصارى اليعاقبة (٥) بمصر بعد سؤال الحطى لسلطان مصر فى ذلك بكتاب يبعثه مع رسله وصحبته هدية ، فيتقدم للبطريق بتعيين مطران لهم .

والحبشة قوم يدينون بالنصرانية من قديم ويعتقدون مذهب اليعقوبية ، وهم يتشددون في ديانتهم تشدداً زائداً ويعادون من خالفهم من سائر الملل (٦) أشد عداوة ويعادون الطائفة الملكية (٧) من النصارى ، بحيث أخبرني من دخل منهم إلى بلاد الحبشة أنه أظهر بها أنه يعقوبي خوفاً من القتل لو علموا أنه ملكي .

والحبشة تسكن بيوتا من قش تُطْلى بأخثاء البقر ، ويأكلون اللحم نيئًا ، حتى لقد أخبرنى من شاهد الحطى داود بن يوسف أرعد يأكل كرش بقرة نيئًا وما فيه من بقايا الفرث (٨) يسيل على حنكه (٩) .

وشاهد رجلاً يأكل دجاجة وهي (١٠) تصيح وهم عُراة الأبدان لا يكادون يعرفون لبس المَخيط ،بل يرتدون ويتزرون (١١) في أوساطهم ،وليس للحطى ديوان،

⁽١) أي من يثق فيه وفي روايته التي نقلها إلى المؤلف .

⁽٢) الحَطيّ باللغة العربية تعنى السلطان ، وهي بلغة أهل الحبشة .

⁽٣) المطران : رئيس ديني عند النصاري وهو دون البطريق وفوق الأسقف .

⁽٤) البطريق: رئيس رؤساء الأساقفة (ج) بطارقة.

⁽٥) اليعاقبة واليعقوبية: هم أصحاب يعقوب ، قالوا بالأقانيم الثلاثة؛ لأنهم قالوا: انقلبت الكلمة لحماً ودماً ، فصار الإله هو المسيح وهو الظاهر بجسده بل هو هو . الملل والنحل ــ الشهرستاني (٢٢٦).

⁽٦) ملل (ج) ملّة وهي الشريعة والدين .

⁽٧) هم أصحاب ملكا الذى ظهر بأرض الروم واستولى عليها ، ومعظم الروم ملكانية قالوا : إن الكلمة اتحدت بجسد المسيح ، وتدّرعت بناسوته ، ويعنون بالكلمة : أقنوم العلم ، ويعنون بروح القدس : أقنوم الحياة . مصدر سابق (٢٢٣) .

⁽٨) الفَرْث : بقاياً الطعام في الكرش (ج) فروث . الوجيز (٤٦٥) .

⁽٩) الحنك : باطن أعلى الفم من داخل (ج) أحناك .

⁽١٠) في المخطوطة : « وهم » وهي خاطئة .

⁽١١) الإزار: ثوب يحيط بالنصف الأسفل من البدن (ج) أُزر. مصدر سابق (١٥).

لكنه إذا خرج للغزو أمر جنده فألقى كل منهم حجراً في موضع بعينه لذلك ، فإذا رجع من غزاته أخذ كل واحد من العسكر حجراً ، فما فضل من الحجارة علموا به عدة من هلك منهم ، فلما هلك الحطى داود بن يوسف أرعد سنة اثنتي عشرة وثمانمائة أقيم بعده ابنه تدرش ، فهلك سريعاً وأقيم بدله أخوه إسحاق بن داود بن سيف أرعد ، ورأيت من يسميه أيرم ففخم أمره ؛ وذلك أن بعض المماليك الجراكسة ممن كان ذردكاش (١) بديار مصر قدم عليه وأقام عنده وعمل له زردخانة (٢) تشتمل على آلات السلاح من السيوف والرماح والزرديات ونحو ذلك ، وكانوا من قديم الدهر إنما سلاحهم الحراب يرمون بها ، وقدم عليه من أمراء الدولة بمصر شخص يقال له : الطنبغا مَفْرق ، حتى وُلِّي بعض بلاد الصعيد ، ثم فر إليه ، وكان يعرف من أساليب اللعب بآلات الحرب ومن أنواع الفروسية أشياء ، فحظى عند الحطى وعلّم عساكره رمى النُشَّاب(٣) واللعب بالرمح والضرب بالسيف ، وعمل لهم النفط فعرفوا صناعات الحروب ، وقدم عليه أيضا من قبط مصر نصراني يعقوبي يُعْرف بفخر الدولة فرتب له المملكة ، وجيء له بالأموال فصار له ملك له سلطان وديوان بعدما كانت مملكته ومملكة آبائه همجاً لا ديوان لهما ولا ترتيب ولا قانون وانضبطت عنده الأمور وتميز زّيه من رعيته بالملابس الفاخرة بعدما كان داود بن سيف أرعد يخرج عريانا ، وقد عصب رأسه بعصابة حمراء ، فصار إسحاق يمر في موكب جليل بشارة الملك ، حتى لقد أخبرني من رآه وهو راكب فرسه وقد مر في موكبه ، وبيده اليمني صليب من ياقوت أحمر قد قبض عليه بكفه ووضعها على فخذه وطرفا الصليب بارزتان عن يده بروزاً كثيراً ، فلما تحضرت دولته وقويت شوكته وسوس إليه شياطينه أن يأخذ ممالك الإسلام ، فأوقع من تحت يده في ممالك الحبشة من المسلمين وقائع شنيعة طويلة قتل فيها وسببى واسترق عالما لا يحصيه إلا خالقه سبحانه وتعالى .

وأزال دولة المسلمين من هناك كما يأتى ذكره إن شاء الله تعالى ، ثم كتب إلى ملوك الإفرنج يحثهم على ملاقاته لإزالة دولة الإسلام وواعدهم على ذلك ، وأخذ في تمهيد ما بينه وبين البلاد الإسلامية واستجلاب العربان إليه ، فعاجله الله تعالى بنقمته وأهلكه عقيب ذلك في ذي القعدة ثلاث وثلاثين وثمانمائة ، وسلّط الله على

⁽٢،١) أعتقد أنهما كلمتان تركيتان والله أعلم .

⁽٣) النُشَّابِ : النَّبْلِ . واحدته نشَّابة . مصدر سابق (٦١٥) .

أمحرة طائفته الملك العادل جمال الدين بن سعد الدين، فأوقع بهم وقائع وأفنى منهم أمماً وأسر منهم عوالم ملأت أقطار الأرض يَمناً وهنداً وحجازاً ومصراً وشاماً وروماً.

وقد أقيم بعد إسحاق المذكور ابنه اندارس فهلك لأربعة أشهر من ولايته، وأقيم بعده عمّه نخربزاى بن داود بن سيف أرعد ، فلم تطل أيامه وهلك في شهر رمضان سنة أربع وثلاثين فأقيم عوضه سلمون بن إسحاق بن داود فهلك سريعاً .

فكان للحبشة في سنة أو نحوها أربعة ملوك وتوالت حروب المسلمين فيهم تقتل وتأسر وتَسبى وتحرق وتغنم ، ثم فشا في عامة بلاد الحبشة وباء عظيم شنيع في سنة تسع وثلاثين وثمانمائة وهلك فيه الحطى وعالم عظيم ، حتى قيل : إنه قد خلت البلاد لموت أهلها والله يرث الأرض ومن عليها وهو خير الوارثين .

ذكر بلاد الزيلع (١)

اعلم أن بلاد الزيلع كما تقدم من جملة أراضى الحبشة ، وعُرفت بقرية بجزيرة في البحر يقال لها : زَيْلع ، وطول أرض الزيلع براً وبحراً نحو شهرين ، وعرضها أكثر من شهرين ، إلا أن غالبها قفار غير مسكونة ومقدار العمارة مسافة ثلاثة وأربعين يوماً طولاً في عرض أربعين يوماً .

وتنقسم إلى سبع ممالك ، وهى : أوفات ودوارو وارابينى وهدية وشرخا وبالى ودارة ، ولكل مملكة من هذه الممالك السبع ملك ، ويتسلط عليهم جميعهم الحطى ملك أمحرة ، ويأخذ منهم القطيعة من المال في كل سنة ، وهى قماش وغيره ، وكلها ممالك ضعيفة قليلة المتحصل، وبها المساجد والجوامع التي تقام بها الجمعة والجماعة، وعند أهلها محافظة على الدين ويقال لها : الجبرت ، وهى بلاد حارة وبيوتهم من طين وحجر وخشب ، وليس لها أسواق ولا بها فخامة لأمورهم .

ومملكة أوفات

طولها خمسة عشر يوماً في عرض عشرين كلها عامرة بالقرى ، والأسعار بها رخيصة.

أخبرني الشيخ المعمر الأديب الشاعر المغربي الجوّال في الأرض رحمه الله قال:

⁽۱) هم جيل من السودان في طرف أرض الحبشة ، وهم مسلمون ، وأرضهم تُعرف بالزيلع ، وزيلع بالعين المهملة ، قرية على ساحل البحر من ناحية الحبش . معجم البلدان (١٦٤) .

رأيت بمدينة أوفات أيام عمارتها الموز يُباع كل عرجون (١) بربع درهم فيه نحو مائة موزة، ورأيت اللحم يباع كل طابق وهو ثلاثون رطلاً بدرهم ونصف ، وملك أوفات يحكم على الزيلع ، وغالب أهلها شافعية المذهب وكثر فيهم بعهدنا الحنفية، وكلام أهلها باللغة الحبشية ، ويتكلمون أيضا بالعربية .

ولهذه المملكة عدّة مدن وملكها يجلس على كرسى ويركب بالحتر^(۱) والطبل والزمر ، وعندهم الفواكه وقصب السكر ، ولهم منابت لا تُعرف بمصر والشام ، منها شجرة يقال لها : جات ، لا ثمر لها ، يؤكل ورقها وهي تُشْبه أوراق شجرة النارنج، وهي تزيد في الذكاء وتذكر النسيان وتفرح وتقلل شهوة الأكل والجماع وتقلل النوم لأهل تلك البلاد ، في أكل هذه الشجرة رغبة كثيرة لاسيما أهل العلم ، ويجلب إليها الذهب من داموت وسجام وهما معدنان ببلاد الحبش وله معاملتهم .

ومملكة دوارد

وطولها خمسة أيام فى عرض يومين وأهلها حنفية المذهب ومعاملتهم الحديد ، وتسمى الواحدة من تلك الحدايد حَنُكة _ بفتح الحاء المهملة وضم النون والكاف _ وهى طول الإبرة والرأس ، الغنم بثلاثة آلاف حَنُكُة وهى مجاورة الأوفات .

ومملكة أرابيني

طولها أربعة أيام وعرضها كذلك وأهلها حنفية ، وهي تلى دوارد ، وهم كأهلها في المعاملة وغيرها .

ومملكة هَدّية

طولها ثمانية أيام وملكها أكثر الجميع عسكراً ، وزيهم كزى أهل أرابينى حتى فى المعاملة وإليها يجلب الخصيان الخدام الذين يعرفون فى أرض مصر بالطواشية ، واحدهم طواشى ، فإن صاحب أمحرة يمنع من خصى العبيد ويشدد فى ذلك ، فتأتى بهم السراق إلى مدينة وستلوا وأهلها همج لا دين لهم فتخصى بها العبيد ، فإنه لا يوافق على ذلك فى جميع بلاد الحبشة سواهم ، ثم تحمل من يخصى إلى مدينة هدية فتعاد عليهم الموسى مرة ثانية حتى ينفتح مجرى البول فإنه يكون قد انسد

⁽١) العُرْجون : العذق : وهو من النخل كالعنقود من العنب (ج) عراجين .

⁽٢) الحَتْر : ما يوصِّل بأسفل الخباء ونحوه إذا ارتفع عن الأرض .

بالقيح ، ثم يعالجون حتى . . . (١) أهل هدية بذلك ، وقلّ من يعيش من الخصيان؛ لأنهم يحملون إلى هدية من غير علاج .

ومملكة شرخًا طولها ثلاثة أيام وعرضها أربعة أيام وأهلها حنفية .

ومملكة بالى طولها عشرون يوماً فى عرض ستة أيام وهى أكثر بلاد الزيلع خصباً ومعاملتهم بالأعواض غنماً ببقر وبقراً بثياب ،ونحو ذلك وأهلها حنفية .

ومملكة دارة طولها ثلاثة أيام في عرض ثلاثة أيام وهي أضعف ممالك الزيلع وأهلها حنفية وهم أيضاً يتعاملون بالأعواض .

وجميع ملوك هذه الممالك إنما هم نواب عن الحطى لا يقيمهم إلا هو ، ويجاور هذه البلاد ناصع وسواكن ودهلك وأهلها مسلمون .

والستة الممالك الزيلع لغاتهم مختلفة تبلغ زيادة على خمسين لساناً وكلهم يكتب بالقلم الحبشى ، وكتابتهم من اليمين إلى الشمال ، وعدة حروف هذا القلم ستة عشر، لكل حرف سبعة حروف ، جملة ذلك مائة واثنا عشر ألف حرف سوى حروف أخر مستقلة بذواتها لا تفتقر إلى حرف من الحروف المذكورة مضبوطة بحركات متصلة بالحرف لا، منفصلة عنه، هكذا كان ترتيب هذه البلاد ومنها ما بقى ومنها ما زال بزوال الدول وقيام دول سواها .

سُنَّة الله في الذين خلوا من قبل ولن تجد لسنة الله تحويلاً .

ذكر الدولة القائمة بجهاد النصاري

من الحبشة

اعلم أن هذه الدولة قام بها قوم من قريش ، فمنهم من يقول : هم من بنى عبد الدار ومنهم من يقول : إنهم من بنى هاشم ثم من ولد عقيل بن أبى طالب ، قدم أولهم من الحجاز ونزلوا أرض جيرة التى تُعرف اليوم بجبرت وهى من أراضى الزيلع واستوطنوها وأقاموا بمدينة أوفات، وعُرِف جماعة منهم بالخير واشتهر بالصلاح إلى أن كان منهم عمر الذى قال له : ولسمع ، ولاه الحطى مدينة أوفات وأعمالها .

فحكم بها مدة طويلة وصارت له بها شوكة قوية وشكرت سيرته حتى مات

⁽١) بياض في الأصل.

وترك أربعة أولاد أو خمسة ملكوا أوفات من بعده واحداً بعد آخر ، منهم : بزوا ، ومنهم : حق الدين الأول ، حتى كان آخرهم صبر الدين محمد بن ولخوى بن منصور بن عمرو لسمع ، فملك أوفات حدود سنة سبعمائة من سنّى الهجرة وطالت مدته ، فلما مات ابنه على بن صبر الدين محمد بن عمر ولسمع واشتهر ذكره في البلاد وخرج عن طاعة الحطى ثم عاد إليها، فإن أهل البادية لم توافقه ، بل خالفت عليه فولى الحطى سيف أرعد ابنه أحمد ، ويُعرف بحرب أرعد بن على بن صبر الدين محمد بن صبر محمد بن عمر ولسمع على مدينة أوفات وأعمالها ، وقيّض عَلَى عَلَيّ وأنزل عنده بمكان هو وأولاده ، فأقام على بن صبر الدين عند الحطى نحو ثماني سنين ثم رضي عليه وأعاده إلى ولايته على مدينة أوفات ثانيا ، وقد صار ابنه أحمد حرب أرعد إلى الحطى فألزمه أن يقيم ببابه فأقام بخدمته ، وولولد له هناك ثلاثة أولاد منهم : سعد الدين محمد ، ثم إن الحطى رضى عليه وكتب إلى أبيه على يأمره أن يوليه موضعاً من أعمال جبرت ، فامتثل ذلك ووّلاه عملا من أعماله فسار إلى ذلك العمل وأقام به مدة إلى أن قُتل في بعض حروب رعيته ، فقام في موضعه أخوه أبو بكر بن على ، وكان أحمد حرب أرعد قد ترك بمدينة أوفات ولداً يقال له : حق الدين ، وقد اشتغل بطلب العلم وصار مطرح الجانب لأعراض جده على بن صبر الدين عنه وهجره إياه مع معاداة عمه « ملا أصفح » بن على له العداوة الشديدة ومقته المقت الزائد .

ثم إنه أخرجه من مدينة أوفات إلى بعض أعمالها وألزم والى تلك الجهة أن يُهينه ويستخدمه فأخرجه والى الجهة إلى جباية (١) مال بعض النواحى ، فأخذ عندما صار إلى ما وكيه فى تدبير أمره وإحكام عمله وجمع الناس عليه حتى قوى جانبه وأظهر الخلاف على من والاه ، فسار إليه وحاربه فانتصر عليه حق الدين وقتله وغنم ما كان معه وضم إليه من كان معه من المقابلة ، وبذل لهم المال فقامت قيامة عمه « ملا أصفح » وكتب إلى الحطى يخبره الخبر ويطلب منه النجدة لمحاربته ، فأمده الحطى سيف أرعد بعسكر يقال : إن عُدَّته ثلاثون ألفا ، فلقيهم حق الدين ، وقاتلهم قتالاً شديداً ، أيده الله عليهم حتى قتل منهم خلقاً كثيراً ، وغنم منهم ما معهم ، وهزم عمه ، وقد شهد الواقعة فصار فى هزيمته إلى الحطى فبعث معه

⁽١) " جبا " الخراج والمال _ جَبَّى المال : جمعه . الوجيز بتصرف (٩٢) .

عساكر عظيمة جداً فتلقاهم حق الدين وقاتلهم ، فقتل عمه « مَلا أصفح» بن على ابن صبر الدين محمد بن عمر ولسمع ، واستأصل حق الدين العساكر فلم ينج منهم إلا القليل وغنم ما معهم .

وسار إلى مدينة أوفات وبها جدّه على بن صبر الدين وقد اشتد حزنه على ولده «ملا أصفح» فإنه كان أعز أولاده عنده وكان هو القائم بأمر الدولة وتدبير الأمور، وتزايد مع ذلك حنْقه على حق الدين وبُغضه إياه إلا أن ضرورة الحال اقتضت كفه عنه لعجزه عن مقاومته ، فتأدب حق الدين مع جده وأقرّه على ولاية أوفات ، فأمده عند ذلك بمال حمله إليه ، وسار حق الدين ومعه عن أوفات وأخرج معه أيضاً أهلها إلا . . . (١) ونزل بأرض شوة وبنى هناك مدينة سماها « وجل »، وأنزل بها أهل أوفات وجعلها دار ملكه ، فتلاشت من حينئذ مدينة أوفات واتضعت حتى خربت، وكان حق الدين هذا أول من خالف من أهل بيته على الحطى ملك أمحرة من الحبشة الكفرة.

وخرج من طاعته وهو أول من استبد منهم بالأمر وما زال يحارب الحطى وعساكره ويأسر منهم ويغنم إلى أن مات الحطى «سيف أرعد »، وأقام بعده بأمر الحبشة ابنه الحطى داربت وهو داود بن سيف أرعد ، فاستمر حق الدين على محاربته إياه والله يؤيده بنصره على أمحرة ، بحيث إنه كانت له فيهم بضع وعشرون وقعة في مدة تسع سنين ، آخرها أنه سار إليهم وقاتلهم قتالاً شديداً ، استشهد فيه سنة ست وسبعين وسبعمائة بأرض شوة ولم يوجد مع القتلة وكانت مدة سلطنته نحو عشر سنين ، وكان شجاعاً مقداماً قوى النفس عجولاً مُهاباً ، وقام من بعده أخوه سعد الدين أبو البركات محمد بن على بن صبر الدين محمد وكوى ابن منصور بن عمرو لسمع .

فمضى على سيرة أخيه حق الدين فى جهاد أمحرة الكفرة لكن بتؤدة وسياسة حسنة ، فكثرت عساكره وتعددت غاراته واتسعت مملكته، فقاتل مرة فى اثنين وسبعين فارساً فكسرهم، ثم ظفر به العدو بعد ذلك فى موضع يقال له : أهبرة ، وربطوه وساقوه إلى كبيرهم ، فأدركه أحد فرسانه وقاتل من معه حتى خلصه من أيديهم ، وأركبه فرسه ورده إلى أصحابه ، فجمعهم وجد فى جهاد أمحرة ، ولقى ابن مر

⁽١) بياض في الأصل.

فيمن أمر الحطى وهزمه وأسر من معه حتى أبيع كل عبدين من الأسرى بتفضيله ، ومضى من فوره إلى زلال ففتح تلك البلاد وغنم أموالها فبلغت حصته لخاصة نفسه أربعين ألفا فرّقها بأجمعها على الفقراء والمساكين وعلى العسكر حتى لم يجد ما يأكله إلى أن أطعمته إحدى زوجاته .

وحصل لسليم بن عباد زوج ابنته اثنتا عشرة ألف بقرة ، فأمره أن يخرج منها زكاتها فامتنع فتغير عليه ، فأرسل الله تعالى عليه الكفرة فأخذوه وما معه ، فلم يفلت منه سوى زوجته وابنه سعد الدين بحيلة تداركها الله فيها بلطفه .

وغزا أيضاً بلاداً تسمى زمدوة في أربعين فارساً وبها من الكفرة أعداد لا تحصى، فكانت بينه وبينهم قتلة عظيمة نصره الله فيها نصراً عزيزاً ، وغَنم ما لا يدخل تحت حصر ، وغزا بالى وأمحرة وهم في عشرة أمراء ، كل أمير منهم عشرة آلاف ، وهو في خمسين فارساً وجميع من معه لا يبلغون عدّة أمير منهم ، فعندما تلاقي الجمعان توضأ هو وأصحابه وصلوا ركعتين وسأل الله تعالى النصر وهم يؤمّنون على دعائه، ثم ركب بمن معه وقاتلهم فهزمهم الله ونصره عليهم فقتل وأسر منهم عدداً لا يحصى بحيث بقيت رؤوس القتلي ملء الأرض لا يجد المار موضعاً يمر به إلا عليهم، وكان بينه إذ ذاك وبين بلاده مسافة اثنى عشر يوماً فعاد منصوراً غانماً ، وجرد مرة من أصحابه رجلاً يقال له : « أسد » في أربعين فارساً فلقيه أمير من أمراء الحطى يقال له : « زان حش » في خمسين فارساً لابسين آلة الحرب ومعه من العساكر الراكبين الخيل عُرْياً عالم كبير ، وكان مشهوراً بالقوة والشجاعة ، فاقتتل الفريقان أعظم قتال وأشده فقتل الله اللعين ونصر المسلمين نصراً مؤزراً وغنموا غنائم عظيمة ، فجمع الحطى أمحرة ونزلوا إلى بلاد المسلمين فلقيهم أمير اسمه محمد في ستة فرسان ونحو ألف راجل(١) فقاتلوا قتالاً شديداً عظيماً استشهد فيه الأمير محمد [ومن] (٢) معه ولم يسلم منهم سوى فارس واحد فأخذه الحطى أميراً يقال له : بارو ، فلقيه سعد الدين بنفسه ومعه الفقهاء والفقراء والفلاحون وجميع أهل البلاد وقد تحالفوا(٣) جميعًا على الموت ، فكانت بينهما وقعة شنيعة استشهد فيها من المشايخ

⁽١) راجل: أي يمشي على رجليه.

⁽٢) ساقطة من المخطوطة .

⁽٣) في المخطوطة : تخالعوا وهي خطأ ، وربما كان سهواً من الكاتب .

الصلحاء أربعمائة شيخ ، كل شيخ منهم له عُكاز وتحت يده من الفقراء السالكين عدد عظيم فاستحر القتل في المسلمين حتى هلك أكثرهم وانكسر من بقي، ومر سعد الدين على وجهه وأمحرة في أثره تتبعه حتى التجأ إلى جزيرة زينلع في وسط البحر فحصروه بها ومنعوه الماء إلى أن دلهم [عليه] (۱) من لا يتقى الله على الوصول إليه ، فلما وصلوا إليه قاتلهم فأصيب في جبهته بعد فَقْده الماء ثلاثة أيام ، فخر إلى الأرض فطعنوه فمات _ رحمه الله _ وهو يتشهد ويضحك وذلك في سنة خمس وثمانمائة ، وقد ملك نحواً من ثلاثين سنة ، وكان رجلاً صالحاً .

وفي أيامه مات جده على بن صبر الدين في سجن الحطى بعدما أقام مسجونا نحو الثلاثين سنة ، ولما قتل سعد الدين ضعف المسلمون بموته واستولى الحطى وقوم أمحرة على البلاد وسكنوها وبنوا بها الكنائس ، وخرّبوا المساجد وأوقعوا بالمسلمين وقائع نزل فيها من القتل والأسر والسبي والاسترقاق ما لا يمكن التعبير عنه مدة عشرين سنة ، وكان أولاد سعد الدين قد فروا إلى بلاد العرب ، وهم عشرة ، أكبرهم صبر الدين على ، فأكرمهم الملك الناصر أحمد بن الأشرف إسماعيل ملك اليمن وأنزلهم ثم جهزهم وقاد لهم ستة أفراس فخرجوا إلى موضع يسمى: يسارة ، حتى فتح الله عليهم ولحق بهم عساكر أبيهم ، فقام بأمرهم صبر الدين على وزحف لقتال أمحرة في سبعة من الفرسان سوى المشاة وقاتل في موضع يقال له : ذكر أمحرة وهم في ثمانين فارساً فهزمهم واستولى على ذلك الموضع ، وسار إلى سرجان وقاتل من هناك وكسرهم وحَرَق كنائسهم وبيوتهم ، وغَنِمَ من الذهب وغيره ما لا يحصى ، وما زال ينتصر على أمحرة حتى جمعوا له وصاروا في عشرة أمراء تحت يد كل أمير زيادة على عشرين ألفا ومقدمهم يقال له : « بُخت بقل » مَلَّكه بلاد المسلمين وأقاموا بها سنة ، وصبر الدين بمن معه فارس من بلد إلى بلد ، وبهم من الجوع والعطش والتعب ما لا يوصف ، ثم أيَّده الله وقوَّاه حتى جرَّد أخاه محمدًا ومعه حرب جوش وغيره من الأعيان في عشرين فرساً إلى بلد يقال لها: . رطوا ، فقاتلوا أمحرة قتالاً عظيماً ، قُتِل فيه مُقدَّمهم في عدة من أمراء الحطي .

وقتل من عسكرهم ما لا يحصى وهزموا بقاياهم وغنموا غنائم كثيرة وملكوا البلد زماناً ،ثم صار صبر الدين بنفسه وطلع إلى بيت الملك وقاتل أمحرة وقتل أميراً

⁽١) في المخطوطة : بعمن : ولا أدرى معناها وقد أثبتت الأخرى لاستقامة السياق .

كبيرًا وحرق بيت الملك وأكثر في قتل من هناك وعاد ، ثم جَرَّد أخاه إلى قلعة بروت ففتحها صلحاً وعاد منصوراً ، ثم جرّد أميراً اسمه عمر ومعه ستة فرسان إلى بلاد لجب وأمحرة في عدد كالجراد، فكانت بينهم وقعة عظيمة قاتل المسلمون فيها قتالاً كبيراً شديداً حتى ماتوا كلهم وقد صارت المزاريق تأتيهم كالمطر من كثرتها، ثم قطعوا بالسيوف رحمة الله عليهم ، وشهد صبر الدين مرة وقعة كاد العدو أن يأخذه قبضاً باليد فنجا بفرسه وقد اعترضه واد عرضه نحو عشرة أذرع فوثب بفرسه حتى تعداه وخلصه الله منهم ، وما زال يلى أمر المسلمين إلى أن مات على فراشه مبطوناً (١) بعد ثماني سنين في حدود سنة خمس وعشرين وثمانمائة ، وكانت سيرته مشكورة ، فقام بالأمر أخوه منصور بن سعد الدين وعضَّده أخوه محمد وسار إلى جداية وهي دار ملك الحطى وبها صهره فقاتله حتى أخذه أسيراً وقتله في عُدّة كبيرة فالتجأ نحو الثلاثين ألفاً إلى جبل يقال له : مخا ، فحصرهم فيه زيادة على مدة شهرين يقاتله كل يوم حتى كلُّوا وجاعوا وعطشوا ، فنادى فيهم يخيرهم بين الدخول في دين الإسلام وبين اللحاق بقومهم ، فأسلم منهم نحو العشرة آلاف ونزلوا إليه من الصبح إلى غروب الشمس ، وصار من الغد بقيتهم إلى بلادهم ، فغنم من الخيل مائتي فرس عربية ، وأقام عشرة أيام وقد جمع أمحرة جيشاً وأتوه في عدد كالجراد المنتشر من كثرتهم، فقاتلهم أشد قتال حتى كلَّت الفرسان وخيولها من شدة الحرب وقُتل عشرة من أمراء المسلمين ، فوقع منصور وأخاه في قبضة الحطي إسحاق المدعو إيرم بن داود بن سيف أرعد فكاد يطير من الفرح وقيدهما وسجنهما ووكل بهما ، وذلك في سنة ثمان وعشرين وثمانمائة لسنتين من ولاية منصور ، واستولت النصاري من أمحرة على البلاد كما كانوا ، وعندما قبض على منصور قام بالأمر في الحال أخوه جمال الدين محمد بن سعد الدين وهو ضعيف ، وقد نفي معه من الأمراء حرب جوش ، وكان من أمراء الحطى فأسلم في أيام سعد الدين ، وقدم إليه فصار من أكابر الأمراء لقوته وشجاعته وكثرة أتباعه ، فخرج على جمال الدين البرابر ، فوجه إليهم حرب جوش ، فعرض عليهم الصلح وقد جمعوا إليه جمعاً فيه سبعة آلاف قوس وسيف فأبوا إلا محاربته وهو موافقهم من الصبح إلى الظهر ، ثم قاتلهم قتالاً عظيماً حتى هزمهم الله إلى بيوتهم وهو في أقفيتهم (٢) فانقادوا لأمره ودخلوا في

⁽١) المبطون : من عنده مرض البطن وهو الاستسقاء .

⁽٢) في أثرهم أي تبعهم .

طاعته ودفعوا إليه زكاة أمواهم وعَادَ مؤيداً ظافرا .

ثم بعث حرب جوش إلى بلاد بالى فى عشرين فارساً ، فلقى أمحرة وهم فى عدد عظيم لم يجتمعوا فيما مضى مثله ، فقاتلهم أشد قتال فانتصر عليهم وعاد ، فجمع الحطى عساكر كثيرة جداً ونزل حذاءه فسار إليهم جمال الدين وحاربهم وعاد منصوراً ، وتوجه من أمحرة إلى نجرة وقد استطال الحطى وجمع عليه نحو مائة أمير وعزم على ألا يبقى بالحبشة مسلماً ، فلقيه جمال الدين فى خمسمائة فارس وقد جمع الحطى من الفرسان ما لا يحصى كثرة ، فكانت بين الفريقين وقعة عظيمة ، فقتل الله أمحرة وهزم باقيهم ، وركب جمال الدين أقفيتهم وهو يتبعهم ثلاثة أيام وهو يقتل ويأسر حتى امتلأت الأرض بالقتلى وحرق الكنائس والبيوت وسبّى النساء والأولاد ، وغنم الأموال حتى بلغت عدة الخيول الملبسة (۱) التى غنمها زيادة على مائة فرس .

وأما الخيول العراة فلا تحصى لكثرتها وأقام فى هذه الغزوة (٢) ثلاثة أشهر وبعث حرب جوش إلى بالى فقتل وأسر وسبّى ما لا ينحصر ، وغنم غنائم عظيمة حتى صار يعطى لكل فقير ثلاثة رؤوس من الرقيق ، ومن كثرتهم أبيع الرأس من الرقيق بربطة ورق وبخاتم واحد ورجع منصوراً غانماً ، فسار جمال الدين بنفسه لغزو أمحرة فى جمع عظيم لم يجتمع فى إيابه مثله ومعه ألف فارس وهو يقتل ويأسر ويسبى ويغنم والحطى بجموعه هارب منه وهو فى طلبهم يتبعهم خمسة أشهر حتى وصل إليه ، فلم يقابله الحطى وهرب منه إلى رأس بحر النيل .

فعاد جمال الدين بغنائم لا تُحد ولا تُعد ، ثم بعث أخاه أحمد والأمير حرب جوش إلى دوارو فأوقعا بأمحرة وقائع عديدة وأسرا منهم ثلاثة أمراء ، وغنما ستين فرساً وغنائم كثيرة وعاد بأعز نصر ، ثم صار جمال الدين بنفسه يقتل ويأسر مسافة عشرين يوماً فتفرقت أمحرة في ثلاثة مواضع ، تريد أن تأخذ بلاد جمال الدين وعياله فعاد راجعاً يريد لقاءهم ، وقطع مسافة عشرين يوماً في سبعة أيام ثم لقيهم ببلاد تسمى هواى ، وقد تعب هو وأصحابه تعباً شديداً كثيراً والعدو مستريح فكانت بينهم وقعة عظيمة ومن كثرة الجموع وشدة القتال ، اختلط الناس فما كان أحد

⁽١) الْمُلَبِّسة : يقصد المُسَرَّجة بالسرْج وكامل عُدَّتها .

⁽٢) في المخطوطة : الغزاه .

يعرف صديقه من عدوه ثم أنزل الله نصره على المؤمنين ، فأخذوا جانباً من أمحرة وانتصر أمحرة أيضاً وأخذوا جانباً من المسلمين وغنم كل منهم ما حازه ، ثم ثار على جمال الدين بنو عمه وحسدوه وقتلوه في جمادى الآخرة سنة خمس وثلاثين وثمانمائة ، وله في السلطنة سبع سنين ، وكان خير ملوك زمانه ديناً ومعرفة وقوة وشجاعة ومهابة وجهاداً في أعداء الله تعالى بحيث إنه ملك كثيراً من بلاد الحطى وأعماله ، ودخل جمان من عمال الحطى وولاة أعماله في طاعته وقتل وأسر من أمحرة الكفرة ما لا يدخل تحت حصر ، حتى امتلأت بلاد الهند واليمن وهرمز والحجاز ومصر والشام والعراق وفارس من رقيق الحبشة الذين أسرهم وسباهم في غزواته ، وما زال مؤيداً من الله تعالى منصوراً على أعداء الله حتى ختم الله له بالحسني وكتب الله له الشهادة .

وكان يصحب الفقهاء وأهل الفقر من الصالحين وينشر العدل في أعماله حتى في أهله وولده .

ولقد بلغ من عدله أن لعب بعض صغار أولاده ذات يوم مع أنداده وأترابه من الولدان ، فضرب صغيراً منهم كسر يده ، ولم يبلغ جمال الدين حتى مضت مدة فاشتد في الإنكار على خدمه إذ لم يعلموه ، وطلب أولياء الصغير الذي كسرت يده وعتبهم على إخفاء هذا عنه ،وجمع أهل دولته وطلب ابنه الجاني الصغير في كسر يده ليقتص منه ،فقام أعيان الدولة وأمراؤهم بين يديه يضرعون إليه في العفو وأنهم يرضون أولياء الصغير ، فلم يفعل وأبي إلا إحضار ولده فأحضر إليه ، فلما قدم ليقتص منه ضج الجميع والبكاء وقام أولياء المكسور وعفوا فلم يرجع إلى أحد وقدم ابنه إليه وأخذ يده بيده ووضعها على حجر وضربها بحديدة كسرها وهو يصيح ثم أغمى عليه فحمل إلى أمه وأصوات ذلك الجمع كله على كثرته قد ارتفعت بالعويل أولبكاء رحمة للصغير .

فكان أمراً مهولا وجمال الدين مع ذلك ثابت وقائل لولده: ذق كما أذقت ولد الناس، حدثنى بهذا الخبر الثقات الذين حضروا ذلك المجلس بين يدى جمال الدين وشاهدوه، فلم يتجاسر بعد ذلك أحد من أهل الدولة أن يمد يده لمال أحد ولا استطاع بعدها ولا حقير أن يجنى على غيره، وكان من شدة مهابته إذا أمر بشىء أو نهى عنه لا يتعداه أحد من أمرائه، بل يقف الجميع عند أمره ونهيه في جميع أعماله

خوفاً من شدة سطوته واتقاء عقوبته .

ومناقبه عديدة ومآثره كثيرة ، وجملة القول فيه أن الله تعالى أيّد به الدين وأعز بدولته الإسلام والمسلمين ، وكان من جليل سعادته أن الله تعالى أهلك فى أيام دولته طاغية الكفر الحطى إسحاق بن داود بن سيف أرعد فى ذى القعدة سنة ثلاث وثلاثين وثمانمائة ، فأقيم بعده اندراس بن إسحاق فهلك لأربعة أشهر من ولايته وقام بأمر أمحرة عمه حزيتاى بن داود بن سيف أرعد، فكانت أربع ملوك فى نحو سنة وكل ذلك تعظم فتوحات جمال الدين الجليلة ، وتعدد وقائعه العظيمة، وتكثر أعماله وعماله وغنائمه وأسراه وقتلاه وسباياه تمكيناً من الله تعالى له فى الأرض وتأييدا له بالنصر ، ومع هذه الفتوحات العظيمة فلقد أسلم على يديه عالم من أمحرة لا يحصى عددهم ، هداهم الله به وأنقذهم من النار بيمن دولته ، وذلك فضل الله يوتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم .

ولما استشهد جمال الدين قام بأمر المسلمين من بعده أخوه شهاب الدين أحمد بدلاى ، وما زال يجتهد فى تحصيل قاتل أخيه جمال الدين حتى ظفر به وقتله ، وجرى على سُنَّة أخيه فى غزو أمحرة وفتح من بلادهم عدة أعمال وقتل طائفة من أمرائهم وحرق البلاد وغنم وقتل وأسر وسبى عالماً كثيراً ، بحيث كثرت الأموال من الذهب والفضة والثياب والدروع فى أيدى جماعته .

وحازوا من الوصايف ما لا يعد ، وخرّب ست كنائس وعدة قرى واسترد البالى من أيدى الناس النصارى ورد إليها ألف بيت من المسلمين ، إلا أنه حدث فى أيامه سنة تسع وثلاثين وباء عظيم مات فيه من المسلمين والنصارى عوالم كثيرة جداً ، وهلك الحطى ، وأقاموا بعده صبيًا صغيرًا . هذا والسلطان بدلاى مقيم فى بلاد وحكر وأخوه خير الدين فى بلاد ركلة .

وأظهر بدلاى سيرة العدل في مملكته ، فأمنّت الطرقات وانكف الناس عن الظلم من العسكر وغيرهم ورخصت الأسعار في أيامه .

قال مؤلفه _ تغمده الله برحمته: حرره جامعه ومؤلفه أحمد بن على المقريزى _ فى ذى القعدة سنة إحدى وأربعين وثمانمائة ، فصح جهد الطاقة والله أعلم بعيبه وأحكم، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ، سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين .



			·	
	•			

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله على جزيل نعمه ، ووفور أفضاله وعموم فضله وغزير فِعاله ، وصلى الله على سيدنا محمد وآله ، وبعد :

فهذه مقالة لطيفة ، وتحفة سنية شريفة في حرص النفوس الفاضلة على بقاء الذكر . أسأل الله تعالى أن يجعل لنا ثناءً حسناً في الصالحين ، وأن يحبونا بالزلفي يوم الدين بمنّه وكرمه آمين .

⁽١) الشعراء : ٨٤ .

 ⁽۲) ونحو ذلك عن قتادة وعكرمة وابن زيد . انظر هذه الآثار في ابن كثير (۳ / ۳۳۸) ، الطبرى
 (۹ / ۲۰۲) ، القرطبي (۱۳ / ۷۲) .

⁽٣) هذا النقل فى القرطبى (١٣ / ٧٦) ، وهو معزو إلى مكى بن أبى طالب القيسى المفسر ، وتعقبه ابن عطية الغرناطى فقال : وهذا معنى حسن إلا أن لفظ الآية لا يعطيه إلا بتحكم على اللفظ ، كذا فى « المحرر الوجيز » (١٢ / ٦٧) .

⁽٤) القشيرى : هو عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك الإمام الشافعي المحدث الصوفي، ولد سنة ٣٧٦ هـ ، وتوفى بنيسابور سنة ٤٦٥ هـ له تصانيف كثيرة منها: التيسير في التفسير ، ولطائف الإشارات في تفسير القرآن. هدية العارفين (٥/ ٢٠٨).

⁽٥) نقله القرطبي في « تفسيره » (۱۳ / ۷۷) .

السلام ؛ إذ ليس أحد صلى على النبى على النبى على إبراهيم على إبراهيم على السلام . وعن الإمام مالك بن أنس _ رحمه الله _ أنه قال : لا بأس أن يحب الرجل أن يثنى عليه صالحا وأن يرى فى عمل الصالحين إذا قصد به وجه الله تعالى (١) . وقال تعالى ممتناً على نبيه وكليمه موسى عليه السلام ﴿وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مَنّى ﴾ (٢) . وقال تعالى : ﴿ إِنَّ اللّذِينَ آمنُوا وَعَملُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًا ﴾ (٣) أى حبا فى قلوب عباده ، وثناء حسنا ، فنبه الله تعالى بقوله : ﴿وَاجْعَلُ لِي لَسَانَ صِدْقٍ فِي الآخِرِين ﴾ على استحباب اكتساب ما يورث الرجل الذكر الجميل إذ الذكر الجميل إذ عبد الله بن سعد بن الحشرج الجواد المشهور من أبيات :

أماوى إن المال غاد ورائح ويبقى من المال الأحاديث وقال آخر:

ثمن الإحسان شكر ويرى المعروف ذخر وثناء الحي بعد الـ موت للميت عمر

وقال آخر (٤):

قد مات قومٌ وهم في الناس أحياءُ

ويقال : ذكرُ الفتى عمره الثانى (٥) . ولعمرى إن الزمان الذى يثنى فيه على الميت بعد موته أحسن عمريه وأطولهما وأشرفهما ، وقد قيل فى هذا المعنى :

ردت صنائعه إليه حياته فكأنه من نشرها منشور

وقد قيل أيضا :

كل الأمور تزول عنك وتنقضى إلا الثناء فإنه لك باق ولو اننى خيرت كل فضيلة ما اخترت غير مكارم الأخلاق

⁽۱) ذكره القرطبى من رواية أشهب عن مالك في تفسيره (۱۳ / ۷۷) ، وابن العربي في أحكام القرآن (۳ / ۱٤٣٦) .

⁽٢) طه : ۳۹ . (٣) مريم : ۹٦ .

⁽٤) ٥) ذكرهما القرطبي عن الليث بن سليمان . انظر تفسيره (١٣ / ٧٧) .

وقال القاضى أبو بكر محمد بن العربى (١) : وقال المحققون من شيوخ الزهد: وهذا دليل على الترغيب في العمل الصالح الذي يكسبه الثناء الحسن قال على الترغيب في العمل الصالح الذي يكسبه الثناء الحسن قال المن شبع (٢): «إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث (٣) وفي رواية : «إلا من سبع (٤) وكذلك « من مات مرابطاً يكتب له عمله إلى يوم القيامة (٥) وقد من الله تعالى على نوح وإبراهيم وموسى وهارون وإلياس عليهم السلام بقوله : ﴿وَتَرَكُنَا عَلَيْهُ فِي الآخِرِينَ ﴾ (٢) ومعناه تركنا عليه ثناء حسنا في كل أمة ، وقال تعالى ممتناً على نبيه وخليله إبراهيم عليه السلام ﴿وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِيهٍ ﴾ (٧) يعنى لا إله إلا الله، فلا يزال في ذريته من يقولها . قال مجاهد وقتادة (٨) : ومن تعالى على رسوله المصطفى يزال في ذريته من يقولها . قال مجاهد وقتادة (٨) : ومن تعالى على رسوله المصطفى على بقوله : ﴿ وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ ﴾ (٩) . فعن ابن عباس رضى الله عنهما : يعنى

⁽۱) هو الإمام الحافظ أبو بكر محمد بن عبد الله بن محمد الإشبيلي ولد سنة ٤٦٨ هـ وتتلمذ على جمع من كبار العلماء كالغزالي ، وأبي بكر الشاشي، له مصنفات كثيرة في الأدب والحديث وعلوم القرآن ، توفى بفاس سنة ٥٤٣ هـ . انظر : طبقات المفسرين (٢ / ١٦٢) للداودي، والبداية والنهاية (٢ / ٢٢٨) لابن كثير ، تذكرة الحفاظ (٤ / ١٢٩٢) للذهبي .

⁽٢) بقية الحديث : «من صدقة جارية ، أو علم يُنتَفَعُ به ، أو ولد صالح يدعو له » رواه مسلم ك : الوصية (١٦٣١) ، والترمذي ك : الأحكام (١٣٧٦) والنسائني ك : الوصايا (٢ / ٢٥١) ، وأبو داود ك : الوصايا (٣٦٨) ، وأحمد (٢ / ٣٧٢) ، والبيهقي « السنن الكبرى » (٣ / ٣٧٧) .

^(°) انظر كلام ابن العربى في * أحكامه * (° * / 1871) ، ونقله عنه القرطبي في تفسيره (° 1 / * / * / *)

⁽٤) جاء ذلك عن أنس مرفوعاً بلفظ: « سبعة يجرى للعبد أجرهن بعد موته وهو في قبره: من علم علماً ، أو كرى نهراً ، أو حفر بئراً ، أو غرس نخلاً ، أو بنى مسجداً ، أو ورث مصحفاً ، أو ترك ولداً يستغفر له بعد موته » رواه البزار (كشف الأستار ١٨٩/ ١٤٩) ـ ك: العلم ، وذكره الهيثمى في المجمع (١/ ١٦٧) وقال: رواه البزار وفيه محمد بن عبيد الله العرزمى وهو ضعف .

⁽٥) رواه ابن ماجه ك : الجهاد (٢٧٦٧) عن أبى هريرة ، ونحوه عن سلمان عند أحمد (٥ / ٢٩١) . وقال البوصيرى في الزوائد : إسناده صحيح (مصباح الزجاجة) (٢ / ٣٩١) وصححه القرطبي في تفسيره (٤ / ٢٠٧) .

⁽٦) الصافات: ٧٨

⁽٧) الزخرف: ٢٨.

⁽۸) انظر تفسير الطبرى (۱۱ / ۱۹۳) ــ الآثار (۳۰۸۱۷ ، ۳۰۸۱۸ ، ۳۰۸۱۹) ، الدر المنثور (۷/ ۳۷۳) للسيوطى ، تفسير ابن كثير (٤ / ۱۲۲) ، القرطبى (۱۲ / ۵۲) .

⁽٩) الزخرف : ٤٤ .

القرآن شرف لك ولقومك (١). وقال : ﴿ لَقَدْ أَنزَلْنَا إِلَيْكُمْ كَتَابًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ ﴾ (٢) أى شرفكم . قال أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينورى (٣) : إنما وضع الذكر موضع الشرف ؛ لأن الشرف مذكر . وعن الإمام مالك _ رحمه الله _ فى قوله : ﴿وَإِنَّهُ لَذَكْرٌ لَّكَ وَلَقَوْمَك ﴾ قول الرجل : حدثنى أبي عن جدى (٤) ، وقال تعالى ممتناً على سيد المرسلين محمد ﷺ : ﴿ ورفعنا لَكَ ذِكْرَكَ ﴾ (٥) ذهب الجمهور إلى أن معناه إذا ذُكرْتُ معى ، فليس خطيب ولا متشهد ولا صاحب صلاة يقول (١): أشهد أن لا إله إلا الله ، إلا قال: أشهد أن محمداً رسول الله.

ويروى أن المسيح عليه السلام قال : « الذى يعلم ويعمل بما علم يدعى فى ملكوت السموات عظيماً » .

وعن نبى الله سليمان بن داود عليهما السلام أنه قال: « الذكر الجميل خير من الرائحة الطيبة ، والإنسان يوم يموت خير من يوم يولد ؛ لأن الرائحة الطيبة قولاً تبلغ ربع ميل ، والثناء الحسن (٧) والصفات الجميلة قد تبلغ أقصى الآفاق ؛ وذلك أنّ الإنسان ما دام حياً يزهد فيه نظراؤه ، فإن النفوس كأنها ناظرة إليه ، ومن شأن صاحب المروءة أن يزهد فيما ظفر به لأنه في يده قد أمن فواته ، وأن يحرص على طلب ما غاب عنه ، ويرغب في تحصيله ، فإذا مات الإنسان فقد فات ، فتلمح

⁽۱) رواه ابن جرير في تفسيره (۳۰۸۷۷) (۱۱ / ۲۰۲) ، وابن أبي حاتم والطبراني ، والبيهقي في « شعب الإيمان » وابن مردويه ، كما في الدر المنثور (۷ / ۳۸۰) .

⁽٢) الأنبياء : ١٠ .

⁽٣) الإمام النحوى اللغوى ، صاحب التصانيف الحسان في مختلف فنون العلوم ولد سنة 717 هـ ، وتوفى سنة 707 هـ . هدية العارفين (٥ / 251) ومقدمة تأويل مختلف الحديث (٥ $_{-}$ $_{-}$ $_{-}$ $_{-}$ $_{-}$

⁽٤) ذكره القرطبى فى تفسيره (١٦ / ٦٣) وقال : حكاه ابن أبى سلمة عن أبيه عن مالك بن أنس فيما ذكر الماوردى والثعلبى وغيرهما . وذكره كذلك ابن العربى فى أحكامه (٤ / ١٦٨٣) وقال: ولم أجد فى الإسلام هذه المرتبة إلا ببغداد ، فإن بنى التميمى بها يقولون : حدثنى أبى قال : حدثنى أبى عن رسول الله عليه ، وبذلك شرَفت أقدارهم ، وعظم الناس شأنهم، وتهممت الخلافة بهم .

⁽٥) الشرح : ٤ .

 ⁽٦) روى عن مجاهد وقتادة وغيرهم وفيه أحاديث مرفوعة انظرها في تفسير ابن كثير (٤ / ٥٢٤ ،
 ٥٢٥) .

⁽٧) في الأصل: بدون الواو.

الألسنة حينئذ بتكرار أخباره وإثارة فضائله ، ونشر مآثره ، وإذاعة محاسنه ، حتى لقد كان موته سبباً لاشتهار فضائله أكثر من اشتهارها في حياته ، فهو يوم وفاته خير من يوم ولادته ؛ لأن يوم ولادته إنما يراد به ملك الغاية، وغاية الإنسان إما عالم فهو ملك باق ، وإما جاهل غير متبع فهو شيطان أو بهمية ، فولادة الإنسان إنما هي ليكون له لسان صدق في الآخرين ، فإن الفضائل بالفعل حق الثناء عليه أيام حياته وكثر انتشار فضائله بعد موته ، وانتشارها بعد موته حياة باقية يتوجّه إليها الصالحون ويرغب فيها العارفون ، فيوم كمال الغاية المطلوب والفضل المتوجه إليها الفضل من يوم الولادة ، وقد قيل :

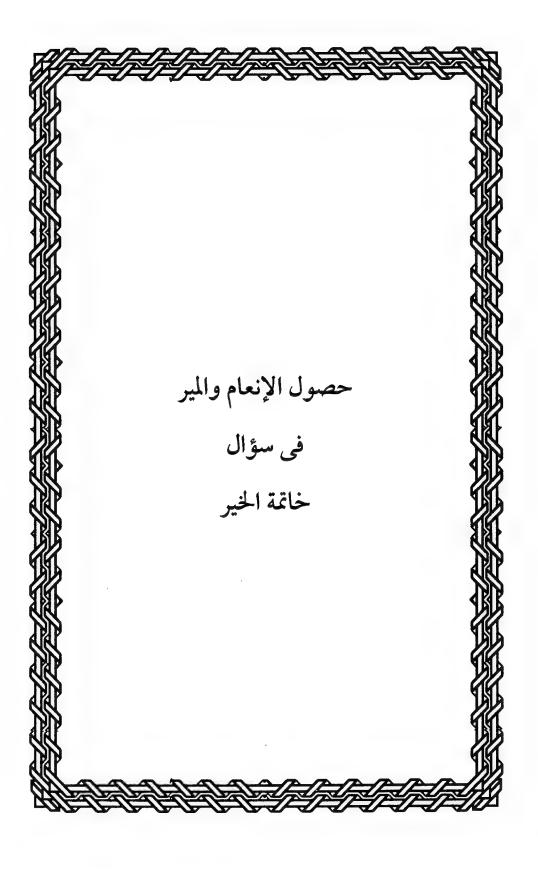
المرء ما دام حياً يستهان به ويعظم الزور فيه حين يفتقد

فاحرص يا أخى ـ أعزك الله بتقواه ، ونور قلبك بنوره حتى لا تشهد سواه ـ أن تكون كما الورد ، فإنه كان أولا بسيطاً غير مركب ، فلما سرى فى التراب ، وظهر فى عالم العيان بصورة الشجر ذات الغصن والورق والورد عابا بالتقطير (۱) إلى مرتبته ، وأصله من البساطة وصورة المائية لكن بزيادة الكمال من طيب الرائحة وتفريح القلب وتقويته إلى غير ذلك من الخواص، فكذا فكن إن كنت ممن سبقت له الحسنى فإنك عندما تعينت صورتك البشرية كانت صفاتك جميعها بريئة من السوء، فإذا تهذبت بالرياضة والسلوك إلى الله تعالى تطهرت أخلاقك من الشر والنقائص وازدادت كمًا بما تحلت به من الآداب والمعارف وسائر الفضائل الروحانية، والله يؤيدنا بتوفيقه من غير خذلان ويعيننا على سلوك طريقه المستقيم ، فإنه المستعان.

قال مؤلفه: تم ذلك على يد جامعه ومنشئه أحمد بن عبد القادر بن محمد المقريزى الشافعى ــ غفر الله ذنبه وستر عيبه بجاه سيدنا محمد وآله وصحبه والحمد لله وحده، تم .

⁽١) اقطار النبت اقطيراراً : ولى وأخذ يجفُّ . القاموس : قطر (٣ / ٦٤٤) .







حصول الإنعام والمير في سؤال خاتمة الخير* بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا محمد الذى جاءنا بالبينات والهدى فبلغ الرسالة ، وأدى الأمانة ، ونصح الأمة ، وكشف الغمة ، وجاهد فى سبيل الله حق جهاده حتى ظهر دينه على كل دين ، وملته على كل ملة ، وعلى آله وأصحابه وسلم ، وبعد:

فنسأل الله المبتدئ لنا بنعمه قبل استحقاقها، المان به علينا مع تقصيرنا في الإتيان على ما أوجب من شكره لها أن يجعلنا من خير أمة أخرجت للناس وأن يرزقنا فهما في كتابه ، ثم سنة نبيه محمد على قولاً وعملاً يؤدى له عنه حقه ويوجب لنا نافلة من يده بمنه وكرمه ، وأن يختم لنا منه بخير وعافية بلا محنة ، فإن سؤال العبد ربه تعالى أن يختم له بخير ، وطلب ذلك لأخيه المؤمن من أهم الأمور وأصله ثابت بالكتاب والسنة .

قال الله جل جلاله حكاية عن الكريم ابن الكريم يوسف بن يعقوب بن إسحاق ابن إبراهيم صلوات الله عليهم : ﴿رَبِّ قَدْ آتَيْتَنَى مِنَ الْمُلْكُ وَعَلَّمْتَنِى مِن تَأْوِيلِ الأَحَادِيثِ ابن إبراهيم صلوات الله عليهم : ﴿رَبِّ قَدْ آتَيْتَنَى مِنَ الْمُلْكُ وَعَلَّمْتَنِى مِن تَأْوِيلِ الأَحَادِيثِ ابنَ إبراهيم صلوات وَالأَرْضِ أَنتَ وَلِيّى في الدُّنْيَا وَالآخرة تَوَقَنى مُسلماً وَأَلْحقْنى بالصَّالحين ﴾ (١) .

على أن علماء التفسير قد اختلفوا في قوله: ﴿ تَوَفّنِي مُسْلِماً ﴾ على قولين: أحدهما: أنه تمنى الموت ، والآخر: أنه تمنى الوفاة على الإسلام إذا جاء أجله ، فأما الأول، فعن السدى عن ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ وقد ذكر قول يوسف عليه السلام: ﴿ رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْك . . . ﴾ الآية . قال : هو أول نبى سأل الله الموت (٢)، وعن ابن جريج (٣) قال : قال ابن عباس رضى الله عنهما في قوله :

^{*} ذكرت هذا الاسم للرسالة من هدية العارفين (٥ / ١٢٧) فقد ساقه ضمن رسائل المقريزى ، وهو مناسب ومتفق مع موضوع الرسالة .

⁽۱) يوسف : ۱۰۱ .

⁽۲) رواه الطبري في تفسيره رقم (١٩٩٤١) من طريق السدي عن ابن عباس (۷ / ٣٣٨) .

⁽٣) هـو عبد الملك بـن عبد العزيـز بن جُريج أحد التابعين الأعلام، روى عن أبيه ومجاهد وعطاء وغيرهم، توفى سنة ١٥٠ هـ . تهذيب التهذيب (٦/ ٢٠٢)، تذكرة الحفاظ (١/ ١٦٩)، شذرات الذهب (١/ ٢٢٦).

﴿رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ الآية، قال: اشتاق إلى لقاء ربه ، فأحب أن يلحقه بآبائه فدعى الله أن يتوفاه ويلحقه بهم ، ولم يسأل نبي قط الموت غير يوسف عليه السلام(١) وهو قول قتادة في قوله: ﴿ تَوَفّنِي مُسْلِماً وَأَلْحَقْنِي بِالصَّالِحِين ﴾ قال: لما جمع الله شمل يوسف وأقر عينه وهو يومئذ مغموس في الدنيا وملكها وغضارتها اشتاق إلى الصالحين قبله (٢) ، وقال ابن عباس: ما تمنى نبي قط الموت قبل يوسف عليه السلام ، وفي رواية: لما جمع الله ليوسف شمله وتكاملت عليه النعم سأل لقاء ربه وقال: ﴿ رَبِّ قَدْ آتَيْتنِي مِنَ الْمُلْكُ . . . ﴾ الآية ، فلم يتمن الموت أحدٌ نبي لا غيره إلا يوسف ، وعن ابن أبي نجيح (٣): لما جمع الله بين يوسف وبين أبيه وإخوته وهو يومئذ ملك مصر اشتاق إلى لقاء الله تعالى وإلى آبائه الصالحين إبراهيم وإسحاق ويعقوب قال: ﴿ رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكُ . . . ﴾ الآية .

وأما القول الآخر فعن الضحاك في قوله: ﴿ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَٱلْحِقْنِي بِالصَّالِحِين ﴾ قال: توفنى على طاعتك واغفر لي إذا توفيتني (٤) ، وعن ابن عباس في رواية عن عطاء: يريد لا تسلبني الإسلام حتى تتوفاني عليه (٥).

وقال الواحدى (٦) في قوله: ﴿ تَوَفّنِي مُسْلِماً وَٱلْحَقْنِي بِالصَّالِحِين ﴾ هذا دليل فيه على تمنى الموت ، بل هو دليل على سؤال أن يكون موته على الإسلام إذا كان ، وقال أبو العباس أحمد بن يوسف الكواشي (٧): ﴿ تَوَفّنِي مُسْلِماً ﴾ أي موحداً مخلصاً ولا تدبير بسبب، فقد ذقت مرارات مخلصاً ولا تجعل لي إلى نفسي رجوعاً بحال ولا تدبير بسبب، فقد ذقت مرارات الأسباب فيما اخترته لنفسي ﴿ وَٱلْحِقْنِي بالصَّالِحِين ﴾ بآبائه النبيين، أو بأهل الجنة، أو

^{· (}١) رواه الطبري (١٩٩٤٢) (٧ / ٣٣٨) .

 ⁽۲) أثر قتادة عند الطبرى في تفسيره (١٩٩٤٤) (۷ / ٣٣٨) ، وذكره القرطبي في تفسيره (٩ /
 ۲۷) .

⁽٣) في الطبرى هذا الأثر مروى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد (١٩٩٤٥) (٩ / ٣٣٩) .

⁽٤) في الطبري (١٩٩٤٧) (٩ / ١٧٦) .

⁽٥) ذكر القرطبي هذا القول وعزاه إلى جمهور المفسرين (٩ / ١٧٦) .

⁽٦) الواحدى : هو على بن أحمد بن محمد بن على بن متويه الواحدى الإمام المفسر النيسابورى له كتب ومؤلفات كثيرة ، منها : أسباب النزول ، البسيط والوسيط فى تفسير القرآن ، الدعوات ، توفى سنة ٤٦٨ هـ . هدية العارفين (٥/ ١٩٢) لإسماعيل باشا .

⁽۷) هو موفق الدين أحمد بن يوسف الموصلي الكواشي الشافعي المتوفي سنة ٦٨٠ هـ ، وتفسيره هذا اثنان ، واحد كبير سماه بالتبصرة ، وصغير سماه بالتلخيص . كشف الظنون (١/ ٤٥٧).

هم الذين زين الله تعالى ظاهرهم بآداب الخدمة ونور بواطنهم بنور اليقين والمعرفة وجعلهم راحة لعباده .

وقال القرطبى بعدما ذكر قول قتادة: وقيل: إن يوسف لم يتمن الموت ، وإنما تمنى الوفاة على الإسلام: إذا جاء أجلى توفنى مسلما، وهذا قول الجمهور، ثم ذكر الأحاديث الواردة في النهى عن تمنى الموت (١) وقال: إذا ثبت هذا فكيف يقال: إن يوسف تمنى الموت والخروج من الدنيا وقطع العمل، هذا بعيد إلا أن يقال: إن ذلك كان جائزًا في شرعته، انتهى.

وقد أثنى تعالى على الذين يدعونه فيقولون : ﴿ رَبُّنَا لا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابِ ﴾ وسماهم راسخين في العلم ، ومعلوم أن أحداً لا يدعو فيقول : ﴿ رَبَّنَا لا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابِ ﴾ (٢) .

ومعلوم أن أحداً لا يدعو فيقول: رب لا تسلبنى سمعى وبصرى بعدما جعلتهما لى ، إلا وهو خائف عليهما وجلٌ من ذهابهما ، فلما أثنى الله تعالى على الداعين إياه بذلك كان الثناء فى الحقيقة بما استحقوه بمعرفتهم عند النعمة عليهم فى هداية الله إياهم للإسلام، وصانهم بها ، وخوفهم أن يسلبوها ، وهذا أصرح شىء فى الحث على طلب خاتمة الخير .

وقال تعالى حكاية عن أهل الجنة أنهم يقولون : ﴿ إِنَّا كُنَّا مُن قَبْلُ نَدْعُوهُ إِنَّهُ هُوَ الْبَرُّ الرَّحِيمُ ﴾ (٣) فَروى فَمَنَّ اللّهُ عَلَيْنَا وَوَقَانَا عَذَابَ السَّمُومِ . إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلُ نَدْعُوهُ إِنَّهُ هُوَ الْبَرُّ الرَّحِيمُ ﴾ (٣) فَروى أنهم كانوا مشفقين من أن يسلبوا الإسلام فيوردوا يوم القيامة موارد الأشقياء، وكانوا يدعون الله تعالى أن لا يفعل بهم ذلك ، فلما كانوا مشفقين أن يسلبوا الإسلام جزاهم ربهم سبحانه وتعالى بإشفاقهم عن دينهم الناشئ عن حبهم إياه ، وعرفانهم قدره ، أن ثبتهم عليه حتى إذا هم في الآخرة إلى رضوانه ، وحلول دار وعرفانهم من جناته، وقال تعالى : ﴿الّذينَ يَذْكُرُونَ اللّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا ﴾ (٤) إلى قوله : ﴿فَاعْفُو لَنَا وَكَفّرْ عَنَا سَيْئَاتِنَا وتَوَفّنَا مَعَ الأَبْرَار ﴾ (٥) .

انظر تفسيره « الجامع لأحكام القرآن » (٩ / ١٧٦) .

⁽٢) آل عمران : ٨ . (٣) الطور : ٢٦، ٢٧ .

[.] ۱۹۳ : ۱۹۱ . (٥) آل عمران : ۱۹۳ .

قال القرطبى: أى أبراراً مع الأنبياء أى فى جملتهم (١) وقال ابن عطية (٢) في المعنى: توفنا معهم فى كل أحكامهم وأفعالهم (٣) ، وقال أبو حيان (٤) : ﴿وَتَوَفَّنَا مَعَ الْأَبْرَارِ ﴾ جمع برر ، على وزن فعَل ، كصلف ، أو جمع بارر على وزن فاعل كضارب ، وأدغمت الراء فيهما فى الراء ، وهم الطائعون لله ، وقيل : هم هنا الذين بروا الآباء والأبناء ، و «مع» هنا مجاز عن الصحبة الزمانية إلى الصحبة فى الوصف . أى : توفنا أبراراً معدودين فى عمل الأبرار ، والمعنى: اجعلنا ممن توفيتهم طائعين لك ، وقيل : المعنى: احشرنا معهم فى الجنة.

فقد تبین من کتاب الله تعالی أن طلب خاتمة الخیر _ وهو الوفاة علی الإسلام _ من سنن المرسلین ، وشعار المؤمنین ، فقد ورد عن بعضهم : کان آخر ما تکلم به أبو بکر الصدیق رضی الله عنه : ﴿ تُوفِّنِی مُسْلِماً وَأَلْحِقْنِی بِالصَّالِحِین ﴾ ، وأما أصل ذلك من السنة ، فقد خرَّج البخاری ومسلم من حدیث قتیبة (٥) بن سعید قال: ثنا یعقوب(٢) یعنی ابن عبد الرحمن القاری ، عن أبی حازم(۷) عن سهل (٨) بن سعد

⁽١) انظر : تفسير القرطبي (٤ / ٢٠٢) .

⁽٢) هو العلامة المفسر أبو محمد عبد الحق ابن الفقيه أبى بكر غالب بن عبد الرحمن بن عبد الرؤوف ابن عطية الغرناطى ولد سنة ٤٨١ هـ وكان إماماً بارعاً فى الأدب ، واسع المعرفة ، وهو أجل من صنف فى التفسير . انظر طبقات القراء (١/ ٣٣٣) ، كشف الظنون (١/ ٣٣٩) ، بغية الملتمس (٣٧٦) .

⁽٣) انظر تفسير المحرر الوجيز (٣ / ٣٢٢) لابن عطية .

⁽٤) أبو حيان : هو أثير الدين ، أبو عبد الله ، محمد بن يوسف بن على بن يوسف بن حيان الأندلسي ، الشهير بأبي حيان ، ولد سنة ٦٥٤ هـ كان ملماً بالقراءات والتفسير ، واللغة ، ومن مؤلفاته تفسيره « البحر المحيط » توفي سنة ٧٤٥ هـ بمصر . الدرر الكامنة (٤/ ٣٠٠ ـ ٣٠٠) لابن حجر .

⁽٦) يعقوب بن عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله بن عبد القارى المدنى ، نزيل الإسكندرية ، حليف بنى زهرة، ثقة من الثامنة ، مات سنة إحدى وثمانين . التقريب (٢ / ٣٧٦) (٣٨٤).

 ⁽۷) أبو حازم: سلمة بن دينار الأعرج النمار أحد الأثمة الزهاد، قال ابن سعد: كان ثقة كثير الحديث، وكان يقص في مسجد المدينة. مات بعد سنة ١٤٠ هـ. انظر تذكرة الحفاظ (١/ ١/ ١٠٣).
 ١٣٣)، والتهذيب (٤/ ١٤٣)، شذرات الذهب (١/ ٢٠١).

⁽٨) سهل بن سعد بن خالد بن ثعلبة، الإمام الفاضل المعمر، بقية أصحاب رسول الله ﷺ، من =

الساعدي رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال:

« إن الرجل ليعمل عمل أهل الجنة فيما يبدو للناس وهو من أهل النار ، وإن الرجل ليعمل عمل أهل النار فيما يبدو للناس وهو من أهل الجنة » (1) .

ذكره البخارى في كتاب الإيمان (٢) مطولاً ، وذكره في كتاب الجهاد ، وترجم عليه باب : « لا يقول: فلان شهيد » (٣) .

حدثنا سعيد (٤) بن أبى مريم: ثنا أبو غسان (٥): ثنى أبو حازم، عن سَهْل: أن رجلاً من أعظم المسلمين غَناءً عن المسلمين في غزوة غزاها مع النبى عَلَيْ ، فنظر النبى عَلَيْ فقال: « مَنْ أحب أن ينظر إلى رجل من أهل النار فلينظر إلى هذا ». فاتبعه رجل من القوم وهو على تلك الحال من أشد الناس على المشركين حتى جُرح فاستعجل الموت فجعل ذُبابة (٦) سيفه بين ثدييه حتى خرج من بين كتفيه ، فأقبل الرجل إلى النبى عَلَيْ مسرعاً فقال: أشهد أنك رسول الله ، فقال: «وما ذاك؟» قال: قلت لفلان: من أحب أن ينظر إلى رجل من أهل النار فلينظر إليه ، وكان من أعظمنا غَناءً عن المسلمين فعرفت أنه لا يموت على ذلك ، فلما جُرح استعجل الموت فقتل نفسه ، فقال النبي عَلَيْ عند ذلك: «إن العبد ليعمل عمل أهل النار وإنه من

مشاهير الصحابة، وهو آخر الصحابة موتاً بالمدينة سنة ٩١ هـ . انظر : الإصابة (Υ / Λ /) ، التهذيب (\Im / Υ) ، تهذيب الكمال (\Im / \Im) ، سير أعلام النبلاء (\Im / \Im) ، رجال صحيح مسلم (\Im / \Im) .

⁽۱) رواه البخارى ك : المغازى ب / ٣٩ غزوة خيبر (٢٠٢٦)، (٢٠٧٥) ، وفى ك : القدر ب/ ٥ العمل بالخواتيم (٢٦٠٧) ، وفى ك : الرقائق ب / ٣٣ الأعمال بالخواتيم (٢٤٩٣) ، ورواه مسلم فى ك : الإيمان ب / ٤٧ (١٧٩ / ١١٢) ، وفى ك : القدر ب / ١ (١٢ / ١٢١) .

⁽٢) لم يروه في كتاب الإيمان ، وإنما رواه مسلم ــ كما سبق ــ في هذا الكتاب .

⁽٣) ك:الجهاد ب/ ٧٧ لا يقول:فلانُ شهيد.حديث رقم (٢٨٩٨).انظر فتح الباري(٦/ ١٠٥، ٢٠٦).

⁽٤) سعيد بن أبى مريم الجُمَحى مولاهم هو ابن الحكم بن محمد بن سالم المصرى الحافظ روى عن مالك ، والليث ، وعنه البخارى والذهلى وآخرون . قال ابن يونس : كان ثقة فقيها ولد سنة ١٤١ هـ ، وتوفى سنة ٢٢٤ هـ . انظر : تذكرة الحفاظ (١ / ٣٩٢) ، العبر (١ / ٣٩٠) التقريب (١ / ٣٠٥) .

⁽٥) أبو غسان : يحيى بن كثير بن درهم أبو غسان العنبرى ، البصرى، قال عباس العنبرى : كان ثقة، وقال أبو حاتم : صالح الحديث . انظر: التهذيب (١١ / ٣٦٦) ، والتقريب (٢ / ٣٥٦) ، رجال مسلم (٢ / ٣٤٩) .

⁽٦) ذبابة سيفه : أي نصل السيف .

أهل الجنة. ويعمل عمل أهل الجنة وإنه من أهل النار وإنما الأعمال بالخواتيم » (١).

فانظر _ رحمك الله _ كيف نبهنا رسول الله ﷺ على التيقظ ، وأن لا نَغْترً على التيقظ ، وأن لا نَغْترً على البدو من ظاهر الأعمال . وإنّ العبرة بما يُخْتَمُ للعبد به . فلذلك طلب أهل الله من ربهم سبحانه أن يُخْتَمُ لهم بخير ، إذ خاتمة الخير هي المعتبرة عند الله ، وهي التي بها ينال العبد النجاة من النار ، والفوز بالجنة .

وقد خَرَج مسلم هذا الحديث مختصراً من طريق أبى هريرة رضى الله عنه ، فقال : ثنا قتيبة بن سعيد ، قال : أنبأنا عبد العزيز _ يعنى ابن محمد _ عن العلاء عن أبيه عن أبى هريرة رضى الله عنه ، أن رسول الله على قال : " إن الرجل ليعمل الزمن الطويل بعمل أهل الجنة ، ثم يُختم له عمله بعمل أهل النار . وإن الرجل ليعمل الزمن الطويل بعمل أهل النار ، ثم يُختم له عَملُهُ بعمل أهل الجنة»(٢).

فانظر _ رحمك الله _ كيف نص فى حديث أبى هريرة هذا على ذكر الخاتمة، لا جرم أن كان طلب الخير أهم ما توجه إليه المتقون فقد جاء فى بعض الآثار: المخلصون على خطر عظيم .

وخرج هذا الحديث أيضا أبو بكر بن أبى شيبة من طريق أنس بسند في غاية الصحة وسياقه مفيد لما نحن بصدده ، فقال : أنا يزيد بن هارون عن حميد عن أنس _ رضى الله عنه _ أن رسول الله عليه قال : « لا عليكم ألا تعجلوا بحمد أحد حتى تنظروا بما يختم له ، فإن العامل يعمل زماناً من عمره أو برهة من دهره بعمل صالح لو مات عليه دخل الجنة ثم يتحول فيعمل عملاً سيئاً ، وإن العامل ليعمل البرهة من دهره بعمل سيئ لو مات عليه دخل النار ، ثم يتحول فيعمل عملاً ليعمل الله ، وإذا أراد الله بعبد خيراً استعمله قبل موته » . قالوا : يا رسول الله ، وكيف يستعمله ؟ قال : « يوفقه لعمل صالح ثم يقبضه عليه » (٣) .

⁽۱) أثبتنا هذا الحديث بتمامه من صحيح البخارى ــ ك : القدر ، ب : العمل بالخواتيم (٦٠٤) . (٢) أخرجه مسلم ــ ك : القدر ، ب : كيفية الخلق الآدمي (٢٦٥١) .

⁽٣) صحيح : رواه أحمد في مسنده (٣ / ١٢٠ ، ١٢٣ ، ٢٣٠) ، وابن أبي عاصم في «كتاب السنة» (١ / ١٧٤) (٣٩٣) من طرق ، والآجرى في « الشريعة » (١٨٥) ، عن أنس، بلفظه ، وروى آخره « إذا أراد الله بعبده خيراً استعمله » مختصراً عند الترمذي (٢١٤٢)، والحاكم ك : الجنائز (١/٠٤٣) ، وابن حبان (موارد : ١٨٢١) ، وابن المبارك في « الزهد » (٩٧٠) ، وأحمد في « الزهد » (٣٩٨) ، وابن أبي عاصم في « السنة » (٣٩٧) من طريق أبي بكر بن أبي شيبة . وإسناده صحيح على شرطهما كما قال الذهبي والحاكم .

وقال أيضاً: أنا يزيد بن الحباب ثنا معاوية بن صالح أنبأنا عبد الرحمن بن جبير ابن نفير الحضرمي عن أبيه عن عمرو بن سَمِعة يقول: قال رسول الله على الله أراد الله بعبده خيرا عسله قبل ». قيل: وما عسله ؟ قال: « يفتح له عملاً صالحاً بين يدى موته حتى يرضى من حوله» (١). وهذه مسألة من مسائل أصول الدين مهمة جرى فيها خلاف كبير بين الأشاعرة(٢) وبين الماتريدية(٣) من الحنفية ، وهى مسألة الموافاة .

فذهب أصحابنا الأشعرية ومن تابعهم إلى القول بالموافاة ، وهى أن العبرة فى حال العبد المكلف بالخاتمة لأعماله، فمن ختم له من الناس بالإيمان تبين أنه كان عند الله مؤمناً من الابتداء، وأنه كان حين يخر ساجداً للصنم معتقداً للشرك مصرحاً بأنه ند لله تعالى كان مؤمناً ، ومن ختم له بالكفر _ نعوذ بالله من ذلك _ تبين أنه كان كافراً من الابتداء ، وحين كان مصدقاً لله ولرسوله كان عند الله كافراً (٤).

ومنع الماتريدية أصحاب أبى منصور الماتريدى من الحنفية (٥) هذا القول وأبطلوه واحتجوا بأن الإيمان هو التصديق بما جاء به محمد ﷺ من عند الله تعالى ، وهو أمر حقيقى لا يتبين بانعدامه أنه ما كان موجوداً ، كمن كان قائماً ثم قعد ، أو كان شاباً ثم شاخ لم يتبين أنه كان قائماً ولا شاباً .

⁽۱) رواه أحمد (٥ / ۲۲٤) ، وابن حبان (موارد : ۱۸۲۲) ، وابن أبي عاصم في السنة (١/١٧٥) (٤٠٠)، والطحاوي في « مشكل الآثار » (٣ / ٢٦١) ، والبخاري في « تاريخه الكبير » (٨/ ٣٠٢) ، والحاكم ك : الجنائز (١ / ٣٤٠) وصححه وأقره الذهبي .

⁽٢) الأشاعرة : نسبة إلى الإمام الحسن على بن إسماعيل الأشعرى أحد الأثمة الأعلام . انظر ترجمته في «وفيات الأعيان » (٢ / ٤٤٦ رقم ٤٠٠) لابن خلكان .

⁽٣) نسبة إلى الإمام المتكلم أبى منصور الماتريدى الحنفى وكان مذهبه ذائعاً فى أقصى المشرق، وبينه وبين أبى الحسن الأشعرى تشابه كثير فى الأصول. انظر مقدمة مقالات الإسلاميين (٣ / ٢٦ ، ٢٧).

⁽٤) وذهب هؤلاء إلى أن الإيمان الذي يعقبه الكفر فيموت صاحبه كافراً ، ليس بإيمان ، كالصلاة التي أفسدها صاحبها قبل الكمال ، وعند هؤلاء أن الله يحب في الأزل من كان كافراً إذا علم أنه يموت مؤمناً ، فالصحابة ما زالوا محبوبين قبل إسلامهم ، وإبليس ومن ارتد عن دينه ما زال الله يبغضه وإن لم يكفر بعد ، قال شيخ الإسلام ابن تيمية ، وابن أبي العز « شارح الطحاوية »: وهذا مأخذ كثير من الكلابية وغيرهم وليس هذا قول السلف ، ولئن كان يقول بهذا من يستثنى من السلف في إيمانه ، وهو قول فاسد . انظر تفصيله ، والرد عليه في « شارح العقيدة الطحاوية» (٣٢٥ ، ٣٣١) .

⁽٥) وهو مذهب كل من جعل الإيمان شيئاً واحداً ، وعندهم من استثنى في إيمانه فهو شاك فيه ، وسموا الذين يستثنون في إيمانهم الشكاكة. انظر شرح الطحاوية (٣٣٧) .

" « الاستثناء في الإيمان »:

ونشأ عن هذه المسألة مسألة أخرى عظم فيها الخلاف من الفريقين، وأطلق بعض مخالفي الأشعرية لسانه من أجل هذه المسألة بما لا يحمل وهي : هل يقال: أنا مؤمن إن شاء الله أو لا ؟

فذهب أكثر أصحابنا الأشاعرة إلى أنه يجوز إطلاق الإنسان قوله: أنا مؤمن إن شاء الله، لا للشك، بل لأن مذهبهم العبرة بحالة الموت، لا الإيمان الموجود في الحال ولا للكفر الموجود في الحال، بل ذلك الحال مشتبه عليهم، وإذا لم يعلموا بها لم يعلموا ما هم عليه في الحال لسقوط ما هو الموجود للحال، وتذكر بحمك الله عنا حال سحرة فرعون وحال أصحاب رسول الله عليه في أول أمرهم وما آلت إليه أحوالهم، يفدك هنا فائدة جليلة، وقد أشار إلى ذلك بعض أهل العرفان بقوله: «وكم لله من قوم هم في المعاصى والمعاصى لا تضرهم».

« رفض الحنفية للاستثناء »:

وخطأ الحنفية من استثنى فى إيمانه وقالوا: قد شهد الله لمن آمن بالله ورسوله بقوله: ﴿ آمَنَ الرَّسُولُ . . . ﴾ (١) الآية وخرج بقطع القول للذين قالوا: ﴿ رَبُّنَا اللَّهُ ﴾ (٢) ولم يأمرهم بالاستثناء ، وكذلك قال تعالى : ﴿ قُولُوا آمَنًا بِاللَّه . . . ﴾ (٣) فأمر تعالى بذلك من غير استثناء ، وقال تعالى : ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً مِّمَّن دَعَا إِلَى اللَّهِ . . . ﴾ إلى قوله: ﴿ وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِين ﴾ (٤) فجعل تعالى قول القائل : ﴿ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِين ﴾ أحسن قول .

« كلام السلف في الاستثناء »:

وقال النووى (٥): واختلف العلماء من السلف وغيرهم في إطلاق الإنسان قوله: أنا مؤمن . فقالت طائفة: لا يقول: أنا مؤمن مقصراً عليه ، بل يقول: أنا مؤمن إن شاء الله، وحكى هذا المذهب بعض أصحابنا عن أكثر أصحابنا المتكلمين ،

 ⁽١) يقصد قوله في سورة البقرة : ﴿ آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلِّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلائِكَتِهِ
 وَكُتُبه وَرُسُله ﴾ (البقرة: ٢٨٥) .

⁽٢) فصلت : ٣٠ . (٣) البقرة : ١٣٦ .

⁽٤) فصلت : ٣٣ .

⁽٥) انظر كلام النووى الذي ذكره عنه المصنف في شرح مسلم (٣ / ١٤٩ ، ١٥٠) .

وذهب آخرون إلى جواز إطلاقه وأنه لا يقول : « إن شاء الله » وهذا هو المختار ، وقول أهل التحقيق .

وذهب الأوزاعي وغيره إلى جواز الأمرين^(۱) ، والكل صحيح باعتبارات مختلفة فمن أطلق نظر إلى الحال وأحكام الإيمان جارية عليه في الحال ، ومن قال: إن شاء الله ، فقالوا فيه : هو إما للتبرك ، وإما لاعتبار العاقبة ، وما قدر الله تعالى فلا يدرى أيثبت على الإيمان أم يصرف عنه ، والقول بالتخيير حسن صحيح نظراً إلى مأخذ القولين ، ورفعاً لحقيقة الخلاف ، وأما الكافر ففيه خلاف غريب لأصحابنا ، منهم من قال : هو كافر "، ولا يقال: إن شاء الله ، ومنهم من قال: هو في التقييد كالمسلم على ما تقدم، فيقال على قول التقييد: هو كافر إن شاء الله تعالى نظراً إلى الخاتمة ، وأنها مجهولة ، وهذا القول اختاره بعض المحققين والله أعلم . انتهى (٢).

وقد جاء في معنى خاتمة الخير أحاديث وآثار .

قال ابن السنى: ثنا نجيح بن إبراهيم بن محمد بن ميمون ثنا صالح بن أبى الأسود عن عبد الملك النخعى عن ابن جدعان ، عن أنس بن مالك رضى الله عنه أن رسول الله على كان يقول إذا انصرف من الصلاة : « اللهم اجعل خير عمرى آخره ، واجعل خير أيامى يوم لقاك » (٣).

وقد روى عن الإمام أبى عبد الله أحمد بن حنبل رضى الله عنه أنه كان كثيراً ما يدعو :اللهم أمتنى على الإسلام والسنة .

ومن الأدعية المأثورة: « اللهم ألبسنى العافية كى تهيننى المعيشة ، واختم لى بخيرٍ حتى لا تقرنى ذنوبى ، واكفنى مؤونة الدنيا وكل هولٍ فى الآخرة حتى تدخلنى الجنة فى عافية».

⁽۱) وهذا أقوى الأقوال وقد أطال في صحته وترجيحه الإمام ابن أبي العز في شرح الطحاوية(٣٢٦). وقال: هذا مذهب عامة السلف ، وكذا في الإيمان ، لابن تيمية (٣٣٢، ٣٣٣) ، شرح السنة للبغوى (١ / ٤٥) .

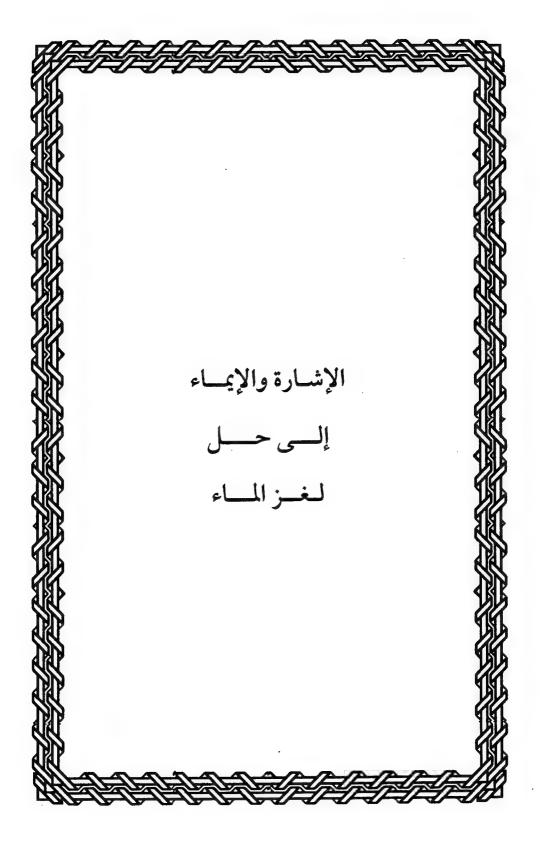
⁽۲) من شرح مسلم (۱۱/۱۵۰) للنووي .

⁽٣) رواه ابن السنى فى « عمل اليوم والليلة » (١٢١) وفى سنده أبو مالك النخعى وهو ضعيف كما قال ابن حجر فيما نقله عنه ابن علاف فى شرح الأذكار (٣ / ٦٠) ، ورواه الطبرانى فى «الأوسط » كما فى المجمع (١٠ / ١٠) وفيه نفس هذا الراوى وبه أعله الهيثمى .

ومن دعاء بعضهم : اللهم إنى أعوذ بك من العجز عند الكبر ، وأعوذ بك من سوء الخاتمة عند الموت .

والله الموفق والهادى إلى سبيل الرشاد ، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه الذين أقاموا دين الإسلام بالسيوف الحداد .

والحمد لله وحده . . . تم .





الإشارة والإيماء إلى حل لغز الماء بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ، وبعد :

فقد وقف ذو القريحة (١) الشحيحة ، والخاطر الحائر على ما برزت به الإشارة الكريمة ، من حل لغز قد استَغْلَقَ معناهُ ، وبَعُدَ مَرماهُ ، فامتثلت ذلك ولم أكن هنالك أدخل الألغاز غير صناعتى ، والنظر فيها ومعاناتها ليست من بضاعتى ، لكنى سألت الله أن ييسر لى حله ، فأعان عليه ، وأهدى بفضله إليه ، فإذا هو قد ألغزَ في الماء الذي به حياة الأنفس، وحياة كل شيء حي وبيانه أنه قال :

ما قولكم في شيء يطير بلا جناح يبيض ويفرخ في البطاح (٢) ؟

هذا إشارة إلى نزول الماء من السحاب ، فإن الطيران هو الاستعلاء في جو السماء والارتفاع في الهواء والمرور فوق الأرض وتحت السماء ، وكذلك الماء فإنه يستعلى في الجو ، فإن الشمس إذا أشرقت وارتفع الندى طار ، وحقيقة الندى النازل من السماء إنما هو أجزاء مائية صغيرة واعتبره هذا تجده عياناً ، فإنك إذا وضعت قشرة بيضاء تحت السماء في ليلة ذات أندية فإنها توجد في السحر قد امتلأت ماء ، فإذا طلعت الشمس تراها ترتفع في الجو بنفسها حتى تغيب عن العيان ، وأما مرور الماء فوق الأرض وتحت السماء ، فأمر مشاهد عند نزول المطر ، فقد بان واتضح أنه يطير بلا جناح ، وإطلاق الطيران عليه يكون من باب الاستعارة .

وقوله: « يبيض ويفرخ فى البطاح » استعارة لطيفة ، فإن الماء إذا نزل إلى الأرض أخرجت عند ذلك حبَّها ، ومن هذا فاستعار اسم البيض والفراخ لما يكون عن الماء ، والاستعارة تكون بأوفى علاقة كما تقرر فى علم البيان .

« رأسه في ذَنَبِه » يشير إلى أن وقت نزول الماء من السماء يرى خطوطاً كأنها حبال أو أعمدة ، أو خيوط بحسب غزارته ، فيكون رأس الخط الممتد مما يلى

⁽١) القَريحةُ : أولُ ماء يُستنبطُ من البئر ، ومعناه هنا : الطبع . القاموس (٣ / ٥٨٤) .

 ⁽٢) البطاح : المكان المتسع من الأرض ، والبطاح : جمع بطح وبطيحة ، وبطحاء . القاموس (١/
 (٢٨٥) .

الأرض ، وفي الحقيقة إنما هو طرفه الآخر ، وذكر الذنب أيضا إنما يكون من باب الاستعارة ، وإذا بالذنب الطرف .

وقوله: « وعينه في موضع قتبه (١) » معنى مستغلق شرحه أن الماء إذا اجتمع في موضع ثم سقط فيه المطر انتشر في أعلاه _ أعنى سطحه _ شيء مستدير يقال لما كان مثله في الخمر عند من لها أحباب ، ولله در أبى الحسن بن هانئ الحكمى حيث يقول:

كأن صغرى وكبرى من فواقعها حصباء(٢) در على أرض من الذهب

فاستعار الغيث لما يتكون في سطح الماء الذي هو ظهره في تلك الهيئة ، وشبه تلك الفواقع التي حدثت في الماء بالعيون وهي شبه تلك الفواقع التي حدثت في الماء بالعيون ، وهي شبه بالحدقة ومقلة العين فلذلك قال : وعينه في موضع قتبه ، ولم يقل: وعينه في قتبه تحقيقاً للاستعارة ، وناسب ذكر القتب دون ما سواه آلات الدواب كالسرج والإكاف(٣) ونحوهما شيئين أحدهما : أن البعير الذي القتب آلة لظهره يشبه بالسفن ، ففي الأمثال « الإبل سفن البر » ، ويؤخد هذا المثل من القرآن الكريم ، قال الله تعالى : ﴿ وَآيَةٌ لَهُمْ أَنَا حَمَلْنَا ذُرِيَّتَهُمْ فِي الْفُلْكُ الْمَشْحُونِ . وَخَلَقْنا لَهُم مِن مَثْلُه » يعود إلى الفلك وهو لهم من مَثْلُه » يعود إلى الفلك وهو معنى حسن ، والثاني : أنه لا يوجد في الدواب ما يُوقر (٥) وهو بارك ثم يثور بحمله سوى البعير ، قال الله تعالى : ﴿ وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَىٰ بَلَد لَمْ تَكُونُوا بَالِفِيهِ إِلاَ بِشِقِ بحمله سوى البعير ، والله أعلم — الإبل ، فشابه البعير — من هذه الحيثية — الأنفس ﴾ (٦) يعنى — والله أعلم — الإبل ، فشابه البعير — من هذه الحيثية — السفن؛ لأنها تحمل من الأثقال ما لا يحمله سواها مما أعد للحمل .

وقوله : « ويسمع بأذن واحدة ، ويبصر بعين زائدة »

⁽١) القتب : المعى ، وما استدار من البطن ، والإكافُ الصغير على قدر سنام البعير ، والجمع : أقتاَبٌ . القاموس (٣/ ٥٥٧) .

⁽٢) الحصباء : الحصى ، واحدتها حَصَبَةُ . القاموس (١ / ٦٨١) .

 ⁽٣) الإكاف : ما يوضع على الدابة للركوب كالبرذعة ونحوها . انظر : المصباح المنير (١٠/١٥) ،
 القاموس (١/ ١٦٣) .

⁽٤) يُس : ٤١ ، ٤٢ .

⁽٥) يُوقَرُّ : أي يوضع عليها الأحمال الثقيلة ، والوِقر : الحِمل الثقيل . القاموس (٤ / ٦٤١) .

⁽٦) النحل: ٧.

استعارة لطيفة ؛ لأن الناس إذا قحطوا وضجوا (١) بالدعاء نزل الغيث غالباً ، فعبر عن نزوله وقت اجتماعهم بالدعاء بالسمع ، فكأنه سميع لصحيح الأصوات باختلاف اللغات ، وتفنن العبارات ، فنزل من أعلى السماوات ، والأذن الواحدة إشارة إلى الجهة، فإن نزوله إنما هو من جهة العلو المعبر عنها بالسماء ، ولا يرد على هذا أن الماء ينبع من الأرض فإنه لا ماء فيها إلا ما استودعته منه في جوفها مما نزل من السماء .

قال الله تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللّهَ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَلَكَهُ يَنَابِيعَ فِي الأَرْضِ ﴾ (٢) ، وكونه يبصر بعين زائدة إشارة إلى ما تقدم تبيانه من ظهور تلك الفواقع التى تشبه مقلة العين ، فصار كأنه يبصر بعين هى واحدة فى الهيئة لا متعددة الكيفية ، يعنى استدارتها ، وما ألطفه حين وصف العين بالزيادة ، إذ هى حادثة لا أصلية كما يحدث الموج فى البحر ، فلا هو هو ولا هو غيره ، ولأصحابنا من الصوفية هنا كلام لا يليق بهذا المقام ذكره .

وقوله: « له قَرْنٌ كالنخلَة السَّحُوق »(٣) هذا تخيل حسن ، فإن الماء في حال نزوله من السماء يرى كحبال ممتَدة عَبَّر عن هيأتها بالقرن(٤) من باب الاستعارة يعمى به .

وقوله : « يعجب من أبصره ويروق » ظاهرٌ فإن الماء يعجب من رآه ويروقه .

وقوله: « يصلُ إلى الغرب بالليل » معنى عويص جداً يحتاج إلى إطالة شرح، وملخصه: أن جميع أنهار الأرض الكبار تنبعث خارجة من جهة المشرق، وتمر فى جريانها أمة نحو الغرب، ما عدا أنهار ثلاثة وهى: نيل مصر، وعاصى(٥) مدينة حماة، ونهر أيل بأطراف بلاد الترك مما يلى الخطا، فإن هذه الأنهار الثلاثة تخالف

⁽١) ضَجُّوا : رفعوا أصواتهم بالدعاء بنزول المطر .

⁽٢) الزمر : ٢١ .

⁽٣) السحقُ : الثوب البالي، والسَّحْقُ : البعد ، وسحقت النخلة: إذا طالت. القاموس (٢/ ٥٣٠) .

⁽٤) القرَّنُ : أعلى الرأس ، والخُصلة من الشعر ، والحبلُ المفتول من لحاء الشجر . القاموس (٣ / ٢٠٦) .

⁽٥) في القاموس: العاصى نهرٌ بمدينة حماة. واسمه الميماس، والمقلوب، لُقُب به؛ لعصيانه فإنه لا يسقى إلا بالنواعير وهي الدلاء يستسقى بها. القاموس (٣/ ٢٤٣).

سائر أنهار الأرض، وتخرج من جهة الجنوب وتمر إلى الشمال ، ولهذا علل لا يحتمل هذا الموضع إيرادها فاستعار هذا الملغز لمرور مياه الأنهار نحو الغرب ، وذكره الليل لا يلزم منه الاختصاص دون النهار ، وهذه مسألة من مسائل أصول الفقه ، وهي : أن التنصيص على الشيء باسمه العَلَم لا يدلُّ على الخصوص لقوله على « الماءُ من الماء »(١) ومعنى الحديث الغسل بالماء من إنزال المنى(٢) ، ولا يلزم منه اقتصار الغسل على نزول المنى ، بل يلزم منه ومن الإيلاج ، وفي هذه المسألة خلاف قديم ولشرحها موضع معروف من كتب الفقه .

وقوله: « ويسجد طول دهره لسهيل (٣)» فهذا أعوص مما قبله لكن نُبيّنه فنقول: سُهيَلُ أحد الكواكب الثابتة التي تعرف بالبينانية (٤)، وهو أبداً لا يرى إلا في ناحية الجنوب، ومتى تركت عراق الغرب وراءك وسرت لا تراه، ويصير بتلك الأقطار الشمالية أبدا الخفاء، كما هو جهات الجنوب أبدى الظهور.

وفى إقليمى مصر والشام يرى محاذيا للأفق أحياناً ، ويخفى أوقاتا ، والسحب إنما تنشأ من البخار دائما ،وهى مركبة من بخارين فتصير عند انتشائها تواجه سهيلاً؛ لأن ناحية الجنوب حيث مدار سهيل ليس فيها بخار (٥) كما تقرر فى موضعه من العلم الطبيعى، ولا يعترض بما يشاهد من بلاد الشام وما وراءها من الشمال والمشرق

⁽۱) رواه مسلم ك: الحيض (۸۱ / ٣٤٣) ، وأبو داود ك: الطهارة (۲۱۷) ، وأحمد في مسنده (۲۱۷) ، والنسائي (۱ / ۱۱۵) ، وابن خزيمة في صحيحه (۲۳۳ ، ۲۳۴) عن أبي سعيد الخدري .

⁽۲) قال البغوى: العملُ عند أكثر العلماء من الصحابة فمن بعدهم : أنَّ من جامع امرأته فغيَّب الحشفة ، وجب الغسل ، وإن لم يُنزل ، وهو قولُ أبى بكر ، وعمر ، وعثمان ، وعلى ، وعائشة ، وغيرهم . وكان الحُكم في ابتداء الإسلام أنَّ من جامع فأكسل لا يجب عليه الغُسلُ ، ويتوضأ كما يتوضأ للصلاة ، ويغسلُ ذكرَهُ ، ثم صار ذلك منسوخاً بإيجاب الغُسل ، وإن لم ينزل . فعن أبى بن كعب قال : كان الماء من الماء ، شيء في أول الإسلام ، ثم ترك ذلك بعدُ، وأمروا بالغسل إذا مسَّ الحتانُ الحتانُ . انظر : شرح السنة (١ / ٣٢٠) للبغوى ، فتح الباري (١ / ٢٧١) .

⁽٣) سُهيلُ : نجم عند طلوعه تنضج الفواكِهُ وينقضى القَيْظُ . القاموس (٢ / ٦٣٩) .

⁽٤) جاء في القاموس : الكواكِبُ البيانِيَّاتُ : هي التي لا تنزلُ الشمس بها ولا القمر . القاموس (١/ ٣٥٣) .

⁽٥) هذا قصارى ما وصل إليه العلم في عصر المؤلف ــ رحمه الله ، أما العلم الحديث فإنه يثبت أن البخار يتصاعد من جميع الأماكن على سطح الكرة الأرضية بلا استثناء .

من تصاعد الأبخرة في أيام الشتاء من الجبال وقفر (١) الأرض ، فنقول وقد نشأ السحاب من هذين أيضا فما دام الأمر كذلك ، فإن البخار الناشئ من الأرض إنما يسير بالنسيم إلى بخار البخار وهما يتحدان عند تصاعدهما فيكون منهما السحاب ، ولست الآن بصدد الكلام على هذا فله مكان هو أليق به من هنا .

وقوله : « فتقرب به الملوك للخالق » :

تنويه بهذا المُعَمَّى ، حيث نصَّ على الملوك ، فإنهم أعلى طبقات البشر ولأمر ما يسُودُ من يَسُودُ ، فما من ملك من الملوك إلا وهو إذا أراد الصلاة التي هي أشرف ما تقرب بها العباد إلى ربهم عز وجل ، فإنه يرفع أحداثهم بالماء .

وقوله: « ويوحدوه بقول صادق »:

أى : يفردوه فلا يتقربون في تطهيرهم بغيره ، ولا يرد على هذا التيمم بالصعيد من التراب وغيره ، فإنه بدل لا يصار إليه إلا عند فقد الماء صورة أو معنى .

قوله : « النصاري تتقرب به واليهود » :

قول ظاهر ما أحد منهم إلا وهو يتقرب بالماء في إزالة أحداثه . ولا يردُّ على هذا كون النصارى الآن لا تغتسل من جنابة ، ولا تتوضأ ، بل ولا توجب إزالة شيء من النجاسات العينية بالماء ، فإن هذا من بدع ضلالتهم التي ابتدعوها ، وليس مما جاء به المسيح عيسى ابن مريم عليه الصلاة والسلام ، كما ابتدعوا الصوم ، وأحدثوا فيه أسبوعاً من الأسبوع يلزم اليعاقبة دون الملكية افتراء على الله ، وكما ابتدعوا الرهبانية ، وكما ابتدعوا ومنعوا من أكل اللحوم في أيام الصوم ، وكما ابتدعوا من بدعهم التي اتبعتها(٢) في حواشي الإنجيل عندما طالعته قديماً .

وقوله: «والكتب المنزلة بذلك شهود» كلام صحيح، ففى القرآن الكريم والتوراة والإنجيل والزبور وسائر كتب الأنبياء التى توجد اليوم بأيدى اليهود والنصارى وهى نيف على خمسين كتاباً، فى عدة مواضع شاهدة أن الماء يتقرب به، ولولا خوف الإطالة لسردت منها كثيرًا، فقبح الله النصارى وجعل عليهم ما يخرج من أسافلهم حيث استدلوا على ترك إزالة النجاسات العينية بقوله فى الإنجيل: «ليس

⁽١) القَفْرُ والقَفْرَةُ : الخلاء من الأرض كالمقفار . القاموس (٣ / ٦٦٤) .

 ⁽۲) في الأصل : ابتدعتها ، والصواب ما أثبتناه ، وحواشي الإنجيل من كتب _ المصنف _ كما سيأتي .

النجس ما يخرج منك ، إنما النجس كلمة تخرج من فيك » فإن هذا لا يقتضى ما زعموه ، إنما فيه شناعة الكلام الخبيث لا حجة لهم غيرها ، وقد بسطت الكلام في حواشى الإنجيل عليها بما لا يرده إلا جاهل أو معاند .

وقوله: « ريشه كثير ووبره غزير » إشارة إلى كونه يتكون عنه ما يلبسه الإنسان من القطن والكتان ونحوهما من الثياب يقال لها: ريش ورياش ، وهما قراءتان فى قوله تعالى: ﴿ يَا بَنِي آدَمَ قَدْ أَنزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَارِى سَوْءَاتِكُمْ وَرِيشًا وَلِبَاسُ التَّقُوْى ﴾(١).

فقرأ الجمهور من الناس « وريشا » ، وقرأ الحسن (٢) وعاصم ($^{(4)}$ وجماعة «ورياش» بألف بعد الياء ، وقال الكلبى (٤): لباس التقوى : العفاف (٥) .

وقيل في قوله تعالى : ﴿ أَنزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا ﴾ أنزلنا من السماء ماء فأنبتنا به لباسا، وبهذا يتبين معنى قوله : ووبره غزير .

وقوله : « طعامه الجوز والعسل » :

معناه : من طعامه الذي يتكون في الأرض عقيب ريها منه مما يطعمه الناس الجوز والعسل .

وقوله: « وبه يضرب المثل » يريد: معنى قولهم هو أعذب من الماء ، هو أصفى من الماء ، هو ألذُ من الماء عند الظمآن، ونحو ذلك، على ما تضمنه « كتاب الأفعال »

⁽١) الأعراف : ٢٦ .

⁽۲) الحسن بن أبى الحسن ، واسمه يسار البصرى ، أبو سعيد التابعى الجليل ، قال قتادة : الزموا هذا الشيخ ، فما رأيت أحداً أشبه بعمر بن الخطاب منه ، يعنى : الحسن توفى سنة ١١٠ هـ . انظر : سير أعلام النبلاء (٤ / ٥٦٣ ـ ٥٨٨) ، تذكرة الحفاظ (١ / ٧١) ، تهذيب الكمال (٢ / ٥٠ ـ ١٢٧٠) (١٢١٦) .

⁽٣) عاصم هو : ابن بهدلة ، وهو ابن أبى النَّجُود ، الأسدى مولاهم ، الكوفى ، أبو بكر المقرئ ، صدوق ، له أوهام، حجة فى القراءة ، وحديثه فى الصحيحين مقرون ، من السادسة، توفى سنة ٢٨ هـ . التقريب (١ / ٢٨٤) .

⁽٤) الكلبى : هو محمد بن السائب بن بشر الكلبى أبو النضر الكوفى النسابة المفسر ، متكلم فيه فى الحديث، قيل: ضعيف ، ومتروك ، وكذاب . قال ابن عدى : هو معروف بالتفسير وبطول الباع فيه ، وأما فى الحديث فعنده مناكير . توفى سنة ١٤٦ هـ . انظر تهذيب التهذيب (١٥٧/٩) ، ميزان الاعتدال (٣/٥٦/٣) ، الكامل فى الضعفاء (٦ / ١١٤) (١٦٢٦) لابن عدى .

⁽٥) انظر هذه القراءات ، ومعنى الآية في : زاد المسير (٣ / ١٨١) ، المحرر الوجيز (٧ / ٣٨) لابن عطية .

لابن القوطية (١)، وعلى ما هو عند الناس من ضربهم المثل بالماء .

وقوله: « شرابه اللبن والخمر » يعنى: يكون من شرابه اللبن ، فإنه يتولد فى الحيوان ما يتغذاه ، والأغذية كلها من الماء وكلها لا تكون إلا عن الماء ، وأما الخمر فالأمر فيه ظاهر .

وقوله: « ونقله الملح والتمر » هو أيضا من هذا الباب كأنه يقول: ومما ينتقل به مما يكون عنه الملح والتمر ، وحقيقة الملح ما جمد في أرض خاصة ، فاستحال أو أحالته الأرض إلى طبيعتها ، كما قد علل هذا في موضعه من العلم الطبيعي ، وأما التمر فإنه يتكون أيضا عن الماء ومما يتنقل به أي يوجد أحياناً .

وقوله: « يكره النسوان ويحبُ الغلمان » فإنه معنى مستغلق بعيد المعنى يحتاج إيضاح ؛ لأنه مما لا يعرفه إلا الأقل من القليل ، ولولا خشية الظن أنى أتكثر بما لا أعرف لما سمحت به ، فإن كثيراً من أصحابنا _ غفر الله لهم _ يوهم أحدهم أنه يعرف العلم كله ، فإذا فضحته شواهد هذا الامتحان تبين أنه لا يعرف شيئاً .

فنقول: من الأسرار المعتبرة عند أئمة السحرة أنه إذا نزل المطر والبرد فتجردت امرأة من جميع ثيابها واستلقت على قفاها ، ورفعت رجليها وباعدت ما بينهما بحيث يبقى فرجها بارزاً نحو السماء ، فإن المطر والبرد يرتفع نزوله عن تلك المزرعة والساحة التى بها تلك المرأة ، ولا ينزل عليها منه شيء ما دامت المرأة كذلك ، وشرط بعضهم أن تكون المرأة حائضاً .

وأما حب الغلمان فَسر بديع لم أر أحداً يذاكرنى به ، وهو أيضاً من علوم القدماء ، وذلك أن العين إذا أرادوا استبطاً (٢) أو كان ماؤها قليلاً وقصدوا غزارته فإنهم يعمدون إلى سبعة غلمان بارعين في الجمال، فائقين في الحسن ، مجيدين لضرب العود ، عارفين بصناعة الموسيقا ، ذوى أصوات مطربة ، ثم يقومون صفاً واحداً متحاذين وبيد كل واحد منهم عود وقد استقبلوا بوجوههم منبع العين ، ويحركون أوتار عيدانهم تحريكاً واحداً بإيقاع واحد مدة ثلاث ساعات بطالع

(٢) أي إخراج الماء منها .

⁽۱) هو أبو بكر محمد بن عمر القرطبي المعروف بابن القوطية النحوى المتوفى سنة ٣٦٧ هـ، وكتابه « الأفعال وتصاريفها » أول ما صُنِّف في هذا الفن . انظر : كشف الظنون (١/ ١٣٣). (٢) أي لنه إلى الله منها

معروف، فإن ذلك الماء يسيح حتى يبل أقدامهم فكلما تأخروا تبعهم حتى يحصل به الغرض ، فينصرفوا، فاعتبر ذلك بأن تجلس جماعة على شاطئ سيما وقت المد ، ويكون من الجماعة صبى ، فإذا تأملت البحر تجده يقذف موجه إلى جهة الصبى أشد ما يقذف به إلى جهة غيره من الجماعة ، ولله فى خليقته أسرار يبدى منها ما يشاء لمن يشاء سبحانه .

وقوله: « يحمل الأثقال وهو ضعيف » كلام صحيح ، فإن السفن تمر فيه وهي موسقة بالأحمال ، ومع حملها فهو في نفسه ضعيف ، فإنه يؤثر فيه كل شيء ويتغير بما يغيره .

« ويقذى (١) الأسد وهو ضعيف » صحيح أيضا ، فإن المطر إذا نزل منه قطرة في عين الأسد صار كأنما في عينه قذاة ، وهي القشة ونحوها ، وفي هذا الكلام إشارة إلى أنه ينكي الأسد الذي هو أقوى الحيوانات من كونه نحيفاً يعنى لطيفا فلا شيء ألطف من الماء حاشا الهوى .

وقوله: « إن طلب أدرك وإن طلب أهلك » بلاغة، فإن الفصيح لا يستعمل هذه الجملة من الكلام إلا في حالة المغالبة كالحرب ونحوها ، ففيه تنويه بقدر هذا المُعمَّى ، وأنه لا يُغالب ، وكذلك هذا الماء من غالبه غلبه وأهلكه ، ومن قوته مع لطافته سرعة نفوذه وسريانه في أضيق المسام .

وقوله: « يقطع فى الأرض فى ساعة بلا مال ولا بضاعة » إشارة إلى سرعة نزول الماء من السماء ، وهو ظاهر ، ويمكن أن يقال: أراد بالقطع الإبانة ، فإن الماء يقطع فى الأرض ، أى : يجعل فيها أخاديد سيما وقت مسيل الماء فى الأودية .

وقوله : « ويسكن القصور » ظاهر إذ ما من قصر إلا وفيه الماء .

وقوله: « ويأوى الليل إلى القبور » تعمية لطيفة ، فإن الندى والطل يكون نزولهما ليلاً أندى ، وما الندى إلا الماء ، وما من قبر بارز لا يحول بينه وبين الماء شيء إلا وينزل عليه الندى ليلاً ، فإذن صدق عليه أنه يأوى إلى القبور .

وقوله : « يبكى على الأحباب ويندب فقد الشباب » :

⁽۱) في الأصل : يفدى . والقذى : ما يقعُ في العين ، وفي الشراب ، وقَذيَتْ عينهُ : أي وقع فيها القذى ، وقذى عينه تقذيةً ، وأقذاها : ألقى فيها القذى . القاموس (٣/ ٥٧٨) .

من المعانى الجيدة ، فإنك تقول : بكت السماء : إذا نزل الغيث ، ويعدون نزول المطر على رممهم وديارهم التى أقفرت(١) من [ساكنيها](٢) بكاء وندماً ، وفي أشعارهم وأشعار من بعدهم من هذا كثير يخرجنا عن الغرض إيراده .

وقوله : « ما ملكه قط بشر ، ولا حازه أنثى ولا ذكر » :

إشارة إلى أن الماء لا يملك ، وذلك ما لا خلاف فيه فقد سُئِل رسول الله ﷺ عن الذي لا يملك فقال : « الماء والنار »(٣) .

وقوله : « تلعب به الصبيان » كلام بين ٌ بنفسه ، فمن ذا صبى ٌ لا يلعب بالماء، كذلك كنتم من قبل .

وقوله : « تقلى من سعره الأثمان » كلام بين نفسه ، وكل أحد يعلم أن الماء حتى عَزَّ وجوده اشتراه مبتغيه وطلبه بأعلى الأثمان .

روينا عن ابن السماك^(٤) أنه قال لهارون الرشيد : يا أمير المؤمنين، لو منعت عنك شربة من الماء، بكم كنت تشتريها ؟ قال : بنصف ملكى ، قال : فلو شربتها واحتبست فلم تخرج، بكم تشترى خروجها ؟ قال : بنصف ملكى الآخر . قال : فما قدر مُلك قيمته بوله ، فبكى الرشيد .

وقوله : « تمازجه الإيقاف » وأظنه تصحيف . وقوله : « وما يتلى في سورة ق » يشير إلى قوله : ﴿ وَنَزُلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُّبَارَكًا فَأَنْبَتْنَا بِهِ جَنَّاتٍ وَحَبَّ الْحَصيد ﴾(٥) .

وقوله : « يصلى ويصوم » . فصلاته إما دلالته على خالقه سبحانه وتعالى ، أو حمل ذلك على ظاهره وهما قولان مشهوران ، وقد ثبت بنص كتاب الله أن كل

⁽١) أقفر المكان : إذا خلا ممن فيه من ساكنيه .

⁽٢) في الأصل: سالنيها.

⁽٣) يقصد حديث النبى ﷺ : « المسلمون شركاء فى ثلاث : فى الكلأ والماء والنار » رواه أبو داود ك : البيوع (٣٤٧٧) ، والترمذى فى ك : البيوع (١٢٧١) ، والنسائى فى البيوع (٢٦٦٦) ، وابن ماجه (٢٤٧٢) ، وأحمد (٥ / ٣٦٤) ، وقال الترمذى : حسن صحيح .

⁽٤) ابن السماك : هو محمد بن صبيح بن السماك أحد الأئمة الزهاد الوعاظ. قال عنه أبو نعيم : زايد النساك وصائد الفتاك ، وناصب الشباك ، حدد الشأن ، وشدد العيان ، فأوضح البيان ، وأفصح اللسان . انظر حلية الأولياء (٨ / ٢٠٣ ، ٢٠٤) .

⁽٥) سورة ق : ٩ .

مخلوق فإنه يسجدُ لله، قال الله : ﴿ وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ ﴾ (١) . وكرر هذا في غير موضع . وصيامه في قوله الأول :

خيل صيام وخيل غير صائمة تحت العجاج (٢) وأخرى تعلك (٣) اللجم

« ويقعد ويقوم » : فقعوده : ركوده في المستنقعات والبرك ، وقيامه حال كونه مطراً، وهذا من باب الاستعارة .

وقوله: « خلقته لا تحصى وصفاته لا تستقصى » كلام ظاهر ، فمن يحيط بخلقة الماء ويعلمها إلا الخالق تعالى ، ومن ذا يستقصى صفاته يعنى منافعه ، فكفاك قوله تعالى : ﴿ وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَى إَفَلا يُؤْمِنُونَ ﴾(٤) ففيه أعظم دلالة ، والله يعلم وأنتم لا تعلمون، وفوق كل ذى علم عليم.

هذا ما دل قائد الاختيار عليه ، وقام دليل الفكر إليه، فأملاه الجنان على اللسان، وخطه البنان في نصف النهار الأول من يوم الثلاثاء لأربع عشرة خلت من شهر الله المحرم الحرام سنة ثلاث وعشرين وثمانمائة من غير مراجعة كتاب ، ولا تعليق مسودة ، فإن كنت أصبت فلله المنة أهل الحمد ومستحقه ، وإن أخطأت فعذرى مقبول عند أهل الإنصاف لقصور باعى في العلوم النقلية والعقلية ، وقد انتهى ما نقلته من الإشارة والإيماء إلى حل لغز الماء .

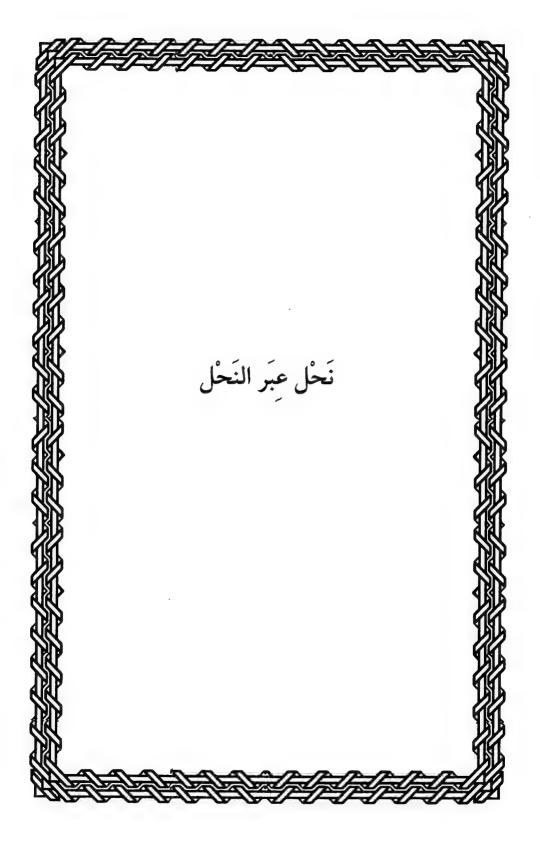
وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين ، تم .

⁽١) النحل : ٤٩ .

⁽٢) من عَجَّ ، يَعجُّ ، العجاج : القوم أكثروا من فُنونهم في الركوب . القاموس (٣/ ١٥٨) .

⁽٣) عَلَكَهُ : مضغه ولَجْلَجَه ، وعلك اللجام : إذا حركةُ في فيه . القاموس (٣/ ٢٩٩) .

⁽٤) الأنبياء : ٣٠ .





بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين . وبعد :

فهذا قولٌ وجيز في ذكر النحل (١) وما أودع فيه الباري جلت قدرته من غرائب الحكمة ، وعجائب الصنع ، يعتبر أُولو الأبصار ، ويتذكّر أربابُ الاعْتِبار ، والله الموفق.

فصل

النَّحلُ : حيوان ذو هيئة طريفة ، وخلْقة لطيفة ،ومُهجَة (٢) نحيفة ،وسطه مربَّع مكعّب ، وموخّره مخْروط ، ورأسهُ مدُوّر مبسوط ، وَفي وسط بدنه أربعة أيد (٣) ، وأرجل متناسبة المقادير ، كأضلاع الشكْل المسدّس في الدائرة .

والنَّحل : أُنثى ، واحدتها: نحلة (٤) ، وتصغَّر : نُحَيْلة .

ومن أسمائها : الخَشْرَم (٥) ، والدَّبْر (٦) .

⁽۱) ذكر صاحب « هدية العارفين » (۱/۱۲) اسم الرسالة ضمن مؤلفات المقريزى بعنوان « نَحْلُ عِبَر النّحل » ، وهو نفس عنوان مخطوطة « ليدن » المكتوبة سنة ۸٤١ هـ . قلت : وممن ألف فى نفس الموضوع العلامة شمس الدين محمد بن طولون المتوفى سنة ٩٥٣ هـ فقد ألف كتاب «ظرائف النحلة فى لطائف النحلة » .

⁽٢) ٱلْمُهْجَةُ : الرَّوحُ . القاموس (٢٩٠/٤) .

⁽٣) الصواب أن للنحل أربعة أرجل ويدان فقط كما هو مشاهد ومعلوم وقد وصفه القزويني وصفاً أدق في كتابه « عجائب المخلوقات » فقال : « له أربعة أرجل ويدان متناسبة » .

⁽٤) جاء فى القاموس: النَّحلُ: ذبابُ العسل للذكر والأنثى ، وّالنَّحْلُ العطاء بلا عوض ، أو عامٌ ، وقال أبو إسحاق الزجاج: سُمّى النحل نحلاً ؛ لأن الله ـ تعالى ـ نحله العسل الذي يخرج منه. وقال الجوهرى: النحل والنحلة الدّبريقع على الذكر والأنثى . والنحل يؤنث فى لغة أهل الحجاز ؛ وكل جمع ليس بينه وبين واحده إلا الهاء . انظر: القاموس المحيط (٣٣٨/٤) ، تفسير القرطبي (٨٨/١٠) .

⁽٥) الخَيْشُرُمُ : جماعة النَّحْل والزَّنابير ، واحدَّتُهُ بهاء . ويطلق على أمير النَّحْلِ (القاموس ٢/٥٨) .

⁽٦) الدُّبر : جماعة النَّحل والزِّنابير ، والغالب إطلاقها على الثاني. انظر القاموس (٢/ ١٤٥) .

وقيل : الدَّبرُ ، للزنابير ، وهو المشهور . فإنَّ حَمِيِّ الدَّبرُ (١) ، إنما حمته الزنابير ، لا النّحل .

وقيل : الخَشْرَم : ذكر النَّحل .

ويقال للجماعة من النحل: الثَّوْل (٢) ، ولا واحد له ، ويقال لها: الأُوب (٣) ، واحدها: نائب ، وقيل: النُّوب من النحل التي فيها سواد.

وقال ابن قتيبة : « يقال لجماعة النّحل : دَبْر ، وثُول ، وخَشْرَم ، ولا واحد لشيء من هذا » .

ومن النّحل : سُودٌ ، وهي أصغر من الصُّفْر . والصُّفْر أكبر من السُّود . والنحلُ تلد من غير لقاح الذكور ، وتتَّخذ بيوتها مسدّسةً .

وهو حيوانٌ فهيم ، فيه كيْسٌ (٤) ، وشجاعة ، ونظرٌ في العواقب ، ومعرفةٌ بفصول السنة ، وأوقات المطر ، وتدبير المنزل ، والطاعة الكبيرة ، والاستكانة لأميره وقائده (٥) .

فصل

النحل تسعة أصناف : منه سِتّةٌ يأوى بعضها إلى بعضٍ، وهي تقسّم الأعمال

⁽۱) هو عاصم بن ثابت الأنصارى ، سمى بذلك ؛ لأنه لما قتلته هذيل بعثت قريشٌ من يأتيهم بشىء من جسده ، لأنه قتل عظيما من عظمائهم يوم بدر وهو عقبة بن أبى معيط ، وقيل: إن عاصماً لما قتل أرادت هذيل أخذ رأسه ليبيعوه من سلافة بنت سعد ، وكان عاصم قد قتل ولديها يوم أحد وكانت قد نذرت لئن قدرت على رأس عاصم لتشربن الخمر في قحفة ، فمنعته الدَّبر وفي رواية للبخارى : فبعث الله عليهم مثل الظُلَّة من الدَّبر فحمته من رُسُلهم ، في رواية عروة « فبعث الله عليهم الدبر تطير في وجوههم وتلدغهم فحالت بينهم وبين أن يقطعوا . . . » انظر قصته مفصلة في صحيح البخارى مع الفتح ك : الجهاد ب/ ١٠٠ (١٩٢ ، ١٩١)، ك:المغازى ب/ ١٠ مستدرك الحاكم ك : معرفة الصحابة (٧/ ٣٥٩) (لا/ ٤٤٤) ومسند أحمد (١/ ٣١٠) ، مستدرك الحاكم ك : معرفة الصحابة (١/ ٢٥٩) الروض الأنف (٣/ ٢٢٥) للسهيلي ، سيرة ابن هشام (٣/ ٩٧١) .

⁽٢) النَّوْلُ : جَماعَةُ النحلِ لا واحد لها ، أو ذكر النَّحّلِ (القاموس ٢/ ٤٢٨) .

⁽٣) في القاموس (١/ ١٩٤) : الأوْبُ النحل ، جمع أيب .

⁽٤) الكيس : خلاف الحُمْق ، وهو العقل والطرف والذَّكاَّء . انظر القاموس (١٠٥/٤) .

⁽٥) انظر كتاب حياة الحيوانُ (٨/ ١٢٤٩) للدميري .

بينها، فمنها ما يَبْنى بالشّمع ، ومنها ما يأتى بالعسل ، ويَمجُّه فى أبيات الشُّهد ، ومنها ما يأتى بالماء فيمدُّ العسل به .

وهى فى ألوانها ثلاثة أصناف : غُبُّر وهى أصغرها ، وسود وهى أوسطها ، وصُفْر وهى أعظمها .

والنحل والنّمل: أكسب الحيوان كلّه ، وأَدْأَبُه على عمله . والنحلة الكريمة تكون صغيرة مستديرة مختلفة اللّون ؛ والنّحل المستطيل غير كريم ، ولا عَمُول ، ولا مُتقن لل يعمل ؛ والنْحل الصّغار يُخرجُ تلك الطوال من أبياتها ، وتطردها ؛ وإذا قُويَتْ النّحلُ على ذلك فهو منتَهى كرم النّحل .

والنحل الصّغير عمّالٌ ، وهي سود الألوان كأنها محترقة .

فأما النحل الصّافى النقى فإنها تُشبّه بالنساء البَّطالات التى لا تعتملْنَ ؛ والنحل تُخرِجُ ما كان بطَّالاً ، وما لا يُشفق على العسَل .

والنحل التي تَسْرَحُ في الجبال أصغر من نحل السَّهل ، وأكثر عمَلاً ، وقد جعل الله تعالى في النحل : المَلكَ المطاع ، يقال له : اليُعسُوبُ (١) ، يتوارث الملك عن آبائه وأجداده ، لأن اليعاسيب لا تلد إلا اليعاسيب .

فاليعاسيب هي ملوكها ، وقاداتها ، وعليها تأتَلف (٢) النّحلُ ، وتَسْتقيم أمورها، وتنتقل حيثُ انْتقل ، وتُقيم حيث يقيم ، فاليعسوب فيها كالأمير المطاع .

ومن العجَب: أنّ اليعسوب لا يخرج من الكُورَ (٣) ، ولا يذهب لرعي ؛ لأنه إن خرج خرج معه جميع النّحل ، فيقف العمل ؛ ومتى عجز الواحد منها عن الطيران حملته النحل حملاً .

وإن هلك يعسوب الخلية ، أقامت النحلُ بعده متعطلة لا تبنى ولا تُعسل ،

⁽۱) اليعسوب : أمير النحل وذُكُرها . والرئيس الكبير كالعسوب . القاموس (۳/ ۲۲۰) وهو الآن في العلم الحديث يعرف بـ (ملكة النحل) .

⁽٢) تجتمع وتلتف حوله.

⁽٣) الكُوارَةُ : بالضم ، وتكسَرُ وتُشَدَّدُ الأولى : شيء يتخذ للنَّحْلِ مِن القُصْبان أو الطين ضيق الرأسِ ، أو هي عَسَلُها في الشَّمع ، والجمع الكُوَّارات : وهي الخلايا الأهلية. القاموس (٣/ ٩٨).

وأكْتأبت لذلك ، وجعلت تطير مع وجه الأرض في التراب! فيُعلَم أنه قد مات اليعسوب ، فتطلبُ يعسوباً آخر ، فتأتى به فتجعله في تلك الخليّة ، فتراجعُ النحلُ عملها .

فإن لم تُقِم لها يعسوباً فإنها تهلك عاجلاً .

وجثة اليعسوب: مثل جثة نحْلِتَيْن ، وهو يأمرهم بالعَمَل ، ويرتب على كل واحد ما يليق ، فيأمر بعضها ببناء البيت ، وبعضها بعمل العسَل ، ومَنْ لا يُحسِن العمل يُخرِجه من الكُور ، ولا يتركه مع النحل فيبطَّلهم ، وينصِّبُ بواباً على بابِ البيت ليمنع دخول ما وقع من النَّحْلِ على شيء من القاذورات .

واليعسوبُ إذا هَمَّ بالخروج طنَّ قبلَه بيومٍ أو يومين ليعلم الفراخُ ما همَّ به فتستعدَّ له.

وأجناس النّحل كثيرة: فأما اليعاسيب فهى جنسان: أحدهما أحمر اللون وهو أفضل اليعاسيب، والآخر أسود مختلف اللون؛ ومنها ما تكون جثته مثل جثة أربع نَحْلات؛ وله حُمة (١)؛ وهو أسود النصف المقدّم، أحمر النصف المؤخر، وإنما كانَ أكثر من واحد صار مع كل يعسوب طائفة من النّحْل ؛ وإذا خرج اليعسوب من الخلية تبعته النحل كلها.

وإذا كان اليعسوب عظيما سُمِّى جَعْلاً (٢) بتقديم الجيم على الحاء . وملوك النَّحْل لا تلذع ، ولا تغضب لأنَّ اليعسوبَ حليمٌّ جداً .

وإن في هذا القدر لعبرة ؛ لأن هذا لو كان في واحد من عقلاء الإنس ، الذين فضِّلوا على جميع الحيوان ؛ لكان ذلك عجباً ؛ ولذلك قال الله تعالى بعدما قص علينا ما ألهمه هذا الحيوان على ضعفه ﴿ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لِّقُومْ يَتَفَكَّرُون ﴾ (٣) أي يعتبرون بما قد أُلْهِمه (٤) النحل من لطيف الصنعة ، ودقة الحيلة ، مع ضعف

⁽١) الحُمَةُ : السَّمُ أو الإِبْرَةُ يضرب بها الزَّنبور والحَيَّةُ ونحو ذلك أو يلدَغُ بها ، والجمع: حُماةٌ وحُمى. القاموس (٧١٩/١) .

⁽٢) وكذا قال صاحب القاموس (١/ ٤٤٩) الجُحلُ : اليعسوب العظيمُ .

⁽٣) النحل : ٦٩ .

⁽٤) قال القرطبي في تفسيره (١٠/ ٩٢) في هذه الآية : ومن العبرة في النحل بإنصاف النظر وإلطاف الفكر في عجيب أمرها ، فيشهد باليقين بأن ملهمها الصنعة اللطيفة مع البنية الضعيفة، وحذقها =

نَحْل عِبَر النَّحْل ______نَحْل عِبَر النَّحْل _____

البنيّة .

ولذلك زعم بعضُ العلماء المتقدمين : « أن النحل أشبه الحيوان في تدبير أمرها بالإنسان » ثم قال : « أمرهُن سبيه بأمير يسوس المدائن الكثيرة الأهل » .

والنحل تبنى لملوكها بيوتاً على حدة تكون فيها ؛ وكذلك تبنى لذكورها. وزعم بعضهم أن الذكور تنفرد ببناء بيوتها ، والذكور لا تعمل شيئاً ، والعمل للإناث ، وهى تقوِّت ملوكها وذكورَها . وليس للنّحل أقواتٌ إلاّ العسل .

والذّكور لا تكادُ تخرج إلا إذا أحبَّت أن تحركَ أبدانها لتخفّ ، فإنها حينئذ تخرج بأجْمعها ، فترْتفع في الهواء فتُدَوِّي ، ثم ترجع ، فتدْخلُ اَلخليَّة .

وإذا كانَ الزّمان جَدْباً ، وقَلّ العسل ، قتلَتْ النحل ذكورها ، وكثيراً ما يهرب النحل الذّكور إذا أحسّت بذلك ، فترى واقعةً على ظهور الخلايا خارجاً ، وهذا شاهد على ما ذكروا من شُحِّ النحْل على العسَل وشفقتها عليه ، والحِرْص على الادّخار ، والأخْذ بالوثيقة عند سوء الظنّ ، مع طيب النفْس ، والسلس (١) عند رخاء البال، وإمْكان الكسب ، وإنْ هذا لخلقٌ عجيب ، وفهم لطيف .

وكذلك ما ذكرُوا من طرْدها ذوات البطالة منها ، الكسالَى ، المتكلة على كسْب غيرها، والمعوِّلة على ذخائر سواها ؛ ولو أننا استَعْملنا مثل هذا التدبير في كَسالاناً كان أحزم لنا وأنفع لهم .

ومن الشاهد على أنها لأنفُسها ادّخرت ما في بيوتها ، وما جمعتْ من كدّها لا لغير ذلك ، شدّةُ شُحِّها عليه ، وضنّها به ، وذبّها عنه ، وولهها إذا عُرِض له ، وإلقاؤها أنفسها في المهالك ، فإنها تقاتل كل شيء عَرَض لذخائرها ، ثم لا تهرْبُ منه _ كائنا ما كان _ إلا ما كان مِن أمثالها من النّحل ؛ فإنه ربما أراد بعضها الغارة على بعض ، فاقتتلت حتى يَقْتُل بعضُها بعضاً ، أو يَهْزِمه ، فيهرب المقهور منها _ حينتذ _ ويُسلم حوْزته .

باحتيالها في تفاوت أحوالها هو الله سبحانه وتعالى ؛ كما قال : ﴿وأوحى ربك إلى النحل ﴾ ثم إنها تأكل الحامض والمر والحلو والمالح والحشائش فيجعله الله عسلا حلواً وشفاء ، وفي هذا دليل على قدرته

⁽١) السَّلْسُ : السهل اللَّينُ المُنقادُ . القاموس (٢/ ٥٩٣) .

قال ابن سينا (١): « وقد قاتل النحلُ نحْلاً غريبا زاحَمها في الخليّة وكان رجلٌ يُعينُ النحلَ الأهْلِيِّ فلم تَلْسَعه البتة » (٢).

والنحل إذا قويت على شيء لسعته أبداً حتى يموت أو يهْرَب ، ولذلك احتالت الشارة لها بالدّخان حتى جَلَوْها به ، ووصَلُوا إلى العسَل .

قال أبو على الحسين بن عبد الله بن سينا في كتابه (الشفاء) : « وإذا لدغت النحْلة حيواناً وخلَّفت الإبرة فيه ماتَتْ ؛ وربما قتلتْ النحلةُ مَنْ تُخلِّف فيه الإبرة ، وقد تُخبرتُ بقريّة فيها خلاّيا النّحل ، أنهم غُزوا مرة ، وكاد الأكْرادُ ينْهبونَهم، فسلَّطوا عليهم النحل، فهزمت النحْلُ أُولئك الأكْراد لسعاً لهم، ولدوابِّهم» (٣) .

والنّحلُ إذا لسعت شيئاً ، فنشبت حُمَتها فيه لم تستطع رجع حُمَتها فتنْصَل ، فإذا نصلت حُمَتُها ماتت .

والحماة : الشُّعر في أذنابها ، التي بها تلسع ؛ وهي إذا شاءت أخرجتها ، وإذا شاءت ردتها .

وإنَّما الحمَّةُ في العربيَّة : السمِّ ، إلاَّ أنَّ العامة تسمِّى ذلك الشَّعر حُمَّاة .

قال ابن سينا: « لا يبعد أن تكون إبرة النّحلة _ مع أنها سلاح _ نافعة في إحالة جوهُر الرّطوبات إلى العسلية ، بأن تأتيها وترسل فيها قوة ما » (٤) .

وإذا دُخِّن عليها ، فأحسَّت بأنّه يوخذ ما في بيوتها من العسل بادرَتْ إلى أكْله، فتأكله أكْلاً ذريعا ، حتَّى لو أمكنها استنفاده لفعلت .

وفي ذكور النَّحْل صِنف تُخَاتِل (٥)، فتدخل في بيوتها ، فتأكلُ العسلَ ، وتُسَمَّى

⁽۱) هو الحسين بن عبد الله الحسن بن على بن سينا ،أبو على الشهير بالرئيس ،ولد سنة ٣٧٠ هـ واشتغل بالعلم والطب والمنطق، له مؤلفات كثيرة: الشفاء في الحكمة ، المبدأ والمعاد ،القانون في الطب ، وغيرها ، توفي سنة ٤٢٨ هـ بهمدان انظر : هدية العارفين (٣٠٨/٥) .

⁽٢) انظر هذه القصة في الشفاء (١/ ٣٢٥) لابن سينا الرئيس .

⁽٣) المرجع السابق (١/ ٤٢٤) .

⁽٤) المرجع السابق (١/ ٤٢٤) .

⁽٥) خَاتَلَهَ : خادعَهُ ، تخاتوا : تخادعوا . القاموس (٢/ ١٥) .

«اللصوص» ، فإذا قدرت النّحلُ عليها ، أو ظفرَت بها في مثاويها (١) قتلَتْها . ولا تخلو مثاويها – إذا سرحت ــ من حفظة منها تكون فيها .

وإذا كان النحل كريماً لم يترك فى الخلية هامَّةً (٢) تضر بالشُّهد إلا قتلها أو أخرجها؛ وأما غيرُ الكريم فإنّه يتوانى ، ويتغافل ويترك أعماله تفْسُد ، وتَهْلك . ويَعْرِضُ للخلية من بطالة النحل وتهاونها رائحة منتنة جدًا ، فتفسد .

وجنس النحل ألطف أجناس الحيوان كلها، ولذلك تكْرَه كلَّ رعْي يكون منتناً ، أو زهِم (٣) الرائحة ؛ ولا تقرب الأنتان والأقذار ، وتكره أيضا الروائح الزهمة ، والأدهان، وإن كانت عطرة ، وتلسع المتدهِّن إذا دنا منها .

وتوافقها الأصْواتُ اللذيذة المُطْربة ، ولا يضرُرْن بشيء من معايش الناس . والنحل يحب الصَّعتر (٤) ، وأجوده الأبيض .

والنحل تستتر عن الريح ، وتشرب الماء الصّافى، ولا تشرب إلا بعد إلقاء التَّفْل. والنحلة ذبابة ذات حمة ، وألسنة .

وبهذا العضو توصّل جميع أجناس الأذية إلى غيرْها ، وبه توصّل أيضا الطُّعم إلى أجوافها ، لأن طُعْمها ليس سوى الرّطوبات ؛ فبهذا العضو تمتصنُّها ، ثم تردّ السنتها تلك فى أوْعيتها من أفواهها ؛ وسميّت السِنة ؛ وليست بالسنة ، ولا خَراطيم ، ولكنّها بالألسنة أشبه .

وإذا ترشَّفت النحلُ تلك الحلاَوة من الأزهار ، والأنْوار ، فجمعتْها في صْدورِها، أقبلت إلى الشُهد فأتاعتْه ـ أي: أفرغته ، في نَخَاريبه، والنخاريب (٥):

⁽١) مثاويها : أمكنة إقامتها من ثوى المكان : أطال الإقامة به . القاموس (٢٩/١) .

 ⁽۲) الهامّة: تطلق على الحيات وكل ذى سم ، وربما تقع على ما لا يقتل من دواب الأرض كالحشرات وغيرها وهو المراد هنا . انظر القاموس (٤/ ٥٣٤) لسان العرب (هَمَمَ) .

⁽٣) الزَّهْمُ : الريح المنتنة العفنة . القاموس (٢/ ٤٨٨) .

⁽٤) الصَّعتر : هو الزعتر النبات المعروف ، وهو طيب الرائحة ويستعمل حالياً في كثير من المستحضرات الطبية . انظر القاموس (٢/ ٨٢١) ، المنجد في اللغة والأعلام (٣٨٦) .

⁽٥) النُّخروب : الشَّقُّ في الحجَر ، أو الثَّقْب في كل شيء ، والنَّخاريب : الثَّقْبُ المهيَّأة من الشَّمع لتمج النَّحْل العسل فيها . القاموس (٣٤٢/٤) .

بالنون قبل الخاء المعجمة : الثقب المهيّاة من الشمّع ، وبالتاء المثناة من فوق: خُروق كبيوت الزنابير .

والنّحلة إذا وقعت على ضرّب من الزّهر فلم تكتف بما جرست (١) منه انتقلت الى مثله من جنسه ، ولم تنتقل إلى جنس آخر ، إلى أن تراجع الخليّة فتمج ما استوعبت ، ثم تعود إلى الرْعى ، فإذا امتلاّت بيوت الشّهد من العسل ختمت على تلك النّخاريب بغطاء رقيق من الشمع ، حتى يكون الشمع محيطاً بها من جميع جوانبها ، كأنّها رأس البَرْنيَّة (٢) مسدودة بالقراطيس ، لينضج العسل ، فإنها إن لم تفعل ذلك فَسُد الشّهد وتولد فيه دود يُسمى « العنكوبت » فإن قويت على تنقيته منها، سلم الشّهد ، وإلا فسد كله .

وإذا أزهرت الأعشاب عَملت النحلُ الشمع ؛ ولذلك ينبغى أن يؤخذ بعض الشمع في ذلك الإبّان ، إن احْتيجَ إليه ، فإنها تُعيدُه من ساعتِه .

والنحل تعمَل في العسل في زمانين : في الربيع ، والخريف ، والربيع أجوده وأكثره.

وهى تجيء إلى بيوتها بشيء آخر ، ليس بشمْع ، ولا عسَل ، ولكن بينهما ، كأنه خبيص (٣) يابس ، فيه بعض اللين ، إذا غَمَزْتَهُ تفرّق ، وليس بشديد الحلاوة، ولا عذْب، يشبّه القدماء حلاوتَه بحلاوة التّين ، تجيء به النحل كما تجيء بالشمْع، وتُحْمله على أعضادها ، وسُوقها .

والعرب تسمِّيه : « الإِكْبِرُ » (٤) _ بكسر الباء وضمها _ وهو « المُوم » (٥) ؛ ويقال فيه : « العِكْبِرُ » (٦) ؛ فترى النّحلة تطيرُ ، وذلك العكبر متعلق منها ،

⁽١) جرست : الجَرْسُ : اللّحسُ باللسّان . القاموس (١/ ٤٧٥) .

⁽٢) البَرْنية : إناء له فم واسع من الخزف أو الزجاج . انظر القاموس (١/٢٦٢) المعجم الوسيط (١/٢١١) .

⁽٣) الخَبيصِ : مخلوطٌ من التَّمْرِ والسَّمْنِ . القاموس (٩/٢) .

⁽٤) الإِكْبُرُ : شيء كأنه خبيصٌ يابسٌ ليَس بشديد الحلاوة يجيء به النَحلُ . القاموس (٧/٤) .

⁽٥) المُومُ : الشَّمع كما في القاموس (٤/ ٢٩٩) ، وقال الدميرى في «حياة الحيوان » (٨/ ١٢٤٩) : «ويجمع مع ذلك رطوبات دسمة يتخذ منها بيوت العسل ، وهذه الدسومات هي الشمع ، وهو يلقطها بخرطومه ويحملها على فخذيه » نقلاً عن أرسطو .

⁽٦) العِكْبِرُ : شيء يجيء به النَّحْلُ على أفْخاذِها وأعضادِها فتجعله في الشَّهْدِ مكان العسل. القاموس (٣/ ٢٨٢) .

فتجعله فى نخاريب الشُّهد مكان العسل ، ولا تكثر النحلُ منه إلا فى السَّنة المجدبة ، وأكثر ما تأتى بالعِكْبِرُ من السَّدْر (١) ، والناس يأكلونه كما يؤكل الخبز فَيُشْبِعُ ، ويحملونه فى المزاود (٢) إذا سافروا ، وهو مفْسِدٌ للعسل ؛ والنّحل تأكلُه إذا لم تجدْ غيره .

والنحل تشربُ من الماءِ ما كان صافياً عذباً ، وتطْلبُه حيث كان ، ولا يأكل من العسل إلا قدْرَ شبعه ، فإذا قل العسل في الخلية قَرَنَهُ بالماء ليكثر ؛ خوفاً على نفسه من نفاده .

وللنحل نجُو ٌ (٣) ، وأكثر ما تقذف إذا كانت تطيرُ فى دفعات ؛ لأن فى زبلها نتْناً، وهى تكره النتن ؛ فإذا أنْجَتْ فى الخلية أنْجَتْ فى موضع ً معتزل لا يختلط ببنيانها ، ولا يُفْسِد من عسَلها شيئاً .

وإذا امتلأت نخاريب الشُهد عسلاً ختمتُها ، وتختم أيضا ما يكون فيه فراخها من النخاريب بأرَقّ الشمع .

والختم: أن تَسُدَّ أفواه النخاريب بشمع رقيق ، ليكون الشَمْع محيطاً بالعسل في كل وجه ، وربما لُطِّخ الختام - بعد الفراغ منه - بشيء أسُود شديد السّواد ، حريف الرّيح ، شبيه بالشمع ، وهو من الأدوية الكبار للضّرب (٤)، والجروح ، ويسمى بالفارسية : «مِيَاى » ، وهو عزيز قليل .

ومن خاصيته أنه يجذب الشوك والنصول ، ويقال : من استصحبه أورثه الغم، ومنعه الاحتلام .

والنحل تحسُّ بالبرد والمطر ، وعلامة ذلك لزومها الخليَّة . وفى لطف إحساس كثير من الحيوان عجب عَجيِب ، وإن فى ذلك لعبرة لأولى الألباب ، ﴿ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالقينَ﴾(٥).

⁽١) شجر النبق .

⁽٢) المزِاود : ما يحمل من أوعية في السفر يوضع فيها الزَّاد. انظر . القاموس (٢/ ٤٩٠) .

⁽٣) النَّجْوِ : ما يخرج من البطن مِن ربح أو عَائط ، ومنه نَجَا فلانُّ أي أحدث. القاموس (٤/ ٣٣٣).

⁽٤) للضَّرب: اللَّدغ. القاموس (٣/ ١٧).

⁽٥) المؤمنون : ١٤ .

فصل

الشّمع : هو جُدْران بيوت النحل التي تبيض وتفرخ فيهن ، ويكون خِزَانة للعسل.

ويقال : الشمع ، بإسكان الميم وتحريكها (١) .

ويقال: الشُّهد، بضم الشين وفتحها. والواحدة: شُهدة، وفيها الوجهان، والضم لغة أهل الحجاز، وجمع الشُّهد: شِهاد. وكل شُهْدة: قرْص، والجمع: قرُوص.

ولمأوى النحل وبيوتها أسماء، فإن كانت بيوتها في الجبال فهى: المباءة، والوقبة (٢)، والجَبْح (٣)، والجبخ (٤) بالحاء المهملة والخاء المعجمة والفتح والكسر . فإذا عسكت النحل فيما يتَّخذُ لها الناسُ من الخشب فهى: النَّحايت (٥)، واحدتها: نحيتة ٤ و وتسمى الخلايا، وواحدتها: خليَّة . وكذلك ما يعمل لها من الطين والأخثاء (١) فهى خلايا . وقد يسمى ما تتبوّءُه في الجبال أيضا: خلايا .

ومن الخلايا: ما تَنْصبه في الحيطان ، وأكثر ذلك تُنضِدها (٧) في المصانع ، وواحدها: مصنعة ، وهي موضع يُعْزَل للنحل ، مُنتبذ (٨) عن البيوت فتنضدها سافاً (٩) سافاً على نشز (١) من الأرض ، وتُخالف بين أبوابها فتكون أبواب ساف إلى أدبار ساف كذلك حتى تَنْضِد جميعاً فربما كان النضد منها مثل الدار العظيمة ، ثم تُعظى ليكنَّها .

⁽١) انظر القاموس المحيط (٢/ ٧٥٤).

⁽٢) الوَقْبُ : نُقْرَةٌ في الصخرة يجتمع فيها الماء كالوْقبَة ونحوها . القاموس (٣٩/٤) .

⁽٣) الجَبْحُ : خلية العَسل وجمعه أجُبُّحٌ ، وأجباحٌ . الْقاموس (١ / ٣٦٦) .

⁽٤) الجبخ : أمكنة فيها نخيلٌ . وفي قول طَرفَةَ : الحجارة . القاموس (٢٦٦١) .

⁽٥) من نَحْتَه يِنْحَتُهُ: النَّحت والنَّحيتةُ ، الحفر الذي يكون في الشجر أو الخشب. انظر القاموس (١٤/ ٣٣٥)

⁽٦) الأخْثاء : من الحُثُثُّ : وهو البعر ، أو روث البهائم ونحوه. انظر القاموس (١٦/٢) .

⁽٧) تنضدها : من نضد الشيء جعل بعضه فوق بعض، وانتضد بالمكان أقام به.القاموس (٤/ ٣٨٧).

⁽٨) منتلاً : مبتعدً .

 ⁽٩) السَّاف : ما يكون من الصف من الآجر واللَّبِن في الحائط وهو المدماك. انظر : المعجم الوسيط
 (٢١٣/١) .

⁽١٠) النَّشُورُ : المكان المرتفع من الأرض . القاموس (٢٧٢/٤) .

ويقال للخليَّة : معْسَلة . وقطف فلانٌ مَعْسَلَته إذا أخذ ما فيها من العسل .

والخلايا الأهلية تسمى فى بعض البلدان: الدّباسات (١). ولا تعرف فى كلام العرب ؛ وتسمى أيضاً: الكُوارات، والجمع: كواير، والواحدة: كوارة، وهى عربة.

وقيل : الكواير صغار الخلايا . وقيل : إذا بنتْ النّحلُ بيتاً من غير أن يوضع لها ، فهو الكُوّارة ــ بضم الكاف.

ومن لطيف معرفة النحل بما يُصْلحها : أنهن قد عَلَمْنَ ضعفهن ، فهن يشيِّدْنَ عَشَاشَهُنَ ، وتحصِّنها بالضِّيق والاعْوجاج ، وإذا كان باب الخليّة واسعاً ضيقنه .

ومن شأن النحل في تدبير معاشها أنها إذا أصابت موضعاً نقياً بَنَتْ فيه بيوتاً من الشمع أولاً ، ثم بيوت ذكورها ، ثم بيوت إناثها ، وهي تعمل الشمع أولا ، ثم تلقى فيه البَزْرَ (٢) ، وتقعد عليه ، وتخضنه كما تحضن الطير ، فالشمع لها بمنزلة العش للطير ، والبزر بمنزلة البيض ، وهي تملاً ، وبعضها فراخاً .

وهى تتخذ البيوت قبل المرْعى ، فإذا استقر لها بيت ، خرجت منه فرغت ، ثم آوت إلى بيوتها .

وهى تبيض فى بعض البيوت ، وتحْضِنُ وتأوى إلى بعض بيوتها وتنام أيام الصيف ، والشتاء ، ويوم المطر ، والرِّيح والبرد .

الآفات التي تصيب

الخلايا

ومن آفات الخلايا: السوس ، ودواؤه أن يطرح في كل خليّة كفّ مِلْح وأن تُفتح في كلّ شهر مرّةً ، وتدخَّن بأخْثاء البقر (٣).

⁽١) الدُّبَّاسات : الدُّبسُ : عسَل التمر . وعَسَلُ النَّحل . القاموس (١٤٧/٢) .

 ⁽٢) البَزْرُ : كل حب يُبْذَر للنّبات ، وجمعه بزُور ، والمراد به هنا البيض الذي يضعه النحل أو ما يمجُّهُ من العسل . القاموس (١/ ٢٦٥) .

⁽٣) وكذا قال الدميرى في « حياة الحيوان » (٨/ ١٢٥١، ١٢٥١) .

ومن آفاتها أيضا : دود يتولد فيها صغار ، تنبت لها أجْنَحَة ؛ وفراشة رقطاء تدخل الخليّة فتأكل العسَل حتى تَرْبو ، ولها عينان وسمعان (١) فتضر بالنحل وبالعسل ، ولا تستطيع الخروج من الخليّة لعظمها حتى تُفتق الخلية ، فتؤخذ ، فتذبح .

والسُّرْفَة (٢) : مضرة بالخلايا ، وهي دودة رقطاء ، شَعْراء ، تأكل ورق الشجّر، وتنسج عليه ، وهي من آفات النحل .

ومن أفات النحل : الدُّبْر ، يقتلها ، ويذُّهب بها إلى بيوته .

ومن آفاتها : الخطاطيف والضفادع، فإنها تلتقف النحل إذا وردت لتشرب .

ومن آفاتها: الجراذين ، تكمن لها بقرب الحلايا فتلقفها ، ولا تقدر النحل لها على ضرر .

والنحل تمرض على رعى الزّهر التى وقعت فيها القملة ، وإذا كان الربيع مُمحلاً (٣)، أو حارًا ، شبيهاً بالصيف في الحرّ ، وقلة المطر، أسرع المحلُ (٤) إلى النجل .

ويعرف خصب الخليّة بكثرة دَوِى النحل فيها ، وخروجها ودخولها . وتسمى فراخ النحل : الطَّرْد ، والجمع طرود . ويسمّى أيضا : اللوت ، والنحل تودع فراخها نخاريب الشهد ، وتختِم عليها بالشمع ، فإذا آن لها الخروج شقت الختام ، وخرجت .

وملوك النحل: لا ترى خارجاً إن لم تكُنْ مع عنقود من عناقيد الفراخ ، وإذا خرج معها التّفت الفراخُ به . وإن كانت عدّةُ ملوكِ افترَق الطَّرْد ، فصار مع كل واحد من الملوك فرقة من الطَّرْد .

و إنما قالوا : عناقيد الفراخ ؛ لأن شكل الفراخ إذا خرجت من الخليَّة في التفافها مثل عُنْقود .

⁽١) في الأصل : وأسمعان ، والصواب ما ذكرناه .

⁽٢) السُّرْفَة : دُويَيْةٌ تأكل ورق الشجر ، والسُّرُف : شيء أبيض كأنه دُود القَزِّ. القاموس (٢/٥٥٤).

⁽٣) ممحلاً : المَحْلُ : الجَدْب والشدة وانقطاع المطر . القاموس (٢١٠/٤) .

⁽٤) أسرع المَحْلُ : أي أسرع الهلاك والفناء إلى النحل .

وإذا خرجَتْ الفراخُ بيعْسوبها ، وسقطت على شجرة أو غيرها ، احتال القوم على يعسُوبها حتى يأخذوه ، ويلقوه فى خليَّة ، أو نحوهًا ، فإنّ الفراخ تصيرُ معهُ حيثُ يصير، وإذا أُخِذَ يعسوب خليّة تبعه جميع نحْل تلك الخليّة ؛ حُبّا ليعْسوبها ، وإذا هلك الملكُ هلك جميعُ الطَّرْد ، وإن خرج الملكُ طلبه الطرْدُ حتى يجده بمعرفة رائحته .

والعسل الحسن : عسل الفراخ ؛ لقلة تجربتها ؛ وذلك أنّها متبدئة ، فلا تترك غاية.

وإذا خرجت الفراخ الحُدُث ، ابتدأت في العمل بعد ثلاثة أيام .

وإذا أرادُوا إدْخال الفراخ الحليّة دلّكوا باطنها بورق طيّب الرائحة لعجْبها به ، لأن النّحل تعجب بالرائحة الطيبة ، وتكره الرائحة الحبيثة ؛ولذلك ربما كرهت خليتها، وهمَّت بترْكها ، وعلامة ذلك أن يتعلَّق بعضها ببعض ، فإذا رأى القوم ذلك عرفوه، فنضحُوا داخل الحلية بشراب حُلْوٍ فتألفها؛ وإذا دَهَن إنسانٌ يدَه بدهْن كريه الرائحة ثم أدناها إلى النّحل لم تلْسعه .

وفراخ النحل أزْعَر (١) من الأُمّهات ، والأُمّهات زُغْب (٢) الرّقاب ، قُرْع الرؤوس، وفي رؤوسها قبح .

والنحل تُسمَّى أول ما تخرج فراخها : « المراضع » . وتسمَّى الفراخ : «الرَّضُع» ، وليس ثَمَّ رضاعٌ ، وإنما هذا استعارة ،وإذا تَمَّت الفراخُ نحلاً ، قيل : هي نحلُ أَبْكار ، إلى أن تُفرخ .

ومنه كتاب الحجّاج بن يوسف الثقفى إلى عامله بفارس « أن ابْعث إلىّ بعسل خُلاَّر (٣) ، ومن النّحْل الأبْكار ، من الدستفشار (٤) الذي لم تمسه النار » .

⁽١) أَزْعَر : أقل ، من: رَعِرَ : قلَّ وتفرق . القاموس (٢/ ٤٥٢) .

⁽٢) زغب الرقّاب : أي صغيرة الرقاب . القاموس (٣/ ٤٥٥) .

⁽٣) خُلاَّرٌ : موضع بفارس يُنْسبُ إليه العسل الجيِّدُ. القاموس (٢/ ٩٠) ، حياة الحيوان (٨/ ١٢٥٩) .

 ⁽٤) فى الأصل : المستفشار ، وهو غلط ، وقد ذكره المصنف بعد ذلك كما أثبتناه ، وهو كذلك فى
 «حياة الحيوان » للدميرى (٨/ ١٢٥٩) وذكر معه قول الحجاج وقال : الدستفشار كلمة فارسية معناها : ما عصرته الأيدى .

ورُوى : « عَسَلُ أَبْكار ، يريد الجوارى الأبْكار لا يليه غيرهن ».

والنحل الكريم هو الذي يتقن عمله ، فيأتي بوجوه الشُّهد مُلْسا . وإذا لم يكن كريما جاء الشُّهد قليل الاستواء ، منفتح الخاتم ، كأنها تعمل أعمالها بالبخت كيفما جاء .

ويقال : إن العسل الأبيض عمَلُ شبابها ، والعسل الأصفر عمل كهولها .

وذكور النحل أعظم جُثْثًا من إناثها، ولا حُمَات لها ، وهي أَبْطل ، وأقل حركة .

والنحل إذا كثرتْ ملُوكُها في الخلايا قَتَلَتْها ، لئلا تكثُر فتشتَّتَ النحل ؛ لأن النحلَ يتفرَّق على الملوك .

ولشيار (١) عسل الخلايا في السّنةِ مرتين: مرّة في الربيع ، وهو أجود الشيارين، ومرّة في الخريف .

ويقال : « شار العسل يُشورُ شوْراً ، وشياراً ، ومشارة . واشتاره يَشْتاره اشتياراً؛ وأشارَه يُشيره إشارة » .

والشَّوْر : العَملُ في اجتناء العسل وأخذِهِ ، ثم العسل نفسه شوراً ، كما سُمِّي العسلُ أرياً .

والعامة تُسمى شيَار العسل جِزاراً فيقولون : « جِزَار الشُّهد » ، كما يقولون فى جِزَار العسل ، ويسميَه آخرون « قطاف » .

وإذا أرادوا اشتيار العسل دخَّنوا على النحل حتى يخرج من الخلية ، وذلك جلاؤها ، وقد جلاها يجلوها جلاءً ، وهي جُلُوة النحل ، أي طردها بالدّخان .

ويُقال لذلك الدخان: « الإيام » (٢) ، ولا يُقال لشيء من الدخان (إيام) سُواه، فيقال إذا دُخِّن عليها: آمها _ بالمد _ يئومها إياماً فهو آئم ، والنحل مئومة ، وإن شئت مئوم عليها ، فإذا جلوها بالإيام _ في أحد الشيارين _ وأخذوا ما في الخلية من العسل تركوا لها مقدار قُوتها في شتائها وإلا هلكت ؛ وربّما جعلوا مكان العسل تمرا ، أو زبيبا ونحوه من الحلواء ، فتقتاته ، فإن تُرك لها من العسل أكثر من حاجتها تبطلت ، وقل عملها .

⁽١) لشيار العسل : أي جمعه واجتناؤه .

⁽٢) قال في القاموس (١/٣٠٣) : الإيامُ : الدخان .

ومما يُنَشِّط النحل للعمل ، أن تقل الذكورة في الخليّة ، فإذا قُطف الشهد ، فمن الناس منْ يخلِّص العسل من الشّمع بالنار ، ويطبخ الشَّهد حتى إذا ذاب أقرّه حتى يبرد ، فيعلو الشمع جامداً ، فيؤخذ ، ويبقى العسل خالصاً ، ومن الناس من يُخلِّصه بالاعتصار بالأيدى وإن كان كثيراً ، فبالأرجل ، وذلك هو الدستفشار ، الذي لم تمسه النار ، وهو أفضل .

وكان للعرب في كل مصنعة من مصانع العسل معصرة من محيرة يُلقى الشهد فيها ، فإذا أُلقى الشهد فيها تكسر ، وبرز العسل عفوا ، فجرى وسال في حياض ، فيجتمع فيها وقد زايل الشمع وخلص ، فما برز من العسل عفوا وجرى ، فذلك العسل : سلافة (١) ، وأفضل العسل وأصفاه . وما سال إلى الحوض ، وقد زال شمعه سُمّى ذَوْبا ، ونسيلا ؛ فإن بقى في الشمع من العسل شيء اعتصر بالأيدى ، ثم يُوعَى العسل في الوجاب .

والوِجَاب : أسقية عظام ، السقاء منها جلد تَيْسٍ (٢) وافرِ ، وواحد الوجاب: وَجُبٌ .

وكانوا لا ينتفعون بالشّمع ، ويرمون به ، فإذا تطاولت الأيام بَلِيَ فاسودٌ ، فزبّل به المزارع ، فهو : أجود مال .

ويقال لما يُوعَى فيه العسل أيضا : ﴿ زِقَ ﴾ (٣) ، وجمعه : ﴿ زِقَاقَ ﴾ .

وإذا خلص العسل من شمعه وجُثُّه ، فهو : ماذى .

والجَتْ (٤) : كل قذى يخالطه من أجْنِحة النّحل وأبدانها وفراخها وموْتَاها وغير ذلك .

⁽١) سمى بذلك ؛ لأنه أول ما يخرج من العسل ، وسُلاَّفُ الشيء : مقدمته ، ومنه سلافة العَسْكَرِ : مقدَّمتهُم . انظر القاموس (١/ ٥٩٨) .

⁽٢) وكذا قال صاحب القاموس (٤/ ٥٧٥) .

⁽٣) الزِّق ــ بالكسر: السقاء، أو جِلْدٌ يُجزُّ ولا ينتف للشَّراب وغيره وجمعه أزْقاقٌ ، وزِقَاقٌ وزُقّانٌ . القاموس (٢/ ٤٦١) .

⁽٤) في القاموس : الجَتُّ : كل ما خالط العسل من ميت الجراد ، وغِلافُ الثمَرَة ، والشمعُ وكل قذى خالطه من أجنحة النَّحْل وغيرها . القاموس (٤٤٤/١) .

وماذي العسل أيضا: ناصحه ، ونصوحه :خلوصه ، والنَّصيحة مأخوذة منه . ويُقال : الجَتْ : خِرْشاء العسل ، أى شمعه ، وما فيه من ميَّت النحل . والنَّفض : خرؤها .

وإذا كانت وَقْبَةُ النّحل في الجَبَل ، وأمكنهم الأرْتقاء إليها ، ارْتقوا فاشتاروا ما فيها ، وإن لم يمكنهم الارْتقاء _ وذلك أن النّحل تهْرَب بما تأتى فتجعله في أمنع ما تقدر عليه من وقاب الجبال ، فإذا كانت الوقبة كذلك تدلُوا عليها بالحبال الطّوال ، وربما وصلت الحبال ، وكثيراً ما تنقطع فيعطب (١) المُتدلِّى ، وإذا تدلّى المشتار ، وقد لبس صداً رَ أدم وأخذ معه حافته : وهي وعاء من أدم كالخريطة (٢) واسعة الأسفل، يجعل فيها آلته ، وصُفنه .

والصُّفن: شيء مثل السُّفْرة ربما جُعل فيها العسَلُ ، وربما استُفى به الماء ، ومعه مسْأَبَةٌ: وهي سقاء العسل ، وربما كانت قربة ، ومعه أخراصه: وهي قضبان يُنزع بها الشّهد ، ومعه محجن (٣) يجتذب به ما تأبّى عليه من الشهد، كل ذلك مشاور ، الواحد منها: « مَشوار » ؛ لأنه يَشتار به .

وهي أيضا: « المحابض » ، واحدها: « محبَّض » (٤) . فإذا استقر في مباءة النّحل حَلّ عنه الحبال ، وقدح بزْنده ، وآم (٥) على النحل ، ثم اشتار ، وأوعى في مسابيه وقربته ، وصَفنه ، ورقَّاها بالحبال إلى أصحابه ، أو هبط بها إنْ كان ارْتَقى على رجْليه . وإن كان العسل كثيراً ملاً منه الأسقية الكثيرة .

وإذا كانت الخليّة هكذا فهى عاسلة والجبح (٦) عاسل – أى : كثير العسل . ويقال للذى يَشْتار العسل أيضا:عاسل ؛ وكل موضع عَسَلِ مِن وقبة أو خليّة فهو : معسلة ؛ وإذا كانت الشّهْدة رقيقة خَفيفة العسل فهى : هُنٌّ ، وإذا كانت نخاريبها

⁽١) يعطب : يهلك المتدلى .

⁽٢) الخريطة : وعاءٌ من أدَم وغيره يُشْرَجُ أى يشدُ على ما فيه . القاموس (٣٩/٢) ، المعجم الوسيط (٣١٢/١) .

⁽٣) المحجن : العصا المعوجة : وكل معطوف مُعُوج . القاموس (١/٥٩٧) .

⁽٤) المُحبض : عود يُشتارُ به العسل ، أو يطرد به الدُّبرُ والنحل . القاموس (١/٥٧٨) .

⁽٥) آم على النحل: دخُّنَ عليها كما سبق.

⁽٦) الجبح : خلية العسل .

فارغة فهى مخربة ؛ ويقال للثقب المهيّأة من الشّمع التى تمجّ العسل فيها : النخاريب، واحدها : نخروب .

وفى لطف حُسن النّحل أُعجوبة قد تحيّر فيها قدماء العلماء ، وذلك أنه إذا أزمْع شتاء شات بالكون ، أو مطر من غير أن يرى الناس لذلك أمارة ، ترى النّحل قبل كوْن ذلك ساكنة فى داخل الخليّة ، فيْعلَم قُوَّامها بطول التجارب _ أنْ قد اقترب شتاء ، وبَرْدٌ ، ومَطَرٌ . وكانت العرب تعلم أن برداً قد اقترب وقوعه ، أو جراداً قد دنا مجيئه بما يرون من حال النّحل ، وذلك أنهم يرونها قبل أن يكون ذلك فاترة عن العمل ، كأنها قد اعتراها كسل وانكسار ، فعند ذلك يترقبون أنْ سيكون برد أو جراد فيكون كذلك (١) .

والبرد ، والجراد ، مُضِران بالنحل ، وأضرُّهما الجراد ؛ لأنه يلحسُّ (٢) الأرض فتهلك النّحل .

وكفى عجبًا بما تراه من أنك إذا فتحتَ وعاءَ العسَل فى بيت ضيّق وعلى بُعْد منك خلايا نحل ، فما تشعر بأول من هجوم النّحل عليك ، وفى البيت بيوت أُخر بها أُنَاس لم يشعروا بفتح ذلك الوعاء .

وكذلك الخلية إذا حُولت من أرض إلى أُخرى لم تعرفها نحل تلك الخلية قط ، فإذا نُصبت في تلك الأرض الغريبة ، ثم فُتحت وذهب النحل منها في تلك الأرض المجهولة من كلِّ وجه ، فإنها تئوب إلى خليتها بعينها ، لا تخطئها ، ولا تضل عنها، وربما حُملت الخلايا في بعض البلدان _ إذا أجْدبت المراعي _ إلى بلدان أخر شاسعة لطلب المرعي ، ثم تطلق عنها فتسرحُ في تلك البلاد ، وتعمل أعمالها من غير تدريب ولا تدريج كما كانت تعملها من قبل ، ثم لا تغلط نحلة فتدخل في خلية غير خليتها والخلايا متلاصقة أو مجاورة ، وفي كل هذا عبرة وأعجوبة .

⁽۱) وهذه خاصية جعلها الله _ عز وجل _ لبعض الحيوانات في التنبؤ ببعض الأحداث الكونية كالمطر والزلازل والرياح ، وقد اكتشف العلماء في عصرنا هذا كثيراً من هذه الأنواع ، وهذا يدل على عظيم قدرة الله .

⁽٢) يلحس الأرض : يأكل ما فيها من النبات والخضر. القاموس (١٢٨/٤) .

[الدَّبر : عسلُه وأنواعه]

ومن الدَّبْر : جنس أسود شديد السواد ، عريضٌ قصيرٌ كأنه فى الخِلْقة صغار الجُعْلان ، ولها حُمَاتٌ مؤذية ، تعْسل عسلاً قليلاً فى نخاريب تبنيها من الطين أشباه البلوط ، تلصقها بالصخر ، وتعسل فيها عسلاً صُلْباً جداً ، ثم تختمها أيضا بالطِّين، فتجدها الرعاة والحطَّابون كذلك ، فربما وجدوا منها العشرين والثلاثين فى مكان واحد لاصقاً بعضها ببعض ، فيستخرجون العسل الذى فيها فيأكلونه وذلك نزرٌ وقليل.

ومن الدَّبْر : جنس آخر أصفر صغير مخطط ، أدغر (١) أملس ، أدقُّ من النحل وأخف ، مؤذى اللَّه ، وإذا لسع لم تنصل حُمَته ، يزعمون أنه يعسِّل عسلاً قليلاً .

والبلاد الباردة أوفق للنحل ، والنجود (٢) أوفق لها من الأغوار .

وجرَت العادةُ بأرضِ مصر أنّ فراخ النّحل تُجمع من شهر أمشير ، ويُبتدأ بجناه (٣) في برمودة .

وأجود مراعيه القُرْط (٤) ، والجلبّان (٥) ، وتُسقى أُمّهاته العسل عند اشتداد البرد، وحدوث الهواء الشديد ؛ ومقدار ما تُسقى المائة خلية عشرة أرطال ، والذى يتحصل من المائة خليّة في كل سنة ما بين ستة قناطير عسل إلى خسمة قناطير وعشرون رطلاً من الشمع ، ويموت في السنة على الأكثر عشرون خليّة .

⁽١) أدغر : قبيح . قال في القاموس (٢/ ١٨٩) : لَوْنٌ مُدَغَّر : قبيحٌ .

⁽٢) النجود : جمع نجد ، وهو المكان المرتفع عن الأرض ، أو الطريق الواضح المرتفع . القاموس (٤١٠) .

⁽٣) ذكر المصنف ذلك في كتابه « الخطط والآثار » (١/ ٥١١) ط : دار التحرير في باب ذكر ما يوافق أيام الشهور القبطية من الأعمال في الزراعات وغيرها .

 ⁽٤) الْقُرْطُ : نباتُ كالرَّطبة إلا أنه أجَلُّ منها. كذا في القاموس (٣/ ٥٩٤) وفي « المعجم الوسيط » :
 هو نبات عشبي يماثل البرسيم .

⁽٥) الجُلُبَّانُ : نباتٌ ذو حب أغبر ، بالتشديد والتخفيف . انظر القاموس (١/ ٥١٠) وتاج العروس للزبيدي (٣ / ١٢).

فصل: في العسل* وأنواعه

العسل يؤنَّث ويذكَّر ، ويُصغّر : « عُسيْلة » ، ويجمع: عُسُولاً ، وأعسالاً وعُسْلاناً، وعَسْلاً إذا أردت ضرْباً منه .

ويُسمّى العسل : الأرْى (١) . وأصل الأرْى : العمل . يقال : أَرَتْ النحلةُ تأرى ، أَرْيا : إذا عملَت العسل ، وبنت الشّهد . ويقال للعسل : لعاب النحل . ويقال له : الشَّوْب ، والسَّلْوَى ، والذَّوْب .

وقيل : لا يسمّى العسل ذوباً إلا إذا أُزيلَ الشمع وجرى ، فحينتذ هو ذَوْب ، وكل جار ذائب .

ويقال للعسل: النَّسيل ، والنَّسيلة ، والذواب ، والطِّرْم ، ويُسمَّى: جنْيُ النحل، وريق النحل ، ومُجَاج النحل .

والعسل مختلف الألوان ، والطعوم ، والروائح ، والمتانة ، والرقة والصّفاء ، والكدر ، وكثرة الحلاوة وقلتها ، وكل ذلك على قدر النبات الذى يَجْرسُه النحلُ . فعسل النّدْغ (٢) والسِّحاء (٣) أبيض ناصع البياض كأنه رُبْد الضأن في البيان .

وهما شجرتان بيضاوا الزهر . والندغ : صَعْتُر البر .

والسحاء أيضا :صعتر البر . وقيل : السِّحاء:شوك قصار كثير الزهر ، كثير العسل ، لا يرعاه إلا النحل فقط .

وأكثر منابته تهامة (٤) ،وقد روى الأصمعي (٥) أن

^{*} زیادة منی .

⁽١) أصله إرْى : وأرَت القدر تأرى أريا : لذق بأسفلها شبه الجُلْبة السوداء وبه سمى العسل لالتصاقه، أرت النحلة : عملت العسل . انظر القاموس (١/٩/١) .

⁽٢) النَّدْغُ : السُّعْتر البرِّي وعَسَلُه أمتن العسل. القاموس (٤/ ٣٤٩) .

⁽٣) ذكره في القاموس وقال : السحاءة: نبات شائك يرعاه النُّحْل ، عَسَلُه غايةٌ . (٢/ ٥٣٤) .

⁽٤) تهامة : أرض أولَّها (ذات ُ عرْق) من قبل نجد إلى مكة وما وراءها بمرحلتين أو أكثر ثم تتصل بالغَوْر وتأخذ إلى البحر ، ويقال: إن تهامة تتَّصل بأرض اليمن ، وإنَّ مكة من تهامة اليمن والنسبة إليها . انظر المصباح المنير (٧٨/١) .

⁽٥) الأصمعى: أبو سعيد عبد الملك بن قريب ، الإمام أبو سعيد البصرى الأديب اللغوى ، ولد سنة ١٢٣ هـ، توفى بالبصرة سنة ٢١٥ هـ له مصنفات كثيرة في علوم اللغة. انظر : هدية العارفين (٥/٦٣٣) .

...... سليمان (۱) بن عبد الملك بن مروان حج فأتى الطائف ، فوجد ريح النَّدْع ، فكتب إلى والى الطائف : «انظر لى عسلاً من عسل الندْغ والسّحاء ، أخضر فى السِّقاء ، أبيض فى الإناء ، من حدب بنى شبابة » ، ويقال : حداب بنى شبابة من فهم بن مالك بن الأزد ، وليسوا من عَدْوان (٢) وحداب بنى شبابة أكثر أرض العرب عسلاً وعنباً ، وتيناً وربَّى (٣) . واليمن: كلُّها أرض عسل .

ويقال : إن عسل النّدْغ إذا كان في السِّقاء ، فنظرت إليه رأيته كأنه اللبن اللّذرَّح(٤) ، فإذا أخرجت منه شيئاً فجعلته في إناء أبيض ، وكذلك جميع العَسل إذا كان كثيراً في وعاء رأيته أخضر ، فإذا أخرجت منه شيئاً تبيّن لونه إن كان أحمر ، أو أصْفَر ، أو غيره . والمذرّح : الذي كثر عليه الماء . فإذا كثر عليه الماء أخضر وأصفى عسل العرب : عسل الشيَّعة (٥) ، وهي شجيرة لها نور ذكي .

وعسل الضُّرُم (٦) لونه كلون الماء ، وهو أَجُوَد عسلهم . والضَّرُم أبيض اللون، ونباته شبيه بنبات النَّدْغ .

ومن عسل العرب المَذْخ ، ونحله تجرس رُمّان البرّ الذي يقال له: « المَظُّ » ، فإن جُلّناره كثير العسل .

والعسل الصعترى ، معروف وهو أشد العسل حروفة ، وأرقّه .

وكذلك العسل اللّوزي معروفٌ ، وليْس من عسل أرض العرب ، وهو من أشد

⁽۱) سليمان بن عبد الملك : أبو أيوب كان من خيار ملوك بنى أمية ، ولى الخلافة بعهد من أبيه سنة ٦٠هـ ، وكان فصيحاً مُفُوَّهاً ، مؤثراً للعدل ، محباً للغزو ، ولد سنة ٦٠هـ ، وتوفى سنة ٩٩هـ . انظر ترجمته في « تاريخ الخلفاء » (٢٥٥) للسيوطى ، الكامل (٢٩٣/٤_٣١١) لابن الأثير ، تاريخ الطبرى (٢/٥٠) .

⁽۲) هو عدوان بن عمرو بن قیس .

⁽٣) الرُّبِّي : الإحسان والنُّعمة . القاموس (٢٨٣/٢) .

⁽٤) المُذرح : المخلوط ، وقد غلب عليه الماء . القاموس (٢٥٣/٢) .

⁽٥) الشَيْعَةُ : شجرةٌ تَجْرسها النَّحْلُ ، وعسلها طيبٌ صافٍ وتُعَبَّقُ بها الثياب (أي تعطر) القاموس (٧/ ٧٨٧) .

⁽٦) الضُّرْم : شجر طيب الريح ، يوجد فى جبال اليمن والطائف ، تجرسه النحل ، وعسله يسمى عسل الضرمة ، وثمره كالبَلُّوط ، وزهره كزَهْر السَّعْتر ، ولعسله فضلٌ ، ويسمى باليونانية : الأُسْطُوخُودُوس . انظر القاموس (٣/ ٢٥) ، تاج العروس للزبيدى .

العسَل اعتدالاً ، وفيه رائحة نوْر اللّوز ، وأكثر ما كان يؤتى به من بلاد الجزيرة .

وكل نبات كثر ببلاد فيها نحل ، فإن الغالب على عسلها عسل ذلك الشجر ، وإذا اختلف نباتها لم يغلب على عسلها نبت بعينه .

وقد يصير العسل مرًا إذا جرست نحله النور المرّ كعسل الأفْسَنْتين (١) ، وليس من نبات بلاد العرب ، وفي عسله مرارة .

وعسل السِّدر (٢) قليل الحلاوة ، قليل المتانة .

ومن كلّ الشّجر تجرسُ النّحلُ ، إلاّ أن تكون شجرة خبيثة الرائحة زَهمة ، أو ذات سُمّ ، فإنها لا تقرب من ذلك شيئاً . وأجود العسل عند العلماء به : ما طاب ريحه ، وعذُبَ طعمه ، وصدَقتْ حلاوته ، ومتُن حتى إذا مدَدْته امتدّ ، وخلتَه لوْن الذهب ، فإذا قُطر على الأرض استدار واجتمع إلى نفسه ؛ فإذا وَعِيَ العسل في الجرار علا أرقه ، وسَفُل أمْتنه وأجوده .

وأمّا ما اسودَّ من العسل فإنّه ردىء ، ما لم يكن سواده من تقادمٍ فإن العسلَ إذا تقادم مال إلى السّواد ، ونقصت حلاوته .

وإذا كان العسل متينا صُلبا فهو ضَرَب ، وكذلك الشهد ، يقال : « استضرَب العسل إذا صلب واشتد » .

وقد يبلغ من شدة العسل في بعض البلاد أن يكسر الشّهد كسراً ، والعسل المتقادمُ الشديد كله يستضرب .

ويقال للعسل المتين : « حَمِيتْ » ، ويقال للعسل الشديد: « جَلْسٌ » ويقال لما رَقّ من العسل: « وَديس » .

فصل: في ماهية العسل

ذكر القدماءُ من الحكماءِ أن العسلَ طَلِّ خفيٌّ يقعُ على الزَّهْر ، وعلى غيره فيلقُطه النَّحل ، وذُكِرَ أنَّ هذا الطّل بخارٌ بتصاعده ، فيستحيلُ في تصاعُدِه ،

⁽۱) الأفسنتين : نبات عشبي برى ، ذو ورق أبيض ، وزهر أقحواني وهو ذو طعم مُرُّ .

⁽۲) شجر النبق .

وينضجُ في الجوِّ فيستحيلُ أيضا ، ويغلُظُ في اللّيل فيقعُ عسلاً ، إلا أنّه يخْتلف في وقوعه إلى الأرْض ، فمنه ما يقعُ عسَلاً كما هو في بعضِ الجبال .

ومنه ما يقع على الأشجار والحجارة .

وهذا القسمُ يخْتلفُ بحسب ما يقعُ عليه ، فما ظهر منْه لقطه الناسُ وما خفى منه تلتقطه النحل . وتتصرفُ النحل فيما تلقطه منه تأثير ، فإنه يلقطه ليغتذى به ، وليدخره .

وذكر أرسطو أن غذاء النحل من الفضول الحلوة ، والرّطوبات ، يرشح بها الزّهر والورق ، فتجمع ذلك كله ، وتدخره ، وهو العسل ؛ وتجمع مع ذلك رطوبات دسمة تتخذ منها بيوت العسل ، وهذه الدسومات هي الشمع ، وهي تلقطها بخراطيمها ، وتحملها على فخذيها ، وتنقلها من فخذيها إلى صُلْبها .

وقال الكواشى (١) فى « تفسيره » : إن العسل ينزل من السماء فيثبت فى أماكِن، فتأتى النحلُ فتشربُه ، ثم تأتى الخلية فتُلْقيه فى الشمع المهيأ للعسل فى الخلية ، لا كما يتوهم بعض النَّاسِ أنّ العسل من فضلات الغِذَاء ، وأنه قد استحال فى المعدة عسكاً .

ومن العسل جنس سُمَّى ، مَنْ شَمَّه ذهب عقلُه ، فكيف مَنْ أكله .

[فَوَائِدُ العسل]

أَجُودُ العسل : الصادقُ الحلاوة ،الطيب الرائحة ، مع ميلٍ إلى الحرَافَة (٢) والحُمْرة، والمتانة ، وأن يكون لَزِجاً لا يتقطع ، وأن يُجنى في الربيع. وأردؤه : ما قُطف في الشتاء .

وطبعُ عسل النحل : حارً يابس في الثانية ، فيه قوةٌ جالبةٌ ، مفتّحةٌ لأفواه العُروق ، لجُلبِه الرّطوبات من قعْرِ البدن .

وهو يمنعُ العفونة والفساد من اللَّحْم .

وإذا لُطِّخَ به البدنُ منعَ القمْلُ ، والصنبان ، وقتلها .

⁽١) سبقت ترجمته .

⁽٢) الحرافة : هي الحدّة في الطعم ، ذات لُذُوعَة في اللسان والحلق .

وإذا أُضيف إليه القُسْطُ (١) ، ولُطِّخ على الكلف (٢) أزاله .

وإذا عمل في مِلح ودُهِن على آثار الضَّرْبة التي لوْنُها كلوْن الباذِنْجان أزالها .

وهو ينَقّى القروحَ الوَسِخَة؛ وإذا طبخ حتى يغلظ فإنه يبرئ الجراحات الطرّية. وإذا لُطّخ مع الشّبت أبرأ القَوَابي (٣).

وإذا خُلط بالملْح الذرْآني (٤) ، وقُطّر في الأُذن نقّاها ، وجفّف قروحها ، وقوى به السَّمْع .

الاكتحال به يجلو ظلمة البصر .

والتحنك (٥) والغَرْغَرَة به يبرئ الخوانيق (٦) واللّوزتين .

والعسلُ يقوّى المعدَة ، ويُشهَى الطعام ، ويليِّن البطْنَ إن وجد حركةً وقلّة استعداد منَ الغذاء للنّفوذ ، فإن تمكن منْ تنفيذ الغذاء عقل .

وإن شُرب مسخَّناً بدُهْن ورْد نفع من نهْش الهوام ، وَمِنْ شُرْب الأفيون . ولعْقه يُعالج به عضّة الكلْب الكلب (٧) .

ويحفظ الميت إذا وُضع فيه دائما . ويحفظ اللَّحمَ ثلاثة أشهر والفاكهة ستة

⁽١) القُسطُ : عُودٌ هندى وعربى مُدرٌ نافع للكبد جداً ، والمغصِ وحُمَّى الربيع شرباً ، وللزُّكامِ والنزلات . انظر القاموس (١/ ٦١٨) .

⁽٢) الْكُلُف : شيء يُعلو الوجه كالسمْسِم (النَّمَش) ، ولوْنٌ بين السَّواد والحُمرَة ، وحُمْرَةٌ كدِرةٌ تعلو الوَجْه . القاموس (٤/٤٧) .

⁽٣) القُوابي : القُوَبَةُ : مرض جلدي يظهر في الجسد ، ينتج عنه تقشُّرٌ في الجلدِ ، وتقلُّعٌ في الشَّعْرِ، وتسمى القُوباءُ أيضا . القاموس (٣/ ٧١١) .

⁽٤) في الأصل : الأنْدَرَاني ، وهو خطأ ، والتصويب من القاموس واللسان . وغالباً ما يعتمد المصنف على القاموس في تفسير معاني الألفاظ . قال في القاموس (٢٥١/٢) : ومِلْحٌ ذَرَانِيٌّ : أي شديد البياض ، من الذَّرَأة . ولا تقُلُ : أنْذَرَانيُّ .

⁽٥) التَّحنك : من الحَنَكِ وهو باطن أعْلى الفم من داخلِ ، وحنَّكه : دلك حَنكَهُ . القاموس (٧٢٨/١).

⁽٦) الخوانيق : الخانوقة داءٌ يمتنع معه نفوذ النَّفس إلى الرِّئة والقلب . القاموس (١٢١/٢) .

⁽٧) أى الذى أصابه مرض الكلّب ، وهو ينتقل بالعض فيدخل فيروسه الموجود فى اللعاب إلى الجسم ويحدث هذا المرض ، ومن آثاره تقلص العضلات واضطراب فى الجهاز العصبى. انظر « المعجم الوسيط » .

٣٠٢ ـــــــ نَحْل عِبَر النَحْل

أشهر ، إذا وُضعا فيه .

فصل

وكفى للنّحْل شرفاً تنويهُ الله تعالى بذكْرِها فى مُحكم كتابه العزيز ، حيث قال: ﴿ وَأَوْحَىٰ رَبُكَ إِلَى النَّحْلِ أَن اتّخذى مِنَ الْجَبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمَمَّا يَعْرِشُونَ . ثُمَّ كُلى مِن كُلِّ الشَّمَرَاتِ فَاسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكَ ذُلُلاً يَخْرُجُ مِن بُطُونِهَا شَرَابٌ مُّخْتَلِفَ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ إِنَّ كُلِي الشَّمَرَاتِ فَاسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكَ ذُلُلاً يَخْرُجُ مِن بُطُونِهَا شَرَابٌ مُّخْتَلِفَ أَلُوانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ إِنَّ في ذَلكَ لآيَةً لَقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ (١) .

« أُوْحَى » : معناه أَلْهُم .

أى خلق سبحانه وتعالى فى أنفس النَّحل ابتداءً من غير سبب ظاهر قوةً بها تُدرك منافعها ، وتجْتنب مضارها ، وتحسن تدبير معاشها ، لم يدر مخلوق ما تلك القوة ، وإن شارك النّحل فيها كثيرٌ من الحيوان ، فإنّ لها عليْهم مزيّةٌ اختصاص بأنه تعالى عبَّر عن إلهامها بالوحْي تشريفا لها بخلاف غيْرها ، فإنّه تعالى قال : ﴿ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا . فَأَلْهُمَهَا فُجُورَهَا وَتَقُواهَا ﴾ (٢).

وقال ﴿ . . . رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَىٰ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَىٰ ﴾ (٣) فدخَلَت النَّحلةُ في هذا العُموم ، وامتازَت بأنْ صارتْ مما أوحى الله سبحانه وتعَالَى إليْها ، وأثنى عليْها ، فعلمَتْ مساقط الأنْوار من وراء البيداء ، فتقعُ هناك بروضة عبِقة، وزهْرة أنقَة ، ثم يَصْدر عنْهَا ما تحفظُه رُضابا وتلفظه شراباً .

وقال الزجّاجُ (٤): « سُمِّيت نحلاً ؛ لأن الله تعالى نَحَل الناس العسل الذى يخْرجُ منْها ، إذ النَّحلة : العطية » (٥) .

وذُكر في كتاب « عجائب المخلوقات » (٦): « إنّ يومَ عيد الفِطر يُقال له: يوم الرحمةُ ؛ إذ فيه أوْحَى ربك إلى النحل صُنْعَه » .

⁽١) النحل : ٦٨، ٦٩ .

⁽٣) طه : ٥٠ .

⁽٤) الزجاج : هو الإمام اللغوى الكبير إبراهيم بن السرى بن سهل أبو إسحاق الزجاج أحد أساطين اللغة والتفسير ، توفى سنة ٣١١ هـ له مؤلفات كثيرة منها ، النوادر : الوقف والابتداء ، معانى القرآن . انظر : هدية العارفين (٥/٥) .

⁽٥) نقله عنه القرطبي في تفسيره (١٠/ ٨٨) ، والدميري في «حياة الحيوان» (٨/ ١٢٤٩) .

 ⁽٦) للعلامة زكريا بن محمد بن محمود الكوفى القزويني الأندلسي، قاضى واسط، المتوفى سنة ٦٨٢هـ . انظر : كشف الظنون (١١٢٧/١) هدية العارفين (٣٧٣/٥) .

نَحْل عَبَر النَحْل -----

بيُوت النّحل

وقد جعل الله تعالى بيوتَ النَّحل ثلاثة أنواع :

إمّا في الجبال وكُواها ، وإمّا في الحَشَب المَنْحوت من الشّجر أو المجوَّف منْها ، وإمّا فيما يَعْرش الإنسانُ ، أي يهيئُ من الحُلايا ونحْوها لقوله تعالى : ﴿وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ النَّحْلِ أَن اتَّخِذِي ﴾ الآية ، فقرأ ابن عامر(١) : « يَعْرُشُون » بضَم الراء ، وقرأ الباقون _ بكسرها _ إلا عاصماً، فإنه اختلف عنهم فرُوى الرجهان جميعاً (٢) .

وأصل العَرْش : السَّرير المتخَذ للملِك ، ثم استعير لغيره ، فأَطْلِق العرْشُ على البيت ، وجمعه : عُروش .

وعَرْشُ البيت : سقَّفه ، والعَرْشُ : الخيمة ، والجمع : أعْراش وعُروش .

وعَرشَ العَرْش يَعْرِشُهُ _ بكسر الراء وضمها _ عَرْشاً : عمله ، وعَرْش الرّجل: قوامُ أمْره . وثُلَّ عرشُه : هُدِم ما هو عليه من قوام أمره (٣) .

والعَرْش : المُنْزِل ، وجمعه : عُرُش . والعَرْش والعريش : ما يستظل به ، وجمعه : عُرُوش .

وعَرَشَ البئر والرَّكية (٤) يعرُشها عَرْشاً : طواها من أسْفلها بالحجارة ، ثم طوى سائرها بالخشب ، فالطيّ بالحجارة فقط . والعُرش : ما عرشها به من الخشب، وجمعه :عروش . وعَرْشُ الكَرْم : ما دُعِّم به من الخشب . يُقال : عَرَشَ الكَرْم يَعْرِشه عَرْشاً وعروشاً : عمل له عَرْشاً . فلا يوجد للنّحل في غير هذه الثلاثة .

وأكثر بيوتها فى الجبال ، ثم فى الأشْجار ، ثم فيما يعرش الناس ، وهى أقل بيوتها ، وأباح تعالى للنحل أكل ما شاءت من الأشجار بقوله عزَّ من قائل: ﴿ ثُمَّ كُلِى مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ فَاسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلا ...﴾(٥) فقوله : ﴿ مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ ﴾ المراد :

⁽۱) هو الإمام المقرئ عبد الله بن عامر بن يزيد اليحصبى ، إمام الشاميين فى الإقراء ،توفى سنة ١١٨هـ بدمشق. انظر ترجمته فى « طبقات القراء » (٢/ ٣٥١ ــ رقم ١٧٩١) لابن الجزرى.

⁽۲) انظر هذه القراءات وتوجيهها في القرطبي (۱۰/۸۹) ، وابن عطية (۲۰۲/۱۰) ، وزاد المسير (۲۰۲/۱۰) .

⁽٣) انظر القاموس (٣/ ١٩١) .

⁽٤) الرَّكيّة : البئر لم تُطو ، وجمعها رُكيٌّ ، وَركايا . القاموس (٢/ ٣٨٥) .

⁽٥) النحل: ٦٩.

"بعضها " كقوله تعالى ﴿ . . . وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَيْءٍ . . . ﴾ (١) يريد به " البعض " ؟ والسُّبُل: الطرق ، واحدها : سبيل ، وأضافها سبحانه إليه ؛ لأنه الذي خلقها وقد أذن النَّحل في سلوكها ، أي تدخل طرق ربِّها لطلب الرِّزق في الجبال ، وخلال الشّجر .

وذلَّل لها الطرقَ : أَىْ سَهَّلَهَا ، تقول : « سَبِيلٌ مَذلَّلٌ » : أَى سَهْلٌ سَلُوكَه ، وقد يكون (ذُلُلاً) : حالاً من النَّحْل ، أَى تَنْقَادُ ، وتذهبُ حيث شاءَ صاحبُها ، وقد يكون (ذُلُلاً) : حالاً من النّحْل ، وتقفُ موقفَ يعْسُوبها ، وتسير بمسيره (٢).

و (ذُلُلا) جمع ذلول وهو المنقاد : أي المطيع .

ثم عَدَدَ تعالى على خلْقه ما أنعم به عليهم من العسَلِ الذي يخرِجُ من النّحل ، فإن في خروجه منها عبرة ، فقال سبحانه : ﴿ . . . يَخْرُجُ مِن بُطُونِهَا شَرَابٌ . . . كه نيني : العسل ، فإنه من أفواه النّحل ، لدلالة القرآن على أنها ترعى الزّهر ، فيستحيل في أجوافها عسلاً ، ثم تلقيه من أفواهها فيجتمع منه القناطير المقنطرة .

روى عن على بن أبى طالب _ رضى الله عنه _ أنّه قال _ وقد حَقَر الدنيا : « أشرف لباسها لعابُ دودة ، وأشرفُ شرابها رجيع نحْلة »، وفى رواية : « إنما الدنيا ستة أشياء : مطْعُوم ، ومشْرُوبٌ ، وملبوسٌ ، ومركوبٌ ، ومنكوحٌ ، ومشْمومٌ ؛ فأشرفُ المشروبُ المععومٌ : العسَل ، وهو مَذْقةُ ذباب . وأشرفُ المشروب : الماء ، ويستوى فيه البَرُ والفاجر . وأشرف الملبوس : الحرير ، وهو نسْجُ دودة . وأشرف المركوب : الفرس ، وعليها تقاتل الرجال . وأشرفُ المشمومات : المسْك ، وهو دَمُ حيوان . وأشرفُ المنكوحات : فرْجُ المرأة ، وهو مَيَالٌ » (٣) فقال قوم : « هذا يدلُ على خروج العسل من غير أفواه النحل » .

وقال قومٌ : ﴿ لَا نَدْرَى أَيْخُرْجُ مِنْ أَفُواهُهَا أَوْ مِنْ أَسَافُلُهَا ، غَيْرُ أَنَّهُ لَا يَتْم

⁽١) النمل : ٢٣ .

⁽۲) ونحو ذلك للقرطبي في تفسيره (۸۹/۱۰) ، وانظر تفصيل الكلام عليها في فتح القدير(٣/١٧٥) للشوكاني ، المحرر الوجيز (۲۰۷/۱۰) لابن عطية ،محاسن التأويل (۱۲۷/۱۰) للقاسمي .

⁽٣) ذكره ابن عطية فى « المحرر الوجيز » (٢٠٧/١٠) ، والقرطبى فى تفسيره (٨٩/١٠) وذكره بطوله الدميرى فى « حياة الحيوان » (٨/ ١٢٥٤) وقال: والمعروف عنه ــ أى : على رضى الله عنه ــ أنه قال : فذكره .

صلاحه إلا بحمَى أنفاسها » (١).

وقد صنع بعض قدماء الفلاسفة بيتا من زجاج ليرى كيف تصنع النحلةُ العسلَ، وتضعه في بيوته من الشمع ، بعدما أدْخلَها في البيت ؛ فلطّخَت النحلةُ باطن الزّجاج بطين حتى لمْ يرَها .

وقال تعالى : ﴿ يَخْرُجُ مِن بُطُونِهَا ﴾ ؛ لأن استحالة الأطعمة لا تكون إلا في البطْن.

ثم عَدَّد تعالى أنواع العسل الذي أنعم به على عباده ، فقال : ﴿ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانَهُ ﴾ يعنى من الأحْمر ، والأبيض ، والجامد ، والسائل ؛ ليتذكروا قدرته سبحانه على الإيجاد والاختراع ، فإن الأصل واحد ، وما يكون عنه مختلف بسبب وقوع تنوع غذائه ، كما قد اختلف أيضا طعمه بحسب مراعى النّحل . ثم وصف تعالى هذا الخارج من النّحل بصفة شريفة ، وهي (الشفاء) الذي أوْدعَه فيه ، فقال تعالى : ﴿ فيه شفَاءٌ لِلنّاس ﴾ ، وألجمهور على أن الضمير عائد إلى العسل . واحتج مَنْ ذهب إلى ذلك ، بأن مساق الكلام للعسل ، وبقوله على في في في في في بطونها شراب أخيك » (٢) يريد عليه الصلاة والسلام قوله تعالى : ﴿ . . . يَخْرُجُ مِن بطُونِها شَرَاب مُخْتَلِفٌ أَلُوانَهُ فيه شفَاءٌ لِلنّاس . . . ﴾ ، وهو العسل ؛ وهذا تصريح منه _ عليه الصلاة والسلام _ بأن الضمير في قوله تعالى : ﴿ فيه شِفَاءٌ ﴾ يعود إلى الشراب الذي هو العسل ، وهو العسل ، وهو العسل ، وهو الله بن عبس ، العسل ، وهو الصحيح (٣) . وبه قال عبد الله بن مسعود ، وعبد الله بن عباس ،

⁽۱) ذهب جمهور العلماء إلى أن العسل يخرج من أفواه النحل ، وإنما قال من بطونها ، لأن استحالة الأطعمة لا تكون إلاَّ في البطن ، فيخرج كالريق الدائم الذي يخرج من فم ابن آدم ، وإلى هذا ذهب الزجاج وابن الجوزى. زاد المسير (٤٦٦/٤) ، وابن عطية وعزاه إلى الجمهور. المحرر الوجيز (٢٠٧١٠) ، وكذا القرطبي (١٧٦/١٠)، والشوكاني في «فتح القدير» (٣/١٧٦) والدميري في «حياة الحيوان» (٨٤٤١)).

⁽۲) رواه البخارى ك: الطب ب/ دواء المبطون (۷۱٦) ، وب /٤ الدواء بالعسل (۵۸۶) ، ومسلم ك: السلام ب/ ۳۱ التداوى بالعسل (۲۱۷/۹۱) ، والترمذى ك: الطب (۲۰۸۲) ، وأحمد (۳/۳) ، وابن أبى شيبة فى المصنف ك: الطب (۷/٤٤٤) .

⁽٣) وهذا مذهب جمهور العلماء واختاره ابن العربى فى ﴿ أَحكامه ﴾ (٣/١٥٧) ، وابن عطية فى المحرر (٢٠٧/١٠) ، والطبرى فى تفسيره (٧/ ٦٧٤)، وصححه القرطبى (٢٠/١٠) .

والحسن ، وقتادة (١) .

ورُوى عن مجاهد ، والضحّاك ، والفرّاء (٢) ، وابن كيسان (٣) أن الضمير عائد على (القرآن) أى : « في القرآن شفاء للناس » ، وهو ضعيف (٤) لمخالفته ظاهر القرآن ، وصريح حديث المشتكى بطنه .

وقال النحاس (٥): « أي فيما قصصننا عليْكم من الآيات والبراهِين شفاءُ للناس».

وزعم بعض غلاة الشِّيعة : أن هذه الآية يُراد بها آل البيت عليهم السلام ، وأن الشّراب : القرآن والحكْمَة ، والنّحلُ المذكورُ في الآية : هم آل البيت (٦) ، وروَوْا حديثًا أن النّبيّ ﷺ قَال لعلى _ رضى الله عنه : « أنت يعسوبُ المؤمنين ، والمالُ

⁽١) انظر هذه الآثار في الطبري (٧/ ٦٧٣ ، ٦٧٤) ، والدر المنثور (٥/ ١٤٤) .

 ⁽۲) الفراء : العلامة اللغوى المفسر يحيى بن زياد أبو زكريا الفراء له مؤلفات كثيرة فى اللغة ومعانى
 القرآن ، والنحو توفى سنة ۲۰۷ هـ انظر ترجمته فى « هدية العارفين » (٦/ ٥١٤) .

 ⁽۳) ابن كيسان : هو التابعى الجليل : طاوس بن كيسان الخولانى من عباد أهل اليمن وفقهائهم ،
 ومن سادات التابعين المفسرين توفى سنة ١٠٦ هـ انظر التهذيب (٨/٥) ، التقريب (١/٣٧٧) ،
 الكاشف (٢/٢٧) .

⁽٤) قال ابن كثير في تفسيره (٢/ ٥٧٥) بعد أن ذكر هذا القول :

[&]quot; وهذا قول صحيح في نفسه ولكن ليس هو الظاهر ههنا من سياق الآية ، فإن الآية إنما ذكر فيها العسل ، ولم يتابع مجاهد على قوله ههنا ، وإنما هذا الذي قاله ذكروه في قوله تعالى: ﴿ وَنَا مِنْ القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين ﴾ ، وقوله تعالى ﴿ قد جاءتكم موعظة من ربكم وشفاء لل في الصدور . . . ﴾ والدليل على ذلك الحديث الذي رواه الشيخان . . . » وذكر حديث أبي سعيد المتقدم .

وانظر : أحكام ابن العربي (٣/ ١١٥٨) فقد أجاد في بيان بعد هذا القول .

⁽٥) هو أبو جعفر أحمد بن محمد بن إسماعيل النحاس إمام جليل من أثمة اللغة والتفسير والحديث، له مصنفات كثيرة ، منها : « الناسخ والمنسوخ » ، و « إعراب القرآن » و «شرح المعلقات» توفى سنة 777 هـ انظر : هدية العارفين (71/٥) .

⁽٦) نقل ذلك ابن عطية الغرناطى فقال : وذهب قوم من أهل الجهالة إلى أن هذه الآية يراد بها أهل البيت وبنو هاشم ، وقد ذكر هذا بعضهم فى مجلس المنصور أبى جعفر العباسى ، فقال له رجل من حضر: جعل الله طعامك وشرابك مما يخرج من بطون بنى هاشم فأضحك الحاضرين وبُهِت الآخر وظهرت له سخافة قوله. انظر: المحرر الوجيز (١٠/١٠) ، وعنه القرطبى فى تفسيره (١٠/١٠) .

يعسوبُ الكفار » (١) ، وفي رواية : « والمال يعسوب المظلمة » (٢) ، وفي رواية : «والمال يعسوب المنافقين » (٣) . ومعنى يعسوب المؤمنين : أي كبير المؤمنين الذين يلوذُونَ بك ، وإليك ينقادون (٤) والكفار والظَّلَمة والمنافقون إنما يلوذُونَ بالمال كما تلوذُ النحل بيعسوبها ؛ ولذلك قالوا: « على المير النحل » وقد اختُلف في قوله تعالى: ﴿ فِيه شَفَاءٌ للنَّاسِ ﴾ هَلُ هو على عمُومه، أم لا؟ فذهب قوم إلى أنّه عام في كل حال ، ولكل أحد ؛ فعن عبد الله بن عمر _ رضى الله عنهما _ انه كان لا يشكو قرْحة ولا شيئاً إلا جعل عليه عسلاً، حتى الدمَّل إذا خرج به طلى عليه عسلاً (٥) .

وعن أبى وجْرة عوف بن مالك (٦) بن أبى عوْف الأشجعى أنّه كانَ يكْتحل بالعسل ، ويدَاوِى به كلّ سقَم . ومَرِض عوفُ بن مالًك هذا ، فقيل له : « ألا نعَالَجك؟» فقال : « وَنَزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُّبَارِكًا

⁽۱) رواه البزار في « مسنده » (كشف الأستار ٣/ ١٨٣) (٢٥٢٢) ، وابن الشجرى في « الأمالي » (١/ ١٤٤) وابن الجوزى في « الموضوعات » (١/ ٣٤٤) والطبراني في « معجمه » كما في «المجمع» (٩/ ٣/٣) وقال الهيثمي : رواه الطبراني والبزار في سنده عمرو بن سعيد المصرى وهو ضعيف ، وقال ابن الجوزى: فيه عباد بن يعقوب. قال ابن حبان : يروى المناكير ، وعلى بن هاشم شيعى غال فالحديث لا يصح .

⁽٢) روًاه ابن الجوزى في الموضوعات (١/ ٣٤٥) وقال : فيه أبو الصلت الهروى وهو كذابٌ خبيث .

⁽٣) رواه ابن الجوزى فى « الأحاديث الواهية » (٢٣٨/١) وحكم ببطلانه وانظر تفصيل الكلام على هذا الحديث فى « تنزيه الشريعة » (٣٥٢/١) لابن عراق ، و « الفوائد المجموعة » للشوكانى (٣٤٤) ، اللآلئ المصنوعة للسيوطى (٢٦٨/١) .

⁽٤) انظر هذا المعنى في « النهاية » لابن الأثير (٣/ ٢٣٤) .

⁽٥) ذكره السيوطى فى « الدر المنثور » (٥/ ١٤٥) وعزاه إلى حميد بن زنجويه عن نافع عن عبد الله بن عمر ، وذكره البغوى فى « شرح السنة » ك : الطب (١٠٧/٧) .

⁽٦) قوله : (عن أبى وجرة) سبق قلم من المصنف ، فالأثر ذكره ابن العربي في أحكامه (٣/ ١١٥٧) والقرطبي في تفسيره (١٠/ ٩) عن عوف بن مالك الأشجعي ، وذكر قبله ما نصه « وحكي النقاش عن أبي وَجْرة أنه كان يكتحل بالعسل ، ويستمشي بالعسل ويتداوى بالعسل ، روى أن عوف بن مالك ... » فذكره. وعوف بن مالك الأشجعي صحابي جليل وقد ذكر العلماء كنيته فقيل : أبو حماد ، ويقال : أبو عبد الرحمن، ويقال: أبو عمرو ، نزل بالشام ، وتوفي سنة فقيل : أبو حماد ، ويقال : انظر : الإصابة (٣/ ٤٣) ، أسد الغابة (١٥٦/٤) ، تجريد أسماء الصحابة (٢/ ٤٢) ، والتقريب (٢/ ٩٠) .

... ﴾ (١) ثم قال: «ايتونى بعسل » فإن الله تعالى يقول: ﴿ فِيهِ شَفَاءٌ لِلنَّاسِ ﴾ ، وائتونى بزيْت ، فإن الله تعالى يقول: ﴿ ... مِن شَجَرَةٍ مُّبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ . . . ﴾ (٢) فجاءه بذلك فُخلطه ، ثم شربه فبرئ .

وقال أبو بكر بن أبى شيبة : حدثنا أبو معاوية عن الأعمش ، عن خيثمة عن الأسود ، قال : قال عبد الله : $^{(9)}$.

حدثنا وكيع ، عن سفيان ، عن أبي إسحاق ، عن الأسود ، عن عبد الله قال: « العسلُ شفاءٌ مِنْ كل داء ، والقرآن شفاءٌ لما في الصدور » (٤) .

وذهب آخرون إلى أنه ليس بعام فى كل علّة (٥) ، وكلّ إنسان ، وإنما هو خبر بأنه يُشْفى كما يُشْفى غَيْره من الأدوية بعض الأمْراض ، لا كلها . واحتجوا لذلك بأن « شَفاءٌ » نكرة فى سياق الإثبات ، ولا عموم فيها باتفاق أهل العربية . والتحقيق : أنّ من قوى يقينُه ، وصدق عزمُه ، لثبات قدمه ورسُوخها فى التصديق، فإنه يشفى بالعسل فى كل جميع الأدواء ، ويُبْرئ به الله على يديه سائر الأمْراض ، وأما من ضعف يقينه ، وكان فى شكً ، وتردد بين ما جاء به القرآن ، وما ذكره الأطباء ، فإنّه موكولٌ إلى ما تعلّق به .

وقد اعترض على من قال بعموم منافع العسل (٦) : أنه يَضُرَّ بعض الناس كمن عنده صفراء محترقة ، فإنه إذا شرب العسل عظمت مضرَّتُه ، أجيب : بأنه قد تقرر

⁽١) سورة ق : ٩ . (٢) سورة النور : ٣٥ .٠

⁽٣) رواه أبو بكر بن أبى شيبة فى « المصنف » ك : الطب (٧/ ٤٤٥) ، والحاكم ، فى المستدرك (٢٠٠/) (٢٤٢٧) ، والبيهقى فى « السنن الكبرى » (٩/ ٣٤٤) وصحح وقفه عن ابن مسعود، ورواه مرفوعاً ابن ماجه ك : الطب (٣٤٥٢) ، والحاكم فى المستدرك (٤/ ٢٠٠) ، وأبو نعيم فى « الحلية » (١٣٣/) وصححه الحاكم على شرط مسلم ، وأقره الذهبى ، وصححه البوصيرى فى الزوائد (٣/ ١٢٠) ، وعزاه فى « الدر » (٥/ ١٤٤) إلى ابن مردويه ، والبيهقى فى « الشعب » .

⁽٤) رواه ابن أبي شيبة في « المصنف » ، والطبرى في تفسيره (٢١٧٥٤) ، الحاكم في المستدرك (٤/ ٢٠٠) (٧٤٣٦) ورجاله ثقات ، وانظر الدر المنثور (٥/ ١٤٤) .

⁽٥) أخذ المصنف ذلك من كلام الإمام القرطبي في تفسيره (١٠/١٠) ، ونحوه للقاضي أبي بكر بن العربي في أحكامه (١١٥٨/٣) ، وانظر فتح القدير (٣/١٧٦) للشوكاني ، فتح الباري (١٤٦/١٠) لابن حجر « حياة الحيوان » (٨/١٥٥٥) .

⁽٦) انظر هذا الاعتراض في تفسير القرطبي (١٠/ ٩١، ٩١،) المسألة الخامسة .

بأن ما من شيء ، وإن جَلَّت منفعتُه ، كالماء (١) الذي منه حياةٌ كل حيوان ونبات ، إلا وفيه مضرّة ما ، وما من شيء وإن عظمت مضرّته كالأفعى ونحوها إلا وفيه منفعة ، فالحكم للغالب ، فما غلبت منفعتُه مضرتَه قيل فيه : نافع بإطلاق ، وما غلبت مضرتُه منفعتَه قيل فيه : ضارٌ بإطلاق .

ولا ريب عند الأطباء وغيرهم في عموم منفعة العسل ، والتداوى به في أكثر الأمراض ، ومدحه لا سيما ما ركّب منه : كالسكنجبين (٢) والمعاجين ، فإنّ أصلها العسل ، ولا يغرنّك ما ألفته من استعمال ما ذكرنا بالسُّكر دون العسل ، فإنه أمر محدث لا تكاد تجدُه في كتب قدماء أطباء الإسلام ، فضلاً عن أطباء اليونان ومَنْ قبلهم ، وأنت تَعْرِف صحة ذلك إن كنتَ ممن تمهّر في الطب .

وقد ثبت أن رسول الله ﷺ أمر من يشتكى بطنه بشرْب العَسَل ، فلما أخبره أخو المشتكى بأنه لم يزده إلا استطلاقاً أمره ﷺ بمعاودة شربه ، إلى أن قال ﷺ : « صدق الله ، وكذب بطن أخيك » .

فاعترض بعض من فى قلبه شك بأن الأطباء قد أجْمعوا على أن العسل يُسهِل، فكيف يُوصَفُ لمن به إسهال ؟ ، وأجيب بالمنع ، فقد نص علماء الطب كمحمد بن زكريا الرازى (٣) ، والرئيس أبى على بن سينا (٤) ، ومن قبلهما جالينوس (٥) فى آخرين ، بأن العسل وإن كان يجْذبُ الرّطوبات من قعْر البدن ، ويليّن الطبيعة ، وإن كان الاستعدادُ مِن الغذاء فى النفوذ قليلاً أطلق . هذا هو التحقيق فى ذلك .

فتبين أن العسل ليس بمسهل على كل حال ، وأن حكاية الإجماع غير صحيحه، فمن الأطباء من ذلك سوى من ذكرنا . وأجاب بعضهم : بأنَّ الإسهال المذكور كان عن امتلاء وهيضة ، فناسبه شراب العسل ليخرج ما هنالك مِنْها حتى يذهب

⁽۱) قال القرطبى (۹۱/۱۰) : قيل له: الماء حياة كل شيء ، وقد رأينا من يقتله الماء إذا أخذه على ما يضاده من علة في البدن .

⁽۲) شرابٌ معرب يتداوى به مكون من الخل والعسل .

 ⁽٣) هو العلامة أبو بكر الرازى ، الطبيب ، ولد سنة ٢٥١ هـ بالرى ، واشتهر بمؤلفاته الطبيّة ، من مؤلفاته : « الحاوى فى الطب » ، توفى سنة ٣١١ هـ . انظر : معجم المؤلفين (٣/٤/٣) .

⁽٤) سبقت ترجمته .

⁽٥) أحد الأطباء اليونانيين ، اشتهر باكتشافاته الطبيَّة في علم التشريح .

الامتلاء(١) ، وقد أغنانا الله ، وله الحمد ، بما أنزله في كتابه ، وما صحّ من حديث نبيه محمد ﷺ عن أقوال الأطباء التي لا تكاد أدلتها تصحّ ، إذ غايتها أن تكون إقناعيّة . هذا لو كان قول الأطباء فيه ما يخالف ذلك ، وأما ما كان موافقاً فماذا بعد الحق إلاّ الضلال .

وأوْع سمعك فائدة جليلة ، وهي أن الطبِّ النبوي جميعه قسمان :

أحدهما : ما كان من عادة العرب العلاج والتداوى به .

الثاني : ما جاء بوحي إلهي .

فالأول: قسم من أقسام الطب.

والثانى : لا يصح تأثيره إلا مع قوة إيمانية ، ويقين صادق ، وإلا فلا منفَعة له ، فإنه إذا اقترن به ما شرطناه ، لأنْجَعُ دواء ، وأسرع شفاء ، فطالما استشفى وشفى أهل الله (٢) ، وخاصته بآية من القرآن ، وبلعقه من عسل ، أدواء يعجز عنها حذاق الأطباء ﴿ . . . وَاللَّهُ يَهْدِي مَن يَشَاءُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾ .

⁽١) فصل العلماء الذين تعرضوا لهذا الحديث هذه المسألة فقالوا: « اتفق الأطباء على أن المرض الواحد يختلف علاجه باختلاف السن والعادة والزمان والغذاء المألوف والتدبير وقوة الطبيعة ، وعلى أن الإسهال يحدث من أنواع :

منها: الهيضة التى تنشأ عن تخمة ، واتفقوا على أن علاجها بترك الطبيعة وفعلها ، فإن المتاجب إلى مسهل معين أعينت ما دام بالعليل قوة ، فكأن هذا الرجل كان استطلاق بطنه عن تخمة أصابته فوصف له النبي على العسل لدفع الفضول المجتمعة في نواحي المعدة والأمعاء لما في العسل من الجلاء ودفع الفضول التي تصيب المعدة من أخلاط لزجة تمنع استقرار الغذاء فيها . وللمعدة خمل كخمل المنشفة ، فإذا علقت بها الأخلاط اللزجة أفسدتها ، وأفسدت الغذاء الواصل اليها ، فكان دواؤها باستعمال ما يجلو تلك الأخلاط ، ولا شيء في ذلك مثل العسل ، لا سيما إن مزج بالماء الحار ، وإنما لم يفده في أول مرة ؛ لأن الدواء يجب أن يكون له مقدار وكمية بحسب الداء ، إن قصر عنه لم يدفعه بالكلية ، وإن جاوزه أوهي القوة وأحدث ضرراً آخر ، فكأنه شرب منه أولا مقداراً لا يفي بمقاومة الداء ، فأمره بمعاودة سقيه ، فلما تكررت الشربات بحسب مادة الداء برأ بإذن الله ، وفي قوله على ذلك فتح الباري (ج ١/١٧٩٠ ، ١٨٩) لابن حجر ، وقد شراب العسل لاستفراغها . . » كذا في فتح الباري (ج ١/١٧٩٠ ، ١٨٩) لابن حجر ، وقد فصل الكلام على هذه المسألة غير واحد من أهل العلم ، منهم: القرطبي في تفسيره (١/١٧٩) ، والماسمي في تفسيره (١/١٧٩) ، والدميري في "حياة وابن كثير في تفسيره (١/١٧٥) ، والقاسمي في تفسيره (١/١٨١) ، والدميري في "حياة الحيوان » (١/١٥٠) ، والقاسمي في تفسيره (١/١٧١) ، والدميري في "حياة الحيوان » (١/١٥٠) .

⁽٢) ونحو ذلك في الفتح (١٠/ ١٨٠) نقلاً عن الخطابي .

فصل

خرج أبو داود فى «سُنَنه» من حديث عبد الله بن عباس _ رضى الله عنهما _ أن النبى ﷺ نهى عن قَتْل أربع من الدّواب : الهدهد ، والصُرَّد (١) ، والنملة ، والنحلة » (٢) .

وكره مجاهد قتل النحل . وقال في « الإبانة » (٣) : « يُكُره قتلها » وروى الحكيمُ أبو عبد الله محمد بن على الترمذي (٤) في كتاب « نوادر الأصول » (٥) من حديث أبي هريرة _ رضى الله عنه _ عن النبي ﷺ أنه قال : « إنَّ الزَّنابير كلَّها في النّار، يجعلها الله عَذَاباً لأهل النار ، إلا النّحل » (٢) ، وقال أبو يعلى (٧) الموصلي : حدثنا شيبان (٨) بن فروخ، حدثنا سُكين (٩) بن عبد العزيز، عن أبيه أنس بن مالك _

⁽١) الصُّرد : طائر ضَخُمُ الرأسِ يصطاد العصافير . القاموس (٢/ ٨١٢) .

⁽٢) رواه أبو داود ك : الأدب (٥٢٦٧) وابن ماجه ك : الصيد (٣٢٢٣) وأحمد في مسنده (٢ /٣٣٧)، والطحاوى في « مشكل الآثار » (١/ ٣٧١)، والبيهقى في السنن الكبرى (٩/ ٣١٧)، ورجاله ثقات .

⁽٣) هو كتاب الإبانة فى فقه الشافعى ، للإمام أبى القاسم عبد الرحمن بن محمد الفورانى المروزى الشافعى المتوفى سنة ٤٦١ هـ ، وهو كتاب مشهور بين الشافعية . انظر: كشف الظنون (١/١) .

⁽٤) الحكيم الترمذي الإمام الحافظ آكد كبار المحدثين الزهاد الوعاظ المتوفى سنة ٢٥٥ هـ . انظر ترجمته في تذكرة الحفاظ (٢٤) وطبقات الحفاظ (٦٤١) للسيوطي .

⁽٥) من مؤلفات الحكيم الترمذى الحديثية واسمه (نوادر الأصول فى معرفة أخبار الرسول) ذكر فيه ثلاثمائة أصل إلا اثنى عشر وهو الملقب بـ « سلوة العارفين وبستان الموحدين ». انظر : كشف الظنون (٢/ ١٩٧٩) .

⁽٦) رواه الحكيم في « نوادر الأصول » (٢/٥/٢) .

⁽۷) أبو يعلى الموصلى : هو الحافظ الثقة محدث الجزيرة أحمد بن على بن المُثنى بن يحيى بن عيسى التيمى صاحب « المسند الكبير » سمع من ابن معين وأخذ عنه ابن حبان ، وأبو على النيسابورى، والإسماعيلى ، توفى سنة ٣٠٧ هـ . انظر : تذكرة الحفاظ (٢٠٧/١) ، العبر (٢/ ١٣٤) ، طبقات الحفاظ (٢٠١) .

⁽٨) شيبان بن فروخ الحبطى ، كنيته : أبو محمد وفروخ ، ثقة ، وقال أبو زرعة :صدوق . وقال الساجى: قدرى إلا أنه كان صدوقًا . انظر : التهذيب (٤ / ٣٧٤) ، التقريب (١ / ٣٥٦) ، الكاشف (٢ / ١٥) .

⁽۹) سُكين بن عبد العزيز العبدى البصرى العطار ، وهو سكين بن أبى الفرات. قال ابن حجر : صدوق يروى عن الضعفاء . انظر: التقريب (۱ / ۳۱۳) ، والتهذيب (۱ / ۲۲۳) .

رضى الله عنه _ قال : قال رسول الله ﷺ : « عُمْر الذّباب أربعون ليلَة ، والذُّباب كلُّه في النّار إلا النّحل » (١) .

وحدثنا الحسن بن عمر بن شقيق ، حدثنا إسماعيل (٢) ، عن الأعمش (٣) ، عن مجاهد ، عن ابن عمر _ رضى الله عنهما _ عن النبي ﷺ قال : « الذباب كلَّه في النَّار إلا النّحل » (٤) ، وكان مُجاهد يكْره قتل النّحل .

وخرّجه أبو أحمد بن عدّى (٥) فى « كتاب الكامل » من حديث عُمْرو بن نَفْيل (٦) ، عن مجاهد ، عن ابن عمر _ رضى الله عنهما _ قال : قال رسول الله عنها لله عنها لله عنها لله فى النّار إلا النّحل » (٧) . وللبخارى من حديث عائشة _ رضى الله عنها _ قالت : كان النبى عَلَيْتُهُ يعجبه الحلواء والعسل (٨) . وله من حديث جابر

⁽۱) عند أبى يعلى فى مسنده (V / V) كما ذكر عن أنس ، وقال ابن حجر : إسناده V بأس به ، وقال البوصيرى فى زوائد العشرة : « إسناده حسن » ، وقال السيوطى فى اللآلئ (V / V) بعد أن ذكر ما تقدم ، وله طرق عن ابن عمر ، وعبيد بن عمير ، وابن عباس ، وانظر مجمع الزوائد (V / V) ، العلل المتناهية (V / V) ، العلل المتناهية (V / V) لابن الجوزى ، المطالب العالية (V / V) لابن حجر .

⁽۲) إسماعيل : هو ابن مُسْلم المكيُّ ، أبو إسحاق البَصْرى ، مولى حُدَيْر ، من الأزد ، ضعفه أحمد وابن معين والدارمي . انظر : تهذيب الكمال (٣ / ١٩٨) ، طبقات ابن سعد (٧ / ٢ / ٢) الجرح والتعديل (١ / ١ / ١٩٨) .

⁽٣) سليمان بن مهران التابعي الجليل ، سبقت ترجمته .

⁽٤) عند أبى يعلى في « مسنده » . وقال ابن حجر فيما نقله السيوطي في « اللآلئ » (٢ / ٤٦٤) : سنده ضعيف ، ويتقوى بما قبله .

⁽٥) ابن عدى : هو الحافظ الكبير الإمام أبو أحمد عبد الله بن عدى بن محمد بن المبارك الجرجانى صاحب « الكامل في ضعفاء الرجال » توفى سنة ٣٦٥ هـ انظر : تذكرة الحفاظ (٣ / ٩٤٠) ، شذرات الذهب (٣ / ٥١٠) ، البداية والنهاية (١١ / ٢٨٣) ، طبقات الشافعية (٣ / ٣١٥) .

 ⁽٦) كذا في الأصل وهو خطأ ، والصواب : عمر بن شقيق كما في الكامل لابن عدى (٥ / ٤٤، ٥) كذا في الأصل وهو خطأ ، وقال فيه ابن عدى : قليل الحديث ، وقال ابن حزم في المحلى : لا يدرى من هو ، وذكره ابن حبان في الثقات . انظر التهذيب (٧ / ٤٠٧) ، الميزان (٣ / ٢٠٥) .

⁽٧) رواه ابن عدى في « الكامل » (١ / ٢٨٥) ، (٥ / ٤٤) من حديث لابن عمر ، وهو حديث حسن كما سبق مفصلاً .

⁽۸) رواه البخارى ك : الطب ، ب ۲ : الدواء بالعسل (۲۸۲۰) ، وابن سعد في « الطبقات الكبرى» (۱ / ۲ / ۱۰۸) ، ب: ذكر طعام رسول الله وما كان يعجبه .

ابن عبد الله _ رضى الله عنه _ سمعت رسول الله ﷺ يقول : ﴿ إِنْ كَانَ فَى شَىءَ مِنْ أَدُويَتَكُم خَيرٌ ، فَفَى شَرْطَة مِحْجَم أَو شربة عسل، أَو لذَّعة بنار توافق الدَّاء ، وما أُحب أن أكتوى ﴾ (١) .

وله عن ابن عباس _ رضى الله عنهما _ عن النبى ﷺ قال : « الشفاء فى ثلاثة : فى شرْطة محجم ، أو شرْبة عسل ، أو كيّةٍ بنارٍ ، وأنا أنهى أمّتى عن الكيّ (٢) .

وخرجه مسلم عن جابر: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: « إن كانَ في شيء من أدُويتكم خيرٌ ، ففي شَرْطة محجم ، أو شرْبة من عسَل ، أو لذَّعة بنار » قال رسول الله ﷺ: « وما أحب أن أكتوى » (٣) .

وللبخارى ومسلم من حديث أبى سعيد الخدرى _ رضى الله عنه _ قال : جاء رجل إلى النبى ﷺ : انتقال : إن أخى قد استطلق بطنه ، فقال رسول الله ﷺ : «اسْقه عسكا » فقال : لقد سقيته ، فلم يزده إلا استطلاقاً ، فقال رسول الله ﷺ : «صدق الله وكذب بطن أخيك » فسقاه فبرئ .

وفى لفظ مسلم أنّ رجلاً أتى النبى عَلَيْهِ فقال : « إنَّ أخى عَرِب (٤) بطنه » ، فقال : « اسقه عسلاً . . . » إلحديث (٥) . وفى لفظ البخارى أنَّ رجلاً أتى النبى عَلَيْهِ فقال : « اسقه عسلاً » ثم أتاه الثانية فقال : « اسقه عسلاً » ثم أتاه الثانية فقال : « اسقه عسلاً » ثم أتاه ، فقال : « فعلتُ » فقال : « اسقه عسلاً » ثم أتاه ، فقال : « فعلتُ » فقال : « صدق الله وكذب بطنُ أخيك ، اسقه عسلاً » . فسقاه فبرئ .

⁽۱) رواه البخارى ك : الطب ب/ ٦ (٥٦٨٣) ، ومسلم ك : السلام ب / ٢٦ لكل داء دواء (٧١/ ٢٢٠٥) عن جابر .

⁽۲) رواه البخارى ك : الطب (٥٦٨٠) ، (٥٦٨١) ، وابن ماجة ك : الطب ، ب الكي (٣٤٩١) ، وأحمد (١ / ٣٤٦) ، والبيهقي في السنن الكبرى (٩ / ٣٤١) ، والبغوى في شرح السنة (٣٢٩) .

⁽٣) عند مسلم ك : السلام ب / ٢٦ لكل داء دواء . واستحباب التداوى (٧١ / ٢٢٠٥)، والبغوى في شرح السنة ك : الطب (٣٢٢٨) .

⁽٤) عُرب : فسد بطنه : النهاية (٣/ ٢٠١) .

⁽٥) انظر صحيح مسلم ك: السلام ب / ٣١ التداوى بسقى العسل (٤/ ١٧٣٧) _ طبعة عبد الباقى.

وخرج ابن ماجه ، والحاكم من حديث عبد الله بن مسعود _ رضى الله عنه _ أن النبى ﷺ قال : « العسلُ شفاءٌ من كل داء ، والقرآن شفاءٌ لما فى الصدور ، فعليكم بالشّفاءين : القرآن والعسل » (١). ولابن ماجه من حديث أبى هريرة _ رضى الله عنه _ أن النبى ﷺ قال : « مَنْ لَعِقَ العسل ثلاث غدوات كلّ شهرٍ ، لم يصبه عظيمٌ من البلاء » (٢).

فصل

روى الإمام أبو عبد الله أحمد بن حنبل ــ رحمه الله تعالى ــ فى « مسنده »، وأبو عيسى محمد بن عيسى الترمذى فى « جامعه » ، والحاكم أبو عبد الله فى «مستدركه » من حديث عمر بن الخطاب ــ رضى الله عنه ــ أنه قال :

كان رسول الله ﷺ إذا نزل عليه الوحى يسمع عنده دَوِى كدوى النحل ، فأنزل عليه يوما ، فمكثنا ساعة ، ثم سُرِّى عنه ، فاستقبل القبلة ، ورفع يديه ، فقال : « اللَّهُمَّ زِدْنا ولا تنقصنا ، وأكْرمنا ولا تُهنَّا ، وأعْطنا ولا تحرْمنا ، وآثرنا ولا تؤثر علينا ، وارْضنا وارْض عنَّا ، ثم قال : « أنزل على عشر آيات من أقامهن دخل الجنَّة» ، ثم قرأ : ﴿ قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ . الَّذِينَ هُمْ فِي صَلاتِهِمْ خَاشِعُونَ . . ﴾ (٣) الإسناد .

ولابن ماجه ، من حديث النّعمان بن بشير أن النبى ﷺ قال : « إنّ مما تذْكرون من جلال الله : التَّسبيح ، والتَّهليل ، والتّحميد ، يَنْعَطَفْنَ حوْلَ العرش ، لَهُنَّ دَوىٌّ كدوى النَّحْل تُذُكِّر بصاحبها ، أما يحب أحدُكم أن يكون لَهُ ، أو لا يزال

⁽١) سبق مفصلاً .

⁽۲) رواه ابن ماجة ك: الطب (۳٤٠٠) ، والعقيلي في « الضعفاء » (٤ / ٣٠) وابن الجوزي في «الموضوعات » (٣ / ٣١٥) ، وابن عدى في الكامل (٥ / ٣٢٠) ، وقال ابن الجوزي: لا يصح، وفيه عبد الحميد بن سالم وهو مجهول ، وضعفه البوصيري في « مصباح الزجاجة » (٣/ ١١٩) .

⁽٣) المؤمنون : ١، ٢ .

⁽٤) رواه الترمذى ك: التفسير (٣١٧٣) ، وأحمد فى مسنده (١/ ٣٤) ، والحاكم فى المستدرك ك: الدعاء (١/ ٥٣٥) ، وك: التفسير (٢/ ٣٩٢) والبغوى فى « شرح السنة » ك: الدعوات (١٣٧٦) ، وصححه الحاكم وأقره الذهبى ، وقال البغوى : حديث حسن .

له من يُذَكِّر به » (١) وهو صحيح على شرط مسلم .

وفي المستدرك عن أبي سبرة (٢) الهذلي ، قال عبد الله بن عمرو فحدثني حديثا عن النبي عَلَيْ فهمته وكتبته بيدى: بسم الله الرحمن الرحيم ، هذا ما حدث عبد الله ابن عَمْرو، عن محمد رسول الله عَلَيْ : « إن الله لا يُحبّ الفاحش والمتفحش، وسوء الجار ، وقطيعة الرَّحم » ، ثم قال : « إنَّ مثل المؤمن كمثل النَّحلة وقعت فأكلت طيباً ، ثمَّ سقَطَت ولم تُفسد ، ولم تكسر ، ومثل المؤمن كمثل القطعة الذَّهب الأحْمر إذا دخلت النّار ، فنفخ عليها ، فلم تتغير وورزنت فلم تنقص » (٣)، قال : صحيح الإسناد .

وخرَّجَ الطبراني في « الأوسط » من حديث أبي هريرة _ رضى الله عنه ــ قال: قال رسول الله عَيَّالِيَّةُ: « مثل بلال مثل النَّحْلة ، غَدَتْ تأكل من الحلْوِ والمرّ ، ثم هو حلوُّ كلّه » (٤) .

روى الإمام أحمد وأبو بكر بن أبى شيبة ، والطبرانى : أن رسول الله ﷺ قال: « المؤمن كالنّحلة تأكل طيّباً ، وتضع طيّباً ، وقعت فلم تكْسر ، ولم تفسد» (٥).

⁽۱) رواه ابن ماجة ك : الأدب ب/ ٥٦ : فضل التسبيح (٣٨٠٩) ، والحاكم في المستدرك (١٠ رواه ابن ماجة ك : الأدب ب/ ٢٦٨) ، ومسدد في « مسنده » ، وابن أبي الدنيا كما في زوائد البوصيرى (٣/ ١٩٣) ، وقال: إسناده صحيح وصححه الحاكم على شرط مسلم وأقره الذهبي ، والمنذري في الترغيب (٢/ ٤٣٢) .

⁽٢) أبو سبرة الهذلى : هو أبو سبرة بن سلمة الهذلى الكوفى ، يقال: اسمه عبد الله بن عابس، مقبول ، من الثالثة . انظر : التقريب (٢/ ٤٢٦) ، ومستدرك الحاكم (١ / ٧٥) .

⁽٣) رواه أحمد في « مسنده » (٢ / ١٩٩) ، والحاكم في المستدرك ك : الإيمان (١ / ٧٥) ك : الفتن والملاحم (٤ / ١٣٥) وقال: صحيح الإسناد ، وأقره الذهبي .

⁽٥) رواه أحمد (٢ / ١٩٩)، والطبراني في «الأوسط» كما في المجمع (١٠ / ٢٩٠) عن عبد الله ابن عمرو مرفوعاً ، ورواه أبو بكر بن أبي شيبة في المصنف ك:الإيمان (١١ / ٢١) عن عبد الله ابن عمرو موقوفاً ، ورواه ابن حبان في صحيحه « موارد » (٣٠) ، (٢٥٥٢) عن أبي زرينة العبدي وصححه ، وقال الهيثمي في طريق أحمد : رجاله ثقات غير أبي سبرة ، وقذ وثقه ابن حبان .

روى البيهقى فى « شعب الإيمان » من حديث مجاهد قال : صاحبت عمر من مكة إلى المدينة فما سمعته يحدث عن رسول الله ﷺ إلا هذا الحديث : « إنَّ مثل المؤمنُ كمثل النَّحْلة إنْ صَاحبْته نفعك ، وإنْ شاورْتَه نفعك ، وإنْ جالسته نفعك ، وكلُّ شأنه منافع ، وكذلك النَّحلَة كلُّ شأنها منافع » (١) .

قال ابن الأثير: « وجه المشابهة بين المؤمن والنّحلة: حذّق النحل وفطنته ، قلّة أذاه وخفارته ، ومنفعته ، وسعيه ، وتنزُّهه عن الأقذار ، وطيب أكله ، وأنه لا يأكل من كسب غيره ، ونُحُوله ، وطاعته لأميره ، وأن للنّحْل آفاتًا تقطعه عن عمله منها الظلمة ، والغيْم ، والريح ، والدخان ، والماء ، والنّار ، وكذلك المؤمن له آفات تُفتَرُه عن عمله : ظلمة الغفلة ، وغيم الشك ، وريح الفتنة ، ودُخان الحرام، وماء السّعة ، ونار الهوى » (٢) .

وفى مسند الدارمى (٣) عن على بن أبى طالب _ كرم الله وجهه _ أنه قال : «كُونوا فى النَّاس كالنَّحلة فى الطير ، إنه ليس فى الطير شىء إلا وهو يستضعفها ، ولو تعلَم الطير ما فى أجوافها من البركة لم يفعلوا ذلك بها . خالطوا الناس بألسنتكم وأجْسادكم وزايلوهم بأعْمالكم وقلوبكم ، فإن للمرء ما اكتسب ، وهو يوم القيامة مع من أحب » (٤) .

وله عن ابن عباس _ رضى الله عنه _ أنه سأل كعب الأحبار : « كيف تجد نَعْت رسول الله عَلَيْكُ ؟ فقال : نجِدْه : محمّد بن عبد الله ، يولدُ بمكة ، ويهاجرُ إلى طيبة ، ويكون ملكه بالشام ، ليس بفحّاش ولا بصخّاب في الأسواق ، ولا يكافئ بالسّيئة السّيئة ، ولكن يعْفُو ويغْفُر ، وأمته الحَمَّادون ، يحْمدون الله في كلِّ سرّاء

⁽١) رواه البيهقى فى « شعب الإيمان » (٦ / ٥٠٤) (٩٠٧٢) ، وابن الشجرى فى « الأمالى الحديثية » (١ / ٣٦) ، ومعناه ثابت مما سبق .

⁽٢) انظر ما نقله المصنف في « النهاية في غريب الحديث » (٥ / ٢٩، ٣٠) لابن الأثير .

⁽٣) الدارمي : هو الإمام الحافظ أبو محمد عبد الله بن عبد الرحمن بن الفضل بن بهرام التميمي الدارمي نسبة إلى دارم بن مالك: بطن كبير من تميم ، ولد سنة ١٨١ هـ ، وتوفي سنة ٢٥٥ هـ . انظر : تذكرة الحفاظ (٢ / ٥٣٥ ، ٥٣٥) ، تهذيب التهذيب (٥ / ٢٩٥ ، ٢٩٦) ، الرسالة المستطرفة (٢٥) .

⁽٤) رواه الدارمي في « السنن » ك : المقدمة (١ / ١٠٤) ب : ٣٠ في اجتناب الأهواء (٣١٢) من طريق أبي صادق الأزدى عن ربيعة بن ناجذ .

وضراء ، يوضئون أطرافهم ، ويأتزرون في أوْساطهم ، يصفُّون في صلاتهم كما يَصُفُّون في صلاتهم كما يَصُفُّون في قتالهم ، دويُّهم في مساجدِهم كدويّ النَّحْل يُسمع مُناديهم في جَوّ السَّماء » (١) .

وقال بعض الحكماء لتلامذته: « كُونوا كالنّحْل في الخَلايَا » قالوا: « وكيف النّحلُ في الخلايا ؟ » قال: « إنها لا تترك عندها بطّالاً إلاّ نفتْهُ ، وأقصته عن الخلية؛ لأنه يضيق المكان ، ويُفنى العسل ، ويعلّم النشيط الكسل » (٢) .

وقال الشيخ أبو حامد الغزالى فى كتاب « الإحياء » (٣) : انظر إلى النّحْل كيف أوْحَى الله إليها حتى اتّخَذت من الجبال بيوتاً ، وكيف استخرْجت من لُعابها الشمْع والعسل ، وجعل أحدهما ضياء ، والآخر شفاء ؛ ثم لو تأمّلت عجائب أمْرِها فى تناوُلها الأزهار والأنوار ، واحترازها من النجاسات والأقذار ، وطاعتها لواحد من جملتها ، وهو أكبرها شخصياً ، وهو أميرها ؛ ثم مَا سخَر الله تعالى لأميرها من العدْل والإنصاف بينها حتى أنه ليقتُل منها على باب المنفذ كل ما وقع منها على العدْل والإنصاف بينها حتى أنه ليقتُل منها على باب المنفذ كل ما وقع منها على غاسة ، لقضيت من ذلك العجب إن كنت بصيراً فى نفسك ، وفارغاً من هم بطنك وفر على وموالاة إخوانك .

ثم دع عنك جميع ذلك ، وانظر إلى بنيانها من الشمع ، واختيارها من جميع الأشكال الشكل المسدّس ، فلا تبنى منها مستديراً ، ولا مربّعا ، ولا مخمساً ، إلا مسدّساً ، لخاصية في شكل المسدس يقصر فهم المهندسين عن درك ذلك ، وهو أنّ أوسَع الأشكال وأحواها : المستدير وما يقرب منه . فإنّ المربّع تخرج منه زوايا ضائعة ، وشكل النّحل مستدير ومستطيل ، فترك المربّع حتى لا تبقى الزّوايا فارغة ، ضائعة ، فإنّ الأشكال المستديرة إذا ثم لو بناها مستديرة لبقيت خارج البيوت فُرَج ضائعة ، فإنّ الأشكال المستديرة إذا اجتمعت لم تجتمع متراصة ، ولا شكل في الأشكال ذوات الزاويا يقرب في

⁽۱) رواه الدارمی فی « السنن » فی المقدمة (۱ / ۱۷) ، ونحوه عن أبی صالح عن كعب (۱ / ۱۲) ، وذكره الدميری فی « حياة الحيوان » (۸ / ۱۲۵۳) .

⁽٢) ذكره الدميرى في « حياة الحيوان » (٨ / ١٢٥١) وعزاه إلى حكيم من حكماء اليونان ، وكذا القاسمي في « محاسن التأويل » (١٠ / ١٣٠) .

 ⁽٣) انظر : " إحياء علوم الدين " لأبى حامد الغزالى (٤ / ٤٤١) ك : التفكر في مخلوقات الله ،
 وعنه الدميرى في " حياة الحيوان " (٨ / ١٢٥١) .

الاحتواء من المستدير ، ثم تتراص الجملة منه بحيث لا يبقى بعد اجتماعها فرجة إلا المسدس ، وهذه خاصية هذا الشكل .

فانظر كيف ألهم الله تعالى هذا النّحل _ على صغر جُرمه _ اتّخاذ هذه الأشكال المُتساوية الأضْلاع بحيث لا يزيد ضِلْعٌ عن ضِلْع ولا ينقص ؛ لطفاً به ، وعناية بوجود ما هو محتاج إليه ليتهنّى عيشه ، فسبحانه ما أعظم شأنه ، وأوسع فضله وامتنانه !.

وقال بعض الحكماء: « وبيوت النحل من أعْجب الأشياء ؛ لأنها مبنية على الشكْل الذي لا ينحرف ، كأنه استُنبط بقياس هندسي ، ثم هو من دائرة مسدسة لا يُوجد فيها اختلاف ، فبذلك اتصلت حتى صارت كالقطعة الواحدة ؛ وذلك أن الأشكال من الثلاثة إلى العشرة إذا جُمع كل واحد منها إلى أمثاله لم يتصل ، وجاءت بينها فروج إلا الشكل المسدس ، فإنه إذا اجتمع إلى أمثاله اتصل كأنه قطعة واحدة ، كل هذا بغير قياس ولا آلة ، ولا بركاز ، بل ذلك مِنْ أثر صُنْع اللطيف الخبير ، وإلهامه أيّاها » .

وقال آخر: « جمع الله تعالى فى النّحلة السمَّ والعسل ، ليكون دليلاً على كمال قدرته ، وأخرجَ منها العسلَ ، ممزوجاً بالشَّمْع ، وكذلك عملُ المؤمن ممزوجٌ بالخوف والرجاء » .

وفى « تاريخ أصبهان » (١) فى ترجمة أحمد بن الحسن ، عن عمر يرفعه : «أول نعمة تقع فى الأرض العسل » (٢) .

ويقال في المثل : « أَنْحَلُ من نحْلة ، وأهدى من نحلة » ويقال : « كلام كالعسل ، وفعل كالأسل » .

⁽١) لأبي نعيم الأصبهاني ، وهو مطبوع في مطبعة ليدن .

فصل

اختلف أهلُ العلم في أكْلِ النّحل ، فأباحه بعضهم كالجراد . والمذهب تحريم (١) أكلها . وإن كان العسلُ الخارجُ منها حلالاً ، كالآدمية ، لَبنُها حلالاً ، ولحمها حرامٌ؛ ولأن النّبيّ عَلَيْهِ نهى عن قتلها ،وقد اختلف أيضا في بيعها ، فقال أصحابنا: بيع النحل وهو في الكوّارة صحيح (٢) إن رئي جميعه ، وإلا فهو بيع غائب ، فإن باعها وهي طائرةٌ ، فقال في «التتمة» (٣): يصح ، وقال في «التهذيب » (٤) عكسه.

وصورة المسالة : أن تكون الأمّ في الكوّارة ،كما قاله ابن الرّفعة (٥) والأصحُّ من الوجهيْن الصحّة .

والفرق بينها وبين باقى الطير من وجهين :

⁽۱) وهذا هو الصحيح ، والأصل عند الشافعي في هذه المسألة : أن ما لم يرد فيه نصٌّ بتحريم ، ولا بتحليل ، ولا أمر بقتله ، أنه يرجع فيه إلى الأغلب من عادات العرب ، لأن الله تعالى خاطبهم بقوله : ﴿ يسألونك ماذا أحل لهم قل أحل لكم الطيبات ﴾ وأما ما أمر الشرع بقتله ، أو نهي عن قتله فلا يكون حلالاً كالضفدع والنحلة والهدهد وغيره. كذا في شرح السنة للبغوى (٦/ عن قتله فلا يكون حلالاً كالضفدع والنحلة والهدهد وغيره . كذا في شرح السنة للبغوى (٦/ ٢٥) ، وكان أن : الصيد والذبائح ، ونحوه في حاشية الباجوري على بن قاسم الغزى (١/ ٢٩١) ، فال ابن نحوه للحنفية كما في بدائع الصنائع (٥/ ٤٥) للكاساني ، وفي المغنى (٥/ ٥٩٠) قال ابن قدامة : ﴿ويحرم الزنابير واليعاسيب والنحل وأشباهها ؛ لأنها مستخبثة غير مستطابة ، وانظر حياة الحيوان (٨/ ١٢٥٩) للدميري .

⁽٢) وهو مذهب الحنابلة ، وقال أبو الخطاب : يجوز بيعها في كواراتها ومفردة عنها ، فإنه يمكن مشاهدتها في كواراتها إذا فتح رأسها ، ويعرف كثرته من قلته ، وخفاء بعضه لا يمنع صحة بيعة، انظر المغنى لابن قدامة (٤/ ٢٨٧).

⁽٣) من كتب الشافعية وفى كشف الظنون (١/١) عند ذكره لكتاب الإبانة فى فقه الشافعى قال : ومن متعلقاته « تتمة الإبانة » لتلميذه أبى سعيد عبد الرحمن بن مأمون المعروف بالمتولى المتوفى سنة ٤٧٨ هـ ، وتتمة التتمة لأبى الفتوح أسعد بن محمد العجلى الشافعى المتوفى سنة (١٠٠هـ).

 ⁽٤) هو كتاب التهذيب في الفروع للإمام محيى السنة أبى الحسين البغوى الشافعي المتوفى سنة
 ١٦٥هـ. انظر كشف الظنون (١/ ٥١٧).

⁽٥) ابن الرفعة : أحمد بن محمد بن على بن مرتفع بن صارم بن الرفعة الأنصارى ، نجم الدين أبو العباس المصرف المتوفى سنة ٧١٠ هـ أحد فقهاء الشافعية ، له مؤلفات منها : كفاية البنية ، المعلب العالى فى شرح الوسيط للغزالى فى عشرين مجلداً ، الإيضاح فى المكيال والميزان وغيرها. انظر : هدية العارفين (١/ ١٠٣) ، السلوك (١/ ٩١٢) للمقريزى .

أحدهما : أنها لا تُقصد بالجوارح بخلاف غيرها.

والثانى : أنها لا تأكل فى العادة إلا ما ترعاه ، فلو توقّف صحّة البيع على رُؤيتها لربّما أضرّ بها ، أو تعذر بسببه بيْعها ، بخلاف غيرْها من الطيور (١) .

وذهب أبو حنيفة _ رحمه الله _ إلى أنّه لا يصِح بيعها كالزنابير وسائر الحشرات (٢) .

واحتجَّ أصحابُنا بأنه حيوان طائرٌ ينتفع به ، فجاز بيعه كالشاة ، بخلافِ الزّنْبور والحشرات ، فإنه لا منفعة فيها .

واختلف أيضا في زكاة العسل ، فروى أبو عيسى الترمذى من حديث صدقة بن عبد الله (٣) عن موسى بن يسار ، عن نافع ، عن ابن عمر قال : قال رسول الله عَيْكَا عَشْرة أزق (٤) زق (٥) » (٦) .

قال أبو عيسى : « في إسناده مقال ».

ولا يصح عن النبي عَلَيْكَةً في هذا الباب كبير شيء ، والعمل على هذا عند أكثر أهل العلم ، وبه يقول أحمد وإسحاق (٧) وقال بعض أهل العلم : « وليس في

 ⁽۱) انظر : « حياة الحيوان » (۸ / ۱۲٦٠) للدميرى .

⁽٢) مذهب الحنفية أنه لا يجوز بيعه منفرداً ، ويجوز بيعه تبعاً للعسل ، وأجاز محمد بن الحسن الشيباني (تلميذ أبي حنيفة) أن يباع منفرداً من غير كوارته إذا كان مجموعاً كما هو قول الشيافعي. انظر تفصيل ذلك في بدائع الصنائع (٥ / ٢١٥) ك: البيوع للكاساني، والمغني (٤ / ٢٨٧) لابن قدامة .

⁽٣) في المخطوط : صدقة بن عبد الله بن موسى بن يسار ، وهو خطأ ظاهر .

⁽٤) في المخطوط : « في كل عشرة آلاف زق » وهو بزيادة كلمة [آلاف] وهو خطأ بين فلم تأت هذه الزيادة في شيء من طرقه لا عند الترمذي ولا غيره .

⁽٥) الزّق : السِّقاء ، والوعاء من الجلد يُجَزَّ ولا ينتف ،يستعمل في الشراب وغير ذلك ، وجمعه أَرْقاقٌ ، وزقَاقٌ ، انظر القاموس (٢ / ٤٦١) .

⁽٦) رواه الترمذّى ك: الزكاة ب/ ٩ ما جاء في العسل (٦٢٩) ، والبيهقى في « السنن الكبرى » ك: الزكاة (٤ / ١٢٦) ، وابن عدى في « الكامل » (٤ / ٧٥) ، والبغوى في « شرح السنة» (١٥٨١) وضعفه الترمذي والبغوي .

⁽٧) انظر كلام الترمذي في « السنن » (٢ / ٧١) ط : دار الفكر ، وشرح السنة (٤ / ٢٦، ٢٧) للبغوي .

العسل شيء ، وصدقة بن عبد الله (١) ليس بالحافظ ، وقد خولف في روايته هذا الحديث » .

وقال أحمد بن حنبل : « صدقة ليس يساوى حديثه شيئاً » (٢) .

وقال ابن حبان : ﴿ يروى الموضوعات عن الثِّقات ﴾ .

وقال النسائي : « صَدَقَة ليْس بشيء ، وهذا حديثٌ منكر » .

ولذلك لم يَر مالكٌ ، والشافعي في العسل زكاة ، وبه قال داود (٣) ، ومن قبله سفيان الثوري ، والحسن (٤) بن حيّ .

ورُوِي عنْ على وابن عمر (٥) ، رضى الله عنهما ، وذهب الشافعي في القديم

⁽۱) هو صدقة بن عبد الله أبو معاوية السمين الدمشقى المتوفى سنة ١٦٦ هـ ، جمهور الائمة على ضعفه ، منهم أحمد والبخارى وابن معين وأبو زرعة ، ولم يوثقه سوى دحيم ، ويعقوب بن سفيان . قال ابن عدى بعد أن ذكر فيه أقوال هؤلاء العلماء :

[«] وأحاديث صدقة منها ما توبع عليه ، وأكثره مما لا يتابع عليه ، وهو إلى الضعف أقرب منه إلى الصدق » انظر تفصيل ذلك في « الكامل في ضعفاء الرجال » (3 / 3 / 3 / 3) رقم (3 / 3) « المغنى في الضعفاء » للذهبي (1 / 3 / 3) تهذيب (3 / 3) « الميزان » (3 / 3) .

⁽٢) نقله ابن عدى في « الكامل » (٤ / ٧٤) .

⁽٣) هو الإمام الفقيه داود بن على بن خلف أبو سليمان البغدادى الأصبهانى ، إمام الظاهرية ، كان حافظاً مجتهداً زاهداً توفى سنة ٢٧٠ هـ . طبقات الشافعية (٢/ ٤٢) ، الفهرست (٣٠٣) شذرات الذهب .

⁽٤) هو الإمام الفقيه الحسن بن صالح بن حى ، وقيل : ابن صالح أحد الفقهاء المتكلمين ومن رجال الحديث الثقات ، أخرج له البخارى ومسلم وأصحاب الكتب الأربعة . انظر : التهذيب (٢/ ٢٥) ، الفرق بين الفرق (٢٤) .

⁽٥) حكاه ابن عبد البر عن الجمهور أنهم ذهبوا إلى عدم وجوب الزكاة في العسل ، ونقله ابن المنذر عن الجمهور أيضاً كما أشار إليه العراقي في « شرح الترمذي » وكذا ابن رشد في « بداية المجتهد»، وإليه ذهب ابن حزم ، والشوكاني ، وأما نقل الترمذي عن الجمهور وجوب الزكاة فيه فعارضه العراقي بنقل ابن المنذر وقال : هو أولى من نقل الترمذي .

انظر تفصيل المسألة فى نيل الأوطار (٤ / ١٤٦) ، والمحلى بالآثار (٤ / ٣٩) لابن حزم، بداية المجتهد (١ / ٢٩٨) ، المغنى (٢ / ٧١٤) لابن قدامة ، وابن العربى فى أحكامه (٣ / ١١٥) ، والقرطبى فى تفسيره (١٠ / ٩٢) ، ومعالم السنن (٤ / ٢٥٥) للخطابى .

إلى القول بزكاة العسل (١).

وقال أبو حنيفة : إن كان النحلُ في أرض العُشْر (٢) ففيه الزّكاة ، وهي عُشْر ما أصابَ منْه قلَّ أو كثُر ، وإن كان النحْلُ في أرض خراج (٣) فلا زكاة فيه كثُر أو قلَّ ، وإن كان النحْلُ ، على الأشجار وفي الكُهُوف فلا شيء فيه ، وهو بمنزلة الثمار تكون في الجبال والأودية لا خراج عليها ولا عُشْر (٤) .

وقال أبو يوسف (٥): « إذا بلغ العسل عشرة أرْطالٍ ففيه رطلٌ واحدٌ ، وهكذا ما زاد ففيه العشر ، والرّطل هو الفلفلي ».

وقال محمد بن الحسن ^(٦) : « إذا بلغ العسل خمسة أفراق ، ففيه العشر وإلا » .

والفَرْق (٧) : ستة وثلاثون رطلاً فلفلية ، والخمسة الأفراق مائة وثمانون رطلاً

- (۱) وهو مذهب أحمد وإسحاق بن راهويه وأصحاب الرأى ، وبه قال مكحول والزهرى ، والأوزاعى، وسليمان بن موسى ، وهو قول ربيعة ويحيى بن سعيد الأنصارى ، وابن وهب وهو الصحيح لثبوت بعض الأحاديث فيه خالفاً لمن تكلم فيها .انظر شرح السنة ($\{3/77\}$) ، المحلى ($\{3/77\}$) ، بدائع الصنائع ($\{3/77\}$) .
- (۲) قوله : أرض العُشْر : أى أرض المسلمين التي يملكونها ، والتي يجب عليهم فيها العُشْر فيما يخرج من غلتها . انظر : « الأموال » لأبي عبيد (٢٠٤) ، والمصباح المنير (٢ / ٤١٠) .
- (٣) أرض الخراج : وهى الأرض التى فتحها المسلمون بالصلح ، وصُولِح أهلها عليها لتكون لهم ، ويؤدون خراجاً معلوماً عنها وتسمى : أرض صُلْح . انظر : المغنّى (٢ / ٧١٦) ، الأموال لأبي عبيد (٢٠٥) .
 - (٤) انظر تفصيل المذهب الحنفي في « بدائع الصنائع » (٤ / ٩٣) للكاساني والمصادر السابقة .
- (٥) أبو يوسف : يعقوب بن إبراهيم القاضى صاحب أبى حنيفة ، ولى القضاء لثلاثة من الخلفاء : المهدى ، والهادى ، والرشيد ، وهو أول من وضع الكتب فى أصول الفقه على مذهب أبى حنيفة .

انظر : طبقات الفقهاء (۱۶۱) للشيرازى ، تذكرة الحفاظ (۱ / ۹۲) ، تاج التراجم (۳۱۵) لابن قطلوبغا ، الأعلام (۸ / ۱۹۳) .

- (٦) الشيباني صاحب أبي حنيفة وأحد تلاميذه ، وقد سبق .
- (٧) الفرق: بتحريك الراء ستة عشر رطلاً. قال أبو عبيد: لا خلاف بين الناس أعلمه أن الفرق ثلاثة آصع. قالت عائشة: كنتُ أغتسل أنا ورسول الله على من إناء هو الفرق. وهذا هو المشهور فينصرف الإطلاق إليه ، وأما الفَرْق: الفَرْق بإسكاء الراء فقال الخليل بن أحمد: هو مكيال ضخم من مكاييل أهل العراق. قيل: هو مائة وعشرون رطلاً ، ويحتمل أن يكون نصابه ألفًا ، وأما قول المصنف أنه ستة وثلاثون رطلاً ، فهذا قول محمد بن الحسن فيما نقله الكاساني. =

نَحْل عَبَر النَحْل _____نَحْل ____

فلفلية (١) .

وقال أحمد بوجوب الزكاة في العسل ، واحتج أصحاب أبي حنيفة لقولهم بما رُوى عن عطاء(٢) الخُراساني أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال لأهل اليمن في العسل :

« إنَّ عليكم في كل عشرة أفراق فرقا »(٣) ورُدَّ ذلك بأن عطاء لم يدرك عمر وقد رُوى أن عاملاً لعمر على الطائف ، كتب إليه : « إن رجالاً من فهم(٤) كلموني في خلاياهم ، أسلموا (٥) عليها وسألوني أن أحميها لهم » (٦).

فكتب إليه عمرُ : « إنما هو ذبابُ غيث ، فإن أدوا زكاته فاحمه لهم » .

وقوله: « إنما هو ذباب غيث »: أى يكون مع الغيث ، يريد أنها تعيش بالمطر؛ لأنها تأكل ما ينبت عنه ، فإذا لم يكن غيثٌ لم يكن لها ما تأكل ، فشبهها بالراعى والسائمة من النَّعَم ، إذا لم يكن على صاحبها منها مؤونة وجب فيها الزكاة.

وقال ابن قتيبة في كتاب « الغريب » (٧): وهذا الحديث خرَّجه أبو داود ، ومن

⁼ انظر تفصیل المسألة فی المغنی (٤ / ۷۱۵، ۷۱۵) ، وبدائع الصنائع (٤ / ٩١، ٩٢) الكاسانی ، الأموال (٩٢، ٥٩) لأبي عبید .

⁽۱) كذا نقله عنه ابن حزم فى « المحلى » (٤ / ٣٦) ، وفى « البدائع » (٤ / ٩٢) عن محمد بن الحسن أنه اعتبر كل فرق بستة وثلاثين رطلاً . والرطل : ثمانية عشر مناً ، فتكون جملة ما يخرج منه الزكاة : تسعين مناً بناء على أصله . . قلت : والمنا : مكيال يُكالُ به السَّمن وغيره كما في المصباح (٢ / ٥٨٢) ، والقاموس (٤ / ٢٨٨) .

 ⁽۲) عطاء : هو ابن أبى مسلم الخراسانى ، وأبو مسلم عبد الله ، وهو مولى المهلب بن أبى صفرة ،
 وكان من أهل بلخ ، وسكن الشام ، وثقه ابن معين والدارقطنى ، وابن سعد . انظر : التهذيب
 (۷ / ۲۱۲) التقريب (۲ / ۳۳) ، رجال مسلم (۲ / ۱۰۲) لابن منجويه .

⁽٣) رواه ابن أبي شيبة في « المصنف » ك : الزكاة (" / ١٤١) ، وابن حزم في « المحلى » (3 / 3) وأعله بالانقطاع ، والأثر ثابت فله طرق أخرى ستأتى بعد ذلك .

⁽٤) فَهُمٌّ : هو أبو حَيٌّ وهو ابنِ عمرو بن عَيْلان ، من مشاهير العرب. انظر القاموس (٣/ ٥٣١) .

⁽٥) السَّلَمُ : في البيع مثلُ السَّلَفُ وزناً ومعنى ، وأَسْلَمْتُ إليه بمعنى أَسْلَفْتُ . المصباح المنير (١ / ٢٨٦) والقاموس (٢ / ٥٩٦) .

⁽٦) سيأتي بعد ذلك مفصلاً .

⁽V) هو كتاب « غريب الحديث » له ، وهو مطبوع .

حديث عمرو بن شعيب (۱) عن أبيه عن جده قال : « جاء هلال _ أحد بنى مُتعان _ إلى رسول الله عَلَيْ بعشور نحل له وسأله أن يحمى له واديا يقال له : سَلبة (۲) ، فحمى له رسول الله عَلَيْ ذلك الوادى ، فلما ولى عمر بن الخطاب رضى الله عنه كتب سفيان بن وهب إلى عمر يسأله عن ذلك ، فكتب عمر : إن أدى إليك ما كان يؤدى إلى رسول الله عَلَيْ من عُشور نحله ، فاحم (۳) له سلبة ، وإلا فإنما هو ذباب غيث ، يأكله من شاء (٤) . واحتجوا بحديث الحارث (٥) بن عبد الرحمن بن سعد ابن ذباب ، عن منير بن عبد الله (٢) ، ويقال : منير بن عبد الله ، عن أبيه ، عن سعد بن أبى ذباب .

وكانت له صحبة ، أنه أخذ عُشرَ العسل من قومه ، فأتى به عمر رضى الله عنه فجعله عمر في صدقات المسلمين ، قال :

وقدمتُ على رسول الله ﷺ فأسلمتُ وبايعتُه ، فاستعملني على قومي ،

⁽۱) هو عمرو بن شعیب بن محمد بن عبد الله بن عمرو بن العاص. قال الذهبی : أحد علماء زمانه، وثقه ابن معین وابن راهویه ، وقال الأوزاعی : ما رأیت قرشیا أكمل من « عمرو بن شعیب » . وقال القطان : إذا روی عنه الثقات یحتج به . وقال البخاری : رأیت أحمد بن حنبل وعلی بن المدینی وابن راهویه ، وعامة أصحابنا یحتجون لحدیث عمرو بن شعیب عن أبیه عن جده ، ما تركه أحد من المسلمین . انظر التهذیب (Λ / Λ) ، المیزان (Π / Π) للذهبی ، الرواة المتكلم فیه (Π / Π) للذهبی أیضا .

⁽٢) سَلَبَة : واد قرب المدينة كما في مراصد الاطلاع (١ / ٣٢١) .

⁽٣) قوله « فاحم له » : قال الخطابى : معناه أن النحل إنما ترعى من البقل والنبات أنوارها ، وما رئحص ونعم منها ، فإذا حُميت مراعيها أقامت فيها وأقبلت تعسل فى الخلايا ، فكثرت منافع أصحابها ، وإذا شوركت فى تلك المراعى نفرت عن تلك المواضع وأمعنت فى طلب المرعى فيقل ريعها ، ويحتمل أن يراد بأن يحمى لهم الوادى الذى يُعسَل فيه ، فلا يترك أحداً يتعرض للعسل فيشتاره . معالم السنن (٤/ ٢٥٥) للخطابى .

⁽٥) هو الحارث بن عبد الرحمن بن عبد الله بن سعد بن أبى ذُباب المدنى. قال فى التقريب : (١/ ١٤٢) صدوق يهم ، من الطبقة الخامسة ، توفى سنة ٤٦ هـ ، وانظر الميزان (١/ ٤٣٧).

 ⁽٦) منير بن عبد الله الشامى أبو ذر الأزدى ضعيف ، وذكره ابن حزم فى « المحلى » وقال : لا يدرى من هو . انظر : الميزان (٤ / ٢١٨)، والمحلى (٤ / ٣٨)، والتقريب (٢ / ٢٧٨) .

واستعملنى أبو بكر رضى الله عنه بعده ، ثم استعملنى عمر رضى الله عنه من بعده فذكر الخبر ، وفيه : قلت لعمر : يا أمير المؤمنين، ما ترى فى العسل ؟ قال : «خذ منه العشر » فقلت : أين أضعه ؟ قال : «ضعه فى بيت المال » ، وفى رواية : فقلت لقومى : « فى العسل زكاة ، فإنه لا خير فى مال لا يزكى » فقالوا : كم ترى؟ فقلت : « العُشر » ، فأخذته ، وأتيت به إلى عمر رضى الله عنه (١).

ورد هذا أيضا بأن منير بن عبد الله مجهول ، وأبوه مجهول (٢)، وقد قال فيه بعض رواته عقين (٣) بن عبد الله ، ولا يُدرى من هو ، واحتجوا بما رُوى عن نعيم (٤) بن حماد ، عن بقية (٥) ، عن محمد بن الوليد الزبيدى (١) ، عن عمرو بن شعيب ، عن هلال (٧) بن مُر ة ، أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال : في عُشر العسل : « ما كان منه في السهل ففيه العُشر ، وما كان منه في الجبل ففيه نصف العشر »(٨) .

⁽۱) رواه ابن أبى شيبة فى « المصنف » (٣ / ١٤١) ، والبيهقى فى « السنن الكبرى » (٤/ ١٢٧) ، وابن حزم فى المحلى (٤ / ٣٦) ، وأبو عبيد فى الأموال (١٤٨٧) وسنده ضعيف وأصله ثابت كما سبق بيانه .

⁽٢) أعل الأثر بذلك الإمام ابن حزم في « المحلى » (٣٧/٤) ، والمصنف ينقل عنه في هذه المسألة.

⁽٣) كذا في الأصل المخطوط ، وتصويبه : متين بن عبد الله كما في المحلى (ξ) .

⁽٤) نعيم بن حماد : أحد الأئمة الأعلام ، قال أحمد والعجلى : ثقة صدوق وضع كتاباً فى الرد على الجهمية ، وكان أعلم الناس بالفرائض ، واحتج به البخارى . انظر : الميزان (٤/ ٢٦٧)، التهذيب (١٠/ ٨٥٨) ، معرفة الرواة (٣٤٧) للذهبى .

⁽٥) بقية بن الوليد الحمصى من دعاة العلم مختلف فى الاحتجاج به وهو ثقة إذا صرح بالتحديث وروى عنه المعروفون قاله العجلى والحاكم. انظر: الميزان (١/ ٣٣١)، التهذيب (١/ ٤٧٤)، تاريخ الثقات (٨٣)، الكاشف (١/ ١٦٠)، رجال مسلم (١/ ٩٩) لابن منجويه.

⁽٦) محمد بن الوليد بن عامر الشامى الحمصى الزبيدى أبو الهذيل. قال ابن المدينى: ثقة ، وقال ابن سعد : كان أعلم أهل الشام بالفتوى والحديث . انظر : التهذيب (٩ / ٢٠٥) ، الثقات (٤١٥) للعجلى ، التقريب (٢ / ٢١٥) ، الكاشف (٣ / ٩٢) .

⁽٧) ذكره ابن حزم في المحلى (٤ / ٣٨) وقال : لا يدرى من هو ، وذكره في « الميزان » وقال هلال بن مرة تفرد عنه عمرو بن شعيب بحديث في زكاة العسل ، وليس بحجة .

⁽A) رواه أبو عبيد بن سلام في « الأموال » (١٤٩٠) (ص ٥٩٨) ، وابن حزم في المحلى (٤ / ٣٧) بلفظه ، وأخرجه ابن ماجه في « سننه » ك : الزكاة (١٨٢٤) من طريق نعيم بن حماد مختصراً ، وسنده ضعيف لتدليس بقية ، وجهالة هلال ، وهو يتقوى بما قبله .

ورُدَّ بأن بقية ضعيفٌ ، وهلالُ بن مرة لا يُدْرى من هو .

وصحَّ عن مكحول ، ومحمد بن شهاب الزهرى : « أن فى كل عشرة أزقاق زقًا »(۱) .

وعن الأحوص بن حكيم ، عن أبيه أنه قال : « في كل عشرة أرطال رطل » . وعن سعيد(٢) بن عبد العزيز ، عن سليمان(٣) بن موسى : « في كل عشرة أزقاق من عسل زق » ، قال : والزق يسع رطلين(٤) .

وروى عن عمر بن عبد العزيز زكاة العسل . ولا يصح عنه ، وبه قال ربيعة، ويحيى بن سعيد ، وعبد الله بن وهب .

واحتج من رأى زكاة العسل بحديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده ، قال: « جاء هلال إلى رسول الله ﷺ بعشور نحل له ، وسأله أن يحمى له واديا يقال له: سَلَبَة ، فحماه له .

وبحديث عمرو بن شعيب قال : كتب بعض أمراء الطائف إلى عمر بن الخطاب رضى الله عنه : « إن أصحاب النّحل لا يؤدُّون إلينا ما كانوا يؤدون إلى النبى ﷺ ويسألون مع ذلك أن تحمى لهم أوديتهم ، فاكتب إلىّ برأيك في ذلك » .

فكتب إليه عمر : « إن أدُّوا إليك ما كانوا يؤدون إلى النبى عَلَيْكُ فاحم لهم أوديتهم، وإن لم يؤدوا إليك ما كانوا يؤدونه إليه ، فلا تحم لهم» . قال : « وكانوا يؤدون إلى النبى عَلَيْكُ عن كل عشرة قرب قربة »(٥) .

 ⁽۱) ورد ذلك عنهما مسنداً في « الأموال » لأبي عبيد القاسم بن سلام برقمي (۱٤٩٢ ، ۱٤٩٣) ،
 وعند ابن حزم في المحلي (٤ / ٣٧) .

⁽۲) هو سعید بن عبد العزیز التنوخی ، الدمشقی ، کنیته : أبو محمد ، وقال أحمد : لیس بالشام رجل أصح حدیثاً من سعید بن عبد العزیز ، هو والأوزاعی عندی سواء . انظر التهذیب (٤/ ٥٩) ، التقریب (١/ ٣٠١) ، مشاهیر علماء الأمصار (١٨٤) .

⁽٣) سليمان بن موسى : الأموى مولاهم ، الدمشقى ، الأشدق، الفقيه الجليل، صدوق فقيه ، فى حديثه بعض لين. انظر : التقريب (١/ ٣٣١) ، التهذيب (٤/ ٢٢٦) ، سير أعلام النبلاء (٥/ ٣٣٧) .

⁽٤) أخرجه أبو عبيد في « الأموال » (١٤٩٤) .

⁽٥) إسناده صحيح وقد سبق .

وعن عمرو بن شعيب أن عمر _ رضى الله عنه _ كتب : « فى العسل عن كل عشرة قرب قربة » .

ورُدَّ بأن حديث عمرو بن شعيب ، عن أبيه ، عن جده ضعيف لا يصح (١).

واحتجوا بحديث عبد الله بن محرز (٢) ، عن الزهرى ، عن أبى سلمة عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ كتب إلى أهل اليمن : « أن يؤخذ من العسل العُشْر » (٣).

ورد بأنه حديث منقطع ؛ لأن سليمان بن موسى لا يُعرف له لقاء أحد من الصحابة رضى الله عنهم .

واحتجوا بحدیث ابن جُریج قال: کتبت والی ابراهیم (٦) بن میسرة اساله عن زکاة العسل ، فذکر جوابه ، وفیه أنه قال : « ذکر لی من لا أتهم من أهلی أن عروة (٧)

⁽۱) هذا خطأ قلد فيه المصنف ابن حزم فى المحلى (٤/ ٣٨)، وجمهور العلماء على تصحيح رواية عمرو بن شعيب المذكورة، وهو مذهب البخارى وجمهور المحدثين، والقول بردها رأى ضعيف ليس عليه العمل.

⁽۲) كذا في الأصل ، وهو خطأ ، والصواب: محرر، كما في مصادر الحديث وهو عبد الله بن محرر قال البخاري : متروك الحديث كما في « ميزان الاعتدال » (٣ / ٢١٤) .

 ⁽٣) رواه عبد الرزاق في « المصنف » (٤ / ٦٣ ، ٦٩٧) ، والبيهقي في السنن ك : الزكاة ب :
 زكاة العسل (٤ / ١٣٦) ، وابن حزم في المحلي (٤ / ٣٦) ، وسنده ضعيف لما سبق .

⁽٤) عده ابن حجر في الإصابة (٧ / ٦٦) من الصحابة ممن سكنوا الشام

⁽٥) رواه أبو عبيد في « الأموال » (١٤٨٨) ، وأحمد في مسنده (3 / 777) ، وابن أبي شيبة في «المصنف » (7 / 181) ، وعبد الرزاق (7 / 77) والدولابي في الكني (1 / 77) ، وهو منقطع. قال البخارى : لم يدرك سليمان أحداً من الصحابة . وقال ابن عبد البر : لا تقوم به الحجة .

⁽٦) إبراهيم بن ميسرة الطائفي، نزيل مكة، ثقة حافظ جليل ، من الثقات المتقنين، توفى سنة ١٣٢هـ. انظر التقريب (١/ ٤٤) ، التهذيب (١/ ١٧٢) ، الكاشف (١/ ٤٩) ، تهذيب الكمال (٢/ ٢٢٢) .

 ⁽۷) عروة بن محمد بن عطية السعدى : تابعى مقبول كان عاملاً لعمر بن عبد العزيز على الشام .
 توفى بعد سنة ۱۲۰ هـ . انظر (۲ / ۱۹) .

ابن محمد السعدى قال له : « إنه كتب إلى عمر بن عبد العزيز يسأله عن صدقة العسل ، فرد وجدنا بيان صدقة العسل ، فرد إليه عمر : قد وجدنا بيان صدقة العسل بأرض الطائف ، فخذ منه العشور (1).

ورد بأنه حديث منقطع ، فإنه عمن لم(٢) يُسمّ .

وعورض قولهم بما رواه أبو بكر بن أبى شيبة ، حدثنا وكيع ، عن سفيان ، عن إبراهيم بن ميسرة ، عن طاوس ، أن معاذ بن جبل لما أتى اليمن ، أتى بالعسل، وأوقاص (٣) الغنم ، فقال : « لم أومر فيها بشيء » (٤).

وبحديث وكبع عن سفيان الثورى ، عن عبيد الله(٥) بن عمر ، عن نافع قال : بعثنى عمر بن عبد العزيز على اليمن ، فأردت أن آخذ من العسل العشر ، فقال المغيرة بن الحكم الصنعانى : « ليس فيه شيء » فكتبت إلى عمر بن عبد العزيز فقال : « صدق ، هو عَدْلٌ رضي » (٦).

فصل

كان سعيد (٧) بن العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف يُقال له : « عُكَّةُ العسَل »، وكان غير طويل. وكان يُقال لمصعب بن الزبير: « آنية النحل »؛ من كرمه .

⁽١) رواه عبد الرزاق في ﴿ المصنف ﴾ (٤ / ٦١) ، وابن حزم في المحلي (٤ / ٣٧، ٣٧) .

⁽٢) وكذا أعله ابن حزم لقوله : من لا أتهم من أهلى ، وهو موضوع خلاف بين المحدثين إذا قال الثقة : حدثنى من لا أتهم ، أو حدثنى الثقة هل يعتبر ذلك تعديلا له أم لا . انظر : تدريب الراوى (٢ / ١٣١) .

⁽٣) أوقاص : جمع وَقَص : وهو ما بين الفريضتين من نُصُبِ الزكاةِ مما لا شيء فيه . المصباح المنير (٢/ ٦٦٨) .

 ⁽٤) رواه عبد الرزاق (٦٩٦٥) ، وابن أبي شيبة في « المصنف » (٣ / ١٤٣) والبيهقي في السنن
 (٤ / ١٢٧) ، وابن حزم في المحلي (٤ / ٣٨) .

 ⁽٥) هو الإمام الثقة : عبيد الله بن عمر بن حفص بن عمر بن الخطاب من أشراف المدينة وأفاضلهم وأهل الحفظ فيهم توفى سنة ١٤٤ هـ . انظر : التهذيب (٧ / ٣٨) ، تذكرة الحفاظ (١ / ١٦٠) سير أعلام النبلاء (٦ / ٣٠٤) .

 ⁽٦) رواه ابن أبي شيبة (٣/ ١٤٣) ، وعبد الرزاق (٦٩٦٥) ، وابن حزم في المحلى (٤/
 ٣٩)، ورجاله ثقات ، ونحوه في « الأموال » لأبي عبيد (١٤٩٦) .

⁽۷) سعید بن العاص ، قتل أبوه ببدر ، وكان لسعید عند موت النبی رسط سنین ، وذُكر فی الصحابة ، وولی إمرة الكوفة لعثمان ، وإمرة المدینة لمعاویة ، توفی سنة ۵۸ هـ ، وقیل غیر ذلك. انظر : التقریب (۱/ ۲۹۹) ، الإصابة (۳۲۶۱) ، طبقات ابن سعد (۵/ ۱۹) .

وحُكى أن غبد المؤمن بن على القيسى الكُومى (١) القائم بدولة الموحدين ، أتباعُ أبى عبد الله محمد بن تُومَرْت ، ببلاد المغرب ، نام ذات يوم بالنهار _ وهو صبى _ تجاه أبيه ، وأبوه قائم يعمل آنية الفخار فسمع أبوه دويًا من السماء فرفع رأسه ، فرأى سحابة سوداء من النحل قد هوت على الدار ، فنزلت كلها على عبد المؤمن وهو نائم فغطته ، ولم يظهر من تحتها ، ولا استيقظ ! فرأته أمه على تلك الحال ، فصاحت وخافت عليه ، فسكتها أبوه ، فقالت : « أخاف عليه » فقال : « لا بأس عليه ، وإنى لمتعجب مما يدل عليه هذا » . ثم إنه غسل يده من الطين ، ولبس ثيابه ، ووقف ينظر ما يكون من أمر النحل ، فطار عنه بأجمعه ، واستيقظ الصبي ثيابه ، ووقف ينظر ما يكون من أمر النحل ، فطار عنه بأجمعه ، واستيقظ الصبي بالقرب منهم رجلٌ معروف بالزجر فمضى إليه أبو عبد المؤمن ، وأخبره بما رآه من النحل مع ولده ، فقال :

« يوشك أن يكون له شأن ، ويجتمع على طاعته أهلُ المغرب » فكان من أمر عبد المؤمن ما هو معروف (٢) .

ويقال : أوّلُ من أوقد الشمع ، واستصبح به: جذيمة (٣) الأبرش ، وهو أيضا أول من نصب المجانيق في الحرب .

وأول من اتخذ الشمع الغلاظ التى فيها الأمنان^(٤): الوليد بن يـزيـد بن عبد الملك بن مروان^(٥)، ثم صالَح بن على بن عبد الله بن عباس^(٦) بمصر . وإنما

⁽١) أمير دولة الموحدين بالمغرب ، تولى بعد وفاة ابن تومرت وتوفى سنة ٧٥٥ هـ .

⁽٢) القصة ذكرها الدميرى في « حياة الحيوان » (٨ / ١٢٥٣) نقلا عن « وفيات الأعيان » لابن خلكان في ترجمة عبد المؤمن بن على ملك المغرب .

 ⁽٣) جذيمة الأبرش : هو جذيمة بن مالك التنوخى القضاعى من ملوك العراق فى أيام الدولة التنوخية. انظر الأعلام (٢ / ١٠٥).

⁽٤) نوع من المكيال سبق بيانه .

⁽٥) الوليد بن يزيد بن عبد الملك بن مروان بن الحكم ، الخليفة الفاسق أبو العباس ولد سنة ٩٠ هـ. وتولى سنة ١٢٥ هـ ، وكان فاسقاً ، شريبا للخمر منتهكاً حرمات الله ، مات سنة ١٢٦ هـ . انظر « تاريخ الخلفاء » (٢٨٥ ــ ٢٨٧) للسيوطي .

 ⁽٦) أحد أمراء بنى العباس ، كان والياً على مصر ، وأنشأ بها مدينة العسكر وهو عم أبى العباس السفاح ، أول خلفاء الدولة العباسية . انظر الوافى بالوفيات (٣/ ٣١٤) .

كانت لبنى أمية ، ومن قبلهم من الملوك بالشام ، سوى الوليد شمع . فى الشمعة منها الرطلان ، والثلاثةُ الأرطال ، وكانت لها أتوار (١) صغار ، فى التور منها شوكة (٢) تكون الشمعة فيها ، ومسرجة (٣) عليها شوكة .

وكتب أبو بكر محمد بن عمرو بن حزم (٤) إلى عمر بن عبد العزيز ، وهو عامله على المدينة : « إنّ مَنْ قبلي من الأمراء كان يُجْرَى عليهم رزق الشمع » .

فكتب إليه : « إنك طالما مشيت في طُرُق المدينة بلا شمع يُمشى به بين يديك ، فأعرض عن هذا ، ولا تعاوِدْني فيه » .

وكانت ملوك بنى أمية تستصبح بالزيت فى القناديل ، ويمشى بين أيديها بالشمع الطوال ، الذى طول الواحدة منها ثلاثة أشبار ، وكان من دونهم يستعملون من الشمع الفتائل المثنى بعضها على بعض ، فلما كان زمن يزيد (٥) بن عبد الملك اتُّخذ له من الشمع الطوال ما فيه ستة أرطال ، وأكثر من ذلك ، ثم أسرف الوليد ابن يزيد بن عبد الملك(٦) فى استعماله الشمع فى مجالسه ، ولم يكن أبو جعفر المنصور (٧) يستصبح إلا بالزيت فى القناديل ، وربما خرج إلى المسجد ومعه من يحمل سراجاً بين يديه ، ثم إنه حُمل بين يديه ما فيه الرطل والمن من الشمع ، وكان إذا أراد قراءة الكتب أو كتابتها ، أحضر معه شمعة فى تور ، ثم ترفع إذا فرغ .

⁽١) التَّوْرُ : إناءٌ صغير يُشرَبُ فيه (القاموس ١ / ٣٨٥) .

⁽٢) وذلك كهيئة الشمعدان في وقتنا هذا .

⁽٣) المسرجة : ما يكون فيه الفتيلة والدهن لغرض الإضاءة . انظر « المعجم الوسيط » .

 ⁽٤) أبو بكر محمد بن عمرو بن حزم: من سادات التابعين ، واسمه كنيته كان فقيها ، تولى القضاء لعمر بن عبد العزيز . توفى سنة ١٢٠هـ . انظر سير أعلام النبلاء (٥/ ٣١٣) ، تهذيب التهذيب (١٢/ ٣١٨) ، تاريخ خليفة بن خياط (٣٢٠) .

⁽٥) يزيد بن عبد الملك بن مروان بن الحكم ، أبو خالد ، الأموى ، الدمشقى ، ولد سنة ٧١ هـ ، وولى الخلافة بعد عمر بن عبد العزيز بعهد من أخيه سليمان، وتوفى أواخر شعبان سنة ١٠٥هـ. انظر تاريخ الخلفاء (٢٧٩) ، والبداية والنهاية (٩ / ٢٤١) ، الكامل (٤ /٣٦٧، ٣٦٨)، تاريخ الطبرى (٦ / ٧٤٣) .

⁽٦) سېق ترجمته .

 ⁽۷) هو المنصور أبو جعفر عبدُ الله بن محمد بن على بن عبد الله بن عباس ، وأمه سلامة البربرية ، ولد سنة ٩٥ هـ ، وكان فحُل بنى العباس هيبة وشجاعة وحزماً ورأيا وجبروتاً . انظر تاريخ الحلفاء (٢٩٩) ، الكامل (٥/ ٢٢٠ ــ ٢٢٦) لابن الأثير .

لما زفت بوران^(۱) بنت الحسن بن سهل على الخليفة المأمون^(۲) : عبد الله بن هارون الرشيد، أوقد على المأمون في تلك الليلة شمعة عنبر ، وزنها أربعون منواً .

وكان ثمن الشمع والخيش في أيام المتوكل جعفر بن محمد المعتصم في كل سنة ألف ألف ومائتي ألف درهم .

وحكم الصابي (٣) عن بعض الرسل قال : « ذهبنا إلى باب مسعود _ يعنى ابن محمود بن سبكتكين (٤) بغزنة. فشاهدنا بالباب أصناف العساكر ، وملوك جرجان ، وطبرستان ، وخراسان ، والهند ، والسند ، والترك ، وقد أقيمت الفيلة عليها الأسرة والعماريات (١) الملبسة بالذهب ، مرصعة بأنواع الجواهر ، وإذا بأربعة آلاف غلام مُرد (٦) وقوف سماطين ، وفي أوساطهم مناطق (٧) الذهب ، وبأيديهم أعمدة الذهب ، ومسعود جالس على سرير من الذهب لم يوضع على الأرض مثله ، وعليه الفرش الفاخرة ، وعلى رأسه تاج مرصع بالجواهر واليواقيت ، وقد أحاط به الغلمان الخواص بأكمل زينة ثم قام مسعود إلى سماط (٨) من فضة ، عليه خمسون خوانًا من الذهب ، على كل خوان (٩) خمسة أطباق من ذهب فيها أنواع الأشربة ، فسقاهم الغلمان ، ثم قام مسعود إلى مجلس عظيم الأقطار فيه ألف دَسْت من فسقاهم الغلمان ، ثم قام مسعود إلى مجلس عظيم الأقطار فيه ألف دَسْت من وأطباق كبار خسروانية ، فيها الكيزان ، وعلى كل طبق ذرافة ذهب ، وأطباق ذهب عليها المسك والعنبر ، والكافور ، وأشجار الذهب مرصعة بالجواهر وأطباق ذهب عليها المسك والعنبر ، والكافور ، وأشجار الذهب مرصعة بالجواهر وأطباق ذهب عليها المسك والعنبر ، والكافور ، وأشجار الذهب مرصعة بالجواهر وأطباق ذهب عليها المسك والعنبر ، والكافور ، وأشجار الذهب مرصعة بالجواهر وأطباق ذهب عليها المسك والعنبر ، والكافور ، وأشجار الذهب مرصعة بالجواهر وأطباق ذهب عليها المسك والعنبر ، والكافور ، وأشجار الذهب مرصعة بالجواهر

⁽۱) بوران : هى خديجة بنت الحسن بن سهل ، وزير المأمون ، وكان فى حفل زواجها بالمأمون سنة ٢٠٩ هـ ترف كثير وصفته مصادر التاريخ . انظر تاريخ الخلفاء (٣٦٤، ٣٦٥) .

⁽۲) المأمون عبد الله أبو العباس بن الرشيد ، ولد سنة ۱۷۰ ، وكان مؤدبه اليزيدى من الفقهاء ، وبرع فى الفقه والعربية وأيام الناس ، ولما كبر عنى بالفلسفة وعلوم الأوائل ومهر فيها ، فجره ذلك إلى القول بخلق القرآن ، توفى سنة ۲۱۸ هـ . انظر تاريخ الخلفاء (۳۲۹) للسيوطى .

⁽٣) الصابي : هو إسحاق بن إبراهيم بن هلال الصابي : تولَّى للمطيع العباسي دواوين الرسائل والمظالم ، توفَّى سنة ٣٨٤ هـ . انظر النجوم الزاهرة (٢ / ٣٢١) .

⁽٤) أحد الملوك الصالحين . انظر « تاريخ آل سبكتكين » لأبي الفضل البيهقي .

⁽٥) العماريات : جمع عمارية، وهي الهودج الذي يركب فيه .

⁽٦) الأمرد: من ليس له لحية.

⁽٧) ما يُشدُ على الوسط كالحزام في هذه الأيام . انظر القاموس (٣١١ /٣) .

⁽٨) السَّمَط : خيطُ النظم ، وقلادةٌ طويلة . انظر القاموس (٢ / ٢١٢) .

⁽٩) الخوان : ما يؤكلُ علَيه الطعام . القاموس (٢ / ١٣٠) .

واليواقيت، وشموعٌ في رأس كل شمعة قطعة من الياقوت الأحمر، تلمع لمعان النار، وأشجار العود قائمةٌ بين ذلك، وفي جوانب المجلس بُحيرة في جوانبها من الجواهر، والعنبر، والفصوص، والؤلؤ شيء يقصر الوصف عنه، وذكر أشياء أخر.

ولما زفت قطر الندى بنت الأمير أبى الجيش خمارويه بن أحمد بن طولون – على الخليفة المعتضد (١) بالله أبى العباس أحمد بن الموفق أبى أحمد طلحة بن المتوكل ، وقد حملها إليه أبوها من مصر إلى بغداد بجهاز جليل القدر إلى الغاية ، قال المعتضد : « أكرموها بشمع العنبر » ، فوجد في خزائنه أربع شمعات من عنبر في أربعة أنوار من فضة ، فلما كان وقت العشاء جاءت قطر الندى إليه وقدامها أربعمائة وصيفة ، في يد كل وصيفة منهن تور ذهب ، أو فضة ، وفيه شمعة عنبر، فقال المعتضد : «أطفئوا شمعنا واسترونا » .

ولما ماتت عبدة ، ورشيدة : ابنتا المعز لدين الله أبى تميم معد بن منصور أبى الطاهر إسماعيل الفاطمى ، خُتِم على مقاصير كل واحدة منهما ، وعلى صناديقهما، وما يجب أن يختم عليه من موجودهما بأربعين رطلاً من الشمع ، وكتب موجود عبدة في ثلاثين رُزمة ورق .

وكان راتب أبى طاهر محمد بن بقية (٢): وزير عز الدولة بختيار بن معز الدولة أحمد بن بويه ، من الشمع في كل شهر ألفي مَنِّ ، ومَنِّ ، ومن الثلج في كل يوم ألف رطل .

وفى سنة اثنتين وثمانين وستمائة قدم عبد الرحمن الشيرازى والأمير صمداعوا الططرى ، والصاحب شمس الدين محمد بن الصاحب شرف الدين التيتى برسالة الملك أحمد أغا سلطان ابن هولاكو إلى البيرة (٣)، وعلى رأس الشيخ عبد الرحمن الجتر _ كما هى عادته فى بلاد التتر _ فخرج إلى لقائهم من أمراء حلب الأمير جمال الدين أقوش الفارسى ، ومنع عبد الرحمن من حَمْل الجتر (٤) على رأسه

⁽١) أحد خلفاء بنى العباس ولد سنة ٢٤٣ هـ ، وكان ملكاً شجاعاً مهيباً ، ظاهر الجبروت ، وافر العقل ، شديد الوطأة ، توفى سنة ٢٨١ هـ . انظر تاريخ الخلفاء (٤١٩ ــ ٤٢٦) للسيوطى .

⁽٢) كان وزيراً لعز الدولة البويهي بن بختيار بن معز الدولة سنة ٣٦٢ هـ. انظر « وفيات الأعيان ».

⁽٣) البيرة : هي إقليم غرناطة بالأندلس . انظر « مراصد الاطلاع » .

⁽٤) الجتر : قبة من حرير أضفر مزركش بالذهب ، توضع على رأس السلطان في الأعياد .

ومن حَمْل السلاح أيضا ، وعُدل بهم عن الطريق في مسيرهم حتى قدموا دمشق في ليلة الثلاثاء ثاني عشرين من ذي الحجة من غير أن يراهم أحد ، لا في مسيرهم، ولا وقت قدومهم ، فأنزلوا بقاعة رضوان من القلعة ، وأجرى لهم في كل يوم ألف درهم سوى الحلوى والفاكهة وغير ذلك من أنواع المأكل ، وهي ألف درهم أخرى ؛ فقدم الخبر بقتل أحمد أغا ، وتملك أرغون بن أبغا بن هولاكو بعده، فسار السلطانُ الملك المنصور سيف الدين قلاوون الألفى من قلعة الجبل بديار مصر إلى دمشق ، فقدمها يوم السبت ثاني عشر جمادي الآخرة سنة ثلاث وثمانين وستمائة ، ونزل بقلعتها ، وألبس في تلك الليلة ألفًا وخمسمائة مملوك أقبية (١) من حرير أطلس أحمر بطُرز ، وعلى رؤوسهم كلفتاتٌ (٢) زركش، وبأوساطهم حوايص(٣) ذهب ، وأشعل بين يديه ألفًا وخمسمائة موكبية كبيرة بيد كل منهم شمعة ، واستدعى عبد الرحمن ورفقته وأدوا رسالة أحمد أغا ، وعادوا إلى موضعهم ، ثم استدعاهم واستعاد كلاً منهم ثانيا ، وردهم إلى مكانهم ، وأحضرهم مرة ثالثة ، وسألهم عن أشياء ، ثم أخبرهم بقتل من أرسلهم ، وقيام أرغون من بعده وأعادهم إلى قاعة رضوان ، ثم نقلهم منها ، وأخذ ما معهم، ومن جملته: مسبحة لؤلؤ قيمتها مائة ألف درهم ، وشيء كثير ما بين ذهب ولـؤلـؤ ، واعتقلوا حتى مات عبدً الرحمن في ثامن عشر شهر رمضان ، ونقل ابن التيتي إلى قلعة الجبل .

وفى سنة إحدى وتسعين وستمائة ركب السلطان صلاح الدين خليل بن قلاوون من قلعة الجبل إلى دمشق ، ثم خرج منها فى ليلة الثلاثاء تاسع شوال بعد ما رُسِم لجميع أهل الأسواق أن يخرج كل واحد منهم وبيده شمعة موكبية قد أشعلت فامتثلوا ذلك ، ووقفوا من باب النصر إلى مسجد القدم ، فعندما ركب السلطان اشتعلت تلك الشموع دفعة واحدة ، فسار بينها حتى نزل مخيمه . فكانت من الليالى المذكورة ، والوقودات المشهورة .

وفى ليلة الجمعة حادى عشر شعبان سنة اثنتين وثلاثين وسبعمائة كان زفاف ابنة

⁽١) أقبية : جمع قباء ، وهو ثوب يلبس فوق الثياب أو القميص . القاموس (٣ / ٥٥٧) .

⁽٢) كلفتَاتٌ : غَطاء للرأس يلبس على العمامة . انظر: صبح الأعشى (٤ / ٦).

⁽٣) الحوايص : مثنى بالأحزمة يجعل على الوسط ، ومنها الحِواَصَةُ : سيرٌ يشدُّ به حزام السَّرْجِ . انظر القاموس (١ / ٧٣٩) .

الأمير سيف الدين تنكز نائب الشام على الأمير آنوك ابن السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون(۱) بعد ما أقام _ المهم _ سبعة أيام بلياليها ، وحضره نساء الأمراء بأجمعهن وجلس السلطان في ليلة السابع على باب القصر من قلعة الجبل ، وتقدم الأمراء على مراتبهم واحداً بعد واحد ، لعرض شموعهم التي يقدمونها ، فكان الأمير منهم يُقبل الأرض ، ويتأخر فيقدم شموعه ، حتى انتهوا فكانت زنة شمعهم المحضر في تلك الليلة ثلاثة آلاف قنطار وستين قنطاراً ، وفي تلك الشموع ما اعتنى به ، ونقش نقشا بديعا تنوع صناعه في تحسينه ، وبالغوا في التأنق فيه ، ثم جلس السلطان ليلة العرس ، وأشعلت بأسرها بين يديه ، وقد جلس ابنه آنوك تجاهه ، ويتقدم واحد بعد واحد _ على قدر رتبته _ وهو يقبل الأرض، فما تم مرور آخرهم ويتقدم واحد بعلى مغظم الليل ، فنهض السلطان وعبر إلى حيث مجتمع النساء ، فقامت حتى مضى معظم الليل ، فنهض السلطان وعبر إلى حيث مجتمع النساء ، فقامت نساء الأمراء بأسرهن وقبّلن الأرض واحدة بعد أخرى ، وقدمن ما أتين به من التحف الفاخرة ، والنقوط ، حتى انتهين ، ثم قمن يرقصن عن آخرهن واحدة بعد واحدة ، والمغانى تزفهن ، وأنواع المال من الذهب والفضة ، وشقاق الحرير تُلقى على المغنيات فحصل لهن من ذلك ما يجل وصفه .

ثم جلس السلطان من الغد ، وخلع على جميع الأمراء ، وبعث إلى نسائهم ، كل واحدة بتعبية قماش على مقدار زوجها ، فكان هذا العُرس من الأعراس العظيمة ، ذبح فيه من الخيل ، والبقر والغنم ، والأوز والدجاج ما يزيد على عشرين ألف حيوان ، وعمل فيه من السكر برسم الحلوى والمشروب ثمانية عشر ألف قنطار ، وكانت شورة العروس التي حملها أبوها تنكز . وذكر القاضى شهاب الدين أحمد بن القاضى محيى الدين يحيى بن فضل الله العمرى(٢) في كتاب «مسالك الأبصار في ممالك الأمصار » عند ذكر مدينة « ذلّة » من بلاد الهند ، ما نصه : «وأما العسل فأكثر من الكثير ، وأما الشمع فلا يوجد إلا في دور السلطان ولا يُسمح فيه لأحد » والله أعلم .

⁽١) من سلاطين دولة المماليك . انظر : « السلوك » للمصنف (١ / ٧٢١) .

⁽٢) أحد الأئمة الأعلام ولد سنة ٦٩٧ هـ ، وكان رحمه الله صاحب نظم ونشر ومآثر ، سمع الحديث، قرأ على الشيوخ ، وكتابه « مسالك الأبصار في ممالك الأمصار » من كتبه التي تدل على مقدار علمه . توفي سنة ٧٤٦ هـ . انظر ترجمته في : « الدرر الكامنة » (١ / ٣٣١) ، «تاريخ ابن الوردي » (٢ / ٣٥٤) ، النجوم الزاهرة (١٠ / ٣٣٤) ، فوات الوفيات (٧/١).

نَحْل عِبَر النَحْل _____نَحْل عِبَر النَحْل ____

فصل

ومن جيِّد ما قيل في الشمعة قول الموفق أبي الحجاج يوسف بن محمد بن الخلال صاحب ديوان الإنشاء بمصر (١).

وصحيحة بيضاء تطلعُ في الدُّجي صبحاً وتشفى الناظرين بدائها شابت ذوائبها أوان شبابها واسود مفرقها أوان فنائها كالعين في طبقاتها ودموعها وضيائها

ولما نزل أبو على الحسن الأعصم بن أبى منصور أحمد بن أبى سعيد الحسن بن بهرام الجنابى القُرمطى (٢) إلى الرملة ، وقد قدم من الإحساء (٣) لحرب جوهر القائد لسنة ست وستين وثلاثمائة ، أحضر إليه الفراشون في بعض الليالى الشموع على العادة ، فقال لكاتبه أبى نصر بن كُشاجم (٤): « ما يحضرك في هذه الشموع » فقال: « إنما نحضر مجلس السيد لنسمع من كلامه ، ونستفيد من أدبه ، فقال الحسن بن أحمد بديها :

تعرَّت ، وباطنها مُكتَسى وتاجٌ على هيئة البُرنُسِ^(٥) لساناً من الذهب الأملس وقُطتْ من الرأس لم تنعس ضياءً يُجلِّى دُجى الحندس وتلك من النار في أنْحُسِ

ومجدولة مثل صدر القنا لها مقلة هي روح لها إذا غازلتها الصباحركت وإن رنقت لنعاس عرا وتنتج في وقت تلقيحها فنحن من النور في أسعد

⁽١) تولى ذلك فى عهد الدولة الفاطمية للخليفة الحافظ ، وظل على ذلك حتى أيام العاضد ، وتوفى سنة ٥٦٦ . انظر (وفيات الأعيان » .

 ⁽۲) نسب إلى القرامطة ؛ لأنه كان من أمرائهم المتغلبين على الشام ، مات بالرملة سنة ٣٦١ هـ .
 بلفسطين. انظر النجوم الزاهرة (٤ / ٧٤) .

⁽٣) الإحساء أقليم في الجزيرة العربية ، في المملكة السعودية حالياً . انظر « مراصد الاطلاع » .

⁽٤) كشاجم : هو أبو الفتح محمود بن الحسين السندى من شعراء سيف الدولة و «كشاجم » لقب له. انظر « الأعلام » .

 ⁽٥) البرنس : قلنسوةٌ طويلة أو كل ثوب رأسه منه ، دُرَّاعة كان ، أو جُبَّة ، أو غير ذلك القاموس (١/ ٢٦٢) .

فقام أبو نصر ، وقبل الأرض واستأذن في إجارتها ، فأذن له فقال : وليلتنا هـذه ليلة والمائة المائة الما

فيا ربـةَ العـود حُثَّى الغنـا ويـا حامل الكأس لا تحبس

فخلع عليه وعلى جميع من حضر مجلسه ، وحمل إليه حلة سنية .

ولله درُّ الأديب مظفر بن محاسن الدلال ، أحد شعراء دمشق في الأيام الناصرية يوسف بن غازى صاحب حلب ، حيث يقول :

كُن مُحسنا مهما استطعت فهذه الد نيا وإن طالت قصيرٌ عمرها

إن الماآثـر في الــورى دراتــه يفني مؤثّرها ، ويبقى ذكرها

فترى الكريم كشمعة من عنبر ضاءت، فإن طُفِيَت تَضَوَّع نشرُها

وما أحسن قول أبى الحُسين عمر بن يعقوب الأنبارى^(١) ــ أحد عُدول بغداد ــ وقد رثى الوزير محمد بن بقية ، الملقب بنصر الدولة ، وزير عز الدولة بختيار ابن معز الدولة أحمد بن بويه لما قتله عضدُ الدولة أبو شجاع فَنَّا خِسْرُه ابن رُكن الدولة أبى الحسن بن بويه ، وصلبه بقوله :

علوٌ في الحياة ، وفي الممات الأبيات

التى لم يقل فى مصلوب مثلها ، فلم يزل عضد الدولة يطلبه مدة سنة حتى أتاه بأمان فقال له :

« ما حملك على رثاء عدوى ؟ » .

فقال : « حقوق وجبت ، وأياد سلفت ، فجاش الحزن في قلبي ، فرثيت». وكان بين يدى عضد الدولة شموع تزهر فقال : « هل يحضرك في هذه الشموع شيء » فأنشد ارتجالاً :

كان الشموع وقد أطهرت من النار في كلِّ رأس سناناً أصابع أعدائك الخائفسين تصضرع تطلب منك الأمانا

فخلع عليه ، وأعطاه فرساً وبدرة .

⁽۱) شاعرٌ بغدادی ، اشتهر بقصیدته فی رثاء الوزیر ابن بقیة الذی قتله عضد الدولة . انظر : تاریخ بغداد (۳۵/ ۳۵) .

وقال مجير الدين محمد بن على بن يعقوب بن تميم (١) ، وقد اجتاز ليلة بدار بعض أصحابه ومعه شمعة فطفيت ، فأوقدها من داره :

يا أيها المولى الشريف ومن لهُ لما أزرتُك شمعتى لتبرَّها وافته حاسرة فقبل رأسها

فضل يفوق به على أهلِ الأدب جاءت تحدث عن سراجك بالعجب وأعادها نحوى بتاج من ذهب

وينسب لأمير المؤمنين المستنجد بالله أبى المظفر يوسف(٢) ، الثانى والثلاثين من خلفاء بنى العباس أنه قال في الشمعة :

وصفراء مثلى فى القياس ودَمْعُها تذوب كما قد ذُبت وجداً ولوعة وللمستنجد أيضا:

سجام على الخدين مثل دُموعى ويحوى حشاها ما حَوَّتُهُ ضلوعى

وباخل أشعل في بيته فما جرك من عينها دمعة "

فی مُسرَّة منه لنا شمعه حتی جرت من عینه دمعه(۳)

وقال الأديب الكاتب الناسك : فخر الدين أبو الطاهر إسماعيل بن على بن محمد بن عبد الواحد بن أبى اليُمن بن عز القضاة يصف شموعاً :

لمحو سطور الليل ناب عن البدر عمود صباح فوقه كوكب الفجر فأدمع تجرى على ضيعة العمر كنرجسة تزهو على الغصن النضر اليس جناها النحل قدما من الزهر

وزهرِ شموع إن مُدَدْنَ بنانها وفيهنَ كافوريةٌ خِلْتُ أنها وصفراءَ تحكى شاحباً شاب رأسه وخضراء يبدو وقدها فوق قدها ولا غرو أن يحكى الأزاهر حسنها

⁽۱) شاعر دمشقى من أمراء الجند بحماة ، وخدم للملك المنصور صاحب حماة ،وتوفى سنة ٦٨٤هـ. شذرات الذهب (٥/ ٣٨٩) .

⁽۲) ولد سنة ۵۱۸ هـ ، وأمه كرجية اسمها طاوس ، خطب له أبوه بولاية العهد سنة ٥٤٧ هـ ، قال ابن الجوزى : كان المستنجد موصوفاً بالفهم الثاقب ، والرأى الصائب ، والزى الغالب وله نظم بديع ، ونثر بليغ ، توفى سنة ٥٦٦ هـ . انظر « تاريخ الحلفاء » (٥٠٥ ـ ٥٠٧) .

⁽٣) ذكر السيوطى هذين البيتين من شعره في تاريخ الخلفاء (٥٠٦) .

وقال الشريف الأديب الشاعر : أبو الحسن على بن محمد بن الرضى بن محمد ابن حمزة بن أميركا ، المعروف بابن دفتر خُوان الطوسى :

وعجيبة تحكى بقد نخلة ذهبية لهبية تشكو الصدى ومقطها منها يُعِيدُ حمامة بيضا، ويلقيها غُراباً أسودا

وقال العلامة أبو الفضل أحمد بن يوسف بن أحمد التيفاشي (١): غصن بدا من فضة أمسى بتبر مسمرا يرجنى المقلق عَنْبَرا

وقال الأمير سيف الدين أبو الحسن على بن عمر بن قزل^(٢) المعروف بابن لشد:

ولم أر مثل شمعتنا عروساً تجلت في الدجي ما بين جمع نصبناها لخفض العيش جزما فيآذن ليلنا منها برفع كأن عقود أدمعها عليها سلاسلُ فضة أو قصبُ طلع

وقال الأديب العارف شهاب الدين أبو الفضل محمد بن عبد المنعم بن محمد المعروف بابن الخيمي^(٣) الأنصاري ــ فأحسن ما شاء :

وشمعة مزَّقت ثوب الظلام بما بثت من النور في الأرجاء متسعا وأحرقت نارها ما مزقت فترى بالقسط تخرجه من ظهرها قطعا

وقال مظفر بن إبراهيم بن جماعة بن على الأعمى :

جاءت بجسم لسانه ذهب تبكي وتشكو الهوى وتلتهب ُ كأنها في يمين حاملها رُمح لُجيْنٌ لسانه ذَهَب

⁽۱) القاضى الأديب المتوفى سنة ٢٥١هـ، له من التصانيف : الدرة الفائقة فى محاسن الأفارقة ، أزهار الأفكار فى جواهر الأحجار ، سجع الهديل فى أخبار النيل ، وغير ذلك . انظر هدية العارفين (٥/ ٩٤) .

⁽٢) من شعراء أمراء التركمان ، ولد بمصر سنة ٢٠٢ هـ ، واستمر في دواوين الإنشاء ، وتوفى بمصر سنة ٢٥٦ هـ . انظر البداية والنهاية (١٨٣ / ١٨٣) .

⁽٣) شاعر يماني الأصل ولد بمصر سنة ٦٠٢ هـ ، وتوفى بها سنة ٦٥٨ هـ ، كذا في فوات الوفيات لابن شاكر الكتبي (٢ / ٢٣٠) .

وقال عبد الجبار بن أبى بكر بن محمد بن حُمديس أبو محمد الأزدى الصقلي (١):

> قناةٌ من الشمع مركوزةٌ تحرق بالنار أحشاؤها تمشى لنا نُورُها في الدُّجي فأوحب لآكلة جسمها وقال:

تستعذب العيش مع تَعَذَّبها صنوبَـريٌ لسان كوكبها من هذه فضلةً تعيشُ بها ما أردكت من سواد غيهبها

لها حربةٌ طُبعت من ذهب

فتدمع مُقلتُها باللهب

كما يتمشى الرضا في الغضب

بروح تُشاركها في العطب

مصفرة الجسم وهيى ناحلةً تطعن صدر الدجى بعالية إن تَـلفَتُ روحُ هـذه اقتبست كحيسة باللسان لاحسة وقال السرى بن أحمد الرفاء الكندى الموصلي (٢):

> أعددت لليل إذا الليل غسق قضبانَ تبرِ عُمرِّبت من الـورق وقال من أبيات:

ولما دنا الليل فرجتُه بشمع أعير قدود الرماح غصون من التبر قد أزهرت

وقيد الألحاظ من دون الطرق شفاؤها إن مرضت ضرب العنق

بروح تَحَيَّفَ جثمانها وسيرج ذراها وألوانها لهيباً يُزيِّن أفنانها وقد أكلت فيه أبدانها

⁽١) عبد الجبار بن محمد بن حمديس الأزدى ، أبو محمد الصقلي الأديب المتوفى بحزيزة ميورقة سنة ٥٢٧ هـ ، له ديوان شعره ، وعدة الفرائد . هدية العارفين (٥ / ٤٩٩) .

⁽٢) من شعراء سيف الدولة بحلب ، توفي ببغداد سنة ٣٦٠ هـ .

وقال القاضي ناصح الدين أبو بكر بن محمد الأرجاني من قصيدة :

وأطلعت قلبها للناس من فيها في الحي يجني عليها ضرب هاديها أنفاسُها بدوام من تلظيها عهد الخليط فبات الوجد يبكيها نسيم راح إذا وافى يُحيِّيها في الأرض فاشتعلت من نواصيها. من السماء فأضحى طوع أهليها في وجُه دهماء يُرهاها تجليها فكلما حُجبت قامت تُحاكيها إلا وأقمر للأبصار داجيها والقامة الغُصن إلا في تثنيها تجنى على الكف إن أهويت تجنيها وما على غصنها شوكٌ يوقيها سُودٌ ذوائبها ، بيضٌ لياليها إن أنت لم تكسُها تاجاً يحليها والقد والدين إن أعمت تشبيها وعندها أنها إذ ذاك تُحييها ولم يقدر عليها الثوب كاسيها وعبرتى أنا محض الحزن يُمْريها ونحن في حضرة جلّت أياديها من الورى لثنت أعطافها تيها

نمت بأسرار ليل كان يُخفيها قلبٌ لها لم يزل طول اللسان لها غريقةٌ في دموع وهمي تحرقها تنفست نَفَسَ المهجور إذ ذكرت يخشى عليها الرَّدى مما ألمَّ بها بَدَتُ كنجم هوى في إثر عِفْرَية نجم رأى الأرض أولى أن يُبَوِّءها كأنها غُرَّةٌ قد سال شاذخُها أو ضُرَّةٌ خُلقَتْ للشمس حاسدةً ما طنبت قط في أرض مخيمة فالوجنة الورد إلا في تناولها قد أثمرت وردةً حمراء طالعةً وردٌ تشاكُ به الأيدي إذا قطفت صُفرٌ غلائلها ، حُمرٌ عمائمها وصيفةٌ لستَ منها قاضياً وَطراً صفراء هنديةٌ في اللون إن نُعتت فالهند تقتل بالنيران أنفسها قُدَّت على قَدِّ ثوب قد تبطنها أبدت إلى ابتساماً في خلا فقلت في جنح ليلٍ وهي واقفةٌ لو أنها علمت في قُرْب مَنْ نُصبَت وقال المرتضى أبو محمد عبد الله بن القاسم بن مظفر بن على الشهرزوري(١):

⁽١) قاضى الموصل ، وكان من المشتغلين بالفقه والحديث واشتهر بالصلاح والدين ، توفى سنة ١١٥هـ .

تحکی سوابق عَبْرتی تحمى تلهب زفرتي ء فأعربت عن قصتي ـت فمحنتي من منحتي وبها أفرِّق حملتي

ناديتها ودموعها والنار من زفراتها ماذا التجنب والبكا قالت: فجعت بمن هویــ بالنار فَرَّق بيننا

وقال أيضا :

إذا صال البلى وسطا عليها إذا خضعت تقط بحسن مس كأنى مثلها في كل حال

تلقته بذل في التواني فتحنى في المقام بلا تواني أمرتُ بكم ، وتحبيني الأماني

وقال الفتح بن خاقان^(۱) في كتاب العقيان : « ركب عبد الجليل بن وهبون وأبو الحسن غلام البكرى نهر إشبيلية في ليلة أظلم من قلب الكافر ، وأشد سواداً من طرف الظبي ، ومعها غلام وضيٌّ قد أطلع وجه البدر ليلة تمامه ، على غصن بان من قوامه، وبين أيديهم شمعتان قد أزرتا بنجوم السماء ، ومزقتا رداء الظلماء ، ومُوِّهُمَّا بذهبٍ ، ونورهما لجين الماء ، فقال عبد الجليل ارتجالا :

> كأنما الشمعتان إذ سمتا وفي حشا النهر من شعاعهما

وقال غلام البكري :

أحبب بمنظر ليلة ليلاء في زورق يزهو بغرة أغيد قرنت يداه الشمعتين بوجهه والتاج فوق الماء ضوء منهما

خد غلام محسن الغيدى طريق نار الهوى إلى كبدى

تجنى بها اللذات فوق الماء يختال مثل البانة الغناء كالبدر بين النسر والجوزاء كالبرق يخفقُ في غمام سماء

⁽١) أبو النصر الفتح بن عيسى بن خاقان القيسى المتوفى قتيلا سنة ٥٣٥ هـ ، له قلائد العقيان في محاسن الأعيان . انظر : كشف الظنون (٢ / ١٣٥٤) .

وكتب بعض الأدباء إلى الأفضل شاهنشاه بن أمير الجيوش بدر الجمالي ، وقد أسرج الشموع على حافات النيل:

> أبدعت للناس منظراً عجباً ألفت بين ضدين مُقتدراً كأنما الليل والشموعُ به قد كان من فضة فصيرًه وقال أبو الحسن على بن أبي البشر:

شربنا من غروب الشمس شمسا وضوء الشمع فوق النيل باد وقال الغزّي (١):

كالشمع يكبى ولا يدرى أعبرته آخر :

وقُصب من الشمع مصفرة فعشق الفراش لناريهما

لا زلت تُحيى السرور والطربا فمن رأى الماء خالط اللهبا أفق سماء تألقت شهبا توقد النار فوقه ذهبا

مشعسة إلى وقت الطلوع كأطراف الأسنة في الدروع

من صُحبة النار أو من فُرقة العسل

وراح مُدار كلون العقيق فإما حريقٌ وإما غريق

ولأبي الحسن على ، المعروف بدوخلة الكاتب :

وفى هول ما ألقى وما أتوقُّعُ لقد أشبهتني شمعة في صبابتي وتسهيد عينِ الاصفرار وأدمُعي نحول وحرق في فناء ووحدة

خاتمة المؤلف

تم بحمد الله وعونه وحسن توفيقه وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً دائماً أبداً إلى يوم الدين . سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين.

⁽١) هو عيسى بن عثمان بن عيسى الغزى ، فقيه شافعي ، له مؤلفات كثيرة ، أشهرها (أدب الحكام في سلوك طرق الأحكام » ، توفي سنة ٧٩٩ هـ. انظر : البدر الطالع للشوكاني (١/ ٥١٥) ، هدية العارفين (٥/ ٨٠٩).





فهرس الآيات القرآنية

الصف	الأية	٩
19.	إن الملوك إذا دخلوا قرية أفسدوها	١
714	إن هم إلا كالأنعام بل هم أضل	۲
7.1	إنك من تدخل النار فقد أخزيته	٣
.199	أنا حملنا ذريتهم في الفلك المشحون	٤
7	3 7 7 7	
191	إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس	٥
197	0.3 (
195		
. 199	جنات عدن يدخلونها	7
7		
197	ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء	\
191	فلا أقسم بمواقع النجوم	,
7.8	قل لا أسألكم عليه من أجر	
7.1	قل ما سألتكم من أجر	١.
197	ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك	l v
197	والذين آمنوا وأتبعناهم ذرياتهم	1.
177	وأصلح ولا تتبع سبيل المفسدين	1,
100	واجعل لی لسان	1
147	واذکرن ما یتلی فی بیوتکن	1
140	وإنه لذكر لك ولقومك	1
191	وأورثنا القوم الذين كانوا	1
140	ورفعنا لك ذكرك	1
194	ولا يتبعون ما أنفقوا منا ولا أذى	١
194	ولنسكننكم الأرض	۲
14/	يًا أيها النبي قل لأزواجك	۲
149	يا نساء النبي لستن كأحد من النساء	۲
	<u> </u>	

الأعسلام

الصفحة	الأعسلام	٩	الصفحة	الأعــــــــــــــــــــــــــــــــــــ	٩
7.5	أبو بطال	14	٤٦	أبان بن سعيد	,
781	أبو بكر الأرجانى	19	דד	إبراهيم الإمام	1
45.44	أبو بكر الصديق	۲.	£V, £7	إبراهيم بن جعفر	٣
27,20			۲.	إبراهيم بن محمد	٤
٤٨،٤٧	i		27	إبراهيم بن مهاجر	ه
77,00			440	إبراهيم بن ميسرة	٦
۷۹،٦٤			74	إبراهيم بن هاشم	٧
. 118			٦٨	إبراهيم بن يحيى	٨
475			412	ابن الأثير	٩
٠ ٤٤	أبو بكر بن أبى شيبة	۲۱	774	ابن السني	١.
٠ ٢٦٠			۱٦٠	ابن جرير	11
777			۱۸۰		
44.	أبو بكر محمد بن حزم	77	۲		
1.19	أبو جعفر المنصور	74	777	ابن حبان	17
14.41			١٧٨	ابن دُريد	18
٧٣			179	ابن سیده	١٤
77 .			، ۱۸۳	ابن عطية	10
٧٢	أبو الجهم بن عطية	7 8	. 199		
44	أبو حازم	70	، ۲۰۰		
707			101	,	
404			٤٤	أبو إسحاق	17
711	أبو حامد الغزالى	77	٤١	أبو البحتري	17

الصفحة	الأعــــــــــــــــــــــــــــــــــــ	م	الصفحة	الأعــــــــــــــــــــــــــــــــــــ	٢
477	أبو يوسف القاضى	٤٧	، ۳۲۰	أبو حنيفة النعمان	۲۷
, 47	أحمد بن حنبل	٤٨	477		
۲٦٣ ،			737	أبو الحسن الكاتب	۲۸
474			7.7	أبو الحسن الواحدى	44
717	أحمد بن محمد بن الحسن	٤٩	، ۳۱۱	أبو داود	٣.
44.5	أحمد بن القاضي	٥٠	474		
444	أحمد بن الموفق	01	٥٩	أبو ذر	77
707	أحمد بن يوسف	٥٢	٣٤	1	44
٣٢.	إسحاق بن راهوية	٥٣	٥٩	أبو سالم الجيشاني	44
٦٨	إسماعيل بن خالد	٥٤	710	أبو سبرة الهذلى	45
٧١	إسماعيل الديباج	00	١٨٤	أبو سعيد الخدري	40
717	إسماعيل بن على	٦٥	44,18	أبو سفيان	47
97	الأسود بن سريع	٥٧	٤٧،٣٤		
* ·v	الأشجعي	٥٨	۱۵	/	
797	الأصمعي	٥٩	471	أبو سيارة المتعى	77
440	الأعصم بن أبي منصور	٦.	0	أبو عبيدة بن الجراح	۳۸
77	أفلح بن مالك	71	۳. ۵	أبو على بن سينا الرئيس	49
, ۲74	أنس بن مالك	77	77	أبو عيسى الترمذي	٤٠
711			١٨٠	أبو العباس القرطبي	٤١
774	الأوزاعي	77	r +	أبو قحافة	13
			7767	أبو مسلم الخراساني	24
	الباء		0	أبو موسى الأشعرى	٤٤
٥٨،٣٨	البخاري	٦	٣٣ ع	أبو نصر كشاجم	20
, 09			71	أبو يعلى الموصلي	27

الصفحة	الأعلم	٢	الصفحة	الأعــــــــــــــــــــــــــــــــــــ	٩
٣٠٩	جالينوس	٧٩	, ۲09		<u> </u>
79	جبير بن مطعم	٨.	717		
177	جذيمة بن مالك	۸۱	777	بختيار بن معز الدولة	70
١٦	الجعد بن درهم	٨٢	17	بشر بن أرطأة	77
٧٥	جعفر المتوكل	۸۳	77	بکیر بن ماهان	77
	,		417	البيهقى	٦٨
	الحاء		٧٨	بنو إسرائيل	79
187	حاتم الطائي	٨٤	١٣	بنو أمية	٧.
787	حاتم بن عبد الله	۸٥	٦٤	بنو العباس	٧١
377	الحارث بن سعد	٨٦	٧٦	بنو بويه الديلم	٧٢
90,88	الحاكم	۸۷	27.14	بنو هاشم	٧٣
317			٦٨		
77	حبیب بن عامر	۸۸	۲۳.	ا بوران بنت الحسن	٧٤
337	الحجاج بن يوسف	۸۹			
YV	حرب بن أمية	۹.		التاء	
770	الحسن بن أحمد	91	۳۲۰	الترمذي	٧٥
777	الحسن البصرى	97		الثاء	
08	الحسن بن صالح	94	110	الثعلبي الحفر	٧٦
90	الحسن بن عبد الله	98	۱۸۷		
٤٥	الحسن النخعي	90	170	ثعلبة بن سلامان	٧٧
٧٢	حشرج بن نباته	97			
79,71	حفص بن سليمان	97		الجيم	
70,71	الحكم بن أبي العاص	٩٨	۱۳۱ ،	جابر بن عبد الله	٧٨
			711		

الصفحة	الأعــــــــــــــــــــــــــــــــــــ	٩	الصفحة	الأعــــــــــــــــــــــــــــــــــــ	٩
	السين		٥٤		
49		110	٥١	الحكم بن أبي العباس	99
٧٤	سديف بن ميمون	111	۱٥	الحكم بن هشام	\· · ·
444	السرى بن أحمد الكندي	117	٥٧،١٧	حمزة بن عبد المطلب	1 - 1
475	سعد بن أبي ذباب	۱۱۸	١٤	حميد بن عبد الرحمن	1 . 7
١٥٦	سعد بن أبى وقاص	119			
144	سعد بن إياس	١٢٠		الخاء	
709	سعید بن أبی مریم	۱۲۱	٥٤	خالد بن الوليد	1 1
٦٤	سعید بن جبیر	١٢٢	00,87		1 1
٤٥	سعيد بن جهمان	۱۲۳	۲٥		1 1
، ٤٦	سعيد بن العاص	178	٣٠٨	خيثمة	١٠٦
771	!				
777	سعيد بن عبد العزيز	170		الدال	
٤٨	سعيد بن القشب	۱۲۶	1 717	_	1
74, 57	سعيد بن المسيب	171	ا ٦٥	اود کراز	۸۱۰۸
77	سعید بن هشام	17/	4		
، ۳۰۸	سفيان الثورى	170	1	الزاى	
۸۲۸			٥٢		1
۲٥	سفيان بن عبد الله الثقفي	17	۰ ه	لزهرى ا	111.
VT	سفیان بن معاویة	17	1 7		1
٤٥	سفينة	14	٤.		
711	سكين بن عبد العزيز	14	۲ ۱۰	<u> </u>	1
118	سلمة بن وردان	14	٤ ٦	بنب بنت جحش	۱۱۶ از
٥٨	سليمان بن الأشعث	18	٥		

لصفحة	N 511		7	T	r
لصفحه	الأعــــــــــــــــــــــــــــــــــــ	٩	الصفحة	الأعــــــــــــــــــــــــــــــــــــ	P
	الضاد		٥٦	سليمان بن حبيب	147
747	الضحاك بن مزاحم	10:	٥٥	سليمان بن داود عليه السلام	120
			091	سليمان بن عبد الملك	۱۳۸
	الطاء		٦.	سلیمان بن کثیر	149
7.0	طاووس بن كيسان	100	777	سلیمان بن موسی	۱٤٠
00	طرفة بن حاجب	107	٨٧	سيبويه	181
00	طلحة بن خويلد الأسدى	100	101	سهل بن سعد	
			44.5	سيف الدين تنكز	184
	العين		777	سيف الدين قلاوون	188
24,10	العباس بن عبد المطلب	101			
٥٠			777	الشين	
٤٨	العاص بن وائل	109	70	شاهنشاه بن أمير الجيوش	180
٤٨	عامر بن وائل	17.	٥٥	شرحبيل بن حسنة	127
٥٩	عامر بن سعید	171		شرحبيل بن عمرو بن مالك	127
٣٣٩	عبدالجبار بن حمد	177	٥٠		181
707	عبد الحق بن عطية	174	711	شیبان بن فروخ	189
97	عبد الرحمن بن سليمان	371			
٣٣٢	عبد الرحمن الشيرازى	170		الصاد	
748	عبد الرازق بن همام	177	777	ا صالح بن أبي الأسود	0.
114	عبد الغنى بن أبى عقيل	177	444	ا صلاح الدين بن قلاوون	101
77,37	عبد الله بن الزبير	171	44.15	ا صخر بن حرب	- 1
٥٨	عبد الله بن زحر	179	٤٧،٣٤		
٣٠	عبد الله بن زياد	14.	٥٧		
۳.	عبد الله بن عباس	171	771	١ صدقة بن عبد الله	07

الصفحة	الأعــــــــــــــــــــــــــــــــــــ	٩	الصفحة	الأعــــــــــــــــــــــــــــــــــــ	٩
41	عتبة بن أبى ربيعة	119	711		
79.01	عثمان بن أبي العاص	19.	97,90	عبد الله بن عمر	۱۷۲
79,78	عثمان بن عفان	191	, 414		
77,70	<i>5 6</i> . •		471		
٤٨،٣٩			90	عبد الله بن عمر الجعفي	174
Vq			710	عبد الله بن عمرو	۱۷٤
00	عرفجة بن هرثمة	197	٤٩	عبد الله بن كعب	140
477	عروة بن محمد	198	74.	عبد الله بن المبارك	177
777	عطاء الخراساني	198	777	عبد الله بن محرز	177
79	عقال بن شيبة	190	79	عبد الله بن محمد بن على	۱۷۸
۳۸،۱۷	عقيل بن أبي طالب	197		السفاح	1 1
00,08	عكرمة بن أبى جهل	191	7.0	عبد الله بن مسعود	
17,18	على بن أبي طالب	19/	, 40.	عبد الله بن مسلم بن قتيبة	. ۱۸۰
47,78			٠ ٢٨٠		
۹٤،۰٥			778		
77.07			74,34		- 1
، ۱۸			744	. ,	
٤٠٣ ،			٧'	3 3 5	- 1
441			٦٠	1 0	
٥٨	ىلى بن عبد	١٩ اء	9 4		
٥٧	مار بن ياسر	۲۰ ا	. , 40	بهد الملك بن جريج	۱۸٦ ء
٥٨	مارة ب <i>ن</i> زرعة	1	- 1		
٨٢	مر بن عبد العزيز		1		- 1
٤١	مرو بن حزم بن زید	۲۰	۲	تاب بن أسيد	۱۸/

الصفحة	الأعــــــــــــــــــــــــــــــــــــ	٩	الصفحة	الأعلم	٩
V9	قرة بن كعب	17.	. ۲9	عمرو بن الحمق	۲٠٤
7 8	قصی بن کلاب	77	۲٦.	عمرو بن سمعة	7.0
777	قطر الندى بنت الأمير	771	۲ ، ۳۲٤	عمرو بن شعیب	۲.٦
٣٣	قیس بن عدی	777	477		
00	قيس المكشوح	778	04	عمرو بن عثمان بن عفان	۲.۷
			00.87	عمرو بن العاص	۲۰۸
	الكاف		٧.	عون بن عبدالله بن جعفر	۲ . ۹
707	الكواشي	770	7.4	عوف بن مالك	۲۱.
	اللام			الغين	
٦٥	لاهز بن قريط	777	757	الغزى	711
			721	غلام البكرى	717
	الميم				
٧٤	المأمون	277		الفاء	
الملط	المتوكل جعفر بن محمد	777	٥٠	ا فاطمة بنت رسول الله ﷺ	114
٧٦	المستكفى عبد الله المتكفى	779	٥٠	ا فاطمة بنت الحسن	118
777	المستنجد بالله أبى المظفر	74.	781	١ الفتح بن خاقان	110
70	المغيرة بن شعبة	741	٧٤	١ الفضل بن الربيع	177
٤٧،٤٦	المهاجر بن أمية	747	٦.	٢ الفضل بن العباس	11
\ Y \ \ \	مجاهد بن جبير	777	٣٣٦	۲ فناحسرو بن رکن	11
. 789		!			
۳٠٥				القاف	
711			, YOV	٢ القرطبي	19
717			404		

الصفحة	الأعــــــــــــــــــــــــــــــــــــ	٩	الصفحة	الأعــــــــــــــــــــــــــــــــــــ	٩
40,41	معاوية بن المغيرة	700	٧١	محمد بن إبراهيم	748
٤٧	معمر بن راشد	707	٤٠	محمد بن إسحاق	
١١٤	معن بن عیسی	707	٣٨	محمد بن إسماعيل البخاري	777
441	مكحول الدمشقى	701	۳۱	محمد بن الحنفية	777
۳۲.	موسی بن سیار	409	٧١	محمد الديباج	747
٤٠	موسى بن عقبة	۲٦.	777	محمد بن السائب الكلبي	739
			٥٣	محمد بن الصاحب	78.
	النون		۲۳۲	محمد بن بقية	781
418	النعمان بن بشير	771	۳۹،۳۸	محمد بن شهاب	737
447	نافع	777	۱۱٤		
٣٠٦	النحاس	777	۲۱۱ ،	محمد بن على الترمذي	754
777	النسائي	377	٣١٤		
٥٦	نصر بن سیار	470	08,4.	مروان بن الحكم	1
441	نعيم بن حماد	777	٩٧	مروان الحمّار	720
		!	77,28	مروان بن محمد	757
	الهاء		، ٦٠	مسلم بن الحجاج	757
٧٤	هارون الرشيد	777	414		
37,78	هاشم	778	۱۷	مسلم بن عقيل	1
٧٨			77	مسلمة بن عبد الملك	
۱۷	هانئ بن عروة	779	٥٥	مسيلمة بن ثمامة	1
25,74	. 0.1		73	مطعم بن عدی	1
777	هلال بن مرة	141	777	مظفر بن إبراهيم بن جُماعة	1
			441		
			٤٦	معاذ بن جبل	307

الصفحة	الأعــــــــــــــــــــــــــــــــــــ	٢	الصفحة	الأعــــــــــــــــــــــــــــــــــــ	٢
00,07	یزید بن أبی سفیان	140		الواو	
٠, ٢٧	يزيد بن الحباب	777	707	الواحدي	777
٧٢	يزيد بن معاوية	777	70	وكيع بن الجراح	777
٧٨	يعقوب بن إسحاق	777			
707	يعقوب بن عبد الرحمن	779		الياء	
50,00	یعلی بن منبه	۲۸۰	، ۳۸	یحی <i>ی</i> بن بکیر	YV 8
770	يوسف بن محمد الخلال	141	118		

فهرس الأحاديث

اتقى الله يا فاطمة وأدى فريضة ربك اجعلتنى لله نداً اد منه العشر اد منه العشر اذا أخذتما مضاجعكما اذا أراد الله بعبده خيراً عسله اذا بلغ بنو هذا أربعين رجلاً ملكوا اذا بلغ ولد الحكم ثلاثين رجلاً اتخذوا مال الله دولاً اذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث اسقه عسلاً اشتد غضب الله على قوم اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد	\ \ \ \ \ \ \ \ \ \ \ \ \ \ \ \ \ \ \
أد منه العشر إذا أخذتما مضاجعكما إذا أخذتما مضاجعكما إذا أراد الله بعبده خيراً عسله إذا بلغ بنو هذا أربعين رجلاً ملكوا إذا بلغ بنو هذا أربعين رجلاً ملكوا إذا بلغ ولد الحكم ثلاثين رجلاً اتخذوا مال الله دولاً الإمن الإمن الإمن الإمن أدم انقطع عمله إلا من ثلاث إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من سبع إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من سبع المقه عسلاً اسقه عسلاً المتد غضب الله على قوم اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد الله على قوم اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد	۴ ٤ ٥ ٦
إذا أخذتما مضاجعكما إذا أراد الله بعبده خيراً عسله إذا أراد الله بعبده خيراً عسله إذا بلغ بنو هذا أربعين رجلاً ملكوا إذا بلغ ولد الحكم ثلاثين رجلاً اتخذوا مال الله دولاً ١٩٥٥ إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من سبع إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من سبع المقه عسلاً اسقه عسلاً اشتد غضب الله على قوم اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد على قوم اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد	٤ ٥ ٧
إذا أراد الله بعبده خيراً عسله اذا بلغ بنو هذا أربعين رجلاً ملكوا اذا بلغ بنو هذا أربعين رجلاً ملكوا افا بلغ ولد الحكم ثلاثين رجلاً اتخذوا مال الله دولاً المجتمع ثلاثين رجلاً اتخذوا مال الله دولاً المجتمع عمله إلا من ثلاث افا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من سبع افا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من سبع اسقه عسلاً اسقه عسلاً اشتد غضب الله على قوم اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد الله على قوم اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد	٥ ٦ ٧
إذا بلغ بنو هذا أربعين رجلاً ملكوا إذا بلغ بنو هذا أربعين رجلاً اتخذوا مال الله دولاً إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من سبع إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من سبع اسقه عسلاً اشتد غضب الله على قوم اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد	٦ ٧
إذا بلغ ولد الحكم ثلاثين رجلاً اتخذوا مال الله دولاً ٢٤٩ إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من سبع الذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من سبع اسقه عسلاً اشتد غضب الله على قوم اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد	٧
إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من سبع إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من سبع اسقه عسلاً اسقه عسلاً اشتد غضب الله على قوم اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد	
إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من سبع المقه عسلاً اسقه عسلاً اشتد غضب الله على قوم اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد عضب الله على قوم اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد	A
اسقه عسلاً اشتد غضب الله على قوم اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد ٩٤	^
اشتد غضب الله على قوم اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد	٩
i i	١.
1 1	11
أشد الناس عذاباً يوم القيامة المصورون	١٢
أشرف لباسها لعاب دودة (موقوف)	۱۳
أشهد أن رسول الله لعن أباك	١٤
أغيظ رجل عند الله رجل تسمى ملك الأملاك	10
أفضل الأعمال أحمزها	17
الأئمة من قريش	١٧
اللهم اجعل خير عمري آخره	١٨
اللهم اجعل رزق آل محمد قوتاً	١٩
اللهم زدنا ولا تنقصنا	۲.
اللهم لا تجعل قبري وثناً يعبد	۲۱

الصفحة	الحــــديــــث	P
٥١	أليس ابن المخزومية	77
44	أنا وبنو عبد المطلب لا نفترق في جاهلية ولا إسلام	74
٤٠	أنا وهم لم نزل في الجاهلية ولا الإسلام	7 2
1.1	إن أخنع الأسماء عند الله رجلٌ تسمى بشاهان شاه	70
377	إن أدُّوا إليك ما كانوا يؤدون إلى النبي ﷺ فاحم لهم	77
710	إن الله لا يحب الفاحش والمتفحش	44
٦٣	إن آمن الناس علىّ في صحبته وماله أبو بكر	۸۲
709	إن الرجل ليعمل عمل أهل الجنة فيما يبدو للناس	49
777	إن رجالاً من فهم كلموني في خلاياهم (موقوف)	٣.
77.1	إن الزنابير كلها في النار	٣١
709	إن العبد ليعمل فيما يرى الناس عمل أهل الجنة	44
111	إن العالم يستغفر له من في السموات ومن في الأرض	44
717	إن كان في شيء من أدويتكم	45
710	إن مثل المؤمن كمثل النحلة	40
40	إن معاوية أصبح قريباً لم ينفذ	41
۲٥	إن ملكت يا معاوية فأحسن	٣٧
418	إن مما تذكرون من جلال الله	٣٨
98	إن من شرار الناس من تدركهم الساعة	49
77	إن هذا الأمر في قريش لا يعاديهم أحد	٤.
71	أنت أبرأ الناس	٤١
٣٠٦	أنت يعسوب المؤمنين	٤٢
٣٧	إنما بنو عبد المطلب وبنو هاشم شيء واحد	24
٩٢	إنهم مجوس هذه الأمة	٤٤

الصفحة	الحــــــــــــــــــــــــــــــــــــ	٩
٥٩	إنى لأعطى الرجل وغيره أحب منه	٤٥
414	أول نعمة تقع في الأرض العسل	٤٦
w.v	ایتونی بماء (موقوف)	٤٧
377	جاء هلال إلى رسول الله ﷺ بعشور نحل له	٤٨
440	خذ منه العشر (موقوف)	٤٩
١١٠	الخلق عيال الله	٥٠
414	الذباب كله في النار إلا النحل	٥١
۲٥	رأيت في النوم بني الحكم أو بني أبي العاص	۲٥
۲٥	رأی النبی بنی أمية علی منابرهم	٥٣
414	الشفاء في ثلاثة	٥٤
414,4.4	صدق الله وكذب بطن أخيك	٥٥
٥٨	عرض على ربى ليجعل لى بطحاء مكة ذهبا	۲٥
97	عرف الحق لأهله	٥٧
٣٠٨	العسل شفاء من كل داء (موقوف)	٥٨
٣٠٨	عليكم بالشفاءين : القرآن والعسل	०९
717	عمر الذباب أربعون ليلة	٦.
٣٢.	في العسل في كل عشرة أزق زق	71
74	قد أتانى كتابك وقديما غرك يا أحمق	77
YA	کن کذلك	74
717	كونوا في الناس كالنحلة (موقوف)	٦٤
٥٩	کیف تری جُعیلا	٦٥
۸۱	لتتبعن سنن الذين من قبلكم	77
٨١	لتتبعن سنن من قبلكم	٦٧

الصفحة	الحــــــــــــــــــــــــــــــــــــ	
<u> </u>		٢
۲۷	لعداوتك لله ولرسوله	٦٨
94	لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد	79
۹۳	لعن الله زوارات القبور	٧.
۲۲۸	لم أومر فيها بش <i>يء</i> (موقوف)	٧١
٥٩	لن يدخل أحد منكم الجنة بعمله	٧٢
٦٣	لو كنت متخداً خليلاً لاتخذت أبا بكر خليلا	٧٣
440	ما كان منه في السهل ففيه العشر	٧٤
410	مثل بلال مثل النحلة	٧٥
709	من أحب أن ينظر إلى رجل من أهل النار فلينظر إلى هذا	٧٦
118	من أنفق زوجين في سبيل الله	٧٧
٩ ٦	من حلف بغير الله فقد أشرك	٧٨
111	من شهد اليوم جنازة	٧٩
۱۳	من صام اليوم	۸٠
۱۳	من عاد اليوم مريضاً	۸۱
418	من لعق العسل ثلاث غدوات كل شهر	۸۲
۲۷.	الماء من الماء	۸۳
٣١٠	المؤمن كالنحلة تأكل طيبا	٨٤
٣١٦	نجده محمد بن عبد الله يولد بمكة ويهاجر إلى طيبة (موقوف)	۸٥
۲۸	نعم إنه وطئ على عنقى	۸٦
711	نهى عن قتل أربع من الدواب	٨٧
115	هل منكم أحد اتبع اليوم جنازة ؟	٨٨
114	هل منكم أحد أطعم اليوم مسكيناً	۸۹
۲۸	والله لأقتلنك	۹.

الصفحة	الحـــديـــث	۴
44	ويل لأمتى مما في صلب هذا	91
٥٩	والله إنى لأعطى الرجل وأدع الرجل	` 47
١	ومن أظلم ممن ذهب يخلق كخلقى	93
77	ويلك يا أبا سفيان ألم يأن لك أن تعلم أن لا إله إلا الله	98
77	لا تقتلن أولادكن	90
77.	لا عليكم أن لا تعجلوا بحمد أحد حتى تنظروا بما يختم له	47
90	لا ينبغي لأحد أن يسجد لأحد	97
1.8	يا معاذ والله إني أحبك	٩٨
VV	يا معشر قريش إن هذا الأمر لا يزال فيكم	99
777	يؤخذ من العسل العشر	١
١٠٠	يقول الله عز وجل : العظمة إزارى والكبرياء ردائى	1.1

فهرس القبائل

اســـم القبيلة	٩
الير بر	١
	۲
السلاجقة	٣
الشواكرة	٤
المروانية	٥
	٦
	٧
هلباء سُويد	٨
هوازن بن منصور	٩
	البربر الرواشدة السلاجقة الشواكرة المروانية بلى بن عمرو فزارة بن ذبيان

فهرس البُلدان

الصفحة	اسم البلد	٩	الصفحة	اسم البلد	٢
140	عيذاب	۲۷	148	إخميم	١
188	فاقوس	۲۸	184,148	أسوان	۲
١٣٦	فرشوط	44	١٣٤	أشمون	٣
131,101	فسطاط	٣.	189	أطفيح	٤
١٣٥	قمولة	۳۱	۱٤٧	إهريت	٥
١٦٥	مرو	44	187	البهنسا	٦
18.,148	منفلوط	٣٣	7313851	الجيزة	٧
1896187	منوف	٣٤	۱۳۰	الحوف	٨
۱۳۲	مُنية غمر	٣٥	187	العلاقي	٩
١٦٤	واسط الحجاج	77	١٦٥	المحمدية	١٠
			187	اليمامة	11
			١٦٢	الأنبار	۱۲
			189	بيا	۱۳
			101,187	بلبيس	١٤
			189	بوش	10
			۱۳۷	جرجا	١٦
			371,172	جهينة	۱۷
			189	حلوان	۱۸
			189	دير الطين	19
			147	زفتی	۲.
			187	سفط	11
			18.	سملوط	77
			170	سوهای	74
			1778	سيوط	3.7
	1		187	طوخ	10
			177	عزة	77

فهرس النقود والدراهم والموازين

الصفحة	الحــــديــــــــــــــــــــــــــــــــ	٩
104	البغلية	١
۱۷۱	البندقية	۲
17.	الجريب	٣
107	الجواز	٤
107	الجواقية	٥
171	الحموية	٦
177,101	الرطل	٧
177.171	السكة	٠,
171	السميرية	٩
778,178	الصاع	١.
174	الفلوس	11
175	القدح	۱۲
17.	القفيز	١٣
17.	الكسروية	١٤
171	المؤيدية	10
۱۷۱	النوروزية	17
١٦٤	الهبيرية	۱۷
١٦٦	جريب	١٨
١٥٨	دينار	١٩
۱٥٨	سُود واقية	۲.
١٥٨	طبرية	41
۱٥٨	و قيراط	

ثبت بالمراجع

١ _ القرآن الكريم

٢ _ صحيح البخاري

٣ _ صحيح مسلم

٤ ــ سنن أبى داود

٥ ــ سنن النسائي

٦ ــ سنن ابن ماجه

٧ ــ سنن الترمذي

٨ ــ البداية والنهاية ــ ابن كثير ــ طبع دار الحديث

٩ _ معجم قبائل العرب _ عمر رضا كحالة _ مؤسسة الرسالة

١٠ ــ القاموس المحيط ــ الفيروزآبادي ــ مؤسسة الرسالة .

١١ ــ المعجم الوجيز ــ مجمع اللغة العربية

۱۲ ــ المعجم العربي الأساس ــ مؤسسة لاروس

۱۳ _ المخصص _ ابن سيده _ دار الكتب العلمية

۱٤ _ مختار الصحاح _ الرازى _ دار المنار

١٥ - الأعلام - خير الدين الزركلي - دار العلم للملايين

١٦ ــ الضوء اللامع ــ السخاوي ــ دار الجيل

١٧ _ شذرات الذهب _ لابن العماد الحنبلي _ دار الكتب العلمية

۱۸ ــ معجم البلدان ــ ياقوت الحموى ــ دار صادر

١٩ ـ نهاية الأرب ـ النويري

٢٠ _ صبح الأعشى في صناعة الإنشى _ القلقشندى

٣٦٤ _____ الفهارس العامة

٢١ _ حياة الحيوان _ كمال الدين الدميري _ دار الكتب العلمية

۲۲ _ الفرق بين الفرق _ البغدادى

۲۳ _ مروج الذهب ومعادن الجوهر _ المسعودى

٢٤ _ وفيات الأعيان _ ابن خلكان

٢٥ _ معجم الأدباء _ ياقوت _ دار صادر

٢٦ _ مقالات الإسلاميين _ الأشعرى

٢٧ _ جلاء الأفهام _ ابن القيم

۲۸ _ معالم السنن _ الخطابي

٢٩ _ الإعلام بقواطع الإسلام _ ابن حجر

٣٠ _ زاد المعاد _ ابن القيم الجوزية

٣١ _ التفسير القيم _ ابن القيم

٣٢ _ مدارج السالكين _ ابن القيم

٣٣ _ طبقات الحفاظ _ للسيوطي .

٣٤ _ تذكرة الحفاظ _ الذهبي .

٣٥ _ شرح صحيح مسلم _ النووي .

٢٦ _ مجمع البحرين _ حسن الصغانى .

٣٧ _ صحاح اللغة _ الجوهرى .

٣٨ _ لسان العرب _ ابن منظور .

٣٩ _ المزهر _ جلال الدين السيوطى .

٤٠ ــ مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع .

٤١ ــ النجوم الزاهرة ــ ابن تعزي بردي .

٤٢ ــ التعريفات ــ الجرجاني .

٤٣ _ الجامع لمفردات الأدوية _ ابن البيطار .

- ٤٤ ــ الملل والنحل ــ الشهرستاني .
- ٤٥ ــ أحكام القرآن ــ لابن العربي .
- ٤٦ _ هدية العارفين _ إسماعيل باشا البغدادى .
 - ٤٧ ــ الدرر الكامنة ــ ابن حجر .



الفهرس

	المقدمة
7	المقدمة
٧	مقدمات
11	التنازع والتخاصم فيما بين بني أمية وبني هاشم
۸٥	تجريد التوحيد المفيد
۱۲۳	البيان والإعراب عَمَّن في أرض مصر من قبائل الأعراب
100	النقود القديمة الإسلامية
۱۷۷	معرفة ما يجب لآل البيت النبوى من الحق على من عداهم
717	المقاصد السنية في معرفة الأجسام المعدنية
779	الإلمام بأخبار مَنْ بأرض الحبشة من ملوك الإسلام
720	حرص النفوس الفاضلة على بقاء الذكر
707	حصول الإنعام والمير في سؤال خاتمة الخير
770	الإشارة والإيماء إلى حل لغز الماء
771	نَحْل عِبَر النَحْل
787	الفهارس العامة

رقم الإيداع 44/٤٩٠٣ الترقيم اللولى .I.S.B.N الترقيم 2001 - X